طبعة جديدة

المنهاج النبوي

تربية وتنظيما وزحفا

عبد السلام ياسين

المنهاج النبوي

تربية وتنظيما وزحفا



الكتاب: **المنهاج النبوي.. تربية وتنظيما وزحفا**

تأليف: **عبد السلام ياسين**

الطبعة الخامسة: 1443/ 2022

الترقيم الدولي للكتاب: 978-605-73615-3-0

الطباعة والنشر: **دار إقدام للطباعة والنشر**

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهاج النبوي

تربية وتنظيما وزحفا

عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه إلى يوم الدين

مقدمة الطبعة الخامسة

بقلم الدكتور عبد الواحد متوكل

قبل ما يقرب من سبعة وثلاثين عاما صدرت الطبعة الأولى من كتاب المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا. ظهر في البداية منجما في أربعة أعداد متوالية من مجلة الجماعة، ثم جمع في كتاب سرعان ما نفد. ونظرا لحالة الاختناق السياسي المهيمنة في البلد والتي كانت، ولا تزال، تضيق بالأصوات المنادية بالحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية والحكم الرشيد، لم تكن إعادة طبع الكتاب بالأمر الهين، فلجأ الراغبون فيه إلى الاستنساخ للحصول على نسخة من هذا الذي فشا ذكره، وتحدث عنه، بين مؤيد ومعارض، ومنتقد ومساند. وبقي الحال على ذلك إلى أن تيسرت، من بين فرث ودم، طبعة ثانية ثم ثالثة خارج المغرب.

وفي تقديمه للطبعة الثالثة تحدث الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله عن عمله في الكتاب فقال إنه كان «استطلاعات محلق من على ربوة الأمل»، و«إطلالات على حافات الطريق وجوانبها ومعالمها، إن يكن للرائد يومئذ استبصار بما يحق وما يتعين من عموميات التربية والتنظيم والزحف، فما كانت له خبرة المدافع المثافن (المثافنة: المدافعة والمزاحمة واكتساب الخبرة المباشرة والاطلاع على الخفايا)»[1]. ثم أشار إلى أنه بعد عشر سنوات من صدور الطبعة الأولى للكتاب، قد جرت أحداث جسام، وتغيرت أمور كثيرة ليتساءل: «هل لِمَا رُسِم منذ عشر سنوات خَلَتْ من مزايا تستفاد حتى يعاد طبعه ويعاد؟»[2].

---

(1) عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، الطبعة 4، 1422هـ/ 2001م، ص5.
(2) المصدر السابق.

ولئن كان رحمه الله قد طرح هذا السؤال، ولم تكن قد مرت على صدور الطبعة الأولى إلا عشر سنوات، فإن إعادة طرح السؤال نفسه يكتسي مشروعية أكبر، لا سيما وقد عاشت الأمة الإسلامية خلال العقود الأربعة الماضية أحداثا مهولة، واستنسر بأرضها الطغاة والمفسدون، وأضحت غرضا للمستكبرين والتافهين من كل جنس، وموضوع مؤامرات ودسائس لا تنقطع، يشارك في وضعها والتخطيط لها وتنفيذها الأعداء والعملاء في الداخل والخارج. فهل بعد هذه المحن والإحن التي توالت واستحكمت حلقاتها، والشعوب الإسلامية بلسان الحال أو المقال تجأر وتتساءل: هل إلى خروج من سبيل، لا تزال «لما رسم [منذ ما يقرب من أربعة عقود] مزايا تستفاد حتى يعاد طبعه ويعاد؟»

لا يمكن لإنسان عاقل، مهما أوتي من مواهب وقدرات، إن خرج بنظرية أو تصور ما أو منهاج للعمل أن يقول للناس إن عمله ذاك مبرأ من كل عيب، وخال من الهنات، ولا يقبل تعديلا ولا مراجعة. وللإمام ياسين رحمه الله أقوال كثيرة مشهورة تؤكد هذه الحقيقة. وقد سجل في أول صفحة من مجلة الجماعة التي نشرت الفصول الأولى من كتاب المنهاج ما نصه: «ما كتبناه مطروح للمناقشة والأخذ والرد، فإن وضوح المنهاج لدينا وتعديله وإغناءه ضرورة عملية لكيلا نسير بالارتجال وفي الغموض»[1].

هذا وإن قيمة أي عمل لا تكون وتتأكد بكثرة الإشادة به والدعاية له، وإنما بما له من آثار وفوائد حقيقية لا وهمية. ولئن كان «المنهاج النبوي»، كما وصفه مؤلفه، «علما من العلم، وفكرا من الفكر، واجتهادا من الاجتهاد»[2] فإنه كان حاسما في انبعاث دعوة العدل والإحسان، وسرعة انتشارها، وقوة تماسكها بما وفر لها من منهاج تربوي وفكري وحركي متوازن جَنَّب الجماعة مخاض التأسيس، وحيرة البداية، والتخبط في المسير. فمنذ أول يوم كانت الرؤية واضحة، والمواقف من قضايا شائكة جلية أقنعت بما بسطته من حجج كثيرين؛

(1) مجلة الجماعة، العدد 8، شعبان 1401/ يونيو 1981.

(2) عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، الطبعة 4، 1422هـ/ 2001م، ص5.

وإن لم تكن داعمة لاقتناعات حاصلة ابتداء لدى البعض، فقد كانت مشجعة للتخلص من حالات التردد لدى آخرين. والأمثلة في هذا الباب كثيرة. من ذلك الموقف من العنف والعمل السري، والارتباط التنظيمي أو المالي بجهات خارجية، والعمل النخبوي والجماهيري، والقطرية والعالمية، وطبيعة النظام السياسي المغربي، ومن أين يبدأ التغيير، والسلفية والصوفية، ومركزية التربية في العمل الإسلامي... وغير ذلك من القضايا التي كانت مطروحة بحدة في السبعينات والثمانينات، وكانت تثير جدلا واسعا في أوساط الشباب الإسلامي.

غير أن تميز المنهاج لا يكمن فقط فيما وفر من عُدة نظرية، وإنما أيضا وأساسا فيما أرشد إليه من «كيفية» مستقاة من مشكاة النبوة، مسنودة بحضور صاحب المنهاج، بمثاله ومواقفه وسمته ودَلِّه، لحصول صحوة إيمانية في محاضن تربوية تنعقد بانتظام يجد بركتها وأثرها كل من أقبل عليها بهمة وانخرط فيها بصدق. وكان لحصول هذا التلاقي بين الأثر الإيماني والاقتناع الفكري والاتزان الحركي الأثرُ البالغ في شحذ العزائم على العمل الدؤوب الذي حقق بفضل الله لدعوة العدل والإحسان في زمن يسير الانتشار الواسع والراسخ في طول المغرب وعرضه، ووصل صداها حتى خارج حدود البلد. ولاشك أن كتابا بهذه المزايا لجدير أن يعاد طبعه ويحتفى به أيما احتفاء.

لكننا ونحن نعيد طبعه لخامس مرة على صورته الأولى، لا بد من تسجيل مجموعة من الملاحظات ليكون القراء الكرام، ولا سيما الباحثين والمتابعين لشؤون الحركة الإسلامية عموما، والعدل والإحسان بصفة خاصة، على بينة من الأمر، ولفهم كتاب المنهاج النبوي على وجهه الصحيح. فقد وقع البعض في مواقف خاطئة لأنهم اعتمدوا على معطيات غير دقيقة، أو بنوا تحليلاتهم على تفاصيل أو تقديرات متجاوزة. ولئن كان الغلط الناتج عن مقاصد سيئة غير مستغرب من قبل الذين يكيدون الجماعة، ويكِدُّون لتشويه صورتها، ومحاولة صد الناس عنها، لا سيما بعدما لقيت بفضل الكريم المنان قبولا متزايدا جعل منها أكبر جماعة إسلامية في المغرب بشهادة الخصوم والمخالفين قبل

الأصدقاء والعاطفين، فإنه ما يجمل بالمنصف والباحث المدقق أن يقع في الغلط نفسه حتى وإن كان عن غير قصد.

من الأمور التي ينبغي الانتباه إليها عند قراءة كتاب المنهاج النبوي هو ضرورة التمييز بين الثابت والمتغير، والمبادئ والاجتهاد في تنزيلها على أرض الواقع المتحرك، وبين الكليات والتفاصيل، والمواقف المظروفة بظروفها أو المرتبطة بعلة تدور معها وجودا وعدما. وينبغي كذلك استحضار كتب المؤلف الأخرى، وخاصة التي ألفت بعد كتاب المنهاج للتأكد من بعض الآراء والمواقف، وهل مازالت قائمة أم تم العدول عنها جزئيا أو كليا. فهناك مسائل وردت في المنهاج، لكن تم التراجع عنها في طبعات لاحقة، مثل القول بضرورة انتظام العمل الإسلامي في كيان واحد الذي نسخ بالقول بجواز التعددية ما لم تكن عدائية أو كيدية، وكذلك تجربة ألبانيا التي نوه في البداية بإنجازاتها التنموية، ثم غير موقفه منها لما تبين له أنها، كما قال: «كانت أخزى القوم حظا»[1].

وهناك مسائل ناقشها الإمام رحمه الله في الكتاب لكنه لم يحسم فيها، ثم عاد إليها مرة أخرى في كتبه اللاحقة ليسلط عليها إضاءات جديدة، ولا تزال مع ذلك مفتوحة للنقاش. مثال ذلك مفهوم أهل الحل والعقد الذي اعتبره غامضا وانتقد مذاهب بعض الفقهاء فيه. وهناك تجارب إسلامية أشاد بها كثيرا لأنها كانت تعتبر زمن تأليف الكتاب أملا للأمة ورفدا، لكنه غيَّر موقفه منها لما انتكست ولم تكن في مستوى ما كان متوقعا منها، مثل الثورة الإيرانية، وجهاد الأفغان.

وهناك مسائل ربما لو استقبل من أمره ما استدبر لما أدرجها في الكتاب أصلا لأنها من النوع الذي يتعين مراجعته وتعديله أو تغييره باستمرار. وأبرز مثال في هذا الباب هو «هياكل التنظيم، وسلم إمارته، ومجالسه، وأجهزته وعقد الإمارة، وتعدد البيعة وتكرارها» من الفصل الرابع من الكتاب المتعلق بالتنظيم. فأكثر ما سطر بهذا الخصوص قد تم تجاوزه منذ سنوات، وبعضه

(1) عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، الطبعة 4، 1422هـ/ 2001م، ص6.

لم يطبق أصلا. وتكفي إطلالة سريعة على الوضع الهيكلي الحالي للجماعة للتأكد من البون الشاسع بين ما هو مسطور هناك، والشكل المعتمد إلى حدود كتابة هذه الكلمات. والغريب أنه لا يزال بعض الكتبة يعتمدون كل ما جاء في هذا الفصل للخروج باستنتاجات وإصدار أحكام عن الجماعة تكون، ولا عجب، خاطئة جملة وتفصيلا. ولو أنصفوا وتريثوا أو عرفوا أين يذهبون لأخذ المعلومة الصحيحة، لأدركوا أن تنظيم الجماعة، وخلافا لما يظن البعض، قد تطور تطورا مستمرا وهائلا. وما نحسب أن حركة إسلامية حية، وتحظى بقبول في المجتمع واسع، يمكن أن تجمد على شكل تنظيمي معين طويلا، ولا تقوم بمراجعات تستدرك بها الخلل، وتتجاوز بها الثغرات، وتجود بها الأداء، وتستوعب الطارئ والمستجد. وقد كانت كثير من هذه التغييرات تحت إشراف وتوجيه الإمام نفسه رحمه الله.

هذا وإن أعضاء الجماعة يعرفون جيدا هذه الأمور، ويدركون حجم التطور الذي عرفته الجماعة منذ تأسيسها رسميا في شتنبر 1981. لذلك ونحن نسجل هذه الملاحظات، فإنما نتوجه بها إلى القراء الجدد والباحثين الذين يريدون أن يتعرفوا على هذه التجربة الإسلامية المغربية، وفكر مؤسسها الإمام عبد السلام ياسين رحمه الله. إنها ملاحظات سريعة ومركزة نأمل بها أن تكون عونا للباحث المنصف والسائل الجاد على الخروج بصورة دقيقة عن هوية جماعة العدل والإحسان وعما تريده وتسعى إليه. ولكل بعد ذلك أن يتخذ الموقف الذي يراه، ما لم يُقوِّل الإمامَ ما لم يقل، أو ينسب إلى الجماعة ما هي منه براء. والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

كتبها الفقير إلى رحمة ربه

عبد الواحد متوكل

يوم الخميس23 جمادى الثانية 1439

الموافق لـ 8 مارس 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد آله وصحبه وسلم وعلى إخوانه وحزبه

بين يدي الطبعة الثالثة

أيها الإخوان، أيتها الأخوات. معشر المؤمنين والمؤمنات. يا من تحملتم هم آخرتكم بخوف من الله، وهم لقاء ربكم برجاء في رحمته، وهم تقربكم منه بشوق وطاعة وعمل صالح وجهاد. يا من تشقون الطريق اقتحاما لعقبات الابتلاء، وصبرا على اللقاء، وتصديا لمقارع القمع بجلد الواثق من نصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم.

يا من تحملون مع همكم بالآخرة وبلقاء الله، التهمُّمَ بمصير أمتكم، يجمعكم عن التشتت في بُنَيَّات الطريق ذلكم الهم الجامع على الله، ويحدوكم على الصبر والمصابرة والمثابرة والجهاد الدائم ما تعلمون من وعد الله، إن الله لا يخلف الميعاد.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أعزكم الله بطاعته، وتولاكم بكرامته، وأيدكم بنصره ومعونته.

عندما كتبت منذ عشر سنوات فصول «المنهاج النبوي» كانت استطلاعات محلق من على ربوة الأمل، متطلع إلى غد يفتح الله الملك الوهاب فيه أبواب السعادة لعمل ناشئ. إطلالات كانت على حافات الطريق وجوانبها ومعالمها، إن يكن للرائد يومئذ استبصار بما يحق وما يتعين من عموميات «التربية والتنظيم والزحف»، فما كانت له خبرة المدافع الـمُثافن (المثافنة: المدافعة والمزاحمة واكتساب الخبرة المباشرة والاطلاع على الخفايا).

وكان لا بد من مخطط لهندسة التربية والتنظيم والزحف، فهماً يؤُمُّ العمل، وعلما من العلم، وفكرا من الفكر، واجتهادا من الاجتهاد. كان لا بد من رسم

منارات وترسيم آفاق لانطلاقة متوكلة على الله عز وجل سارية إلى حيث موعود الله في غلس السياسة، وبين يدي بشائر التعرض لنفحات الله والاعتراض على المنكر الصَّاد عن سبيل الله. كان لا بد من فهم لمقتضيات مصانعة الواقع قبل ولوج سوقه، وعلم بما هو المعروف قبل التقحم في معاقل حِمَى المنكر، واجتهاد لتأصيل الحركة على الأرض الشائكة البائكة تأصيلا يُمدها بهدى كتاب الله ونور سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الآن وقد توسطت بحول الله وتوفيقه جماعة «العدل والإحسان» الميدان، وأصبحت غرضا لأذى أصحاب الحمى وقد بَلَوْا أن هذا الوليد وهو في أطوار ميلاده يُسمع له كزئير الأسود من غمغمة أشباله، وأن وميض عزماته يوشك أن يكون له ضِرام، يتساءل المستزيد من الفهم، والكارع من العلم، والوارد على حياض الاجتهاد: هل لِما رُسم منذ عشر سنوات خلت من مزايا تستفاد حتى يعاد طبعه ويُعاد؟

في العشر سنوات حدثت أحداث جسام: انهيار المعسكر الاشتراكي الشيوعي، وكنا نناوش أطروحاته في المنهاج، وتبين أن ألبانيا التي ضربنا بها مثلا لما تفعله الإيديولوجيا بالدين كانت أخزى القوم حظا، وانكشف انحلال يوغسلافيا عما تعيشه بألم بالغ هذه الأيام من مجازر، هناك يذبح فيها المسلمون وتسلخ المسلمات، استعرت في العشر سنوات حربان في الخليج دُمر فيها شعبان مسلمان، واشتدت وطأة أعداء الإسلام على أبناء الحركة الإسلامية حيث تفننوا في التنكيل والقمع والإرهاب، وَجَفُوا عليهم بخيل التقتيل وركاب التعذيب، «جففوا منابع الدين» في تونس، كسروا مسار الديمقراطية في الجزائر، يصفعون بصلف وجه الشعب ويسفهون اختياره، أحدثوا في مصر وفي غير مصر قوانين لتصفيد أيدي المؤمنين وغل أعناقهم.

حدث في العشر سنوات -أستغفر الله- بل أحدث الله جلت عظمته أن برزت الحركة الإسلامية في بعض أقطار دار الإسلام بروزا أحلها المكان الأول بين

القوى السياسية، علم الناس -العدو منهم والخصم والصديق- أنهم القوة الأولى في السودان والأردن والجزائر وتونس، وجهلوا أنهم كذلك في مصر وفي غير مصر. والإسلام سيد الموقف في إيران وباكستان وأفغانستان إن شاء الله القوي العزيز.

الحركة الإسلامية صاعدة بحول الله، منتصرة بعون الله، لائذة بجلال الله، لا يزيدها أذى الأعداء إلا ترسيخا، ولا تضرها وسائلهم الدنيئة الخسيسة إلا أذى خفيفا، ولا يزيدها بفضل الله مكر الماكرين إلا شعبية. والتمكين آت إن شاء الله.

والتمكين وعد من الله العلي القدير وَقَّعَتْ عقده يد القدَر، وشهد بصحة العقد قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ما يجلِّيه الله جل وعلا في الآفاق وفي الأنفس، وما جلاَّه سبحانه في العشر سنوات الحافلة الزاخرة إنما هو صنع من صنعه جلت عظمته، «صنع الله الذي أتقن كل شيء». فلئن ابتأسْنا لحظة لما أصاب المسلمين ويصيب الحركة الإسلامية من بأساء وضراء، فقَمِنٌ بنا أن نسترجع ونرجع إلى تأمل موعود الله كما وقعته اليد القادرة، وكما شهد عليه الشاهد الأول. شرط العهد ومناط العقد قبول العلي القدير: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

كان «المنهاج النبوي» ولا يزال ونحن نطبعه على صورته الأولى فهما وتعلما واجتهادا لكيفية عبادة الله خلال بلاء الله. كان ولا يزال فهما وتعلما واجتهادا في شرائط تربية جند الله، وتنظيم جند الله، والزحف مع جند الله اقتحاما للعقبة. فهذا يبقى صالحا لإعادة الطبع وإعادته.

(1) سورة النو، 53.

«اقتحام العقبة» مفهوم قرآني محوري في القضية الجهادية برُمَّتها. اقتحام العقبة إلى الله هو سير العبد المفرد بإرادة مشتاقة وعزم يشق إلى الله، وسير الجماعة المجاهدة إلى موعود الله جوسا خلال ديار الباطل العاض والمنكر الجبري، سيرُها اقتحاما وصبرا وجهادا وصدقا.

نسيرها قومة في سبيل الله. والقومة مفهوم ثان يضاف إلى مفهوم الاقتحام ليقوى جانب العنصر الذاتي في معادلة الزحف. لا يكون حساب العامل الخارجي طاغيا شالاًّ للحركة.

لا تكون قوة الولايات المتحدة، وتسلح اليهود، وتمالؤ الملَّتين علينا، ورصد المخابرات العالمية لنا، وتربص الأعداء والخصوم الداخليين والخارجيين بنا حاجبا لنا عن مدد الله المعهود، وعقده سبحانه وتعالى المعقود.

العامل الحاسم هو استعدادنا، أستغفر الله العظيم؛ الفاعل القادر هو سبحانه ينصر من يشاء. ويتنزل نصره وعونه على جند الله متى تعبَّأوا وأعدوا القوة، وأخلصوا النية وعبدوه جل شأنه لا يشركون به شيئا. وحَسَبوا مع ذلك للعقبة المتمثلة في القوى المعادية خارجية وداخلية حسابها في سلم ناموس الكون، لا يتعاظمون هول ما يرون من قوة العدو عَدداً وعُدداً، ولا يستهينون بشيء من أسبابه مما في وسعهم أن يناهضوه بأسباب مثلها. ثم يأتي الفرج من عند الله، والنصر من عند الله، والفتح من عند الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سلا، عصر السبت 25 جمادى الأولى 1413

عبد السلام ياسين

مقدمة الطبعة الأولى

ود أعداء الإسلام والكائدون له من بني جلدتنا أن ينكفئ الإسلاميون من ميادين الفكر المتفاعل في ميدان الصراع الثقافي إلى منظومات أفكار مبرمجة متوقفة عن النمو. ذلك الانكفاء الفكري يضمن استمرار الحركة الإسلامية في هامشية الحركية السرية التي يريد أعداؤنا أن نخوض في غلسها. ونحن أحوج ما نكون ليعرف كل مؤمن منا معايير التربية الإيمانية وطرائق تجديد الإيمان في القلب حتى يستيقظ الحافز الجهادي في النفوس ويستنير العقل المؤمن بنور العلم الذي به ندبر الجهاد. وبعد تربية جيل الإيمان والجهاد نحتاج إلى علم تنظيم جند الله في كتائب يسمو نظامها بتماسكه وقوته إلى مستوى الإرادة الجهادية وإلى مستوى المهمات الجسام التي تتحدى الإسلام والمسلمين في مستقبل قوى العدوان على الإسلام ستزداد فيه تنظيما.

فهل نكتم أساليبنا في التربية والتنظيم مخافة أن يطلع عليها الأعداء فيكون الانكفاء الذي يريدونه لنا؟ يضمر الفكر في غلس التخفي فينحرف العمل في الضالات الحركية. أنكون أقل ذكاء وجرأة على الأمور من طوائف المذاهب المقاتلة للإسلام التي تخطط وتفكر وتنشر على أوسع نطاق ليعلم كل عضو في تنظيماتهم مهمته بالضبط؟ أما نحن فننشر مساهمتنا في علمي التربية الإسلامية والتنظيم لما نعلم يقينا أن قبول عملية التهميش التي تفرض علينا تخنق العمل الإسلامي من حيث لا تستطيع المؤامرات خنقه. والله من ورائهم محيط.

مخطط التربية والتنظيم الذي نقدمه لا يمكن تطبيقه إلا في إحدى حالتين:

1 - إن أصبح الحكام منطقيين مع مبادئهم المعلنة عن إعطاء الحريات العامة فيقبلوا وجود حركة إسلامية علنية معترف بها إلى جانب الحركات والأحزاب السياسية الأخرى. وأقل ما يطلب من حكام المسلمين أن يعترفوا بحق الشعب المسلم في ممارسة إسلامه دون وصاية الحكومة.

2- إن أدرك الحكام خطأهم في اضطهاد الإسلاميين وعقدوا نية صالحة لدعم الحركة الإسلامية، ليتصالحوا مع الله ومع الشعب المسلم، وبرهنوا عنها بميثاق يصوت عليه الشعب يعقدون فيه مع الله ومع المؤمنين الرجوع إلى الحكم بما أنزل الله بعد فترة انتقالية يعطون فيها المؤمنين كامل الحرية وكامل الدعم لبناء كيان إسلامي سياسي تتهيأ به انتخابات إسلامية ودستور إسلامي وحكومة إسلامية.

ما ينبغي لنا أن نسكت ويغتنم الأعداء سكوتنا ليتهمونا بالغموض والتخلف الفكري وينسبوا لنا ما شاءوا من تهم الإرهاب والتآمر. وما ينبغي لنا أن نخاف من تبعات الكلمة الصريحة المسؤولة فإنما ذل المسلمون من غياب هذه الكلمة.

بديهي أن الذي يكتب في التنظيم الإسلامي في وقت تتآمر فيه قوى الشر على المؤمنين ليس من الغباء بحيث ينظم تنظيما سريا. فإن أوذي على الكلمة الحرة فستبقى الخطة وسينظم ويربي آخرون، وسيذهب الصف الأول والثاني. لكن النصر للمؤمنين موعود ولو كره الكافرون. نطالب بحقنا بموقع أقدام تحت الشمس. ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يفقهون.

من كان من إخوتنا وأخواتنا يلتاع لضياع القضية الإسلامية ويتشوف لقيام حركة إسلامية منظمة ويأنس من نفسه الاستعداد والرغبة ليبني مستقبل الإسلام فسيفهمنا ويؤيدنا ويتأمل عرض تصورنا لمنهاج العمل. فبدون تصور واضح لمنطلق الحركة وسيرها وأهدافها ومراحلها لن نستطيع بناء.

ومن لا لوعة له على الإسلام ولا عزم له على جهاد فلا كلام معه.

فاتح شعبان 1401هـ.

مقدمات

منهاج النبوة:

قال الله تعالى يخاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾.[1] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الشرعة ما ورد به القرآن، والمنهاج ما وردت به السنة». أنزل الله الكتاب بالحق وبلسان عربي مبين. والشرع والشريعة والمنهاج في لغة العرب بمعنى الطريق. وبين أيدي المسلمين وفي صدورهم آيات الله يتلونها ثم لا تترجم أعمالا. بين أيديهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبونها ويقرأونها ويعجبون ويحنون، لكن لا يسلكون كما سلك صلى الله عليه وسلم وصحبه مسلك الجهاد الذي سما بهم إلى ذرى الإيمان والإحسان تربية ورفعهم إلى الخلافة في الأرض تنظيما ودولة.

المسلمون بحاجة اليوم لاكتشاف المنهاج النبوي كي يسلكوا طريق الإيمان والجهاد إلى الغاية الإحسانية التي تعني مصيرهم الفردي عند الله في دار الآخرة، وإلى الغاية الاستخلافية التي ندبوا إليها ووعدوا بها متى سلكوا على المنهاج واستكملوا الشروط.

إنه طريق واحد يسمو به العبد إلى الوقوف، بل السجود، بين يدي ربه متذللا مطيعا باذلا ماله ونفسه في الله، وتسمو به الأمة من كبوتها، واستعباد الأعداء لها في الأرض، وذلتها في نفسها، وتخلفها الحضاري والاقتصادي والعسكري، إلى حيث تنال شرف وراثة من خاطبه الله في هذه الآية من سورة المائدة بأن يحقق هيمنة القرآن على كل فكر، وأمر الله على كل أمر، وحاكمية الله على كل حاكمية.

---

(1) سورة المائدة، 48.

ما هو منهاج المسلمين؟ ما هو طريقهم على معارج الكتاب والسنة، لكي لا يبقى التعبد القابع في مساجد الركود منفصلا عن الحياة العامة للأمة، ولكي يكون الإقبال على الله عز وجل هو نفس الجهاد ولب الجهاد، لتكون كلمة الله هي العليا في الأرض؟

هذا كتاب الله بين أيدينا وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم متألقة في الصحائف وفي ضمائرنا، وفيهما الحق كله. فكيف نفعل لنترجم الكتاب والسنة برنامجا عمليا يحيي العبد بالإيمان ويحيي الأمة المخاطبة في القرآن بيأيها الذين آمنوا حتى تلبي هذا الخطاب، وتنفذ ما يأتي بعده في آيات الله من أوامر إلهية تريد منا الطاعة لله والاتباع لرسوله لا الانهزام أمام الطاغوت، تعدنا إن أطعنا الله واتبعنا رسوله أن نكون أئمة الأرض؟

كلمة «منهجية» التي تترجم معنى أجنبيا تفيد تنظيم أفكار موجهة وطرائق عملية لاستنباط فكري أو تحليل علمي أو تطبيق في حياة الناس. ونفضل كلمة «منهاج» القرآنية النبوية لندل بها لا على وساطة المنهاج من حيث كونه جسرا علميا بين الحق في كتاب الله وسنة رسوله وبين حياة المسلمين فقط، بل لنربط به معاني التمسك الصارم بأمر الله في كتابه، ومعاني الاتباع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في السلوك الفردي والجماعي، الخاص والعام، النفسي والخلقي واليومي، العبادي والاجتماعي، السياسي والاقتصادي، الرباني في كلمة واحدة. ولا يعني هذا أن نربي وننظم جماعة تنظر إلى ماضينا المجيد تحت راية محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه المهديين الراشدين وتقعد مع الأحلام، بل يعني تهييء جيل وأجيال من بعده صالحة لخلافة الله ورسوله في الأرض على نسق التربية والجهاد النبويين، ولهدف إعادة الخلافة على منهاج النبوة بعد الحكم العاض والجبري اللذين داما قرونا طويلة.

نجد كلمة منهاج مقترنة في موعود رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشارته لنا بكلمة نبوة. فهو منهاج نبوة، وهو المنهاج النبوي، منهاج تربية وتنظيم جهادي،

تعرضا واستعدادا لإقامة الخلافة الإسلامية التي يرضى الله عز وجل عن كل منا إن بذل قصارى جهده لإقامتها على المنهاج الواضح والنموذج المنير، منهاج رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال فيما رواه الإمام أحمد عنه بسند صحيح: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. ثم سكت**».

الملك العاض الذي يعض على الأمة بالوراثة وبيعة الإكراه مضى وولى. والمسلمون اليوم تحت القهر الجبري أي الدكتاتوري بلسان العصر، ولهو أفظع من العاض، لأن الجبر إن كان يلوح بشعارات الدين كما كان يفعل الملك العاض فقد أفرغ أجهزة الحكم والإعلام والتعليم وأفرغ قوانين الحكم من كل معاني الإسلام. وإن هذه الأمة المغلوبة على أمرها بحاجة لمن يربي وينظم جيلا يحرر الأمة من ربقة الجبر الملحد أو المستتر تحت شعارات الإسلام، ويقيم للأمة دولة الخلافة الموعود بها عموما في آيات استخلاف المؤمنين المستضعفين في القرآن، المنصوص عليها في سياق تاريخي في هذا الحديث النبوي المشرق الذي نضعه بين أعيننا رجاء يقينيا، ونورا هاديا، ونداء غيبيا وتاريخيا، قد أخذت الأمة تسمع له، وتنتفض تلبية له بما يؤيد الله به عباده من نصر أخذت تباشيره تجلو عنا غسق الفتنة وظلام الجاهلية المحيط.

من الأماني المعسولة إلى الجهاد:

عاشت هذه الأمة زمانا طويلا تحت وطأة الفتنة الداخلية ووطأة العدوان الصليبي الاستعماري، وتعيش اليوم تحت كابوس التآمر الصهيوني العالمي فما عادت تنفع ولا تجوز التسلية سبحا في الأماني المعسولة، ولا عادت تنفع الكلمات المرة كلمات الشكوى القاعدة.

جهود الأمة مبعثرة، والعدو الذي يعزم أن يُسكت صوت الإسلام، ويضلل جهاد المسلمين، ويحتوي حركتهم، منظم معبأ متضامن مع قادة الفتنة فينا. فنحتاج لوضوح خط الجهاد الذي ينتظرنا، ونحتاج لتربية الإيمان وتنظيم الإرادة الإيمانية في الأمة. نحتاج إلى قيادات مؤمنة وعلم تربوي، وحكمة تنظيمية، لكي لا تذهب جهودنا في فوضى ردود الفعل الموقوتة الانفجارية أمام تحرك الأعداء.

في الأمة خير، فيها غضب على حكم الجاهلية مكبوت، أنبت الله بين ظهرانيها جيلا أشرب قلبه محبة الله ورسوله، فيها طاقات هائلة. ذلك الغضب بحاجة لتوجيه حتى لا ينصرف في انتفاضات عقيمة، ذلك النبات الرباني بحاجة إلى رعاية وتربية حتى يشتد ويؤتي ثمرته، تلك الطاقات بحاجة إلى تنظيم قوي يهدم الباطل ويؤسس دولة الحق ويبنيها.

إن أعداءنا ما هم إلا حطام بشري من حيث العقيدة والفكر والخلق والرجولة، لكنهم يحكموننا لما لهم من انضباط بخط فكري يلتزمون به، وتنظيم مصلحي أو حديدي إيديولوجي يجمع قوامهم في قبضة ضاربة تعيث فسادا في قيم الأمة المعنوية والمادية. وإنما صرنا غثاء السيل لا نملك من أمرنا شيئا لأن الوهن، وهو خوف الموت وحب الحياة الدنيا، احتل أنفسنا في غياب التربية الإيمانية، ولأن الصف المرصوص الذي يحب الله عز وجل أن نقاتل وسطه في سبيله انفرط وتشتت لفرقة الخلاف، ونفرة القلوب، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وكل ذي رئاسة برئاسته.

الأمة فيها خير، لكنها ضحية للتضليل والتهييج الحكوميين والحزبيين، وحملات التشكيك في الإسلام ودعاته عاتية. فلكي ننازع دعاة الجبر والتضليل القائمين على أبواب جهنم كما جاء في الحديث لا بد لنا من دعوة واضحة تنير الطريق أمام الأمة، ولا بد من تربية وتنظيم صف متراص من المؤمنين يتوسطون الشعب، ويقيمون صلبه، يتغلغلون في بيئاته، شاهدين، حاضرين، ثابتين على

خطى هادفة، يأتم الشعب المسلم بها، ويتبعها، ويساندها، ويستلهم من رسوخها في الحق ودؤوبها على السير في جادة الجهاد معاني الاعتزاز بالله ورسوله ودينه، ومعاني العطاء في سبيل الله حتى الشهادة، على شريعة مستقيمة لا تتلوى، وعلى منهاج لا تضطرب بالسائرين عليه مفاجآت الرزايا.

سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة:

الذين يستنهضون الشعوب المسلمة حكومات ومعارضات ثورية وحزبية أشكال وألوان من يسار الجاهلية ويمينها. ينافسون دعوة الحق بدعوات اللبرالية والاشتراكية، ويضربون على أوتار القومية والتقدمية والوطنية. يدعون إلى التعبئة العامة من أجل التنمية، من أجل التحرر من أحد جانبي الجاهلية، وهو تحرر لا يتم إلا بالانضواء تحت لواء الجانب الآخر. وتدوي صيحة العودة إلى الله بين المسلمين. تدوي من أعماق ضمير الأمة على لسان الدعاة، ويصبح النداء الإسلامي شعارا يرفعه حكام الجبر والأحزاب السياسية القومية. مزايدات! سباق إلى الاتجار بالإسلام!

لطالما بقي الإسلام غامضا في ذهن الناس، طالما قبع الإسلام في التقوى الفردية، في المسجد لا يخرج منه، في الكتب الفقهية وخلافاتها، في الفضاء النفسي بعيدا عن واقع المسلمين. والآن قد تقدم فهم الإسلام وتعمق بفضل الله على رجال الدعوة الذين ابتعثهم لإعادة بناء الأمة. فأخذ يتضح للمسلمين أن الإيمان الذي كان حيا في قلوب سلفنا الصالح، فاعلا في مجتمعهم وفي العالم، يمكن أن يصبح بديلا للفتنة وعلى رأسها الحكم الجبري، يمكن أن يعود كما كان حركة عالمية منتصرة.

علينا أن ننظر عاليا وبعيدا لنخطط حركة الإسلام، ونقودها في ساحات الجهاد، يجب أن نصحح المنطلق لئلا نتشتت على سطح الأحداث. آن لأمتنا أن تطمح طموحا عالميا رغم قصورنا الحاضر وانهزامنا الحضاري المؤقت. وليس لنا ما

يميزنا عن شعوب الأرض عندما تقارن المقومات والوسائل إلا أننا حملة رسالة الله إلى العالم. قرآننا زادنا وسلاحنا. والله عز وجل ولينا، ومحمد صلى الله عليه وسلم نموذجنا وإمامنا. فلكي نكون على مستوى المهمة التاريخية أمامنا وهي أن نسعى لإقامة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة يلزم أن نعطي للإنسان، لكل إنسان، النموذج الحي الناجح للفرد السعيد والأمة المهيبة. نحن المسلمين نرزح تحت ثقل تراث الفتنة وتراث التخلف الحضاري، فيخيل إلينا أن ملاحقة الجاهلية لإنجاز مثل ما أنجزت من صناعات مشروع كاف لو أضفنا إلى تلك الملاحقة أصالتنا وشريعتنا. لن نقدم بذلك للإنسان أية رسالة، فللناس جميعا أصالة ونصيب من التقدم الحضاري يشقى بهما الناس، يهربون من هذا إلى تلك سعيا وراء معنى للوجود والحياة.

رسالتنا لأنفسنا وللإنسان أن يكون الله عز وجل غاية كل فرد من العباد. أن يكون ابتغاء رضاه، والسباق إلى مغفرته وجنته، والسير على مدارج الإيمان والإحسان لمعرفته، والوصول إليه، والنظر إلى وجهه الكريم، منطلق الإرادة، وحادي المسارعة وقبلة الرجاء. هذا معنى أن الإسلام دعوة إلى الله، دعوة إلى الاستسلام بين يديه، نحب لقاءه، ونطيع أمره، ونقبل حاكميته، ونجاهد لإعلاء كلمته، ونطلب الاستشهاد في سبيله. بهذا فقط نكون قدرا من قدر الله.

الغاية الإحسانية إذن هي كلمة الإسلام، واقتراحه، وثمرته الموجهة لكل فرد. والأهداف الجماعية للأمة، من تحرر عن الجاهلية، ونجاح في الاقتصاد، وظهور في الأرض، شروط ضرورية ليسمع الإنسان تلك الكلمة، ويقبل ذلك الاقتراح، ويجني تلك الثمرة. فذلك السباق الذي عرضه الله على كل منا إلى مغفرته وجنته ورضاه والنظر إلى وجهه هو رسالتنا للعالم الشقي بحضارته المادية، المهدد بالعنف الجاهلي النووي، المتخبط بزعامة الجاهلية وكيدها وجهلها بالله في مشاكل تؤذن بسقوط الحضارة الغربية السائرة إلى أفول.

فالخلافة الإسلامية، وهي جوهر الحضارة الإسلامية المرجو بناؤها، ما هي بديل لحضارة المادة من حيث صناعتها وإنجازاتها الاجتماعية والسياسية والحياتية، بل تكون استمرارا على شكل جديد لنفس الحضارة المادية إن لم تكن الدعوة إلى الله، البالغة إلى كل إنسان، الملحة عليه، المتحببة إليه بالعيش الكريم تحت ظلها، والإيواء الكريم إلى كنفها، هي روح الحضارة ومهمة الخلافة. نحن المسلمين موعودون بالخلافة في الأرض لنعمرها، لكن عمارتها ليست مقصودة لذات العمارة، إنما عمارتها شرط ليعرف العبد ربه ويتهيأ للقائه بعد الموت. بهذا نحن قوة لا تقاوم.

كثيرا ما تقرأ لمفكرين مسلمين، فتمر عليك الصفحات والفصول لا تعثر على ذكر الله، ومحبة الله، والعبودية لله، ولا على ذكر الجنة والنار والآخرة وحياة الخلود. ذلك أن أسلوب التفكير ومجال التفكير الجاهليين لا مكان فيهما لكل ذلك. فينقطع حديث بعضنا عن تلك المساحة الإيمانية الأبدية انحسارا إلى الأبعاد المادية التاريخية المألوفة. لهذا نضع بين يدي هذه الصحيفة بإلحاح ذكر الله تعالى. لأن التربية لا تكون إسلامية إن لم تحقق في نفس المربي الرغبة في الله والاستعداد المتحفز للسباق إلى مغفرته وجنته ورضاه ووجهه حتى الاستشهاد. ولأن التنظيم لا يكون إسلاميا إن لم تنتظم محبة الله تعالى والتنافس في الجهاد إليه جماعة المؤمنين.

نحن المسلمين ثمانمائة أو ألف مليون على وجهها اليوم. وهي أعداد غثائية مغلوبة على أمرها، لا قدرة لها على تغيير ما بها. وإنما أتتنا هذه الغثائية من خوفنا الموت. ولن نصبح مستحقين لخلافة الله ورسوله في الأرض إلا إن أصبحت غاية كل مجاهد من أهل الإيمان أن يموت في سبيل الله، وإلا إن نهضنا للجهاد المستميت في صف منتظم مرصوص يحب الله من يرصه وينصر إلى جنابه الكريم من يقاتل فيه ويبذل فيه المال والنفس. ذلك المؤمن المجاهد لن يكون إلا نتاج تربية، وذلك الصف لن ينتظم إلا إن كان المنهاج المنظم نبويا وهمة رجاله ربانية.

القومة الإسلامية:

كلمة قومة أخذناها من تاريخنا. فقد كان علماؤنا يسمون جند الله الناهضين في وجه الظلمة قائمين. عرف تاريخنا قائمين من آل البيت كالإمام الحسين بن علي، وزيد، ومحمد النفس الزكية، ويحيى، وإبراهيم. نستعمل كلمة قومة تفاديا لاستعمال كلمة ثورة. لأن «ثورة» فيها العنف ونحن نريد القوة. والقوة وضع يد التنفيذ في مواضعها الشرعية بينما العنف وضعها بميزان الهوى والغضب. «ثورة» كلمة استعملت لوصف الحركات الاجتماعية الجاهلية، فنريد أن نتميز في التعبير ليكون جهادنا نسجا على منوالنا النبوي، لا نتلوث بتقليد الكافر. على أن القومة نريدها جذرية تنقلنا من بناء الفتنة ونظامها، وأجواء الجاهلية ونطاقها، إلى مكان الأمن والقوة في ظل الإسلام، وإلى مكانة العزة بالله ورسوله، ولا بد لهذا من هدم ما فسد هدما لا يظلم ولا يحيف، هدما بشريعة الله، لا عنفا أعمى على الإنسان كالعنف المعهود عندهم في ثوراتهم.

فتربيتنا الإيمانية وتنظيمنا الجهادي ينبغي أن يرصدَا طاقاتنا ويوجهاها لقومة أعمق أصلا، وأرفع وأوسع منبسطا، من حروب التحرر من الاستعمار وثورات ما بعد التحرر، تلك «الثورات» التي نقلت شعوبنا المغلوبة على أمرها من نظام جاهلي يميني إلى آخر يساري، ثم عودا على بدء في حمى الاضطراب التي تعصف بنا على يد حكام الجبر فينا.

تربيتنا وتنظيمنا ينبغي أن يعدا القوة الإسلامية الذاتية التي لا تعتمد على سند جاهلي، لتقاوم آثار الفساد في مجتمعاتنا وجند الإفساد الجاثم على صدرنا، حتى نستقيم على أقدامنا، ونكسب المناعة ضد الغزو الفكري، والغزو الفعلي، والحصار الكائد والخانق من وراء حدودنا. في بلادنا الإسلامية صنائع للجاهلية، وسدنة من بني جلدتنا لمصالحها وفكرها، يحكموننا بغير ما أنزل الله. فجهادهم لا يتأتى بوسائل على نمط وسائلهم، ولا على أرضية صنعوها وهيأوها وبثوا فيها الألغام من حيث لا ندري. لن يقوم القومةَ الإسلامية إلا جند الله الذين يتعين

أن ننشئهم ونربيهم على نشدان الشهادة، ثم ننظمهم وننظم تغلغلهم في الشعب تعاطفا معه وتعليما وتبشيرا وتحريضا، حتى تتألف الموجة الإسلامية العارمة التي ينبغي أن نقودها لتكون قومة إسلامية لا ثورة عمياء.

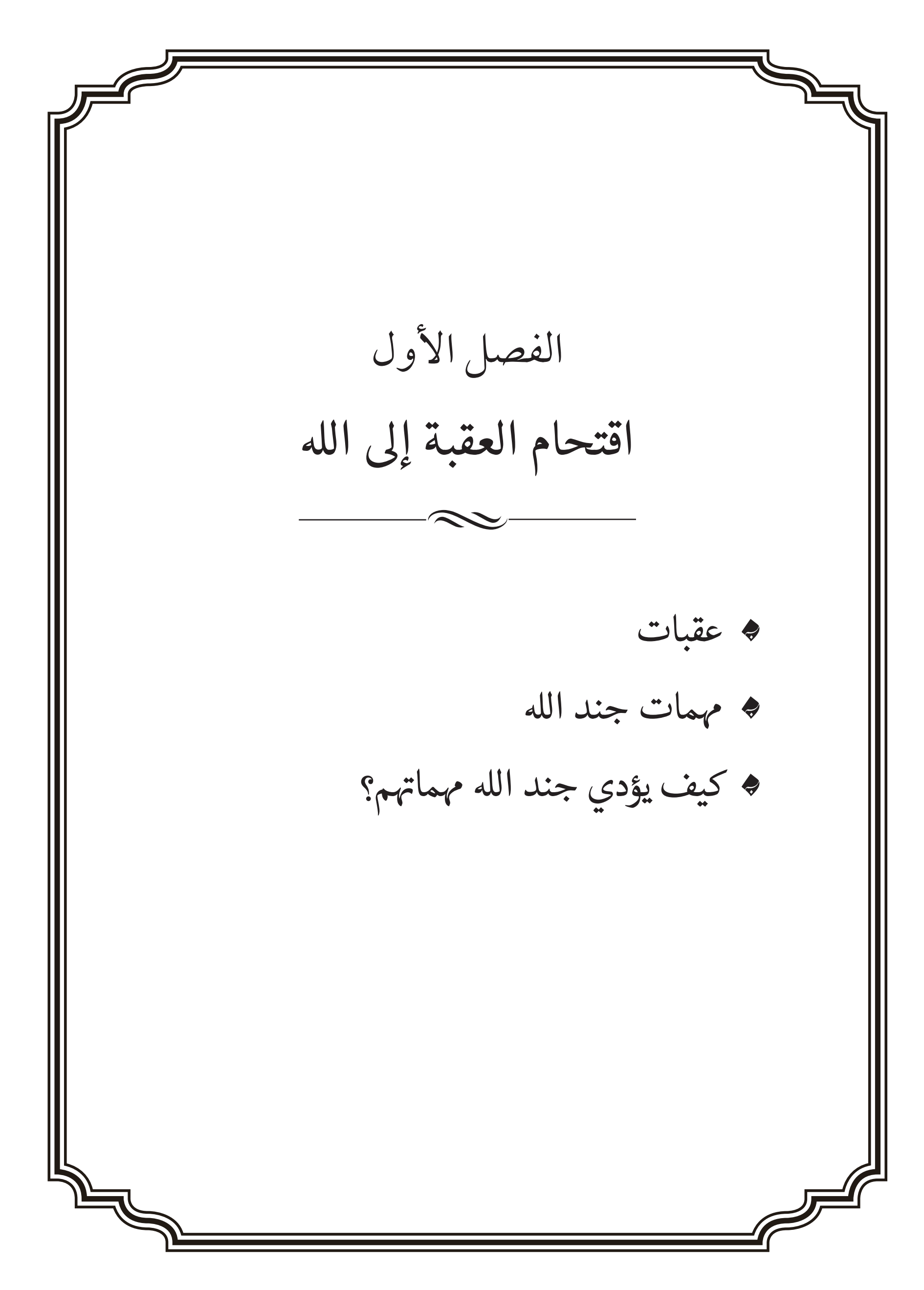
في القومة الإسلامية ينبغي أن يعرف كل مجاهد من جند الله مهمته في الصف، يتصورها بوضوح كما يتصور المهمة الكلية للجند وخط سيره. وإن كان صناع الثورات لا يعرفون من التربية إلا التثقيف الإيديولوجي يتلوه الانضباط الحديدي في التنظيم، فإن صناعة القومة تريد من جند الله، مع الإيمان بالله والسباق إليه، مشاركة في الفهم والتنفيذ بحافز من داخل، بحافز الإيمان والبذل في الله. ولا تأتي الطاعة لنظام الصف إلا مكملا من خارج.

أمرنا الله عز وجل أن لا نطيع أمر المفسدين. قال عز من قائل على لسان صالح عليه السلام يخاطب قومه: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.[1]

والأمر سار فينا إلى يوم القيامة. فعندما تتألف الموجة العارمة يستطيع المؤمنون إيقاف الفساد بالعصيان الشامل، والإضراب العام، والنزول للشارع، حتى يخزي الله المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. على أن القومة قد تشق وسط الأحداث المتموجة طريقا إلى الإسلام غير هذه المحجة الناصعة. فيربى المؤمنون على الصمود الطويل، دون رفض الفرص التاريخية والفجوات والغرات في صف المسرفين. ويرصد الصف الإسلامي على سلوك تلك المسيرة القاصدة دون أن يمنعه ذلك عن النفاذ إلى الحكم من مسارب جانبية كلما كان التسرب حكمة. هناك خطر احتواء الموجة الإسلامية بإفساد الرجال، والكيد للحركة، والانحراف بها. ولكن متى كانت التربية إحسانية، وكان الجند وقادة الجند ربانيين، فإن لعبة الاحتواء تنفضح وتنهزم آخر الأمر.

(1) سورة الشعراء، 151-152.

صمود ومرونة، خط ثابت وحركة حكيمة. لا بد أن نعرف قواعد الحرب السياسية المحلية والعالمية. ولا بد أن يكون للتنظيم المجاهد أفق فكري، ومواضع أقدام على رقعة السياسة، واستعداد لمزاحمة الأعداء ومكايدتهم ما دامت الموجة العارمة لما تتألف. ولا بد أن تكون التربية إعدادا شاملا لذلك المؤمن المجاهد الذي ينبري أمام العدو، يعرض صدره للرصاص والدبابات عند الحاجة، لكنه يتجهز بكل أسباب القوة العلمية والعملية ليساهم في الصف وراء القيادة في التقدم خطوة خطوة بالقضية الإسلامية، سرا وجهرا، كرا وفرا، يوما لنا ويوما علينا، حتى النصر إن شاء الله.



الفصل الأول

اقتحام العقبة إلى الله

- عقبات
- مهمات جند الله
- كيف يؤدي جند الله مهماتهم؟

اقتحام العقبة إلى الله

عقبات:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ وقال يلوم هذا الإنسان لميله إلى الراحة وإخلاده إلى الأرض، ويحثه على الجهاد: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾.[1]

الدعوة إلى الله تخاطب الإنسان من حيث كونه إنسانا في كبد، تستحثه للنهوض من الجهل بالله والقعود عن الجهاد في سبيل الله. تشجعه على اقتحام العقبة التي يتجاوز باقتحامها عوائق الشح المجبولة عليه النفوس، فيصبح مؤهلا للانضمام لجماعة المؤمنين المتواصين بالصبر والمرحمة، المصطفين للميمنة والسعادة عند الله.

التربية الإسلامية تخاطب أعمق ما في الإنسان وهو شعوره بالخواء والعبث ما دام بعيدا عن الله. ثم ترفعه في صحبة المؤمنين المتواصين الصابرين المتراحمين إلى طلب أسمى غاية وهي وجه الله والاستواء مع أصحاب الميمنة. الالتزام الإسلامي الإيماني الإحساني ليس كالالتزام السياسي. فهذا لا يحتاج إلا لتربية الفكر. أما الدخول مع المؤمنين فيريد اندماجا عاطفيا وفكريا وحركيا في جسم الجماعة، اندماجا لا ينقطع بانتهاء الحياة الدنيا بل يمتد إلى الحياة الأبدية. مصير الإنسان الأخروي بعد أن يسلم وينضم للجماعة مرتبط بمصير الجهاد الجماعي. فمن اقتحم كل العقبات التي تحول بينه وبين نصر الله تعالى بالمال والنفس كان من أصحاب الميمنة واستحق جزاء المجاهدين.

---

(1) سورة البلد.

السؤال المطروح على فقه التجديد وعلى المنهاج النبوي في التربية والتنظيم هو: كيف نربي الإيمان في القلوب، وعلم الجهاد في العقول، ودراية التحرك بين الناس، وطلب الشهادة في سبيل الله مع الصف وبنظام الصف؟ الكتاب والسنة شريعة متلوة معلومة. أحكام الشريعة معطلة إلا في بعض العبادات عند بعض المسلمين، ففقه المنهاج -وهو ثمرة اجتهاد لهذا المكان وهذا الزمان- يطلب إليه أن يتناول كليات التربية، وكليات الجهاد، بما في ذلك تنظيم حزب الله بما يضمن إحياء رجال ونساء، وإحياء أمة، وتحريك الكل على المنهاج النبوي -على الطريق الصاعد عبر العقبة- المؤدي للخلافة الإسلامية بالنسبة للأمة ولرضى الله في الميمنة بالنسبة لكل مؤمن ومؤمنة. كتاب الله وسنة نبيه شريعة ثابتة، ونحن أمة وأجيال طرأنا في الأرض ووجدنا أنفسنا نحمل ثقل قلة إيماننا، وثقل الفتنة بيننا، وثقل الحرب المسعرة علينا. فهذه الأجيال الطارئة لن تتحول أمة تحمل رسالة الله وتنصر دين الله في الأرض إن اكتفت بتكديس العلم بالكتاب والسنة. المنهاج الضروري لكي يصبح الطارئ أصيلا هو المنهاج الذي يربي الإنسان انطلاقا من كبده الفردي والجماعي، ويرفعه مع الجماعة إلى قمة العقبة، إلى حيث ينال رضى الله دنيا وأخرى. تصعيد الهمم والجهود وتعبئتها لتكون في مستوى الجهاد، هما مهمة المنهاج النبوي وثمرته المرجوة.

السير الثابت الخطى بلا فتور إلى ساحة الشهادة في سبيل الله هو ما نريده ممن نربيهم من الناس وممن ننظمهم من جند الله. التربية بداية السير، فمتى كانت متينة على هدى من الله كان الجهاد ممكنا، وإن أخللنا في التربية فلا يصح أن ننتظر نصرا من الله. من المسلمين من تغلب حركيتهم تربيتهم، فسرعان ما ينقلب العمل الإسلامي في النية عملا حزبيا سياسيا في الفعل.

إنها خطوات إلى الموت في سبيل لله، فمهما كانت الهمة الفردية لدى كل مؤمن لا ترتفع بصاحبها على كل العقبات نية، كان السبيل إلى الموت في سبيل الهوى. ومتى كانت القوة الجماعية لخلل في همم الأفراد، لا تستهدف رضى الله كان الفشل.

على أن التدرج ضروري في التربية، فلا يتحمل كل الناس أن يسمعوا ولا أن يستجيبوا لنداء المسيرة الجهادية من أول لقاء وعاشر لقاء. نكتفي ممن ندعوهم بفضول من المال والوقت والجهد ريثما تنضج رجولتهم الإيمانية فيهبوا كل المال وكل الوقت وكل الجهد والنفس لله.

ويأتي وقت يفهم فيه المؤمن أن الدنيا ما خلقت لراحة المؤمنين، إنما هو جهاد شاق وعقبة تقتحم، والمجاهد من كان يومه أفضل من أمسه مثابرة ومصابرة، ومن «ينام على أفضل العزائم» لغده كما يقول الإمام البنا رحمه الله.

يجب أن يكون الهم الأول لكل مؤمن ومؤمنة نيل رضى الله، ورضى الله أشبه أن يناله المجاهدون. فمن ثم ينبغي للتربية الإيمانية الإحسانية أن تربط جهاد النفس لترويضها على الحق بجهاد العلم والعمل. وينبغي للتنظيم المنهاجي أن يؤسس حركته الأفقية اليومية والتاريخية على ذلك الشوق الذي يحث العبد على اقتحام العقبة إلى الله.

عقبات كثيرة أمام المؤمن وأمام جماعة الجهاد يمكن تلخيصها في ثلاث لكل منها بعد نفسي تربوي وبعد اجتماعي تنظيمي:

1- الذهنية الرعوية. وهي ذهنية النفوس القاعدة التي تنتظر أن يفعل بها ولا تفعل، وأن يدبر غيرها لها وهي لا تقدر أن تدبر. أولئك قوم يحق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق**».

2- الأنانية المستعلية أو المتمتعة. يعوق أصحابها عن اقتحام العقبة امتلاء مما هم فيه وطلب المزيد مما هم فيه. قوم ظلموا أنفسهم وظلموا الناس!

3- العادة الجارفة للمجتمعات المسلمة في تيار التبعية للوضع السائد، المانعة لنا أن نعرف معروفا بميزان الشرع، أو ننكر منكرا يذمه الشرع. فتنة!

ثلاث تغييرات ضروري أن يحدثها الدعاة بتربيتهم وتنظيمهم في الجو الفكري والنفسي والعملي في الأمة.

ودون التغيير مقاومة الحكام واضطهادهم للدعاة. دونه جهل المسلمين بالإسلام. دونه هذه الحضارة المادية التي احتلت نفوسنا وأرضنا وحياتنا السياسية واليومية ببضائعها وأفكارها وصنائعها فينا ومكرها.

من يريد تغيير واقع الفتنة لا بد أن يحسب حساب الواقع، ليربي الرجال والنساء، وينظم الصف القادر على مسك الواقع المرذول، بقوة وحكمة. عقول متخلفة تحتاج بعد نور الإيمان إلى نور العلم بالله ودينه وإلى العلم بنواميس الله في الكون. عقبة! عند الجاهلية تقدم تكنولوجي يبهر النفوس الضعيفة فتعرض عن الإيمان بالله تبعية وخنوعا. عقبة! لا يكفي أن نذكر الناس بالمؤمنين الأولين الذين جاهدوا تحت لواء الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين. أولئك أعدوا ما استطاعوا من قوة على مستوى عصرهم. ونحن يلزمنا إعداد قوة العلم بالنواميس الإلهية على مستوى مستقبل العالم في نفس الوقت الذي نقوي فيه إيماننا. ونحن متخلفون حضاريا وعقليا. عقبة! جند الله مندوبون ليزيلوا الظلم الطبقي داخل مجتمعاتنا المفتونة ويصدوا العدوان الجاهلي. ونحن معزولون عن الحكم في بلادنا. محاربون من خارج بتمالؤ حكام الجبر فينا. عقبة! جند الله مندوبون ليعيدوا بناء الأمة على قواعد الإيمان. فلكي يعتمدوا على الله في ذلك لا يصلح أن ينتظروا أن يقوم غيرهم بذلك البناء. يقول المتواكل هنا: أين نحن من القدرة على هذه المهمة الضخمة؟ عقبة! ويقول المتوكل: إذا كان الله معنا فلن نغلب من قلة، ولن نفشل إن اتخذنا كل ما في وسعنا من أسباب! ونحن لها صعودا إلى قمة العقبة إن شاء الله!

مهمات جند الله:

اقتحام العقبة بالنسبة للفرد المؤمن جهاد لنفسه كي تستقيم على طاعة الله، وجهاد مع المؤمنين المتواصين الصابرين المتراحمين لإقامة دين الله في الأرض. وبالنسبة لجند الله المنظمين فإن اقتحام العقبة جهاد تربوي وتنظيمي وميداني ومالي وقتالي وسياسي حتى تقوم دولة الإسلام الخليفية على منهاج النبوة.

وبما أن جهاد النفس وجهاد الأعداء يقتضي مزاحمة الناس بالمناكب، ومكايدتهم، ومخاتلتهم، ومواجهتهم بما تقتضي الأحوال، لا الهروب من ساحة المكايدة والقتال، فإن جند الله بحاجة لتصحيح الاتجاه في كل خطوة لكيلا تفضي بهم حركاتهم إلى مواطن الردى. فكل تعليم وتربية، وكل حركة، وكل تخطيط وإنجاز، لا تكون إسلامية إلا بموافقتها واستجابتها لأمر الله ورسوله. الموافقة والاستجابة لنقل صحيح من كتاب وسنة يجتهد في إطارهما عقل عالم، بإرادة جهادية.

مهمات جند الله بدءا من أسفل العقبة، وهو واقعنا كأمة متخلفة مقهورة، وانتهاء إلى قمة العقبة بإقامة الأمة الوارثة في مقام الخلافة عن الله ورسوله، هي بالترتيب الذي لا يمنع التداخل والتزامن متى كانا حكمة:

1- تأليف جماعة المسلمين القطرية وتربية رجالها وتنظيمهم:

جماعة المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بلزومها في أحاديث كثيرة منها حديث أبي ذر الذي رواه أبو داود: «**من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**». ومنها من حديث صحيح رواه الترمذي عن عمر: «**... عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة... من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة**».

ومنذ انفراط عقد الجماعة الأولى بمقتل الإمام علي كرم الله وجهه اختلفت الأمة فأصبحت لها جماعات. إما واقفة مع حكام العض والجبر وإما عليهم. والآن وقد توزعت الأمة في أقطار مستقل بعضها عن بعض في دويلات غثائية يطلب إلى المؤمنين أن يسعوا لإقامة جماعة المسلمين. لكن البناء لا يمكن من أعلى. فنظرا لحصول فئات المؤمنين الموزعين في أقطار بلاد الإسلام تحت سيطرة حكام حريصين على قطع صلات الحركة الإسلامية العالمية، مسارعين لقمع كل اتصال تنظيمي من قطر إلى قطر بدعوى التعامل مع قوات «أجنبية»، ونظرا لتعدد التنظيمات الإسلامية المنتشرة في أكثر من قطر، ونظرا لأن النزاع بين بعض هذه التنظيمات يبعد إمكانيات تأليف التنظيمات المحلية القطرية

لتعلق الفئات القطرية بجانب دون جانب، نرى أن أنسب إطار للتنظيم هو القطر كما صاغته الفتن التاريخية وكما تحكمه الدويلات القومية. ذلك مرحلة حتى تتحرر الأقطار، واحدا بعد الآخر، وتلتقي الدول الإسلامية المحررة لتعيد وحدة المسلمين بتوحيد التنظيمات القطرية في كيان عالمي.

فئات من المسلمين تزعم أنها هي «جماعة المسلمين» جهرا أو تلميحا، وتنسب غيرها للبدعة وشق عصا الطاعة.

ينبغي أن نربي رجالا فوق مستوى الانتماء التعصبي، فغيرهم لن يبنوا جماعة. ولا يغتر الدعاة بأن تكثير العدد وحده يكون «جماعة المسلمين» مهما كان التنظيم في ظاهره محكما. لا بد من تربية رجال يكونون مع الحق لا مع الهوى. والحق القيام بتجميع طاقات المسلمين لا بتبديدها. والهوى الباطل أن نستعبد الرجال ونربطهم فكرا وحركة بالرجال لا بالصواب. قال الإمام علي كرم الله وجهه لابن الكواء «الجماعة والله مجامعة أهل الحق وإن قلوا. والفرقة مجامعة أهل الباطل ولو كثروا». وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك».

2- إقامة الدولة الإسلامية القطرية:

جند الله بعد التربية والتنظيم وأثناءهما يجب وجوبا ملحا أن يلجوا الميدان السياسي، ويعدوا كل القوة، ويوجهوا كل الجهد للوصول إلى الحكم في قطرهم. لا ينتظر المؤمنون أن يبدأ انتصار الإسلام في العالم بمعجزة من السماء. ليكن الهدف المباشر هو الزحف الأرضي للاستيلاء على الحكم. وسنفصل كيف فيما يأتي إن شاء الله.

3- توحيد الأقطار الإسلامية:

المسلمون المجاهدون أمة واحدة عبر الحدود الفتنوية. هم الذين ندبهم الله فانتدبوا في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

﴿الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. هم أمة مجاهدة من بين الأمة العامة التي قال الله فيها: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾**[2].

فقبل تحرير الأقطار لا بد من تنسيق بين الجماعات عبر العالم تنسيقا لا يثير داخل كل قطر حساسيات الخلافات خارجه. فذلك تهييء الفكر، والاجتهاد، ومنهاج التربية والتنظيم، ومنهاج الحكم، ليوم تتحرر فيه الأقطار، فيلتقي المؤمنون ويتدرجوا لوحدة الاندماج. على أن صورة الوحدة يمكن، بل يستحسن لمزايا توزيع المسؤوليات ولمضار الحكومة المركزية، أن تكون من نوع ما يسميه العصر فيدرالية.

4- الخلافة الوارثة:

عندها يجب على المؤمنين في العالم أن ينصبوا خليفة عليهم باجتماع أولي الأمر من رجال الدعوة والدولة الإسلاميين، وانتخاب خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم. وقبل الوصول إلى نظام الخلافة، وهو النظام الموعود في حديث الإمام أحمد الذي أسلفناه، وهو النظام الشرعي، يقام إمام قطري في كل بلد تحرر. وسنكتب إن شاء الله في نظام الدولة الإسلامية تفصيل ذلك.

عندها يمكن للأمة الموعودة بالوراثة والاستخلاف في الأرض أن تبلغ رسالة الله للعالم تحقيقا لوعد الله حيث قال: **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾**.[3] وقد بشرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحاح بأن الخلافة على منهاج النبوة آتية، وقال في حديث رواه ابن حبان في صحيحه وغيره، وهو حديث صحيح: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار. ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل. عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر**». وروى الإمام أحمد والدارمي وغيرهما

---

(1) سورة آل عمران، 104.

(2) سورة آل عمران، 110.

(3) سورة التوبة، 33.

وهو حديث صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أن القسطنطينية تفتح قبل رومية -وهي روما-. وقد فتحت الأولى والثانية ستفتح لا ريب والمستقبل للإسلام.

هذه بإجمال مهمات جند الله. ولكل مرحلة من مراحل الزحف إلى الحكم، ومن مراحل البناء تربية وتنظيما ودولة، ينبغي أن يفهم جند الله مهمتهم المستقبلية، فيتهيأوا لها، ويتحركوا في يومهم بما لا يعرقل حركة غدهم. إنها مسؤولية شعوب مفككة، مغزوة، متخلفة اقتصاديا وعلميا وعسكريا وحضاريا. مشاكل أمثال الجبال تريد جيلا مؤمنا من نوع جديد من الرجال. تريد جماعة عضوية متماسكة بالإيمان، قوية بالخبرة والأمانة على البلوغ بركب الدعوة والدولة الإسلاميين، بالمنهاج النبوي، إلى الهدف السامق. مهمات جند الله تريد كتائب منظمة، تريد الضبط، تريد الفهم الواضح لعقبة السير، تريد فهما لأمر الله ورسوله، وفقها للعالم ونواميسه وما يضطرب فيه من قوى معادية للإسلام أو مستعدة لمسالمته. تريد مهمات الإسلاميين رجالا أحرارا من طاغوت الهوى وطاغوت الناس، عبادا لله، يربون تربية المؤمن المسؤول أمام الله والناس، المشارك بصدق وإخلاص في بناء أمته، يرجو بلوغ قمة العقبة لينظر وجه الله.

إن عضو جماعة المسلمين المجاهد إذا كان في مستوى الإيمان والإحسان هو لبنة البناء. فعلى نوعية تربيته يتوقف نجاح القومة الإسلامية في القطر والعالم. وللقومة شروط، بعد قوة إيمان المؤمن، تتلخص في إحكام التنظيم على شريعة الله، محبة بين المؤمنين، وشورى، وتناصحا، وطاعة. تتلخص في القدرة الجماعية على التفاعل مع الظروف الداخلية والخارجية، قدرة تريد علما، ووسائل، وتخطيطا، ومرونة.

كيف يؤدي جند الله مهماتهم؟

قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته وجهاده، وكان مؤيدا بالوحي، مؤيدا بنصر الله وبالمؤمنين الذين ألف الله بين قلوبهم. لم تكن سيرته صلى الله عليه وسلم وجهاده ملتويين، بل عمد إلى رأس الكفر كما فعل رسل الله من قبله فتحداه. ثم صبر هو وأصحابه، وصانعوا ظروفهم، حتى أذن الله لهم بالهجرة، وبعد الهجرة كانت المواجهة والمصابرة حتى نصر الله.

المنهاج النبوي في التحرك الجهادي بين أيدينا نقرأه في السيرة العطرة. وعلينا اتباعه في الخط الرئيسي، والاجتهاد في جزئيات الحركة، لإنزالها على أحكام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

كائن عضوي حي تألف في مكة رباه المعصوم المؤيد المنصور، هو جماعة سميت فيما بعد المهاجرين. وتحركت الجماعة، وصدقت، وتحاب أعضاؤها في الله، وتوالوا فيه، وسمعوا، وأطاعوا، وتشاوروا في الأمر، ثم جاء أنصار الله من يثرب فبايعوا، وآووا ونصروا. وجاهد المؤمنون المخاطبون بالقرآن، من مهاجرين وأنصار، تحت قيادة، وبتعبئة، وعلى مراحل، حتى سقطت طواغيت الكفر.

كان للمؤمنين وهم يتلقون الوحي طريا تفوق على المشركين في الثقة بالله والعلم به. فكان العشرون منهم يغلبون المائتين من سواهم. كانوا رجالا صنعتهم التربية النبوية ومحصهم الله بالأذى والشدائد. فلما أيقنوا أن ما عند الله خير، غلب سباقهم إلى مغفرة الله ورضوانه وجنته عوامل الجبن البشري.

عندما يكون مع المؤمنين كتائب مما يشبه هذه التربية وذلك التآلف والتنظيم، يمكن أن يعتمد جند الله على موعود الله ورسوله، وينشبوا الزحف. بدون كائن عضوي حي منظم لا يتصور عمل. فعلى المؤمنين أن يقول بعضهم لبعض: «بأيدينا نسأل الله أن ينزل قدره. فهات يدك نتحاب ونتعاهد على نصر الله». وللزحف محجة لاحبة وهدف معلن، ومرونة ضرورية، وثمن معلوم.

1- المحجة اللاحبة:

لا نكذب على حكام الجبر ولا على أنفسنا عندما ندعوهم للتوبة والسلوك مسلك عمر بن عبد العزيز: إنما نتحداهم ونتخذ مظلة سياسية يعلم الكل، نحن وهم، ماذا تعني الكلمات. بعد هذا نقول: إن على المؤمنين أن يعمقوا ثقتهم بالله عز وجل، ويربوا جيلا وأجيالا، وينظموا صفا قطريا متينا منتشرا في الشعب، يعلمه، ويستنهضه، ويحرضه على الإيمان استعدادا ليوم نبلغ فيه أشدنا ويبلغ فشلهم غايته، فيزلزل حزب الله، من ورائه الشعب المسلم، أنظمة الجبر. لا تعوقنا صعوبة عقبات هذه المحجة عن ولوجها، ولا تستخفنا العجلة على الصبر على طولها. ولا يمنعنا هذا التهييء على المدى الطويل من التحرك الميداني النشيط.

لم تنجح حتى الآن حركة إسلامية في الوصول إلى الحكم بغير هذا المسلك الوعر الطويل. إيران أمامنا. ولهذا الطريق ثمن سنذكره فيما يلي. أما إيثار العافية، والسكوت الأخرس عن الحق، وهامشية السرية، فليست من سنة رسل الله عليهم الصلاة والسلام. نوح عليه السلام قال لقومه: «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ».[1] وقال هود عليه السلام لقومه: «فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ».[2] وقال شعيب لقومه: «وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ».[3] وقال أنبياء الله مثل ذلك. وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ﴾.[4] فنزل صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة وأعلن أن لا إله إلا الله، وسفه الطاغوت،

(1) سورة يونس ، 71.
(2) سورة هود، 55.
(3) سورة هود، 93.
(4) سورة الأنعام، 135.

وأوذي، وعزاه الله عز وجل بقوله: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾.[5]

اعملوا على مكانتكم. اعملوا ما في وسعكم ووسائلكم. هذه كلمة من وطد نفسه على اقتحام العقبة، ووثق بالله، وباع نفسه وماله لله.

قد يكون تحدي الطاغوت تهورا في ظروف لا يقدرها إلا من يعانيها. لكن ليتق الله المؤمنون أن يمنعهم من الجهر بالحق فهم يبرر القعود، أو زعم أن هذا النبات الإسلامي الشاب من يربيه وينظمه إن ذهبت أنا وذهبنا نحن. المهم أن نجنب الصف تبعات مواقفنا السلبية وأخطاءنا. المهم جدا ألا نذهب هدرا، وأن يدفع الأعداء ثمنا باهظا لحياتنا، وأن يترك استشهادنا دويا ومثلا لمن بعدنا. المهم ألا يلعب الأعداء بحياتنا وموتنا. فإن الله هو الذي أنبت، وهو الذي يرعى، ويبعث من أوليائه من يشاء لخدمة الإسلام.

لا نقول كلمة الأفغاني رحمه الله: «قل كلمتك وامش» فلم يعد الوقت مناسبا لها، ولا هي تقوم بمهمة وقد استيقظ المسلمون بصيحات من سبقونا بإيمان. نقول إن واجب الدعاة أن يربوا وينظموا ويزحفوا. ولكن لا بد من دفع الثمن والتربية بالمواقف الناصعة. فلعل مجاهدا مثل سيد قطب رحمه الله كانت شهادته في سبيل الله أكبر مساهمة في دفع قضية المسلمين إلى النصر بفضل نعمة الله عليه بذلك الموقف الاستشهادي. كان يقول رحمه الله ما معناه: «أعمالنا دمى لا تسري فيها الحياة إلا بدمائنا».

2- الخط السياسي الواضح:

لا تجد في بلاد المسلمين ترددا في صفوف الأحزاب السياسية، خاصة الشيوعية والعلمانية، أن تعلن عزمها على فرض نظامها، وتنشر خطها السياسي الهادف إلى

(5) سورة الأنعام، 34.

إقامة الدولة الاشتراكية العلمانية. أفنكون نحن أخس همة، وأبلد فكرا، ونحن مسلمون، والبلاد مسلمة والشعوب مسلمة؟

لا شك أن أنظمة الجبر تتعاون معهم وتركز عداءها وحربها علينا. لكن قد يكون مرجع ذلك إلى أن تلك الأحزاب تعرف قواعد اللعبة السياسية وقواعد الإستراتيجية والتكتيك بلسان العصر ولا نحب نحن أن نعرف. وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نتصرف، إذ استعمل الحبيب كل وسائل عصره. نعم كل وسائل عصره من الدخول تحت حماية كبير مشرك، ومن عقد معاهدات التعايش مع اليهود والتصالح مع قريش، ومن ربط أحلاف مع القبائل، ومن تعبئة في الحرب على مثال ما عرف في زمانه صلى الله عليه وسلم، إلى ما سوى ذلك من خدع الحرب، ورأي الفطناء، ومكائد الزمان.

السياسة الشرعية في اصطلاح أئمتنا هي التصرف في الشؤون العامة شؤون الحكم والإدارة والقضاء، بما لا يصطدم مع الشريعة. فأول سؤال يطرح على المؤمن المتحري في تصرفاته هو: هل يجوز القيام على حكام الجور؟

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾.[1] نقف عند قوله «منكم» أمِنَّا دمى الإلحاد في أفغانستان؟ أمِنَّا من سفك دماء المؤمنين في مصر ومن يسفكها في كل بلاد المسلمين؟ أمِنَّا أمثال من عذب المؤمنات الطاهرات القانتات بما لم يعذب به أحد في تاريخ البشر؟ أمِنَّا من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؟ ويطول التساؤل.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجة والطبراني، وهو حديث صحيح، عن ابن مسعود: «**سيلي أموركم رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها**» فقلت (أي ابن مسعود): «يا رسول الله: إن أدركتهم كيف أفعل؟ «قال: «**تسألني يا ابن أم عبد كيف تفعل! لا طاعة لمن عصى الله**».

(1) سورة النساء، 59.

ونقل الحافظ المنذري وروى الترمذي والحاكم اتفاق الصحابة على أن من أخر الصلاة عن وقتها عمدا فقد كفر. هذا في حق عامة الناس، فما بالك بالحاكم!

وروى أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وهو حديث صحيح عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**».

من أخر الصلاة عن وقتها عامدا كفر، ومن أخرها فقد تركها، ومن تركها أصبح منهم لا مِنَّا، ومن كان منهم لا مِنَّا فلا طاعة له علينا. «**وتسألني يا ابن أم عبد ما تفعل؟**».

قال عبادة بن الصامت فيما رواه الشيخان والنسائي: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله». وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**».

تأخير الصلاة عمدا كفر بواح. أين نحن ممن يعلنون كفرهم في كل نطق؟ أين نحن من حكام الجبر العلمانيين جهارا الفاسقين ليلا ونهارا، الكافرين الظالمين إسرافا وتبارا! نرى دمى الإلحاد في أفغانستان وغيرها يصلون في التلفزيون وعلى صفحات المجلات ينافقون. ومن وراء خفض الجسوم ورفعها قلوب عشعش فيها جحود الله، ومحاربة الله، وإحلال ما حرم الله.

قال الشوكاني شرحا لحديث نبوي يقول: «**لا طاعة في معصية الله**»: أي لا تجب بل تحرم على من كان قادرا عن الامتناع.

3- الثمن: ثمن رضى الله:

يحرم علينا السكوت والرضى وطاعة من يعصون الله. وإنه الثمن يؤدى. وإن لمن أداه رضوان الله عز وجل، روى أبو نعيم في «دلائل النبوة» أن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال: «**ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إن كتاب الله والسلطان سيختلفان، فلا تفارقوا الكتاب. ألا إنه سيكون عليكم أمراء يرضون لأنفسهم ما لا يرضون لكم، إن أطعتموهم أضلوكم. وإن عصيتموهم قتلوكم**» قالوا: «وما نفعل يا رسول الله؟» قال: «**كما فعل أصحاب موسى، حملوا على الخشب، ونشروا بالمناشير. فوالذي نفس محمد بيده، لموت في طاعة خير من حياة في معصية**».

خطنا السياسي الواضح هو أننا لا نعارض حكام الجبر معارضة الأحزاب على مستوى تدبير المعاش والاقتصاد بل نعصيهم لأنهم خرجوا عن دائرة الإسلام إلا أن يتوبوا توبة عمر بن عبد العزيز. وقد كتبنا في غير هذا المكان ماذا نعني بهذا. نعصيهم ونعارضهم لأنهم خربوا الدين، واتخذوا من أمريكا وروسيا أولياء من دون المؤمنين. الأمر أعمق وأخطر وأشد صرامة من مجرد المعارضة السياسية.

لكن الشعب الخامل المضلل، والشباب المشحون المهيج، لا يكاد أحد منهم يفهم وجوب الخروج عن طاعة من أخر الصلاة عن وقتها. لا يفهم العامة أن حاكما لا يصلي رجل يعصي الله وقد يجحده ابتداء. فإذا جحد وعصى أصبح طاغوتا، وحكم بهواه، وحارب الله، وظلم عباده. أهون على من يعصي الله بترك الصلاة، وهي عماد الدين، أن يعصيه في سائر الدين. فإذا عطل الدين حكم بغير ما أنزل الله، فكان من الكافرين الفاسقين الظالمين، فعزله المنصب شرعا. لا بد أن نشرح للشعب وللشباب ماذا يعني التحول الإسلامي الذي نريده بالنسبة للظلم الطبقي، بالنسبة للتبعية، بالنسبة للمستقبل الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لبلادنا، نشرح كل ذلك في تفاصيله، فنتحدث عن الخبز اليومي، عن العامل المهضوم الحق، عن أب الأسرة المقهور تحت أعباء المعاش، عن الفلاح الذي يستغله الثري الظالم والحاكم الجبار، عن التعليم وفساده، عن القضاء ورشاه، عن الإدارة الكسيحة السخيفة، وعن مسؤولية الحكم في كل هذا. وبتفصيل وإلحاح نخبر الخاص والعام أن الله ما أمر بشيء مثل ما أمر بالعدل. فلا نكن

أقل إلحاحا على هذه النقطة من الشيوعيين، ولا نكن أقل حرصا على التبشير بالحرية -إذ لا إكراه في الدين- من الرأسماليين مع الفارق بيننا وبين يمين الجاهلية ويسارها. تحرير الإنسان من ظلم الطبقية، وتحرير أرض المسلمين من العدو الصهيوني الجاثم على أعز بقعة من بلادنا يعنيان عندنا مصير العزة أو مصير الهوان، مصير كل واحد منا عند الله، ومصير هذه الأمة في التاريخ. نشرح للعامة التغيير المطلوب في حياتهم ونربط بالإسلام، ونعلم.

نريد تغييرا جوهريا يأتي بنيان الفتنة من القواعد. فعلينا أن نكون لا على مستوى العصر الذي تتحكم فيه الجاهلية وقيمها، بل على مستوى مستقبل نقترحه نحن على التاريخ، ونصنعه، ونخترعه على هدى من الله وبإذنه. يتهمنا الأعداء بالرجعية، يجمعون في كلمتهم إسلام تاركي الصلاة الجبريين وإسلام الدعاة المجددين. وترك الصلاة عندنا أقذع لعنة، لكن الأعداء لا يريدون أن يميزوا بين إنحناءات المنافقين وقيام المؤمنين بين يدي ربهم. والرجعية النظر إلى وراء. فلا يمنعنا تشبثنا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أن نفكر ونخطط ونطرح مشاكل المستقبل بوسائل الحاضر، لا سيرا مع الخط الذي تسير فيه الحضارة المادية الصائرة إلى الهاوية، لكن إعدادا لقوة العلم والتنظيم كي نحل مشاكل التنمية، ونحل معها مشاكل الحضارة المادية المفروضة علينا، ريثما نقيم حضارة أخوية على مستوى حاجة الإنسانية للحرية وطمأنينية العيش والنفس، ونرد السلام للعالم. إننا لا نرضى بهيمنة الدول العظمى على العالم، ولا باستعباد الإنسان وهضم كرامته وحقوقه الآدمية، ولا بطحن جسم الإنسان ووقته بين عجلات الإنتاج والاستهلاك، ولا بتشويه نفس الإنسان وحياته الفكرية والعاطفية بالثقافة المنحلة المخدرة العنيفة.

يجب أن نصنع فكرا مستقبليا يلقي على آفاق هذا القرن الخامس عشر، قرن الإسلام بإذن الله، ومن بعده، نور القرآن ونور الهدي النبوي. يلقي على حياة البشر نورا به يميزون ما ينفع في الدنيا والآخرة، وما يضر في الدنيا والآخرة. وإننا

لفي سباق مع الثورة الصناعية التي سبقونا بها، ومع الثورة الإعلامية -أقصد ثورة الإلكترون وآلات العد والتنظيم والضبط- التي لا يقدر ما ستحدثه في حياة الناس من آثار إلا الله تعالى وتبارك.

لا سلاح لدينا، فيجب أن نبني اقتصاد القوة لإعداده، لا وحدة ترجى بين حكام الجور ولا فائدة من وحدتهم، فيجب أن نهيء وحدة الشعوب المسلمة بعد تربيتها وتعليمها وتحريرها.

يجب أن نحارب، نحن الإسلاميين، قبل التحرر وبعده، محاولات التعتيم على فكرنا ونوايانا، وفهمنا للواقع، وخطتنا لتغيير العالم، يجب أن نحارب التهميش والتخويف اللذين يريدان منا أن نبقى في الحركية السرية العنيفة لينقض علينا الحكام، فإن كان في يدنا عصا دسوا فيها مسدسا ليلصقوا بنا تهمتهم المنطلية على الناس، تهمة الصهاينة المبيتة: «إخوان مسلمون = إرهابيون قتالون رجعيون».

نبرز بمشروعنا، ونعلنه، ونحارب دونه بأساليب السياسة ما انفتح لنا فجوة، وبكل الأساليب إن اضطهدنا.

4- المرونة:

قد يكون بعضنا تحت نظام من أنظمة الجبر ألجأته ضرورة البحث عن مشروعية ما أن يفتح باب الحريات العامة. إن كان هذا فخط عالمنا المودودي رحمه الله أن يساهم المسلمون في اللعبة الديمقراطية. هذا يتيح للمسلمين أن يعرفوا بقضيتهم وحلهم لمشاكل الأمة على وضح النهار. ولوجود هذا الوضوح يتهيأ للمسلمين أن يقارعوا الحجة بالحجة ويبلغوا للناس رسالتهم من منابر البرلمان والتجمعات والمناصب الانتخابية.

هذا جيد، مع السكوت المؤقت الضروري عن أن الإسلام له مشروعيته، وهي شيء آخر غير مشروعية الديمقراطية التي تسمح لصنائع أمريكا وروسيا بالتربع على منصات الأمة، يعلمونها الخنوع للكافرين والإلحاد في دين الله.

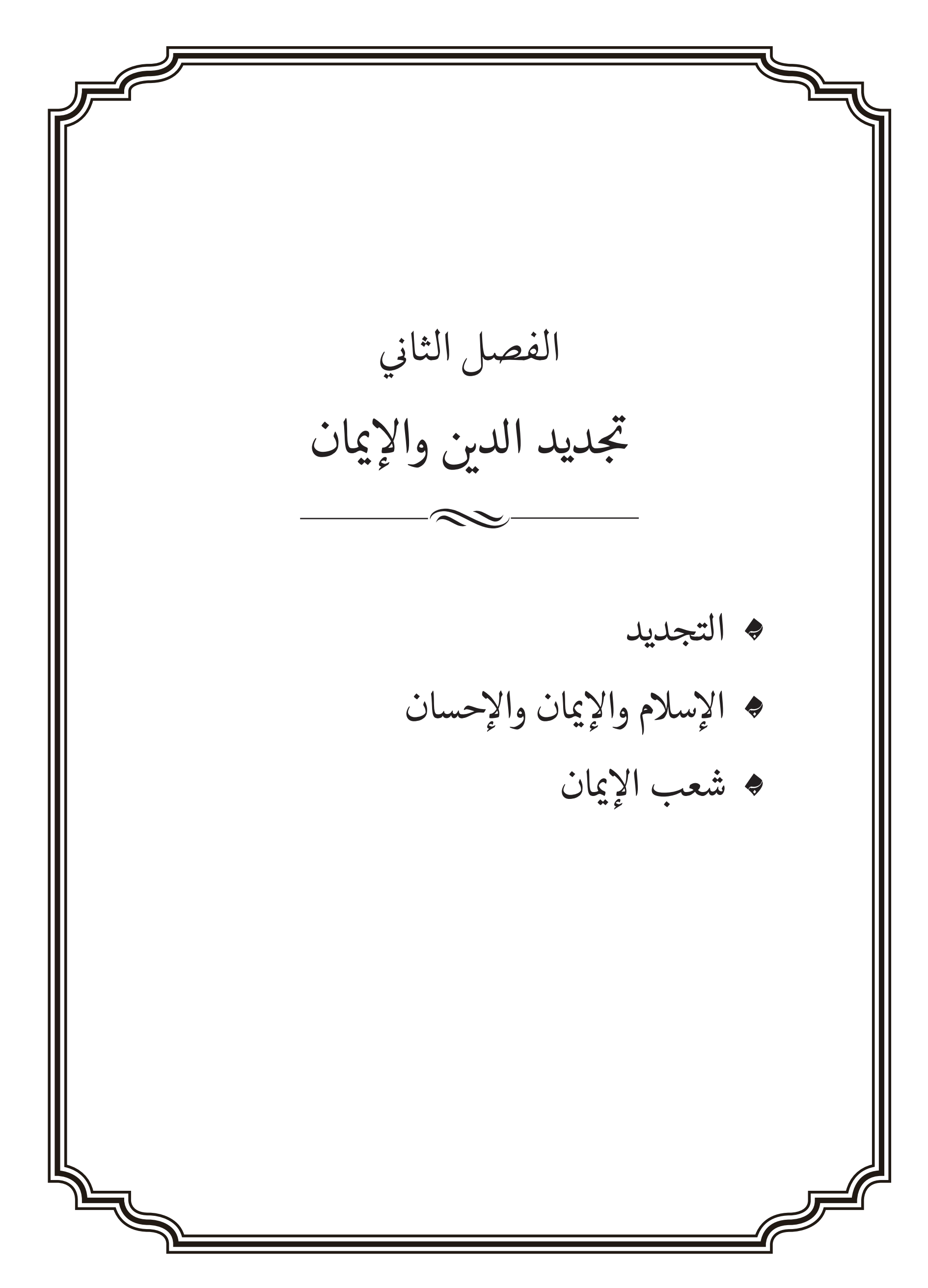
وقد يكون بعضنا تحت نظام غير ديمقراطي يتقرب للإسلام -كما يحدث ونحن نكتب في باكستان وغيرها- عندها يمكن للمؤمنين أن يطلبوا من الحكام المحتاجين لسند شعبي ميثاقا إسلاميا يعلن على الجميع، ويصوت عليه الشعب، ويعطي الحكام عهودهم على العمل لتهييء الحكم الإسلامي بعد مرحلة انتقالية تحدد.

وقد يكون -وهذا حادث فعلا- بعضنا تحت ظروف أعقبت إجهادا وبلاء. عندها يكون التسرب اللطيف إلى أجهزة دول الجبر الإعلامية والحكومية خدمة للدعوة على المدى البعيد. وليكف بعضنا عن اتهام بعض في قضية التميز والمنابذة، فإن لكل مقام مقالا. ومن أحنى رأسه أمام العاصفة بنية تغيير أسلوب الجهاد فإنما يعمل على المستوى الجماعي بهذا الحديث النبوي الوارد في حق المؤمن الفرد. ولا بأس. روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها. فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء. ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة. حتى يقصمها الله إذا شاء»**.

ولو تتبعت سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم لرأيت هذا الصبر عند البلاء ومرونة خامة الزرع. مثلا عندما ألح سهيل بن عمرو في كتابة صلح الحديبية على أن يمحى من الصحيفة البسملة ونسبة الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فمحاها نبي الرحمة بيده الكريمة.

على أن التسرب لأجهزة الحكم، وإعداد الرجال لكل مناصب الدولة ومواطن الخبرة والقيادة فيها، جزء أساسي من الخط اللاحب الذي يجب أن يمضي فيكون ذلك الخط صلب العمل وحواشيه مرونة، ويكون النهر وروافده الفرص التاريخية، ويكون الثابت على السير في الوجهة وما يأتي به الله من انعراجات سياسية متحركات لا توقف السير.

السياسة الشرعية تجيب أن القومة الإسلامية على حكام الجبر مشروعة، ولا يصطدم بالشرع أي من الرأي والخدعة الحربية والمكايدة التي وصفنا بعضها. ومن الرأي والخدعة والمكايدة أن نكتب هذا ونعلنه لمن يعلم قواعد اللعبة السياسية ومداخل الأمور. أما غيره فيحسب أن الرأي والحرب والكيد في أن يخفي أمره، فلا يعرفه أحد، فتنسب إليه الطوام، وتنصب له الحبائل، ويسقط مضغة في قبضة الطاغوت. والله من ورائهم محيط. وإنها لعقبة واقتحام.



الفصل الثاني

تجديد الدين والإيمان

- التجديد
- الإسلام والإيمان والإحسان
- شعب الإيمان

تجديد الدين والإيمان

التجديد:

كثر من بين حكام الجبر المرشحون لاسم مجدد القرن. وبعضهم ممن لا يمت إلى الإيمان بصلة ألّف في الموضوع. الذهنية الرعوية الانتظارية التي تعتمد على الغير أن يدبر لها أمرها سائدة، فهم يرسخون الانتظار والقعود بالتزوير ورفع الشعارات.

علماؤنا السابقون بإيمان تناقشوا طويلا لمعرفة مجددي القرون السالفة. ونحن يهمنا أن نعرف معنى التجديد، ومن يجدد، وبم يجدد، وكيف يجدد لا حبّا في الإطلاع، لكن تحريا أن يكون جهادنا مستمدا من الهدي النبوي، منضبطا بالسنة النبوية، سائرا على منهاج النبوة.

ثلاثة أحاديث ورد فيها ذكر التجديد:

1 – روى الإمام أحمد وحسنه السيوطي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الإيمان يخلق** (أي يبلى) **في القلب كما يخلق الثوب، فجددوا إيمانكم**» وفي رواية: «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**». ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك.

2– روى أبو داود والبيهقي والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».

3– روى الإمام أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات، والحديث صححه السيوطي، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«جددوا إيمانكم»، قيل: «**يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟**» قال: «**أكثروا من قول لا إله إلا الله**».

تحصَّل لنا من هذه الأحاديث الشريفة أن الإيمان يبلى فيجب تجديده، يضعف فتتعين تقويته، وأن الأمة تكلؤها عناية الله فيبعث سبحانه لها من يجدد لها دينها، وأن الإيمان يعالج من بلاه وضعفه بطب موصوف لا لبس في كنهه وماهيته ووسيلته.

جاء في الأثر أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان (وهو القلب) وعمل بالأركان. لكن موطن الإيمان القلب، بل هو منطلق الإيمان. فإن خبت بواعث الإيمان في القلب بطل العمل ونطق اللسان نفاقا. ومتى قوي الإيمان في القلب بتجديده اشتدت بواعث العمل الصالح. فالتجديد المطلوب للأمة هو تجديد بواعثها لتقوم، أفرادا تجدد إيمانهم بالتربية، وجماعة تجددت قوتها بتجدد بواعث أعضائها الإيمانية، بواجب الجهاد واقتحام العقبة.

ليس التجديد تغييرا للثابت من شرع الله، فإن أحكام الكتاب والسنة ماضية إلى يوم القيامة، دعاة العصرنة يودون لو نقصنا من الإسلام هذه الصلاة المستغرقة للوقت، وهذا الصيام المرهق للعمال، وصيرناه إيديولوجية بلباس عصري، لا نرتاب أن الاجتهاد ضروري لتكييف حياة العصر مع شرع الله، فهو تسليم العصر لا عصرنة الإسلام.

يبعث الله عز وجل من يجدد للأمة دينها. اختلف علماؤنا منذ قديم في تعيين مجدد كل قرن، واتفقوا أو كادوا أن مجدد القرن الأول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. ونحن ننظر إلى القرن الرابع عشر فنرى فيه رجالا يبرز من بينهم الشيخ البنا بنورانية خاصة، وأثر في تربية هذه الأجيال الصالحة، فلا نبعد أن يكون هو رحمه الله مجدد القرن الماضي.

نحن على عتبة القرن الخامس عشر وليس حديث في العالم إلا عن صحوة الإسلام ويقظته. فهذا التجديد على رأس هذا القرن يعلن عن نفسه بظهور نسأل الله أن يكون سيره حاسما. كما نرجوه جلت عظمته أن يستعملنا لنكون من هذا

المن الذي يجدد الله به الدين للأمة. فرأينا أن «مَن» المذكورة في الحديث قد تعني شخصا بعينه كما تعني جماعة يتعاونون على إحقاق الحق بعد إبطال الباطل.

بقيت الوصفة الطبية كلمة لا إله إلا الله، قولها، الإكثار من قولها، باللسان. باللسان أولا. ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الحكم، فكلامه علمي دقيق، ووصفه هنا للطب المجدد للإيمان لا أوضح ولا أبسط منه: الإكثار من قول لا إله إلا الله فجند الله زادهم لا إله إلا الله، كلمة مجددة على اللسان، يكثرون منها. والإكثار لم يعين حده. ونرى أن المئات من المرات لا تكفي، يلزم حزب من لا إله إلا الله آلاف المرات بالعشي والإبكار وما بينهما، بالغدو والآصال، آناء الليل وأطراف النهار.

ألا إنه طب نبوي، قول باللسان أولا، ومع الطب وبعده فجند الله برنامجهم لدحض الطاغوت وإحقاق الحق لا إله إلا الله، لا معبود إلا إياه، لا حاكم إلا هو، لا مشرع إلا هو، لا مرغوبا في رضاه ومخوفا من غضبه إلا هو.

إن الله عز وجل يقول: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[1] وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر بسند صحيح.

وقد جمعت بفضل الله أكثر من سبع وعشرين حديثا في فضل لا إله إلا الله، فالحمد لله دعاء أن يجدد إيماننا بالإكثار من قولها، باللسان أولا، بالاستغراق فيها. والإكثار منها ركن أساسي في التربية كما سنرى إن شاء الله.

الإسلام والإيمان والإحسان:

لكلمة إسلام معنى عام يشمل في مدرجته كل معاني العبودية لله تعالى، وله معنى خاص عندما يطلق على درجة من درجات العبودية. إنه لا بد لنا من تصنيف الناس في مجتمعاتنا الإسلامية لنعرف أين كل واحد من هذا السلم المرتقى

(1) سورة الرعد، 28.

من إسلام لإيمان لإحسان. ثم لا بد لنا عند التربية أن ننتظر ثمرة التربية، وهي ارتقاء أصحابنا من إسلام لا يتميز عن عامة الناس، إلى إيمان يتكامل فيؤهلهم للدخول في الصف، ثم يتكامل فيؤهلهم للجهاد في الصف، ثم ترق ثالث يرفع ذوي الاستعداد من رجال الصف إلى مرتبة الإحسان.

أتتنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مروية عنه في جلساته وخطبه ووعظه ووصاياه. لكن حديث جبريل المشهور الذي رواه الشيخان وأصحاب السنن عن عمر جاءنا في حلة من التشويق والغرابة والتفصيل التربوي. جاء جبريل فرآه الصحابة وسمعوه وتلقوا حواره الغريب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما ذاك إلا لأهمية هذا التفصيل الذي لا نجده في حديث غيره.

قال عمر: «**بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخديه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت! فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان! قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت! قال: فأخبرني عن الإحسان! قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة! قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل! قال: فأخبرني عن أماراتها! قال: أن تلد الأمة ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. ثم انطلق. فلبثت مليا، ثم قال لي (أي رسول الله صلى الله عليه وسلم): يا عمر! أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم! قال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

احتاج الأمر لأهميته أن ينزل جبريل على صورة رجل ويحاور رسول الله صلى الله عليه وسلم حوارا مدهشا ليعلمهم دينهم. الدين إسلام وإيمان وإحسان وترقب للساعة، والدين الذي يجدده الله للأمة بمن يصطفيه من خلقه هو كل هذا، لا يتبعض.

ومن كونه لا يتبعض نلح هنا على اقتحام العقبة، وقد أخذنا العبارة من كلام الله تعالى، صعود في درجات الإسلام والإيمان والإحسان.

جند الله لا بد أن يكونوا كلهم من المؤمنين، لا يكفي أن يكونوا مسلمين بهذا المعنى الخاص. لكن سعي كل واحد منهم لاستكمال إيمانه فالترقي إلى مرتبة الإحسان أمر أساسي بدونه ترتخي الصلة بالله عز وجل وتفتر، فلا مفر لها إن فتر شوق العبد إلى ربه وحب لقائه إلا دركات النفاق.

القابليات للكمال الإحساني متفاوتة عند العباد، فمنهم من لا استعداد له لتجاوز الإحسان الذي كتبه الله على كل شيء كما جاء في الحديث، يتقن أعماله العبادية والجهادية والمهنية حتى يكون نموذجا. وهذا إحسان ينتظر من كل المؤمنين. ومن العباد من يكون إحسانه مع إحسان الإتقان موقفا دائما أمام الله عز وجل، ذكرا لجلاله وحضورا معه ومع أمره وشريعته، وشوقا إلى النظر إلى وجهه، وحبا للقائه والموت في سبيله.

أولياء الله درجات، والولاية الكبرى، ولاية فتح البصائر ونورانية الشهادة بين الناس بالقسط درجة خاصة يصطفي الله لها من يشاء من عباده.

لكن الوقوف على الباب، والتذلل بين يدي رب الأرباب من كسب العبد. فيجب وجوبا أكيدا أن يربى جند الله على لزوم باب العبودية، امتثالا حريصا دقيقا لأمر الله عز وجل، ومناجاة له، وحضورا قلبيا عند ذكر اللسان وخارجه، حتى يصبح العبد المؤمن ذاكرا ربه، قائما بين يديه لا يفتر. على هذا يتوقف نجاح القومة الإسلامية، وهذا القيام بين يدي الله عز وجل هو لب القومة ومغزاها وروحها.

نقرأ عند بعض علمائنا ذكرا للكمال والوراثة، ويخيل لبعضنا أن كمال الوراثة ينحصر في التحصيل العلمي. كلا والله! إنما الكمال الاختصاصي وراثة لمقامات الإحسان. وهو اختصاص إلهي لا يدخل كسب العبد فيه إلا من حيث كون التحصيل العلمي الضروري والتربية يُهيئان للدخول على باب دخل منه إلى حضرة القرب من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ينبغي لجند الله أن يناجوا ربهم في الصلاة وفي أوقات الذكر بما علمنا سبحانه أن نطلب، وهو أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم. ومع المناجاة القولية إخبات في القلب وتذلل، واستفتاح لأبواب رحمته، يختص برحمته من يشاء، ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم وإذا أحبك ألهمك الطلب.

شعب الإيمان:

روى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة -عند البخاري بضع وستون-** (زاد مسلم): **أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

نجد أن لا إله إلا الله، إكثارا من قولها أولا، هي أعلى شعب الإيمان لا ننس هذا، فبنسيانه نظهر استهانتنا بصدق وبيان المعلم الرباني صلى الله عليه وسلم.

سواد جند الله لا بد أن يكونوا مؤمنين، لا يكفي أن يكونوا مسلمين بالمعنى الخاص، مع التوجه الواجب لمراتب الإحسان.

رأينا أن التجديد هو تجديد الإيمان بعد بلاه، وأن الدين الذي أتى جبريل ليعلمه المؤمنين هو الدين الذي يجدده من يبعثهم الله على رأس كل مائة سنة. ورأينا أن القرآن الكريم يخاطب المؤمنين لا المسلمين ولا المحسنين، ذلك أن من المسلمين من يأتي للأعمال الظاهرة من شهادة وصلاة وغيرهما وهو منافق،

فهذا لا يخاطب بالقيام على دين الله. ولأن الإحسان درجة خاصة واصطفاء، ينبغي أن يتوق إليهما كل المؤمنين، لكن تعيين أصحابهما ليس من اختصاص البشر.

فبقي المؤمنون، ولا بد أن تكون لهم مواصفات بها يعرفون، وتربية تهيئهم ليحملوا مسؤولية تنفيذ أمر الله، وتنظيم يجعل منهم جندا قادرين على التنفيذ، وقانون يضبط زحفهم إلى الجهاد.

الحديث النبوي عن شعب الإيمان يعطي وسيلة التربية القلبية لا إله إلا الله، ويصف ثمرة الإيمان في خلق الحياء، ويتنزل إلى تلمس دلائل الإيمان في أسهل الأعمال وأبسطها كإماطة الأذى عن الطريق. هذه الثلاثة نماذج للسلوك الرباني النوراني: لا إله إلا الله ونورانيتها -وللتهذيب الوجداني: الحياء والخير الذي يأتي به- وللمشاركة الفعلية في الحياة العامة الجماعية: إماطة الأذى عن طريق المسلمين.

وقد ألف في شعب الإيمان الإمام الحافظ أبو عبد الله الحليمي، والإمام الحافظ عبد الله البيهقي وغيرهما كثير، رضي الله عن الجميع.

ورضي الله عنا إذ نلتمس على أثرهم المنهاج النبوي للتربية والتنظيم والجهاد في جمع شعب الإيمان وترتيبها وتنسيقها.

ألفوا شعب الإيمان وهم رجال الحديث والفقه على نسق وافق قصدهم من جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديمه -كما فعل الحليمي في كتابه الذي طبع أخيرا والذي نقل عنه علماؤنا كثيرا عبر الأجيال- ككل متماسك يصور حياة الإيمان في قلب المؤمن وقالبه وفي المجتمع.

ولنا اهتمامات لعصرنا وما بعده، ونواجه جهل الناس بإسلامهم فنؤلف تأليفا غير تأليفهم. لا نأتي بجديد بدعي، لكن نرتب مراحل التربية والتنظيم والجهاد، ونحسب سبعا وسبعين شعبة متدرجة ما فيها حرف واحد خارج عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. أتينا بالترتيب فقط لمقاصد تربوية تنظيمية، فهي سياسة شرعية لا غبار عليها.

وقسمنا السبع والسبعين شعبة عشر فئات سميناها الخصال العشر، وجمعناها في كتاب يضم أكثر من ألفي حديث نبوي يسر الله تحقيقه وطبعه. ونبسط هنا إن شاء الله محصول تدبرنا لشعب الإيمان، نجعلها صلب المنهاج النبوي ودليله.

تتدرج الخصال العشر من الخطاب القرآني للإنسان وندبه إياه لاقتحام العقبة والكينونة من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة.

فحصول الإنسان في مرحمة الجماعة، باكتشافه أخوتها الدافئة الرفيقة الباذلة الحنون، يحصل الخصلة الأولى: الصحبة والجماعة، ثم يترقى من خصلة إلى خصلة حتى يحصل الخصلة العاشرة وهي: الجهاد. وبذلك تكون تربيته تمت، وعضويته في تنظيم جند الله استوثقت. وبتحصيل جند الله جماعة لفضائل شعب الإيمان يكون التنظيم قد استوفى خصائص حزب الله المنصورين الغالبين.

إن شعب الإيمان، كما يدل على ذلك المعنى اللغوي لشعب، روافد يتألف منها نهر الإيمان. فإن تصورناها خيوطا إيمانية تربط العبد بربه فهي تكون، إن فتلت وأتقن تأليف رجالها حتى أصبح خلقهم القرآن، حبل الله المتين الممتد من السماء رحمة إلى الأرض، حيث تظهر عملا حكيما وجهادا مجددا. وعندئذ فالتمسك بجماعة المسلمين في الأرض استمساك بالعروة الوثقى.

نرجع إن شاء الله إلى شعب الإيمان والخصال العشر في الفصل الخامس بعد فصلين في عموميات التربية والتنظيم.

الفصل الثالث

التربيـــة

- المجموع
- الأعرابية
- مراتب جند الله
- المرء وغناؤه في الإسلام
- المؤمن الشاهد بالقسط
- تربية مستقبلية
- الأسر
- الحلق في المساجد
- الأسابيع الثقافية الإسلامية
- المعسكرات والرباطات
- تربية الشباب
- تربية المؤمنات
- البرامج والكتب والأوقات
- فقه الواقع والاختصاصات
- عمل اليوم والليلة
- توازن التربية
- شروط التربية

التربية

المجموع:

كان علماؤنا ممن ألف في طبقات الرجال يكتبون: «فلان فريد في مجموعه»، يقصدون أن ما اجتمع فيه من فضائل العلم والعمل جعله ممتازا لا يماثله أحد في اجتماع تلك الفضائل.

ونحن نعتقد أن ما من عبد إلا وأعطاه الله تبارك وتعالى المنعم خصوصيات في الجسم والعقل وقابليات الإيمان والإحسان، لذلك فلا يمكن أن تنتج التربية جيلا متماثلا أفراده كما تخرج البضائع من المعمل. فنحتفظ بكلمة «مجموع» ومفهوم «مجموع».

الأعرابية:

الأعرابية صفة للأعراب، وللكلمة مدلول لغوي، فالأعراب لغة هم العرب البدو، كما أن للكلمة معنى إسلاميا قرآنيا. وهم في القرآن والسنة مسلمون أسلموا ولم يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نصروه نصرة الأوس والخزرج رضي الله عنهم. فالأعراب في القرآن والحديث هم، في مقابل المهاجرين والأنصار، قوم مسلمون في أطراف جماعة المسلمين سكنا وإيمانا. جماعة المسلمين هم المهاجرون والأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونعلم في سيرة الجهاد النبوي غناءهم في الإسلام وسابقتهم، ونقرأ سورة التوبة لنعلم أن الأعراب خليط من مسلمين صادقين، وآخرين منافقين، وآخرين قاعدين متخلفين، وآخرين يخونون عهد الله: خليط. وغثاؤنا الحالي خليط فيهم الصالحون وفيهم دون ذلك، فتصنيف الناس على عهدنا وما بعده لا ينطلق من تكفير أحد ولا تضليله إلا أن يكون كفر بواح لنا فيه من الله برهان، لكن نميز الصادقين حتى لا نحسب أن عدد المحوقلين يغني شيئا في حقائق الجهاد.

مراتب جند الله:

لا نستطيع أن نعلم، إلا بحسن الظن الذي أمرنا به، قدر عبد من عباد الله عند الله، بيد أن الله عز وجل يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.[1] فما يعلمه الله تعالى من درجات عباده عنده غيب. وإنما نعطي جند الله مراتب حسب ما نراه نحن وما نقدره من كفاءتهم وغنائهم في الجهاد. ونترك ما بين العبد وربه.

نرى أن الإكثار من المراتب أمر لا حاجة إليه، كما أنه لا حاجة إلى رتب أصلا لولا ضرورة أن يعرف كل مؤمن مكان رباطه ومستوى مسؤولياته في الهيكل التنظيمي والسلم التنفيذي. فابتداء من إسلام عام، من مجتمع لا مقاييس إسلامية فيه، نربي ونمتحن من كان قابلا للتربية ومن يقترح نفسه حتى نأنس أنه أصبح نصيرا للدعوة فنسميه عضوا نصيرا، فإذا زاد على المشاركة الناصرة وحصل على مجموع جيد من الفضائل العلمية العملية الخلقية التنفيذية سميناه عضوا مهاجرا، استئناسا وتفاؤلا بهذين اللقبين الكريمين عند الله[2].

ثم بعد النصرة والهجرة لا بد من مؤمنين ممتازين بإحسانهم وكفاءتهم التربوية، نسميهم نقباء، يكلفون بتربية المؤمنين وتنظيمهم. لا يفيد أن تحدد مقاييس علمية تحصيلية لكل مرتبة، لكن المجموع لا يكون مجموعا صالحا إن لم يجمع في المؤمن الخصال العشر على درجة من الإيمان، من القوة والأمانة، تتدرج من نصرة لهجرة لنقابة. ويحكم على صلاح المرشح للعضوية والترقية مجلس المؤمنين. مجلس الشعبة بالنسبة لرتبتي النصرة والهجرة، ومجلس الجهة بالنسبة لرتبة النقابة. وهكذا صعدا إلى مجلس الإرشاد العام أو مجلس الإمامة بعد قيام الدولة الإسلامية.

والجند لا بد أن يرضوا بالرتبة الظاهرة التي أحلهم فيها إخوتهم. مجلس الشعبة برئاسة نقيب الشعبة ونقباء الأسر التي تتكون منها الشعبة –سنحدد مباني

(1) سورة التوبة، 105.

(2) هذان اللقبان «النصير والمهاجر» عدل عنهما المؤلف رحمه الله عملياً، ولم تعمل بهما جماعة العدل والإحسان في تربيتها وتنظيمها.

الشعبة والأسرة في الفصل التالي إن شاء الله- هو الذي يتصرف في مرتبية الأعضاء والمرشحين للعضوية.

المرء وغناؤه في الإسلام:

من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي): «**الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة**». عامة الناس لا تحمل إلا هم العيش وهم الدنيا، وقليل من يدفعه هم الآخرة للتحرر من جاذبية الأرض. وأقل منهم من يحمل هم الأمة، وأقل منهم من يجمع إلى هم الأمة الشوق الدائم للموت في سبيل الله، وأقل منهم من يترجم ذلك الهم وذلك الشوق جهادا فيه غناء للأمة.

فلا يدخلن في عضوية الجماعة ونظامها إلا القادرون على حمل هم الأمة، القادرون على بذل النفس والنفيس جهادا في سبيل الله، الأقوياء الأمناء على ذلك، مع شرط التقوى ومحبة الله ورسوله.

حين فضل عمر رضي الله عنه الناس في العطاء بعضهم على بعض، وقد كانوا على عهد الصديق رضي الله عنه سواسية فيه، سألوه عن ميزان التفضيل، فقال: «المرء وغناؤه في الإسلام، المرء وسابقته في الإسلام، والمرء وحظه من الله».

ونحتاج لهذا الميزان، فهو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا أن نعض بالنواجذ على سنة خلفائه الراشدين. في بعض الأقطار جماعة منظمة نشأت نشأة طبيعية من دعوة رجل أو جماعة موحدة من أول أمرها، وفي أقطار أخرى جماعات وخلافات أو مجرد أفراد من المؤمنين.

فلتأسيس «جماعة المسلمين القطرية»، حيث الأفراد أو الجماعات والخلاف، نرى أن يجتمع ذوو الغناء في الإسلام وهم الذين أفادوا الدعوة وخدموها أو يستطيعون خدمتها، وذوو السابقة وهم الذين برهنوا بسابق جهادهم على صدقهم، وذوو الحظ من الله وهم الصادقون الصالحون العازمون على الجهاد. يجتمعون

في مؤتمر إن كان الجبر الذين هم تحته يسمح بالحريات العامة أو يجتمعون سرا إن كان يضطهد. ويختار هؤلاء الأصناف الثلاثة مجلسا قياديا ويختار المجلس مرشدا. ومن هذه القيادة ينبثق البناء الهرمي نزولا ليلتقي باختيار أهل الغناء والسابقة والحظ من الله في القاعدة. وسنرجع إلى البناء الهرمي في الفصل التالي إن شاء الله.

ويفيدنا ميزان عمر في تحديد مواصفات الشخصية الإسلامية التي نربيها، خاصة الأعضاء القياديين. فمن كان ذا غناء وسابقة وحظ من الله كان خليقا أن تتمثل فيه شعب الإيمان سلوكا أخلاقيا إيمانيا وعلما وقدرة على النهوض بالجماعة الموكول إليه تربيتها.

المؤمن الشاهد بالقسط:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ﴾[1] الشاهد بالقسط القائم لله هو المؤمن القوي الأمين الثابت في رباطه لا يتزعزع عن خط سيره مهما كانت العقبات. هو المجاهد الذي لا ينكشف عن الصف إن هرب الناس، ولا يقعقع له بالشنان. هو المؤمن المسؤول. حوله تتألف الجماعة يشيع فيها بنورانية قلبه معاني الإيمان، وبلطف معشره ولين جانبه المحبة، وبصرامة إرادته وضبطه الثقة. هو المجاهد القادر على بعث الإرادة الجهادية في الآخرين، وعلى توجيه التربية والحركة قبل قيام الدولة الإسلامية وبعدها. إنه تغيير واقع أمة فلا بد له من رجال أوتاد يمنعون الخيمة أن تعصف بها الرياح. حامل أعباء التربية والجهاد ينبغي أن يكون مركز إشعاع إيماني، ونموذجا للنشاط والإنجاز والضبط لمن حوله. هذا هو النقيب المرشد. هو حجر الزاوية في البناء لا قيام للجماعة بدونه. هو رجل الدعوة والدولة معا.

---

(1) سورة المائدة، 8.

تربية مستقبلية:

نحتاج لجماعة تواجه عقبات الحاضر لتخرق طريقها إلى العزة بالله ورسوله عبر عقبات الاضطهاد. لكن مهمتها لا تنحصر في هذا، فلا بد لها أن تهيئ المستقبل، مستقبل تحمل مسؤولية دولة، وتغيير ما بالأمة من تخلف حضاري، وذلة وتبعية، وعجز عن حمل رسالة الله. فينبغي للجماعة المدعوة لأن تشهد على الناس بالقسط أن تكون قادرة على الصمود وسط الأزمات العويصة التي يتخبط فيها العالم، وعالمنا الإسلامي المغزو المستعمر بصفة خاصة. فلا بد إذن أن يتطلع المؤمن الذي نربيه -نثير فيه نحن هذا التطلع ونغذيه- ليكون من صانعي غد أمته. كان الإمام البنا رحمه الله يتحدث عن ضرورة صناعة الموت، يعني أن يكون هم المؤمن الاستشهاد جهادا في سبيل الله. ونضيف نحن أن هناك صناعة أخرى في نفس المستوى من الضرورة وهي صناعة التاريخ. فاهتمام النصير والمهاجر والنقيب يجب أن ينصب حول مصيره عند الله، فيعمق إيمانه وشوقه، ويعد حياته ليبذلها عند الحاجة في سبيل الله. كما يجب أن يحمله ذلك الإيمان نفسه وذلك الشوق وذلك الاستعداد للموت على تهييء طاقاته الفكرية والمالية والعملية وطاقات من حوله لخدمة بناء الدولة الإسلامية. مصير المؤمن المقبل على الله حقا لا ينفك عن مصير أمته. همّ ما بعد موته لا ينفك عن همّ انتصار دين الله واستمراره.

الأسَر:

يؤلف جند الله والمتدرجون نحو التأهيل للجندية في أُسَر يسهر عليها نقيب يعين من فوق، على ضوء الشورى في القواعد. وعند قلة المؤمنين تؤلف الأسرة من اثنين وثلاثة حتى يأتي الله بأمره. ومن واجب كل عضو أن يسعى لإثراء أسرته بأفضل العناصر. وفي الأسرة يراقب المؤمن الجديد ويربى وتقدر أهليته حتى يعلن عضوا، يعينه مجلس الشعبة المكون من نقباء أسر الشعبة. فإذا زادت الأسرة على عشرة أعضاء معترف بعضويتهم أخذ طائفة منهم مع طائفة من العناصر تحت

الاختبار ليكونوا أسرة جديدة بحيث لا يؤخذ أقوى الأعضاء في جانب فتضعف الأسرتان. الجو التربوي في الأسرة متوقف على وجود عناصر قوية بإيمانها وقدرتها على العمل. فعلى أسر الشعبة أن تتولى الأسر المبتدئة بالزيارة والدعم المادي والمعنوي حتى تنهض.

الحلق في المساجد:

المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين عرين أسود، ورياض جهاد، ومدرسة جامعة، ومقر قيادة أركان جند الله، ومجلس شوراهم. ذلك أن بيت الله أحق البيوت أن ينطلق منها ويرجع إليها ويتجمع فيها ويتآلف جند الله.

تحت حكم الجبر ينبغي أن يكون تحرير المسجد من الإسلام الرسمي مطلبا أساسيا، وقبل قيام الدولة ما أمكن وبعد ذلك بتأكيد لا بد أن يكون المسجد مكان اللقاء بالشعب، ومدرسة التربية العامة، ومجالس الإيمان.

حلقات الدروس في المسجد يحضرها أعضاء الأسر إلى جانب العامة، يتعرفون للناس، ويعلمون الناس ويتلقون هم من العلم ما لا تتاح الفرصة لتلقيه في جلسات الأسرة وفي البيت.

الأسابيع الثقافية الإسلامية:

من أهم وسائل الدعوة والتربية، خاصة في الأوساط الطلابية، تنظيم اللقاءات للتعريف بالإسلام. وينبغي أن تنوع نشاطات هذه اللقاءات من معارض للكتب الإسلامية ومجالس لتجويد القرآن ومن رياضة وحلقات للنقاش.

المعسكرات والرباطات:

من أهم ما يربط المؤمنين أيام وليال أمضوها في فسحات الإيمان والأخوة والتعاون الجاد والمثمر بعيدا عن ضوضاء الناس. ينفع كثيرا خاصة المبتدئين من

الشباب أن يشاركوا في معسكرات خارج البلد ما أمكن. وعلى كل شعبة أن تعد لوازم المعسكر ووسائل إقامته، تستقل بها، تكون جاهزة لتنظيم معسكرات دورية لأسرها. وينبغي تنظيم برنامج كل معسكر بدقة. فيركز فيه على موضوع للدراسة معين وتوزع أوقات الليل والنهار لقيام الليل والتلاوة والوعظ والرياضة والتعارف وتبادل الخبرات وإعداد المستقبل. وفي فترات غير متباعدة يجلس المؤمنون في رباط يعكفون فيه على ذكر الله عز وجل ليتجدد الإيمان وتتقوى العزائم.

تربية الشباب:

إننا بحاجة لبناء أمة، والشباب يكونون في مجتمعاتنا المفتونة جيشا من العاطلين الذين أسيء تعليمهم وتربيتهم. فإذا حصلوا بين أيدينا قبل قيام الدولة وبعده يجب أن نعدهم إعدادا جادا ليكونوا جند التحرير والبناء. ومتى حصرنا الشباب عن الحركة ولم نهيء لهم مجالا لصرف نشاطهم خارج جلسات الأسرة انفجروا في حركية عنيفة تضطرب ولا تبني. فلا بد للشباب من رياضة وخرجات في المعسكر وسياحة. أقصد سياحة الدعوة والخروج في القرى والمدن لدعوة الناس إلى الإسلام. وفي الجامعات ينظمون أنشطتهم بما يظهر قوة المؤمنين وصحة عقيدتهم وفكرهم.

تربية المؤمنات:

يعم المؤمنات ما يعم المؤمنين في إطار الشرع. فينظمن أسرهن وجلساتهن ودعوتهن، ويتحملن مسؤوليتهن العظيمة في دعوة وتربية شطر الأمة. ولا يمنع إماء الله من مساجد الله، يحضرن حلقات العلم ومجالس الإيمان ومواسم الخير أين ما كانت. بآداب الشرع وضوابطه.

البرامج والكتب والأوقات:

العضو النصير هو القادر على رصد صفوة أوقاته خارج المهنة للدعوة. فوقت يومي لأذكاره وتلاوته وحفظه. ووقت ليلي لتهجده وتذلله بين يدي

الله عز وجل. وثلاث لقاءات ما أمكن في الأسبوع لمجالس أسرته ونشاطاتها. وساعة في كل يوم ما أمكن لزيارة من يرجو استجابتهم للدعوة، وحده أو مع بعض إخوته، ممن يزيدون الدعوة قيمة. ووقت في الأسبوع للرياضة. ووقت شهري للمعسكر والسياحة. ووقت في كل حين لسائر أعمال البر الموصوفة في شعب الإيمان.

ويضع كل قطر برامج للدراسة في المجالس الأسرية واللقاءات والنشاطات حسب الظروف المحلية والمرحلية. فإن إمكانيات العمل تحت حكم الجبر ليست كإمكانيات العمل في المرحلة الانتقالية، يوم يفتح للإسلام باب المشاركة، ولا كإمكانيات العمل تحت دولة الإسلام.

وبعد أن نذكر أن التربية لا تقتصر على التحصيل العلمي وأنها تهدف ليكون للعضو في الجماعة «مجموع» طيب من شعب الإيمان والكفاءات والخبرة والغناء نعطي أسماء كتب لتكون مرجعا ودليلا عاما.

1- القرآن الكريم:

الحفظ والتجويد والتفسير. اقرأ آداب القرآن في كتاب «التبيان» للنووي. من التفاسير: تفسير ابن كثير -«أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي- «في ظلال القرآن» لسيد قطب.

2- الحديث:

البخاري ومسلم وكتب السنن -رياض الصالحين كرفيق. مع التفاسير المعتبرة خاصة «فتح الباري». الأربعون النووية حد أدنى للحفظ والتحصيل.

3- فقه العقيدة:

«كبرى اليقينيات الكونية» للدكتور سعيد رمضان البوطي -شرح العقيدة الطحاوية- شرح العقيدة الواسطية.

4- فقه العبادات:

لا اعتراض على فقه المذاهب المعتمدة. لكن فيما يرجع للعبادات وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» نفضل أن يكون للمؤمن علم بأدلة الأحكام.

من الكتب: «فقه السنة» لسيد سابق - «نيل الأوطار» للشوكاني وهو كتاب توسع في الفقه.

5- فقه السيرة:

«فقه السيرة» للدكتور سعيد رمضان البوطي -سيرة ابن هشام مع حاشية الإمام السهيلي المسماة «الروض الأنف»- «حياة الصحابة» للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي.

6- فقه السنة:

«كتاب الأذكار» للنووي - «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية.

7- الرقائق وطب النفوس وعلم السلوك:

«قوت القلوب» لأبي طالب المكي -«الرسالة القشيرية» للإمام القشيري- «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام الغزالي -«الفتح الرباني» للشيخ عبد القادر الجيلاني- «بستان العارفين» للإمام النووي.

ما في هذه الكتب من زهادة لا تتناسب مع وقتنا ولا مع مقتضيات الجهاد لا ينقص من قيمتها التربوية. ولنحن أحوج إلى من يشوقنا إلى الله منا إلى من يبدد طاقاتنا في السطوح والخلافات.

ولمن يقلد قل: مضى السلف الصالح على اعتبار رجال الرسالة القشيرية نموذجا لصالحي هذه الأمة. ولا نجد في كتابات محدث فقيه مجتهد كابن تيمية

رحمه الله إلا تبجيلا لهم. هذا الفقيه المجتهد أثنى على الشيخ عبد القادر ثناء كثيرا، واعتبره من «مشايخ أهل الاستقامة» ومن «أئمة المسلمين» وسماه ابن القيم «الشيخ العارف القدوة». وكان ابن تيمية رحمه الله يقرأ «قوت القلوب» المرة بعد الأخرى، وأثنى على أبي طالب ثناء حسنا، واستصوب عقيدته في كتاب «الإيمان».

لن تجد الطب النفسي ولا الهمة العالية مثل ما تجد عند الجيلاني وأبي طالب المكي. وقل لمن يطعن في «الإحياء» من المنتسبين للحديث أن الحافظ العراقي عمد إلى أحاديث «الإحياء» فأخرجها خدمة لهذا الكتاب القيم. واختصره الحافظ المقدسي، واختصر الاختصار الحافظ ابن رجب الحنبلي. فلا يصدنك عن معين طب القلوب هذا صاد. وما وقفت عنده من عبارات لا تفهمها فَكِلْ أمرها إلى الله، واعلم أن من يتحدث عن خفايا النفس البشرية لا بد أن يعبر بالكناية والمجاز.

8- فقه الدعوة:

رسالة الإمام البنا –كتب الشيخ المودودي– كتب د. يوسف القرضاوي –كتب الشيخ سعيد حوى– كتب الشيخ أبي الحسن الندوي.

9- تاريخ الإسلام:

«ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للشيخ أبي الحسن الندوي – «رجال الفكر والدعوة» لنفس المؤلف.

10- تراجم الرجال:

نعم المذكر والمشجع قصص سلفنا الصالح. لأن الله تعالى جعل هذه النفس البشرية تتأثر بتأمل الأمثال من جنسنا ما لا تتأثر بالوعظ المجرد، فعسى أن نقرأ سيرة رجل من الصالحين أو سيرة عالم من المجاهدين فنقول لأنفسنا نوبخها ونستنهضها: «فاتك الرجال يا خسيسة!». «صفة الصفوة» لأبي الفرج بن الجوزي – «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدري. من استطاع الصبر على حلية أبي نعيم فذاك.

11- اللغة العربية والصرف:

أخرناهما عدا وهما الآلة الضرورية لكل علم إسلامي - «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب الأصفهاني -«النحو الوافي» لعباس حسن - «الصرف» محمد خير الدين الحلواني.

فقه الواقع والاختصاص:

من إعداد القوة التي أمرنا بها أن يتعلم كل مؤمن لغة أجنبية أو لغات. وأن يقرأ من كتب علم السياسة والأيديولوجية المعاصرة ما به يستطيع أن يخاطب أهل العصر على مستوى تفكيرهم. هذا إلى جانب اختصاصه في العلم إن كان من أهل العلم، وفي المهنة أيا ما كانت حتى يبرز فيها. لا ننس أننا بحاجة لرجال الدعوة قبل قيام الدولة الإسلامية وبعده، وبحاجة لأطر الدولة ليديروا الاقتصاد والإدارة ومؤسسات الدولة وأجهزة الحكم، ليروضوها على الخضوع لأحكام الله. همّ الأمة لا يحمله الورع القاعد، لكن يحمله وينهض بمقتضياته الأقوياء بالعلم والخبرة الأمناء بخوف الله والوفاء بعهده.

عمل اليوم والليلة:

من أعمال شعب الإيمان ما يلزم المؤمن مرة في العمر كالحج. ومنها ما يلزم مرة في السنة كصوم رمضان، ومنها ما هو موقوت مضبوط كالصلاة والزكاة، ومنها ما يسنح في أوانه وبمناسبته كعيادة المريض وتشييع الجنازة، ومنها ما هو فرصة دائمة كإماطة الأذى عن الطريق، ومنها ما هو صفة نفسية مصاحبة كالحياء، ومنها ما ينبغي أن يصبح عادة راسخة كقول لا إله إلا الله.

لكن المؤمن يجب أن تكون في حياته اليومية معالم لتكون قدمه راسخة في زمن العبادة والجهاد لا في زمن العادة واللهو. هنالك أوقات المهنة والأسرة والمدرسة والشغل، فيجب ألا يمنع توقيت زمن الوظائف الدنيوية عن إقامة الصلاة في وقتها بأي ثمن، وعن الصلاة في الجماعة والمسجد

ما أمكن. فإن لم تكن جماعة ومسجد فواجب المجاهد أن يؤلف حوله المصلين في معمله وإدارته ومدرسته ويتخذوا لهم مسجدا وأذانا وإماما ودقائق وعظ ودعوة.

1- يبدأ المؤمن يومه ساعة، أو سويعة إن تكاسل ولا ينبغي له، قبل الفجر يصلي الوتر النبوي إحدى عشر ركعة. ثم يجلس للاستغفار ليكون من المستغفرين بالأسحار.

2- الجلسة بعد صلاة الصبح إلى الشروق سنة. فذاك زمن مبارك يحافظ عليه المؤمن ما أمكن تلاوة، جزءا في اليوم بين صباح ومساء وذكرا وتعلما وحفظا.

3- صلاة الضحى صلاة الأوابين.

4- السنن الرواتب، وليوتر قبل النوم من لا يقوى على القيام أو يخاف فوات الوقت. ووتر السحر أمثل.

5- ثلاث جلسات من ربع ساعة على الأقل لذكر لا إله إلا الله مع حضور القلب مع الله عز وجل.

6- الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (300 مرة على الأقل يوميا)، وتخصيص ليلة الجمعة ويومها للصلاة عليه.

7- قبل النوم توجه لله عز وجل، وحاسب نفسك، وجدد التوبة، ونم على ذكر الله وعلى أفضل العزائم، ليكون آخر عهدك باليقظة مناجاة ربك أن يفتح لك أبواب الجهاد والوصول إليه.

8- إن كنت طالبا فابذل الجهد الكافي والوقت الكافي للمذاكرة. فأول واجباتك بعد الصلاة والتلاوة والذكر وتحصيل الحد الأدنى من العلم أن تنجح في دراستك وتتفوق.

9- ساعة لأسرتك الإيمانية أو لزيارة دعوة ودراسة.

وليكن وقتك بمثابة ميزانية تنفق منها، فكن بوقتك شحيحا أن تصرفه في الغفلة وتضيعه في ما لا يغني، واعلم أن الوقت الذي تندم عليه ولات ساعة ندم، هو وقت لم تذكر فيه الله تعالى باللسان والقلب والجهاد لنصرة دينه. اقتصد في وقت نفسك ولا تضيع وقت إخوتك بالزيارات الطويلة وبقلة ضبط المواعد.

توازن التربية:

إن الخلل الذي يحدث في التربية ينتج عنه خلل في التنظيم، ومن ثم فشل الجهاد كله. فعلى قوة الرجال، عمق إيمان ومتانة خلق ودراية وقدرة على الإنجاز، يتوقف نجاح العمل.

يجب ألا تكون السمة الغالبة على جند الله زهادة بدعوى الروحانية، ولا إغراقا في الفكر، ولا تقصيرا ولا إسرافا في الحركة.

كان الإمام علي كرم الله وجهه يخاطب جنده في حروب الفتنة يقول: «يا أشباه الرجال ولا رجال!». ذلك أن عامة جنده كان من مسلمة الفتوح، ما نالوا من التربية نصيبا مما ناله الرجال حق الرجال الذين عرفهم الإمام الخليفة وعاش بينهم وجاهد.

إسلام الزهادة والهروب من المجتمع، والإسلام الفكري، والحركية على حساب التقوى والعلم ثلاثة مزالق.

شروط التربية:

التربية الإيمانية عملية على نجاحها يتوقف ميلاد المسلم إلى عالم الإيمان، ثم نشوءه فيه وتمكنه ورجولته، ولا جهاد بلا تربية، ولا يكون التنظيم إسلاميا إن لم تكن التربية إيمانية.

الشرط الأول: الصحبة والجماعة

الشرط الأول في نجاح التربية وجود صحبة وجماعة تتلقى الوارد عليها في رحاب المؤمنين المتواصين بالصبر والمرحمة. الوجه الباش، والكلمة المبشرة المشجعة، أول ما ينبغي أن يدركه الوارد من وجود مرحمة ومحبة في الأسرة التربوية حتى يحب صحبتها والسير معها.

ومحبة الواردين، بل محبة المسلمين حين ندعوهم ليردوا علينا، لا تأتي بتصنع ولا هي نفاق اجتماعي. إنما يجدها المؤمن يفرح بكل رجل هداه الله على يده.

يسمي سيد قطب رحمه الله الجماعة المصحوبة محضنا، ويسمي «عزلة شعورية» الشعور الجديد عند الوارد حين يلمس الرحمة مع المؤمنين فيكره ماضيه ويقبل على إخوته الجدد.

ولا تنجح التربية إن كان النقيب المشرف عليها مجردا عن عاطفة المرحمة أو لم يكن قدوة في تقواه وسلوكه، صحبته لا تنفع إذن.

وسنذكر إن شاء الله في شعبة الهجرة كيف يطوي الوارد المراحل بالخروج الفعلي من بيئته العادية، والانعزال في المعسكر والسياحة الدعوية، ليندمج مع البيئة الإيمانية الصالحة.

الشرط الثاني: الذكر

يقول سيدنا وابن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أوتينا الإيمان قبل القرآن، وأنتم أوتيتم القرآن قبل الإيمان فأنتم تنثرونه نثر الدقل» والدقل رديء التمر. أخرجه الحاكم وصححه. واختصرناه.

رأينا أن الإيمان يتجدد بالإكثار من قول لا إله إلا الله، فعندما تكون الصحبة صالحة، رجلا صالحا وجماعة صالحة، ويقبل الكل على ذكر الكلمة الطيبة النورانية حتى يخرجوا عن الغفلة، ينشأ جو إيماني مشع، ينشأ في الجماعة فيض

إلهي، رحمة، نور تستمد منه القلوب بعضها ببعض. فتلك هي الطاقة الإيمانية، الجذوة الأولى التي تحرك القلوب والعقول لتلقي القرآن بنية التنفيذ كما كان يقول سيد قطب رحمه الله.

النبع لا إله إلا الله، والفيض نورها، حتى يستطيع المؤمن وجماعة المؤمنين تلقي شمس القرآن، ومدد القرآن، وبركة القرآن، وحتى يستطيعوا العمل بمقتضى القرآن.

وسنرى إن شاء الله أن تحت خصلة الذكر في تصنيفها اثنتا عشرة شعبة من شعب الإيمان، أهمها الصلاة، وأعلاها قول لا إله إلا الله وقلبها القرآن تلاوة ومحبة وعملا.

رجال ذاكرون رجال مجاهدون، قوم غافلون قوم قاعدون.

الشرط الثالث: الصدق

المهمة المندوب إليها حزب الله مهمة شاقة، إنها مهمة بناء أمة، مهمة استثنائية، فنريد رجالا من نوع جيد، لهم استعداد جيد، ليصبحوا جنودا، ويكون لهم غناء في ميادين الجهاد. أعني بكلمة صدق استعداد الوارد ليتحلى بشعب الإيمان، ويندمج في الجماعة ويكون له من قوة الإرادة وطول النفس ما يمكنه من إنجاز المهمات حتى النهاية.

لا فائدة من ضرب الحديد البارد، ولا فائدة من محاولة تربية من ليس له استعداد.

وهنا يطرح سؤال: هل التنظيم الإسلامي تنظيم نخبوي أو جماهيري بلسان العصر؟

نُجيب أن جماعة المسلمين لا تتكون إلا من المهاجرين والأنصار كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن عداهم يسمون في القرآن أعرابا فلا يخاطب بالجهاد إلا من هاجر ونصر.

كذلك اليوم لا بد أن يكون الصف مكونا من عناصر قادرة على التماسك، ولا بد داخل الصف أن نميز العناصر القيادية ذات الاستعداد العالي لنضعها في مكان المسؤولية.

والجماعة بعد هذا، وبقوة تماسكها، تستطيع أن تستقطب عطف الشعب، وتستدعي سنده ودعمه، بل واجبها أن تعلم الشعب وتربيه وتعبئه. ولا تملك أن تفعل إن كان صفها ضعيفا.

صحبة وجماعة + ذكر + صدق، هذه معادلة التربية الإسلامية في خطوطها الرئيسية، شرط في المربي (بالكسر) وبيئة التربية، وشرط في تجديد الإيمان، وشرط في المربى وقابليته للجندية، وسائر الخصال العشر مع ما تضمه من شعب الإيمان تكمل الشروط وتجلو الصورة إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

التنظيـم

- ولاية المؤمنين
- الإمارة
- النظام الإماري
- قيادات التنظيم
- ملاحظات
- مسؤوليات القيادات التنظيمية
- أجهزة التنظيم
- نقيب مجلس التنفيذ
- الأجهزة
- النواظم الثلاث
- أمراض التنظيم

التنظيم

ولاية المؤمنين:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.[1]

في الآيات فقه في الفرائض، فقد كان الأنصار والمهاجرون يتوارثون في أول الهجرة وحاجة المسلمين لتضامن اقتصادي ثم نسخ الحكم.

أما فقه الآيات المحكم الذي ينير لنا مقتضيات وحدود وشروط الدخول في جماعة المسلمين فهو مفصل بكل دقة.

قال الراغب الأصفهاني: «الولاء والتوالي أن يحصل شيئان فصاعدا حصولا ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية النصرة، والولاية تولي الأمر».

فالمؤمنون حق الإيمان كما جاء في الآيات هم ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ﴾، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾.

(1) الآيات الأربع من آخر سورة الأنفال.

الولاية قرب بين المؤمنين وتناصر وأخوة ووحدة الأمر الجامع بينهم.

معنى هذا من حيث تأليف وتنظيم جماعة المسلمين، المخاطبة بالقرآن، المسؤولة عن إبطال الباطل وإحقاق الحق، عن تغيير المنكر وإحلال المعروف محله، أن المؤمنين الذين قطعوا حبال الجاهلية، وأبلوا البلاء الحسن في نصرة دين الله وإيواء القضية الإسلامية هم وحدهم دون غيرهم من أعراب المسلمين أهل الولاية والحل والعقد. ونذكر أن لكمة «أعراب» مدلولا قرآنيا تبين معانيه سورة التوبة.

لا تحسبن أن الهجرة والنصرة معنيان قاما بجماعة الصحابة ثم ذهبا، كلا! فإن معاني القرآن الكريم خالدة، فعلينا أن نبحث عن مناط حكمي الهجرة والنصرة في واقعنا الفتنوي، فإذا حددنا من هو المهاجر، وما هي الهجرة والجهاد، وحددنا ما هي النصرة والإيواء، اتضح لنا كيف ننزل تلك الأحكام على مجتمعاتنا وفئات الناس فينا.

ليست الهجرة والنصرة حركتين تاريخيتين انتهتا، المهاجر من هاجر ما حرم الله كما جاء في الحديث، والهجرة قطع لما بينك وبين ماض بعيد عن الالتزام بالجهاد، والنصرة بذل وعطاء وانتصار لقضية الإسلام.

«**لا هجرة بعد الفتح، لكن جهاد ونية**» هذا حديث شريف، ورواية البخاري: «**لا هجرة بعد فتح مكة**». معنى هذا الحديث في الآية الكريمة: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا**﴾.[1] فالجهاد في سبيل الله والهجرة إلى الله، والنصرة لدينه، أعمال مطلوبة مأجورة أساسية في الدين، في كل عصر وحين. وإنما فاز أهل السابقة في الإسلام، وأهل الغناء في الإسلام، وأصحاب الحظ من الله بالدرجة العظمى، لأن جهادهم وهجرتهم ونصرتهم كانت والإسلام محاصر محارب، وكلما وجد الإسلام في حصار، كما هو الأمر في عصرنا، فأهل السابقة والغناء والحظ من الله هم أهل

(1) سورة الحديد، 10.

الولاية، ومن لحق بالجماعة من بعد الفتح أو أثناءه -والفتح في عصرنا قيام الدولة الإسلامية- فيعمه قول الله تعالى فيما مر معنا في سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ﴾.[2]

الإمارة:

نشأت الجماعة الأولى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نشأة فطرية لم ينطرح معها مشكل تأليف الجماعة وتنظيمها. رسول من الله مؤيد بالوحي والنصر الإلهيين دعا وربى وقاد جند الله للنصر. أما في عصرنا فتأليف جماعة المسلمين القطرية ثم العالمية، شيئا فشيئا، ومرحلة مرحلة كلما تحررت أقطار الإسلام، وحيث لا توجد جماعة انبثقت عن دعوة موحدة وتربية موحدة، يقتضي تنظيم الولاية على قواعد الإمارة الشرعية.

قال الله تعالى يخاطب المؤمنين حق الإيمان وقد عرفنا من هم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[3] منكم لا من غيركم. ففريضة عازمة على المسلمين أن يقيموا الخلافة الإسلامية. وهي هدف لن نبلغه بانتظار أن تنزل الخلافة مهيأة على حد سواء على كل الأقطار، في وقت واحد. لا بد من البدء بالإمارات القطرية حتى تتحرر دار الإسلام تباعا إن شاء الله.

نبدأ تهييء الإمارة القطرية بإقامة دعوة موحدة منظمة بقيادة مجلس إماري للدعوة وأمير للدعوة القطرية. مهمة التنظيم بقيادته أن يربي جند الله، ويؤلف الصف، ويقود الجهاد حتى التحرير. ولنسم هذه الإمارة إرشادا، فنقول: مجلس إرشاد، ومرشد عام للقطر. وبعد التحرير يتم انتخاب أمير القطر ليكون مرشدا للدعوة وأميرا للدولة معا.

إن تنصيب أمير ونظام إماري من آكد الواجبات، فلا نمل من تكرار أنه لا تحرير إلا بجهاد، ولا جهاد إلا بتنظيم، ولا تنظيم إلا بنظام إمارة، ولا جدوى من التنظيم

(2) سورة الأنفال، 75.

(3) سورة النساء، 59.

إلا بتربية، وكل ذلك لا معنى له إسلاميا إلا إن روعي في كل حركاته وتفاصيله أحكام الشرع المطهر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**». رواه أبو داود بإسناد حسن عن أبي سعيد وأبي هريرة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل -في رواية من قتل- تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه**». رواه مسلم والنسائي وأحمد عن أبي هريرة.

ما العمل، والسفر لتجديد دين الله وتحرير المسلمين من الرايات العمية والعصبيات القومية وحركات التكفير والتغريب أعظم السفر؟ لا خيار إلا بين إقامة جماعة وإمارة لكيلا نموت ميتة جاهلية وبين الانصياع لمن برهنوا بقتل المسلمين وممالأة الكافرين بأنهم ليسوا منا ولسنا منهم فتكون القتلة جاهلية.

النظام الإماري:

السلم الإماري كما يلي:

1- الأمير -المرشد العام المنتخب في مرحلة القومة- هو صاحب العزم، أي اتخاذ القرار، بعد المشورة مع مجلس الإرشاد العام المنتخب أيضا. ونفضل أن يحتفظ بالأمير والمجلس ما دام كل من الأمير وأعضاء المجلس لم يتعمدوا مخالفة شرعية. ويعطي كل منهم -خاصة المرشد العام الأمير- العذر إن أخطأ عن اجتهاد. فالحاكم إن اجتهد فأخطأ له أجره عند الله، وعند المؤمنين يعذر. فإن تبين أن الخطأ عمد ومخالفة، عزل. نرجع إلى كل هذا بالتفصيل إن شاء الله في فصول عن نظام الدولة الإسلامية لاحقة.

2– نقيب مرشد ومجلس إرشاد في كل إقليم في القطر.

3– نقيب مرشد ومجلس إرشاد في كل جهة من جهات الإقليم. فإن كانت مدينة من مدن الإقليم كبيرة قسمت إلى جهات.

4– نقيب مرشد ومجلس إرشاد لكل شعبة. والشعبة لا تتعدى في معدلها عشر أسر. والأسرة عشرة أعضاء.

5– نقيب مرب يسهر على الأسرة ومجلسه أعضاء الأسرة.

قيادات التنظيم:

عند التأسيس يجتمع أهل الغناء والسابقة والحظ من الله فيختارون مجلسا للإرشاد العام، سبعة أعضاء عدد مناسب لحصر الآراء، وتعميق التآلف والتفاهم والتعاون بين كل رجال القيادة على كل مستوى.

1- مجلس الإرشاد:

مجلس الإرشاد العام يختار المرشد العام من بين أعضائه.

2- المرشد العام:

المرشد العام يؤمر النقباء والمرشدين على كل المستويات، ويتخذ كل القرارات التربوية والتنظيمية، ويرجح الأحكام الشرعية فيما فيه خلاف، ويوزع المسؤوليات، ويفوض في المهمات. كل ذلك باستشارة مجلس الإرشاد في أهم القرارات. ونرى أن للأمير أن يرجح رأي الأقلية ما لم يكن شبه إجماع وهو اتفاق ثلثي الأعضاء، فأحرى إن كان إجماع كامل، وأن يستشير من له خبرة خاصة من دون سائر أعضاء مجلس الإرشاد أو من خارج مجلس الإرشاد. ومن حقه أن يتخذ القرار في الأمور التنفيذية الجزئية العاجلة دون استشارة. وسيف العزل مصلت على رقبته إن تعسف.

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.[1] والأمر في لغة العرب هو الأمر المهم. يقال: أمر (على وزن فرح) أمره أي عظم. فللمرشد والأمير أن يستشير في بعض الأمر دون بعض. على أية حال يأثم إن ترك الشورى وبركتها. لكن المستعجلات تريد مبادرات تنفيذية. والانتظار للتشاور يفوت الفرص. واغتنامها واجب. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

روى ابن سعد عن يعقوب بن يزيد قال: «كان عمر رضي الله عنه يستشير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأمر إذا أهمه ويقول: غص غواص!» وروى أيضا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا ألب لبا ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس! ولقد رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعوه للمعضلات ثم يقول: قد جاءتك معضلة! ثم لا يجاوز قوله. وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار».

«معضلة»، و«لا يجاوز قوله»، و«إن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار» لا يشاورهم. سنة تنفيذية في حالات الاستعجال والحاجة للخبرة الخاصة التي لا يفيد أن يستشار في شأنها غير أهل العلم والحلم إلا تألفا للقلوب.

من أهم مبادئ السياسة والتنظيم أن يكون للقيادة حق المبادرة في الساعات الحاسمة. والقيادة حكمة بقدر ما هي علم.

على أن خطر استبداد فرد بالأمر -لا سيما إن أسيء اختياره أول الأمر- من أعظم الأخطار. وما يصاب المسلمون بمثل ما أصيبوا به من طغيان أصحاب الرئاسات. فزيادة على المناعة التي ينبغي أن تكون للجماعة لتعصي الأمير إذا عصى الله، وتعزله إن خرج عن الجادة، يجب أن يكون معيار اختيار الأمير حظه من الله، أي تقواه وفقهه للشرع. قبل ومع معياري القوة التنفيذية وفقه الواقع، يجب أن لا يولي المؤمنون أمرهم على كل مستوى من مستويات التنظيم إلا كل قوي أمين، كل حفيظ عليم.

(1) سورة آل عمران، 159.

3- المجالس:

أ- الأسرة مجلس لكنه مفتوح بمعرفة النقيب المربي، يتشاور مع أعضاء الأسرة ليقبل الوارد إن زكاه أعضاء الأسرة المعترف بعضويتهم للمشاركة في نشاط الأسرة. وبعد أن يبرهن الوارد على صدقه وأهليته في مدة لا تقل عن سنة، يقرر مجلس الشعبة في أمره، فيمنحه العضوية في مرتبة نصير بأغلبية سبعة أصوات. والترقية إلى مرتبة مهاجر كذلك، وإلى رتبة نقيب كذلك.

ب- مجلس الشعبة عشرة، وهم نقباء الأسر العشر التي تتكون من مجموعها الشعبة، يختارون من بينهم بأغلبية سبعة أصوات واحدا يقترحونه على أمير القطر أو من يفوض إليه ليؤمره عليه نقيبا. كما يختارون من أعضاء أسر الشعبة بنفس الأغلبية، رجلا صالحا ليكون نقيبا مربيا لأسرة جديدة، يقترحونه على المرشد العام أمير القطر أو من يفوض له ليؤمره. ويمكن للأمير ونائبه أن يرفض تأمير من اقترحه المجلس للمنصبين فيعاد اختيار آخر مكانه. نقيب الشعبة بتشاور مع مجلس الشعبة، يقدر ويقرر اشتقاق أسرة جديدة يؤلف أعضاءها من الأفراد الزائدين على عشرة في أسر الشعبة، لكن نقيب الأسرة الجديدة ومربيها يختاره مجلس الشعبة كما مر، ويؤمره الأمير القطري أو نائبه. كما أن تأسيس شعبة جديدة من عشر أسر يقدره ويقرره نقيب مجلس الجهة بمشاورة مجلس الجهة. لكن نقيب الشعبة الجديدة يختاره مجلس الشعبة الجديدة نفسه بأغلبية سبعة أصوات ويقترحونه للتأمر. وتأليف جهة جديدة يخضع لنقيب ومجلس الإقليم. وتأليف إقليم جديد يخضع للمرشد العام ومجلس الإرشاد العام. ولا يصبح النقيب نقيبا ماضي الأمر على أي مستوى إلا بتأمير المرشد العام أو نائبه المفوض له. اختيار أعضاء الأسر للعضوية واختيار النقباء المربين للأسر الجديدة من اختصاص مجلس الشعبة.

ج- مجلس الجهة سبعة أعضاء يختارهم من بينهم مجموع نقباء شعب الجهة بأغلبية ثلثي الأعضاء. شعب الجهة وجهات الإقليم وأقاليم القطر يمكن أن تتعدى العشرة فلا تحصر كما يحصر عدد أسر الشعبة لأن التربية في القاعدة تطلب اتصالا من قريب، أما الإرشاد من المستويات الأخرى فيمكن، إن كانت الاتصالات

منظمة ومتكررة على كل المستويات، مع كثرة كتائب جند الله. السبعة الأعضاء المختارون يختارون من بينهم بأغلبية أربعة أصوات واحدا منهم يقترحونه على المرشد العام ليؤمره عليهم أو يؤمره نائبه. فإن رفضه المرشد العام أو نائبه يعاد اختيار آخر. وللأمير القطري ونائبه حق رفض من يقترحونه عليه ولو مرات على كل المستويات.

د- مجلس الإقليم سبعة يختارهم من بينهم نقباء الجهات. والسبعة يختارون واحدا بأغلبية أربعة أصوات يقترحونه على الأمير أو نائبه فيؤمرانه أو يرفضانه.

هـ- مجلس التنفيذ القطري من سبعة أعضاء إلى أربعين عضوا إلى أكثر حسب اتساع دائرة العمل. يختار أعضاء مجلس التنفيذ القطري مؤتمرا يضم كل نقباء التنظيم ابتداء من نقباء الشعب. فيجتمع كل نقباء الشعب وكل نقباء الجهات وكل نقباء الأقاليم يصوتون على الأعضاء المطلوب اختيارهم. ويتم الاختيار بأغلبية ثلثي أعضاء المؤتمر. أعضاء المؤتمر التنفيذي القطري يختارون بأغلبية ثلثي عددهم رجلا يقترحونه على الأمير المرشد العام ليؤمره أو يرفضه. كل المجالس الأخرى تبقى قارة لأن مهماتها تربوية إرشادية، والتربية والإرشاد ينبنيان على التعارف والصحبة التامتين. أما المجلس القطري التنفيذي فمهماته إرشادية إدارية، فينبغي أن يجدد كل ثلاث سنوات لئلا تغلب العادة المكتبية على روح الدعوة، وليتولى التسيير عناصر شابة نشيطة، ولكي يستفاد من الخبرات والقدرات التي تظهر بين جند الله. ويمكن تجديد اختيار أعضاء المجلس مرات ما داموا صالحين حائزين على ثقة الجماعة.

و- مجلس الإرشاد العام سبعة أعضاء يختارهم عند التأسيس مؤتمر لأهل الغناء والسابقة والحظ من الله يتعارفون بينهم بأغلبية ثلثي الأصوات. ويختار السبعة واحداً منهم بأغلبية أربعة أصوات أميرا قطريا ينصبونه ويعقدون معه عقد الإمارة. أما في مراحل ما بعد التأسيس فيعقد مؤتمر عام يحضره كل نقباء المجالس ابتداء من مستوى الشعبة، أي كل نقباء الشعب، وكل نقباء الجهات

وكل نقباء الأقاليم، وكل أعضاء المجلس القطري التنفيذي، فيختارون كل أعضاء مجلس الإرشاد أو بعضهم إن حل الأمير هذا المجلس، أو مات أحد أعضاء المجلس أو استقال. واختيار الأمير بعد مرحلة التأسيس وعقب موت أو استقالة أو عزل الأمير السابق يتم كما يلي: يجتمع المؤتمر العام، مؤتمر نقباء الشعب والجهات والأقاليم وأعضاء المجلس التنفيذي، فيصوتون على رجلين صالحين يقترحهما أربعة أو أكثر من أعضاء مجلس الإرشاد اقتراحا مكتوبا، يخطه كل منهم بيده، ويشهد فيه الله والمؤمنين على صدق نصيحته، يبين فيه فضل وأهلية من يرشحهما وترجيحه لأحدهما. ويتم الاختيار متى حصل أحد المرشحين على ثلثي أصوات المؤتمر.

ملاحظات:

أ- هذا سلم إماري قطري. أما السلم الإماري عن اتحاد قطرين بعد التحرير أو أكثر إلى أن تتم الوحدة الخلافية فينظر فيه عند أوانه إن شاء الله.

ب- هذا سلم دعوة. أما التنظيم المزدوج الجامع بين مؤسسات الدولة وتنظيم الدعوة فنتحدث عنه في فصول لاحقة إن شاء الله عن المنهاج النبوي في نظام الدولة.

ج- متى حل مجلس من مجالس التنظيم أو عزل الأمير بعض أعضائه أو ماتوا أو استقالوا فيتم تعويضهم باختيار المجلس الأدنى لمن يخلف فراغ المجلس الأعلى تباعا إلى أن تملأ كل الفراغات.

مسؤوليات القيادات التنظيمية:

1- الأمير المرشد العام:

الأمير المرشد العام هو المربي الأول، يولي أو يرفض من تختاره المجالس للنقابات، ومن يختاره المؤتمر العام لعضوية المجلس التنفيذي القطري. ولا

تنعقد الإمارات على مستوى النقابة أو عضوية المجلس التنفيذي إلا إن عقدها بصك يمضيه هو أو نائبه، فإن رفض تعيين مرشح أعيد الانتخاب ولو مرات. المرشد العام ما له الحق في إقالة عضو من أعضاء مجلس الإرشاد العام. إنما له الحق أن يجمع المؤتمر العام ويقترح عليه عزل أحد أعضاء مجلس الإرشاد. فيقدم صكا يكتبه بيمينه ويشهد الله والمؤمنين على صدق نصيحته، يبين فيه أسباب اتهامه للعضو واقتراح عزله. ويعزل العضو إن صوت ضده ثلثا أعضاء المؤتمر، وليس للأمير الحق أن يقترح عزل أكثر من عضو واحد في السنة من أعضاء المجلس. وله الحق أن يحل مجلس الإرشاد العام أمام المؤتمر العام وبذلك تنحل إمارته هو نفسه ويعيد المؤتمر في جلساته حالا اختيار مجلس إرشاد عام جديد يختار بدوره مرشدا عاما. فإن حصل أن أعيد اختيار الأمير المرشد العام السابق من بين الأعضاء السبعة المختارين فليس واجبا على السبعة إعادة اختياره أميرا.

وللأمير المرشد العام أن يعزل كل نقيب أو عضو في مجلس التنفيذ القطري، أو موظف في أجهزة التنفيذ. وله أن يحل كل مجلس ما دون مجلس الإرشاد العام. وله أن يفصل عن عضوية الجماعة. وله أن يفوض لنائب عنه في هذه المهمات.

وله أن يرفض قرارات المجالس، ويتخذ هو أو نائبه المفوض العقوبات في حق الأعضاء.

وله التصرف العام في أمر الجماعة، ولو اعترض بعض أعضاء مجلس الإرشاد العام. أما إذا أجمعوا على رأي، أو أجمع أربعة منهم، فليس له الحق في مخالفتهم، لقوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر «**لو اتفقتما في مشورة ما خالفتكما**». من هذا الحديث نأخذ أن رأي ثلثي أعضاء مجلس الشورى ملزم للأمير. فإن الصديق والفاروق يمثلان ثلثي المجلس بين يدي العضو الثالث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي يتخذ القرارات التربوية والتنظيمية، ويرجح الأحكام الشرعية في الخلافات، ويوزع المسؤوليات، ويفوض في المهمات.

أما المال فيتصرف فيه الأمير في حدود ميزانية عامة يضعها بمساعدة مجلس الإرشاد العام ومجلس التنفيذ القطري، ويتبناها مجلس التنفيذ في جلسة ممتزجة مع مجلس الإرشاد برئاسة الأمير بثلثي الأصوات. على أن تعطاه صلاحيات واسعة للمهمات الطارئة والمستعجلة.

الأمير هو الذي يمضي أو يرفض خطط التربية، وبرامج الدعوة، أو يعدلها. ويعين اختصاصات الأجهزة، وينقل الموظفين والمتفرغين. ويتخذ الخط السياسي للجماعة ويفاوض عنها داخل القطر وخارجه.

إن كان التنظيم مضطهدا أو محاربا فعلى كل المؤمنين أن يقفوا مع أميرهم. فإن اقتضى نظر الجماعة أن يختفي وجب عليهم كتمان أمره.

في الحالات الخاصة من حالات الأمن أو الخوف يحق للأمير أن يصدر أمره بعزمة يعزمها على كل المؤمنين فتجب طاعته.

2- عزل الأمير المرشد العام:

كفاء للصلاحيات الواسعة التي تعطى للأمير يجب أن يعطى للجماعة –ممثلة في مجلس الإرشاد العام والمؤتمر العام، وهو مؤتمر النقباء ابتداء من مجالس الشعب، وأعضاء مجلس التنفيذ القطري– الحق في عزل الأمير. فمتى اتفق أربعة من أعضاء مجلس الإرشاد العام على تجريح الأمير بفسق ظاهر، أو شبهة في العقيدة، أو عجز في كفاءته التنفيذية، أو محاباة أو تبذير، وبعد النصيحة الواجبة له إذا لم تفد، يستدعي مجلس الإرشاد المؤتمر العام، ويقدم له أربعة صكوك فأكثر، يكتبها المجرحون بأيمانهم، ويشهدون فيها الله والمؤمنين على صدق نصيحتهم، يبينون فيها ما ينكرون على الأمير. فإن صوت ثلثا أعضاء المؤتمر العام، ويصوت معهم أعضاء مجلس الإرشاد، ضد الأمير عزل. وانتخب حالا واحد لمجلس الإرشاد ليسد فراغه ثم يختار حالا أمير جديد على الطريقة التي وصفنا في حديثنا عن مجلس الإرشاد العام ورئاسته.

فإن استقال فاستقالته تقدم لمجلس الإرشاد، ومجلس الإرشاد يقبلها أو يرفضها. فإن قبلها استدعى المؤتمر العام لاختيار أمير جديد.

وفي حالتي استقالة الأمير أو موته، يتولى مكانه أكبر أعضاء مجلس الإرشاد سنا إلى أن يتم ملء فراغه واختيار خلفه. أما إن مات واحد أو أكثر من نقباء المجالس وأعضاء المجلس التنفيذي، أو استقال، أو عزله الأمير، فيعين الأمير أو نائبه من يخلف المستقيلين والموتى والمعزولين حتى يسد الفراغ ويختار الخلف.

3- مجلس الإرشاد:

هم أهل المبادرة وشورى الأمير ووزراؤه. يفوض لأيهم شاء الإشراف على واحد أو أكثر من أجهزة التنظيم التربوية والإدارية والنقابية والإعلامية، وهم مربو الجماعة وعلماؤها. بحركتهم داخل الجماعة يشيع الإيمان. وبسداد رأيهم وبدعائهم تتم الصالحات بنعمة الله. هم القيادة إلى جانب الأمير، وهم حراس الحق الشاهدون، لا يعزل الأمير واحدا منهم لكن يحل مجلسهم فينحل عقده معهم. ما يسمى بلسان العصر قيادة جماعية لا مكان له في الإسلام، ولا معنى له في علم السياسة وممارسة السلطان. فالأمير هو صاحب الأمر والنهي في كل صغيرة وكبيرة، إلا إن أجمع مجلس الإرشاد أو أربعة من أعضائه على رأي فهو له ملزم. وباتفاق أربعة من أعضاء مجلس الإرشاد يقترح عزل الأمير على المؤتمر العام كما مر، مجلسهم أسبوعي مع الأمير، بل يومي.

4- مجلس التنفيذ القطري:

هو أكثر المجالس عددا لحاجة التنظيم إلى مجلس ينظر في مصالح المؤمنين الجارية. يجتمع هذا المجلس في جلسات عامة مرتين في السنة أو أكثر في مواعيد ولآجال ولمهمات يحددها الأمير، ويقترح هذا المجلس على الأمير ومجلسه ما يأتي من اقتراحات من القاعدة أو ما انتهى إليه رأي خبراء المجلس التنفيذي. هنا تدرس أمور الجماعة.

وهنا تنفذ. فيعهد لكل طائفة من أعضاء هذا المجلس بإدارة جهاز أو مكتب أو مهمة دائمة من أجهزة ومكاتب ومهمات الجماعة، يتفرغون لها سائر وقتهم.

ولهذا المجلس نقيب يختارونه ويؤمره الأمير كما مر. هذا النقيب ينسق، تحت إشراف أعضاء مجلس الإرشاد، كل في اختصاصه وتفويض الأمير إليه، أعمال الجماعة.

مدة العضوية في هذا المجلس ثلاث سنوات قابلة للتجديد بلا حصر ما دام مرشح الجماعة حائزا على الثقة. ويجدد انتخاب ثلث الأعضاء كل سنة، يختار المجلس نقيبه كل سنتين بأغلبية الثلثين ليؤمره المرشد العام اختيارا قابلا للتجديد.

5- مجالس النقباء:

هذه المجالس تربوية إرشادية تنفيذية. ما يأتيها من آراء ومقترحات من تحتها تناقشه، وترفعه مستوى لمستوى، حتى مجلس الإرشاد فالأمير. وما يأتيها من أوامر من فوقها تنفذه بضبط ومشاركة تامين مخلصين. مجلس التنفيذ، وأجهزته ومكاتبه، هو الواسطة بين مجالس النقباء القاعدية والقيادة ممثلة في الأمير ومجلسه الإرشادي.

6- التفرغ:

أساس العمل الدعوي الجهادي التطوع. فكل عضو في الجماعة يقوم بدعوة الناس وتعليمهم، ويساهم بكل ما في وسعه لنصرة جند الله ونصرة الله. لكن لا بد من تفرغ رجال للتربية والجهاد. فكل النقباء ابتداء من نقباء الشعب يتفرغون للدعوة. ويعطى لكل منهم أجر معلوم بلا إفراط ولا تفريط. كما يتفرغ للعمل الدعوي الجهادي كل أعضاء مجلس التنفيذ ومجلس الإرشاد والأمير. وليحذر المؤمنون أن يعطوا التفرغ لمن يقنع بأجر زهيد دون أن تكون له قوة وأمانة، ودون أن يصلح بعمله وتقواه أن يكون مثالا مربيا.

وتتخذ الجماعة موظفين من أعضائها يتفرغون حيثما دعت الضرورة. لكن ليحذر المؤمنون السقوط في الأمراض المكتبية. فتربية الرجال وتنظيمهم بحاجة إلى حد أدنى من الورق ومعالجته. لكن المتفرغين والموظفين ليس من شأنهم أن يتحكموا في مصالح الجماعة من مقعدهم البعيد عن ساحة الجهاد.

7- الاقتراح والمبادرة:

النصيحة العامة والمشاركة والبذل مطلوبة من كل المؤمنين. لكن العمل المنظم وحده يحول دون الفوضى.

كل عضو في الجماعة يقترح على أسرته أو مجلسه ما يراه صالحا من مبادرات. فالقرارات اليومية تتخذ في عين المجلس وتنفذ. والأوامر من القيادة تنفذ بالنصيحة التامة ولو كان رأي المنفذ مخالفا. أما القرارات المهمة والقضايا المعضلة فيقترح فيها كل مجلس على المجلس الذي فوقه، ويرفع كل مجلس إلى من فوقه، لاتخاذ القرار النهائي حيث الاختصاص. اختصاص المجالس والأجهزة والمكاتب وتعريف المعضل من غيره تضبطها القوانين الجزئية للتنظيم. هذه القوانين تتخذ في مجلس الإرشاد على محك الممارسة.

8- وظيفتا التربية والتعليم:

وظيفة التربية بالقدوة والمثال والتعليم هي المهمة الأولى والدائمة لكل المؤمنين، كل من مكانته الإيمانية والخلقية، مهما كان مكانه ووظيفته في التنظيم. المكان في التنظيم والوظيفة ينبغي أن يزيد المؤمنين تواضعا وحرصا على خدمة إخوتهم. فإن الله عز وجل يكره أن يرى المؤمن يتميز عن إخوته كما جاء في الحديث.

التربية بالمجالسة، والصحبة المواظبة، والاتصال، والتوجيه، والتعليم، تتم الأقرب فالأقرب. وكل نقيب مرب لمن معه من المؤمنين. لكن نقيب الشعبة لتفرغه، وبمساعدة نقباء الأسر لاتصالهم المباشر، هم المربون الأساسيون.

وكلما ارتفعت مكانة النقيب المرشد في سلم الإمارة كان اتساع مهمته واختصاص مأموريته أدعى أن يقلص من فرص مجالسته للمؤمنين وتربيتهم. وعليه أن يحرص كل الحرص على حضور مجالس الإيمان والعلم، وأن يلازم أوراده ومحاسبة نفسه، والاسترشاد بإخوته. إذ ليس معنى سمو المكان التنظيمي أن المربي والمرشد أصبحا في غنى عن تربية أنفسهما. بل إن خيار المؤمنين من لا تحدثهم أنفسهم إلا بأنهم أحوج الناس لمن ينصحهم ويدعو الله لهم.

التنظيم بدون تربية جسم بلا روح. والتنظيم الذي يصبح مسيروه جبابرة متكبرين طاغوت.

9- الترشيح والاقتراع:

لا يجوز شرعا أن يرشح أحد نفسه لمنصب، لأنه من تزكية النفس التي نهينا عنها في القرآن. ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يا عبد الرحمن بن سمرة! لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها**» رواه الشيخان.

رأينا أن مجلس الإرشاد -أربعة من أعضائه فأكثر- يرشح رجلين للإرشاد العام -بعد مرحلة التأسيس- فيصوت المؤتمر العام لاختيار أحدهما. ترشيح المؤمنين بعضهم بعضا من باب الشهادة التي تكتب عند الله ويسأل صاحبها عنها. فلذلك يربط الترشيح بذمم المؤمنين لتطرد النيات الناقصة. فكل من يرشح أحدا لإمارة أو عزل يكتب ترشيحه في صك بيمينه يشهد الله فيه على صدق نصيحته ويشهد المؤمنين، ويبين فضل وأهلية مرشحه أو مرشحيه أو سبب تجريحه له. ويحتفظ بالصك وثيقة. ولا يخف المؤمنون في الله لومة لائم. فإن الناس العاديين المجردين من معاني الإيمان السامية يتعادون عداء قاتلا لتجاوز الناس شخوصهم في التشريفات، والندب للرئاسات، أو لطعن الناس في سلوكهم.

عند انتخاب نقباء المجالس، أو أعضاء المجلس التنفيذي، أو مجلس الإرشاد، أو الأمير، يجتمع المجلس المختص، أو المؤتمر المختص، كما مر تفصيل ذلك.

ثم تقرأ ترشيحات أعضاء المجلس أو المؤتمر على الحاضرين، ويخصص لذلك وقت محدود.

ثم يبدأ الاقتراع السري وتحصى النتائج. فإن حصل النصاب المطلوب، وإلا يعاد الاقتراع حتى تتم ثلاثة أيام. فإن اختار المجلس والمؤتمر فذاك وإلا يرجح الأمير ويؤمر.

أما في انتخاب الأمير نفسه فإن مضت ثلاثة أيام دون أن يحصل نصاب الثلثين، فيرجع لمجلس الإرشاد يختارون واحدا بأغلبية أربعة أصوات.

لا يصلح نشر الترشيحات قبل انعقاد جلسات الاختيار، ولا الاقتصار على مرشح واحد لكل منصب، وإلا لما كان معنى للاختيار.

ما وجدنا في هذا الباب مستندا لتحليل نصاب الثلثين كحد أدنى للحصول على الأغلبية إلى سنة الإمام عمر رضي الله عنه حين أوصى لأهل الشورى الستة وقال لهم: «تشاوروا في أمركم. فإن كان اثنان واثنان واثنان فارجعوا في الشورى وإن كان أربعة واثنان فخذوا صنف الأكثر». وفي رواية أخرى: «وإن اجتمع رأي ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صنف عبد الرحمن واسمعوا وأطيعوا» رواه ابن سعد، كان رضي الله عنه قد أمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام فحدد بذلك زمن المداولات.

لهذا نرى أن نصاب الثلثين في كل مداولات المؤمنين سنة. كما هي سنة الرجوع إلى مرجح -الأمير أو مجلس الإرشاد- كما هي سنة ألا تمتد المداولات أكثر من ثلاثة أيام.

إن الخلاف في الرأي وفي الحكم على الأشخاص أمر «مشترك» بين الناس مسلميهم وكافريهم، وإن نصاب الثلثين بعيد المنال عادة. والذي يجعلنا هنا نحتفظ بسنة أمير المؤمنين عمر هو:

أ- أن الأمر تربية ودعوة. وعندما تجتمع الدعوة والدولة في يد واحدة وتتشعب المصالح ينظر في أغلبية أدنى فيما عدا اختيار الإمام من مداولات الشورى.

ب- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن أمرهما أن يتطاوعا وقال لهما: «**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**» رواه البخاري وأحمد وغيرهما. فبما هي دعوة وتربية فينبغي للمؤمنين في مداولاتهم أن يلزموا جانب اليسر والتنازل عن الخلاف.

وإذا كان اختلاف الأمة رحمة كما جاء في الحديث لتنويع الاجتهاد، وإعطاء الرخصة لمن لا يستطيع العزائم، ولدرء الحدود بالشبهات، فإن الخلاف على الأشخاص والنزاع على المناصب نقمة. وما ينبغي للدعاة إلا التطاوع ونبذ أسباب الخلاف.

على كل فالاعتبارات الخلقية والتربوية هذه لا تتصادم مع ضرورات التنظيم لحسم كل خلاف. فلذلك أتينا بالمسطرة.

10- الاجتماعات ومن ينظمها:

مجلس الإرشاد مستمر بحضرة الأمير. مجلس التنفيذ يجتمع لدراسة الميزانية ودراسة أحوال الجماعة مرتين في السنة على الأقل. ثم أعضاؤه بحضرة الأمير للاستشارة والتنفيذ باستمرار.

مؤتمر النقباء يجتمع كل سنة لانتخاب ثلث أعضاء مجلس التنفيذ ودراسة ما يطرحه الأمير للدراسة، ويترأسه الأمير أو نائبه.

المؤتمر العام -وهو مؤتمر كل النقباء ابتداء من الشعب بإضافة أعضاء المجلس التنفيذي ومجلس الإرشاد- يترأسه الأمير: يجتمع كل ثلاث سنوات لدراسة أحوال الدعوة ومرحلة الجهاد وخط السير. ويجتمع عند الطوارئ لاختيار الأمير وعزله أو اختيار أو عزل أعضاء مجلس الإرشاد. يمكن للأمير أن يستدعي المؤتمر العام لجلسات استثنائية.

الأمير هو الذي يتخذ قرار اجتماع مؤتمر النقباء، والمؤتمر العام، ويكلف من ينظم جلساتهما ويحدد زمانهما.

مجلس الإقليم يجتمع كل شهر على الأقل، يترأسه ويستدعيه وينظم جلساته وجدول أعماله نقيب الإقليم.

مجلس الجهة كذلك.

مجلس الشعبة يجتمع مرة في الأسبوع ما أمكن، ونقيب الشعبة هو المشرف والمنظم المربي.

مجالس الإيمان على مستوى الأسرة ثلاث مرات في الأسبوع ما أمكن، حلقات للعلم والذكر وإفطار جماعي، وليلة للقيام.

ولا تقتصر هذه الاجتماعات على الأسرة مغلقة على نفسها، بل المطلوب تزاور أعضاء الأسر، وتبادل الاتصال بينها، والاشتراك في الإفطار والقيام وفي كل أسباب التعارف والتحاب، حضرا وسفرا، وسياحة ومعسكرا، وعلى كل المستويات.

يوكّل عضو مجالس الشورى والانتخاب واتخاذ القرارات من ينوب عنه إذا كان له عذر. ويحمل النائب إلى المجلس توكيلا مكتوبا.

أجهزة التنظيم:

التنظيم جسم متحرك في ساحة الجهاد السياسي لحيازة إمامة الشعب والزحف إلى الحكم. المهمة التربوية الدعوية هي محور العمل. تربية الأعضاء والتغلغل في الشعب، وفي كل أوساط المجتمع، لإيقاظ الخاملين، وجمع طاقات المتعاطفين، وتوجيه الرأي العام لتأييد القضية الإسلامية.

فلا بد للقيادة من أجهزة لتقدير الأوضاع، ورصد الأعداء والخصوم، وحساب المعطيات السياسية في القطر وفي بلاد الإسلام وفي العالم، وتنفيذ خطة الجماعة. إلى جانب دور الأجهزة في تسيير الجماعة وتنظيمها وتربيتها. المهمة كبيرة. المهمة إقامة دولة إسلامية في أقطار الإسلام، ثم إقامة الخلافة الإسلامية في الأرض. المهمة إحياء أمة.

ما دامت أجهزة الدولة في أيدي حكام الجبر، فعلى الجماعة أن تنظم نشاط أجهزتها لتغطي حاجات التنظيم، ولتؤسس وتحرك وتوجه الوجهة الإسلامية منظمات فرعية كمنظمات الشباب، والطلاب، والرياضة، والنقابة، وكل المؤسسات الاجتماعية التي أمكن التسرب إليها. وتشكل مؤسسات التعليم هدف الدعوة الأول. فيوجه المؤمنون لوظائف التعليم، ويخصص جهد خاص لتأسيس مدارس إسلامية حرة. هذه المنظمات تدخل إليها الدعوة بالتبني، والتسرب الخفي، والإلحاق أو بالتأسيس. ويسهر عليها أعضاء الجماعة وأجهزتها.

أجهزة التنظيم مكان أسرارها، ومفصل قوتها التنفيذية. فينبغي كتم أمورها، بل إخفاء مكانها ورجالها في حالة اضطهاد المؤمنين أكثر من إخفاء الفروع.

نقيب مجلس التنفيذ:

نقيب المجلس التنفيذي هو أمير التنفيذ المسؤول عن متابعة القرارات وضبط الإنجازات.

يوزع أعضاء مجلسه تحت إشراف مجلس الإرشاد إلى لجان يعين هو رؤساءها تحت إشراف وبمشاورة عضو مجلس الإرشاد المختص.

كما يعطى لكل لجنة وكل مكتب وجهاز من أجهزته اختصاصها، ومواقيتها، ومهماتها، وأساليب الإنجاز والعمل، ووسائلهما.

ويندب للمهمات أعضاء الجماعة، ويحفظ الوثائق، ويرفع اقتراحات المجالس القاعدية، ويبلغ أوامر القيادة.

كل ذلك تحت إشراف الأمير ومجلس الإرشاد وعضو هذا المجلس المختص، وبمشاورة مع لجانه وأعضاء مجلسه.

ويتصل باستمرار بالزيارة والمكاتبة والمراقبة بالمجالس القاعدية. ويقترح على مجلس الإرشاد إنشاء مكاتب فرعية عند الضرورة أو إلحاق منظمة أو تأسيسها ويسهر على التنفيذ.

الأمير ومجلس الإرشاد وكل نقيب في عمله مسؤولون تربويون جهاديون أي سياسيون أساسا. ونقيب مجلس التنفيذ هو المسؤول الإداري. يؤدي أجور المتفرغين، ويوفر وسائل العمل، ويكتب، ويحسب، ويستثمر أموال الجماعة.

يجدد نقيب مجلس التنفيذ كل سنتين، يختاره المجلس بأغلبية ثلثي الأصوات كما مر. ويختار ممن حصلوا على خبرة في الأجهزة.

الأجهزة:

لا تستطيع الجماعة أن تؤدي مهماتها التربوية والجهادية إلا إن توفرت لها، مع إرادة المؤمنين وعزمهم على الموت في سبيل الله، وسائل عمل تنسق الجهود، وتبلغ إلى أعماق الشعب، وتكون حاضرة فعالة في حياته اليومية.

في مرحلة الزحف نحو الحكم تسعى الجماعة لإيجاد أجهزة للدعوة. وعند قيام الدولة الإسلامية تبقى مؤسسات وأجهزة الدعوة مستقلة عن مؤسسات وأجهزة الدولة ليمكن للدعوة -وهي اليد اليمنى في حياة المسلمين- أن تؤدي وظيفتها في تعاون مع اليد الأخرى، لكن من مكان التوجيه والتربية والمراقبة.

قبل قيام الدولة الإسلامية تسعى الدعوة ما وسعها، في سرية يناسبها التسرب اللطيف، أو اغتناما للحريات العامة التي يضطر الحكام أن يتنازلوا عنها للشعب، أن تصل للمدارس، والجامعات، والنقابات، والتعاونيات، والجمعيات المهنية والثقافية والنسوية، واتحادات الرياضة والشباب، وما إلى ذلك من كل المنظمات والتجمعات الموجودة فعلا. وعلى الجماعة أن تؤسس أجهزتها الموازية في كل هذه الميادين، فيكون العمل من داخل المنظمات الرسمية، والعمل من داخل الأجهزة الخاصة، سائرا في اتجاه واحد. يكون التنظيم الجهادي أصلا تتفرع عنه وتخدم أهدافه هذه المنظمات بنشاط العناصر المؤمنة المكلفة بمهمات التغلغل.

نذكر بعض الأجهزة الخاصة الضرورية لتسيير الجماعة ومساعدة عملية التغلغل، على سبيل المثال لا الحصر.

1- المسجد:

هو المؤسسة الدعوية الأولى، بيت الله منه وفيه وإليه ينطلق الجهاد ويخطط ويأوى. وينبغي في الأقطار التي يهيمن الحكام على مساجدها أن يكون المطلب الأول للدعاة تحرير المساجد من الإسلام الرسمي وهو إسلام الحكام، ومن إسلام الرسوم وهو الإسلام الخامل.

في الوضع المستقيم يكون نقيب الشعبة خطيب مسجد القرية والحي وإمامه، ويكون نقيب الجهة خطيب وإمام جامع الجهة، ويكون نقيب الإقليم خطيب وإمام الجامع الأكبر.

يكون بناء المساجد وتعميمها وعمارتها من أهم وسائل تربية الشعب. وينبغي أن يكون إلى جانب المسجد مرافق للمكتبة والدراسة والطهارة والرياضة وسكن الضيوف.

حلقات التعليم ومجالس الإيمان في المساجد جزء لا يتجزأ من برامج تربية المؤمنين. يجلسون إلى جانب الشعب ويربطون الصلات ويوثقونها، ويكثرون سواد أنصار الدعوة.

2- مكتب العضوية:

مكتب مركزي وفروع له إن اقتضى الحال لضبط الطاقات البشرية الموجودة في التنظيم. على أن تكون الفروع مكتفية بالحد الأدنى من الورق لئلا يسقط التنظيم في أمراض المكتبية.

3- مكتب العلاقات:

ترتكز فيه المعلومات والمخططات، والوسائل للاتصالات في الداخل والخارج.

4- اللجنة التربوية:

لتنسيق اللقاءات، والمحاضرات، والندوات الثقافية، ووضع البرامج والكتب والدراسات، وتكوين الرجال بصفة عامة.

5- اللجنة السياسية:

لتحليل الأوضاع، وجمع المعلومات، وتسديد الخط السياسي للجماعة وإعداد برنامج الحكم الإسلامي لحل مشاكل القطر عن معرفة تامة بما يجري فيه.

6- لجنة التعليم:

تعنى بتوجيه الدعوة في صفوف الطلبة، وتنظيم تخصصاتهم في الدراسة خدمة للدعوة. وتعنى بالاتصال برجال التعليم، ودعوتهم للعمل الإسلامي. فالتعليم منبت الرجال، ويستحق عناية خاصة.

7- اللجنة الفنية والقانونية للتنسيق والتخطيط وتطوير أساليب العمل:

يرجع إليها لدراسة مشاكلنا مع الدولة، ومشاكل التنظيم، والسياسة، والمال، والتحركات، لترشد لأحسن الأساليب وأكثرها إنتاجا. وتدرب رجال الجماعة على أنواع النشاطات التربوية والحركية. وتشير باتخاذ التدابير القانونية والعملية والإدارية اللازمة، لكي تكون الدعوة على مستوى المستقبل، ولا تكتفي بالعشوائية والعفوية والتقليد في أعمالها وتنسق نشاطات الفروع.

8- لجنة الإعلام:

تكلف بتبليغ الشعب القطري والأمة المسلمة والعالم أخبار المسلمين على حقيقتها لتحارب وسائل الإعلام العدوَّة. تتخذ لذلك ما يتاح من وكالات أنباء، وصحف، ومجلات، وكتب، وإذاعات، وتلفزات.

9- اللجنة المالية:

تدير أموال الجماعة. تجمع اشتراكات الأعضاء، والتبرعات، والزكوات فتنفق هذه على مستحقيها من الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن، وتنفق الأخرى أو تستثمرها للدعوة. وتؤسس منشآت تجارية وصناعية، وتعاونيات، ومصارف

إسلامية. ويحدد نقيب المجلس التنفيذي مع اللجنة شروط صرف الأموال، وإدارة وتوقيع صكوكها، ليكون كل ذلك تحت عهدته.

10- مكتب السياحات والمعسكرات والرياضة:

ينسق تحركات أعضاء الجماعة في سياحة الدعوة ومعسكرات التربية. على أن يكون لكل شعبة خيامها ووسائل تنقلها. وهذا المكتب يؤلف الجماعات الخارجة للدعوة، ويربط الصلة من إقليم لإقليم، ليتم تعارف المؤمنين في المعسكرات. والرياضة حقل خصب للدعوة.

11- لجنة الأعمال الخيرية والإسعاف الطبي:

كثير من المسلمين المتعاطفين مع الدعوة لا يستطيعون بذل كل طاقتهم للدعوة. فبجمع ما يأتي عفوا واستدعاء من تبرعات وأموال تطوع جزئي، يمكن القيام بعمل كبير من رعاية الأيتام، وتشغيل العاطلين عن العمل، وعلاج المرضى. على أن يكون كل ذلك مفهوما كدعوة وإحسان لا كبديل عن الحكم الإسلامي وإصلاحية تنسينا التغيير الإسلامي الجذري المطلوب.

12- صندوق الزواج والحج:

الشباب المؤمن مأمور بالزواج. والتهيؤ للزواج بتوفير المال والمسكن مأمور به. كذلك الحج. وعلى الجماعة أن تؤسس أسرا دعوية بالزواج كما عليها أن تنظم صحبة الحج لتتمتن أواصر الأخوة في تلك الرحلة الركنية في الإسلام.

النواظم الثلاث:

تحدثنا عن هياكل التنظيم، وسلم إمارته، ومجالسه، وأجهزته. كل ذلك جسم التنظيم وحسه أما روحه ومعناه، فنذكرهما هنا. إن الولاية بين المؤمنين التي بدأنا بها الفصل ما هي رباط خارجي، وحركة أجسام في مجالس، وأوراق وأرقام في مكاتب وأجهزة.

الولاية قرب ونصرة وجهاد. والجهاد يقتضي سياسية قلوب المؤمنين وعقولهم وجهودهم بما يضمن لكل منهم نيل رضى الله عز وجل، ويضمن للأمة العزة بالله ورسوله، ويضمن لدين الله وكلمته الظهور على الدين كله.

إذا كان المؤمنون جواهر نفيسة كل منهم على حدة فإنهم إن انتظموا في عقد ازدادوا نفاسة. ونسمي الروابط المعنوية التي تكون روح التنظيم نواظم لقرب المبنى بين كلمة تنظيم وكلمة نواظم. فلا تنظيم إلا بنواظم.

وإن عمدنا -ومن هنا نبدأ وإليه نعود- إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمله وتربيته نجد أن تنظيمه صلى الله عليه وسلم وتربيته لم تكن ربط الرجال بروابط خارجية فقط، بل كان أصحابه جماعة عضوية، يألم بعضهم لألم بعض، وينصر بعضهم بعضا على الحق، في جادة الجهاد الطويلة الصاعدة عبر العقبة إلى الله.

قال صلى الله عليه وسلم: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسم إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» رواه الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير.

فجماعة المسلمين بناء عضوي، ظهرت في هذا الحديث الشريف خاصية من خصائصه وهي المحبة في الله والتعاون والتراحم. وفي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله خاصيتان أخريان تضافان إلى هذه، فيكتمل البناء العضوي القادر على التعاطف والتفاهم والعمل الجهادي الجماعي.

هي ثلاث نواظم: الحب في الله، والتناصح والتشاور في الله، والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر. ثلاث نواظم لا تقوم إحداها مقام الأخرى، ولا يقوى جسم إسلامي على جهاد إسلامي إلا بها.

فإن بقينا -ونحن نبقى لا نستبدل- مع الجسد كما مثل الحبيب صلى الله عليه وسلم، فيتراءى لنا أن جسم الجماعة المجاهدة يتكون من لحم ودم ومن هيكل عظمي ثم من سائر الأجهزة من مخ وعصب وما سواهما.

فالمحبة في الله في نظرنا لحم الجسد ودمه. وهو بها وحدها جسم رخو لا يقوم لجهاد. والهيكل العظمي هو التناصح والتشاور لما فيهما من صلابة في الحق تشبه صلابة العظم في الجسم. والتناصح والتشاور بلا محبة تغطي العيب، وتتجاوز عن الهفوة، قعقعة آراء، وأنانيات، وتأجيج خلاف. ثم لا يكون الجسد حيا إلا برئيس يقوده، وأجهزة تنفذ أوامر الرئيس. فالرئيس في جسد اللحم والدم والعظم العقل الآمر. والرئيس في جسم الجماعة المؤمنة العضوية الأمير ومعه سلم الإمارة بمثابة أجهزة الجسد.

الناظمة الأولى: الحب في الله

جسم الجماعة إذا لم يكن يسوده الوئام الكامل، والوحدة الوجدانية العقدية والتحاب في الله عز وجل، لا يستطيع أن يؤثر في مجتماعتنا الفتنوية الفاسدة التي يسيطر عليها الحقد الطبقي، والخلاف الحزبي، والنعرات القومية.

هذا الوئام يأتي من لين المؤمنين بعضهم لبعض وتراحمهم. قال الله تعالى يصفهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.[1]

ومن التحاب في الله واللين للمؤمنين يبدأ التأليف. قال الله تعالى يخاطب رسوله المصطفى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾.[2]

ومن التحاب في الله واللين للمؤمنين تتألف عناصر القوة الجهادية، وعناصر الدفع في وجه العدو. قال تعالى: ﴿أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾. ما قدروا على تلك الشدة إلا بوجود هذه الرحمة.

وقال عز وجل من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ

(1) سورة الفتح، 29.
(2) سورة آل عمران، 159.

اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾.[1] الذلة السهولة واللين. وجهاد الكافرين بصلابة من لا يخاف في الله لومة لائم إنما يتأتى لمن أسند ظهره لله ولإخوته في الله.

الإيمان والتقوى في القلب منبعهما، والحب في الله في القلب منبته. فتربية القلوب على محبة الله ورسوله والمؤمنين أول خيط في حبل الله المتين. وقد جعلنا حب الله ورسوله وحب المؤمنين أهم شعب الإيمان المندمجة تحت الخصلة الأولى: «الصحبة والجماعة».

فلا جماعة إلا بتحاب في الله وصحبة فيه. وإن شر ما يفرق جماعات المسلمين غفلتهم عن الله حتى ينسوه فينسيهم أنفسهم، فتقسو القلوب من ترك ذكر الله. وتتمثل هذه القسوة في تباغض المسلمين فلا جماعة ولا إيمان.

دستور الأخوة في الله وبرنامجها العملي في قول الله عز وجل، كما أخبر عنه خليله صلى الله عليه وسلم، قال: «**حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**» رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم وهو حديث صحيح عن عبادة بن الصامت.

قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**.[2] فرباط الأخوة والتحاب في الله هو الطاقة التي لا تغلب. لكن الأخوة في الله لا تعرف حدود القطر واللغة، ولا تستقيم مع الانتماءات الجزئية لجماعة من المسلمين دون جماعة. فإذا تحدثنا عن تنظيم قطري فليس ذلك لنحصر الأخوة في فئة دون فئة، لكن لنصرف الطاقات الأخوية في قنوات موجهة للمهمات المرحلية ريثما يتم تحرير أقطار الإسلام. فناظمة الأخوة في الله والحب في الله تسلك جميع المؤمنين على وجه الأرض في سلك الذين أنعم الله عليهم فأعطاهم منابر النور والمكان المغبوط عليه. تبقى الناظمتان الأخريان، تخص كتائب من جند الله دون كتائب إلى يوم الخلافة الموعود إن شاء الله.

---

(1) سورة المائدة، 54.

(2) سورة الحجرات، 10.

ألا وإن الرئاسات تذهب التقوى وتخرب الأخوة. فلين المحبة بين المؤمنين مهما كانت المكانة شرط ليكون التنظيم إسلاميا وليكون المؤمنون إخوة حقا وفعلا لا قولا وادعاءً.

قال الله تعالى يأمر رسوله ويأمرنا بعد أن ذكر منته عليه: ﴿**فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾.[3]

عند الانتقال من الناظمة الأخوية إلى الناظمة الشورية لا بد من إلحاح أخير على تغليب المحبة وتسبيقها. اعف عنهم حتى يأنسوا بعطفك، واستغفر لهم حتى يعلموا أنك تحمل همهم أمام الله، ثم بعد ذلك شاورهم لتكون شوراكم تفاهما أخويا لا جدلا ومواجهة بين الآراء الجافة. الأمير والمأمور سواسية في الحاجة لمن يحب ويعفو ويستغفر، وفي الحاجة لمن ينصح ويشير.

الناظمة الثانية: النصيحة والشورى

في الصحيح «**الدين النصيحة**». قال الله تعالى يصف المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾.[4]

أمر الأمة اليوم بين أيدي حكام الجبر. وهؤلاء يحكمون استبدادا وتعسفا وظلما وأثرة. فلا يمكن أن يحل جند الله مشاكل الأمة في الحكم والاقتصاد وسائر الميادين بإحلال استبداد مكان استبداد وظلم مكان ظلم. فمن بدء تنظيم الدعوة، يجب أن يكون الأمر شورى بين المؤمنين، طاعة لله عز وجل، واستعدادا ليوم يتسلم فيه المؤمنون مقاليد الحكم، ويتحدون الجاهليين الذين يحملون شعار الديمقراطية بما تحمله هذه الكلمة الجوفاء من معاني النبل والعدل في خيال الناس.

الحضارة الأخوية ومجتمع الرحمة المنشودان عمادهما، على صعيد القلب حب الله ورسوله والمؤمنين، وعمادهما على صعيد الفكر والفهم والرأي والسياسة الشورى.

(3) سورة آل عمران، 159.

(4) سورة الشورى، 38.

كان أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم تأليف جماعة المؤمنين من المهاجرين والأنصار أن آخى بينهم. عقد الأخوة الثنائية عقد خاص لصحبة خاصة داخل العقد الأخوي العام. ويمن الله تعالى على نبيه فيقول له: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.[1] لكن هذه الألفة القلبية، وهذه المحبة الأخوية، عنصر واحد من عناصر الجمع الثلاث. وما حققه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام من جلائل الأعمال الجهادية ما كان ليتم لو بقي الأمر عند الألفة والمحبة، بل كان المربي المعصوم صلى الله عليه وسلم معا الصاحب المحبوب والقائد المطاع، وكان بين المحبة والطاعة مجال فسيح للتفاهم الفكري وتبادل الرأي والتشاور.

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم﴾.[2] كانوا مع المعصوم صلى الله عليه وسلم معية محبة وطاعة واتباع. ورغم النبوة والعصمة كان يستشير، ويرجع للرأي السديد كما فعل صلى الله عليه وسلم عندما سأله الخباب بن المنذر عن منزله الأول ببدر. وكان صلى الله عليه وسلم ينهى أصحابه وينهانا أن نكون إمَّعة نتبع الناس اهتدوا أم ضلوا. فنحن مع غياب النبوة والعصمة أحوج أن يفهم كل منا، داخل التنظيم، لم وكيف ومتى وماذا عن تشاور وتراض، لئلا يكون إمعة تابعا. والإمعة التابع لا غناء فيه للجهاد. بل الغناء لمن يلتزم بمهمات ينفذها بصدق ونصيحة ولو كان مخالفا لرأي الجماعة وقيادتها. بعد أن شارك في الشورى من مكانه في التنظيم، وعلى مستوى مهمته.

الناظمة الثالثة التي سنتحدث عنها بعد حين إن شاء الله هي الطاعة وواسطة النواظم هي الشورى بين المحبة والطاعة. والجمع بين هذه النواظم العاطفية الفكرية العملية من أعوص الأمور. تطرح للنقاش مشكلة والأفهام متفاوتة والتجارب مختلفة. فتحتد الآراء وتتنابذ الأفكار فتتهدد المحبة، ويطل حب

(1) سورة الأنفال، 62-63.

(2) سورة الفتح ، 29.

الرئاسة والانتصار للرأي على النفوس. فذلك حين تكون الشدة امتلاكَ النفس عند الغضب. ثم يعزم القرار، ويطلب إليك أن ترجع للرأي الغالب فتمتنع النفس. فذلك حين اقتحام عقبة الهوى.

فنرى هنا بوضوح تداخل التربية مع التنظيم في الإسلام. الإيمان يطلب إلي أن أُحاج أخي مهما كانت وجهات النظر متباينة، ومهما كان النقاش والخلاف عميقين، دون أن أحقد، بل دون أن ينقص من حبي وتقديري لأخي. هذا لا يأتي إلا بتربية الإيمان حتى تصبح أعمالي في الصلاة وخارج الصلاة عبادة أتقرب بها إلى الله لا أغفل عن ذكره. ثم يطلب إليَّ الإيمان أن أطيع الأمير وأنا أرى أن وجهة نظري أحق. وهذا أيضا لا يأتي إلا بتربية تشعرني أن طاعة أولي الأمر منا من طاعة الله ورسوله.

آداب المشورة:

مراعاة الآداب الشرعية عند إسداء النصح وعند المشورة تعصم من الانزلاق في الجدل، ومن إثارة النعرة النفسية التي تتعلق بلف الكلام والدوران لئلا أعترف بهزيمتي أمامك.

تبدأ المشورة بذكر الله بآيات من كتابه ليشعر الجمع أن المجلس مجلس علم وحلم، تنتهي فيه حريتي لنقد إخوتي عند الحد الفاصل بين التعديل والتجريح الشرعيين وبين الحملة الشخصية والجدل.

أستمع بالصبر التام لما عند إخوتي، لكن في حدود الوقت، وبإمرة من له الإمرة لإدارة النقاش.

ثم أساهم بما عندي باللطف اللازم، جاعلا نصب عيني أن الهدف هو اتخاذ قرار جماعي لا الانتصار الجدلي. فقدرتي أنا على الخطابة والمحاجة قصد الظهور لا وزن لها بالنسبة لقدرة الجماعة على اتخاذ قرار وتنفيذه.

وأحضر المجلس وقد جمعت معلومات مضبوطة كافية لئلا يدور المجلس في الخواء اللفظي.

وأتبع الخطوات التالية مع الجماعة:

1- ما هي المشكلة وما هو مطلوب الجماعة؟

2- ما هي القوى التي ضد والتي مع؟ وما الصعوبات المادية والتنظيمية؟

3- ما هي الحلول الممكنة، وما محاسنها ومساوئها؟

4- مناقشة واسعة لما يمكن أن ينتج عن كل حل.

5- اتخاذ القرار بالأغلبية التنظيمية إن كانت وبترجيح الأمير في المشورات العادية.

6- وضع خطة التنفيذ وتوزيع المسؤوليات وتوقيها بالضبط.

7- تعيين خطة لمتابعة النتائج وتقويمها.

وينبغي ألا تعتمد شكليات النقاش عندما يكون المجلس من سبعة وعشرة أشخاص فإن ذلك يلهب النفوس ولا يفيد. أما إذا كان المجلس كثيرا فالمطلوب إلى أمير الجلسة أن يضبط النقاش، ويوجهه، ويوقف من يخلط، ويطور النقاش، ويلخص المراحل، ويسرع بها. وهي خبرة وعلم لا غنى لنا عنهما. تسيير مجلس الشورى مكمل أساسي للشورى.

الجو العام للنقاش ينبغي أن يكون أخويا جادا لكن في غير تجهم. فالجو العسكري في مجالس الشورى لا ينتج.

مع الجد ومن قبله ينبغي أن تغلب المودة والتسامح والتراضي، بشرط ألا تتميع الأمور، وتسقط في الفوضى واختلاط الرأي.

ولنحذر هنا من التبذل، وهو الإسفاف والمزاح البارد، أشد مما نحذر منه عادة. فإن جو المجاملات وتبادل الفكاهات، جو قاتل لا يليق تربية ولا خلقا ولا تنظيما بجند الله المجاهدين. لنقل إن الصيغة المثلى في كلمتين: «صرامة أخوية».

الضابط العام في المشورات هو أن تكون دينا أي نصيحة لله، ولرسوله وللمؤمنين. وعلى كل مؤمن أن يوطن نفسه لينتقد بصراحة وحزم، وأن يوطنها على تقبل النقد، وأن يوطنها على السكوت والاعتراف بالخطأ، وأن يعودها داخل المجلس وخارجه أن تحاسب وتؤدب. وأن يكون هينا لينا ذليلا -أي سهلا- على إخوته إن نصحوه. ويقول كلمة الحق كما يراها في غير عنف لكن بصدق لا يخاف في الله لومة لائم.

المشورة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لكن المشورة النافعة هي التي تنتهي فكريا وعاطفيا بعد التصويت واتخاذ القرار، فينصرف كل إلى مهمته. لا التي تترك أصداء الغل والحزازات، نعوذ بالله.

الميزان الشرعي للمشورة:

إذا كان نص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واضحا في الأذهان مقبولا في النفوس قطعي الدلالة عند كل أفراد الجماعة فلا مجال للتشاور.

موضوع الشورى عند الجماعة المنظمة الجادة لا ينبغي مطلقا أن يستهدف الخلافيات الفقهية الجزئية التي قتلتها أجيال علمائنا رضي الله عنهم أجمعين اجتهادا ومقارنة. إنما التشاور في الأعمال الجهادية وفي الكليات الإيمانية التي تتفاوت فيها معرفة المؤمنين بالنقول، وكفاءاتهم في العقول، وإراداتهم التنفيذية.

ولكثرة دواعي الاختلاف وأسبابه، لا سيما والمؤمنون مضطهدون مهددون، والأرض السياسية والاجتماعية التي يتحركون عليها ملغومة، فإن الشورى المفتوحة لمناقشة بلا حدود تصير جدلا عقيما.

لهذا نرى مع من يرى في هذه النقطة المهمة في حياة المسلمين أن الحسم والترجيح يجب أن يكون لأمير المجلس إن كان للمجلس حق التقرير، ولأمير القطر على كل حال، بقطع النظر عن الأقلية والأغلبية. مالم تبلغ الأغلبية ثلثي الأعضاء فيحق على الأمير أن يتبع.

ذلك أن أعمال رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيق لأمر الله له بالعزم في الأمر بعد الشورى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾.[1] العزم له ولخلفائه من بعده.

فكل أعماله وأوامره الجهادية أصلها أن يعزم هو. فكان يؤمر من يشاء، ويعزل من يشاء، ويندب من يشاء من أصحابه إلى المهمات، ويجهز الجيش، ويقوده ويصفه. وما جاءنا من استشاراته الشريفة تشريع للشورى وتطبيق، وليس تشريعا للأقلية والأغلبية. فإنه صلى الله عليه وسلم تبع الخباب بن المنذر في بدر ولم يستشر غيره، وخص بمشورته الدائمة الخيرين أبا بكر وعمر دون غيرهما، وعمل برأي أبي بكر في أسرى بدر ولم يعمل برأي عمر، لا لأقلية وأغلبية بل ترجيحا منه صلى الله عليه وسلم لرأي صاحبه الصديق.

فالشورى في ميزان الشريعة مرحلة للتفاهم ضرورية لكنها وحدها لا تفضي إلى تنفيذ إن لم يكن القرار القابل للتنفيذ والطاعة الملزمة.

نعم هناك خطر استبداد الأمير، وخطر التعرض للخطأ إن لم تستفد الجماعة من آراء كل المؤمنين، وخطر أن يصبح المؤمنون إمعة وقطيعا يساق إن كانت مشاركتهم في الشورى صورية. لهذا كانت المسؤولية في التنظيم أساسية. فكل نقيب وأمير ومسؤول عن العمل يتشاور مع من يليه تربية وسياسة للقلوب والعقول والجهود. فمتى لم يحسن إشراك المؤمنين وسياستهم عزل. والأمير العام نفسه يعزل إن أساء إشراك المؤمنين في الأمر وسياستهم، فيرجع الأمر إلى ذمة المؤمن الفرد الذي لا يطيع في معصية، ولا يقر على منكر. يسمع ويطيع بعد أن يبذل النصح والرأي، لكن يقف وقفة صلبة إن قررت الجماعة عزل الأمير.

الاستخارة:

أدوى الداء المتربص بجماعة جند الله الغفلة عن الله. لهذا كتب عمر إلى جنده الذين طلبوا عونا: «إن أهم أمركم عندي الصلاة!». فنحن بين يدي الله

(1) سورة آل عمران، 159.

عز وجل قبل المشورة وأثناءها وبعدها. فلكيلا يكون عملنا مصالح نتداولها بيننا، ولكيلا يكون جهادنا علاقات أفقية أرضية، نذكر الله عند الشورى نستخيره. وقد كان الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه دعاء الاستخارة كما يعلمهم آية من كتاب الله تعالى. وهو القائل صلى الله عليه وسلم: «**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد**» وهو حديث حسن رواه الطبراني عن أنس. فجمع بين الاستخارة، وهي تعلق بالله واعتماد عليه، وبين الاستشارة، وهي استعانة بإخوته، وبين الاقتصاد وهو تدبير للمعاش.

معرفة المتشاورين بالموضوع، وتقليبهم للمشكلات، وتعميقهم للنظرة على أساس مقارنة الآراء وإحضار ذوي الخبرة والتجربة، لا تغني شيئا إن لم يصحب كل خطوة من خطوات جند الله نصر الله. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.[2] فسبق نصر الله، وهو مدد آت منه سبحانه، قبل المدد المتمثل في المؤمنين. فقبل ومع وبعد اتخاذ أسباب الشورى والتدبير والتنفيذ، يبقى جند الله متوجهين لجانب العليم الخبير العزيز المقتدر، يستخيرونه، ويستنصرونه، ويبكون على بابه.

النصيحة الخاصة والعامة:

عند البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن تميم الداري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: «لمن يا رسول الله؟» قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

ما تأخر المسلمون إلا لخمول ذمة المسلم وسكوته عن كلمة الحق أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ونصحا خاصا وعاما. لن نتعرض هنا للعوامل التاريخية التي أدت بالمجتمع الإسلامي إلى أن سادته الذهنية الرعوية، ذهنية مستقيلة من مهامها، متنازلة عن حريتها فليس هنا مكان التحليل التاريخي.

---

(2) سورة الأنفال، 62.

ما أنزل الله عز وجل من أحكام وأوامر ثابت في الكتاب والسنة غائب عن واقع المسلمين. لماذا؟

المسلمون سكتوا عن الفتنة والظلم قرونا. لماذا؟

المسلمون خضعوا لحكام الجبر والإلحاد ولتبعية هؤلاء للجاهلية. لماذا؟

الدين خضوع لله عز وجل ينافي حاكمية غيره. والدين النصيحة -وليس النصيحة هنا إسداء النصح الجزئي بل هي الموقف الواضح تجاه الحاكم والمحكوم- أمراً بالمعروف ونهيا عن المنكر. فما ابتعد واقعنا عن الإسلام، وما سكت المسلمون عن الظلم، وما خضعوا واستخذوا، إلا لخراب الدين في الذمم. لم يعد وجود للمؤمن الذي يصدع بالحق، ويقاتل الباطل، ويحرك التاريخ.

الشعب من حولنا خامل، أوهموه قرونا أنه رعية كالقطيع ترعى، ولا حق لها في الرأي ولا في شيء من أمرها.

كلمات رفض، وثورة، ونضال، وشجاعة الموقف السياسي مشحونة بتوتر العصر وتوجه الإنسان المحروم المستضعف إلى طلب العدل والكرامة. فعندما نستعمل كلمة نصيحة كمفهوم منهاجي إنما نقصد التعبير عن حياة الإيمان والغيرة الإيمانية التي تحيي العناصر المجاهدة مقابل ما تحيي معاني تلك الكلمات العناصر المناضلة من غيرنا.

أمام جماعة المسلمين المجاهدة قوى حية بالحقد الطبقي، منظمة بالانضباط اليساري، موجهة بالإديولوجية المسيطرة على العقول. وفي مواجهة المسلمين عدو جاهلي يلعب بالدمى التي تحكم المسلمين. وللدمى نفسها كيد وكذب على الإسلام والمسلمين.

والشعب رعية كما أوهموه، خامل إلا حيث نبت الحقد الحزبي، إذ عجزنا عن تفجير الغضب لله.

ولا نقدر على مواجهة العدو وتهييء مستقبل القومة الإسلامية بعناصر فاترة قليلة المشاركة تسمع وتطيع، دون أن تكون على بينة من أمرها.

الدين النصيحة لله بقيام الجماعة والفرد على حدوده، حراسة يقظة متوثبة. الدين النصيحة لرسوله بالحرص الشديد على اتباعه في الكليات والجزئيات، كليات إقامة الحكم الإسلامي وإحياء الأمة بالإيمان، وجزئيات الفقه والعبادة. الدين النصيحة لأئمة المسلمين بدءا بإقامة أولي الأمر منا لا من غيرنا من المنافقين والملحدين. الدين النصيحة لعامة المسلمين بتحريضهم على الإيمان وإيقاظ الذهنية الرعوية لتصبح همة قادرة على قلع جذور الظلم وبناء مجتمع الأخوة والعدل.

الشورى في مجالس مغلقة، وبمسطرة مسبقة، سرعان ما تغلب عليها العادة فيخمل ما نريده أن يكون هو اليقظة بعينها، تسري من مؤمن إلى مؤمن، حتى تعم الأمة كلها، إن لم نوسع الشورى في النصيحة خاصة وعامة.

نعم هنالك أسرار لازمة في كل تنظيم لا مجال لبثها ونشرها. لكن المطلوب إلى كل عضو في الجماعة أن يهتم بأمر المسلمين وبأمر جماعته ويشارك، ويقترح، وينتقد، من موقعه وخبرته واختصاصه وعمومه.

أمرنا ألا نكون إمعة، فينبغي أن نربي في المؤمن القدرة على الصدع برأيه. في المؤتمرات العامة ومجالس شورى التنظيم يطلب إلى القادرين على الحضور الملاحظة والاستفادة. ويعد أعضاء المجالس والمؤتمرات مشاركتهم باستنصاح إخوتهم من حولهم قبل الحضور، تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ولقول رسوله: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**».

وهنا بعد أن ذكرنا ما يوردنا الهلكة بالسكوت والخمول القطيعي نذكر ما يجب أن نخلص منه ونتخلص من الثرثرة السطحية التي تأكل أوقات الناس.

التشتت في القيل والقال يغفل عن الله، ويبعد عنه، ويضعف الإيمان. والنصيحة في اللغة تحمل معنى الوضوح ومعنى الربط. فما نصح لنفسه ولا لله ولرسوله وللمسلمين من يشكك في قرارات القيادة، يجتر خلافه في الرأي مع غيره. ولا

نصح من لا يؤثر الصمت في مكانه على الكلام في غير موضوعه. ولا نصح من احترف النقد لأجل النقد.

في قاعدة التنظيم على مستوى المؤمن والأسرة والشعبة والجهة والإقليم يطلب نشاط متحفز واهتمام متوثب. لكن النشاط غير الفوضى. فمتى جاء من أعلى استشارة لزم أن ندلي بما عندنا من رأي، لكن إن جاء أمر فالواجب أن نبذل ما عندنا من غناء في التنفيذ.

الناظمة الثالثة: الطاعة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.[1] أولوا الأمر منا من رضينا دينهم وأمانتهم وقوتهم على الجهاد، ثم اخترناهم على ملأ من الأمة. فعند ذاك تكون طاعتهم في غير معصية لأمر الله وسنة رسوله مشتقة من طاعة الله ورسوله. وبعد الآية السابقة يقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.[2] فمع وجود أولي الأمر منا المرضيين يمكن أن يحصل نزاع لاختلاف الرأي. أمرنا عندئذ أن نرد الأمر إلى الله ورسوله.

القوة التنفيذية لكل جماعة هي قدرتها أفرادا وفئات على اتخاذ القرار والطاعة للقيادة المقررة. في عهد الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين كان الإمام متمسكا بالعروة الوثقى، وكانت الطاعة. فحدث ما يسميه المؤرخون معجزة تاريخية. ثم اعوج ولاة الأمر عن الجادة شيئا فشيئا، واستغلوا الأمر القرآني الصارم بطاعة أولي الأمر منا، فغلبت الطاعة العمياء على حق النصيحة وحق الاعتراض على القيادة، وأنستهما. وبذلك تمكنت الذهنية الرعوية والخمول إلا في صف بعض علمائنا الذين ميزوا في تاريخ مبكر –من عهد الإمامين حسين بن علي وعبد الله بن الزبير– من هم أولو الأمر منا ومن هم من غيرنا.

(1) سورة النساء، 59.
(2) سورة النساء، 59.

يتعارض واجب الطاعة مع واجب النصيحة والشورى. فإما تميل كفة القهر السلطاني، فينفرد بالأمر فرد أو زمرة تلعب بالأمة. وإما تميل كفة الشغب، فتصبح النصيحة فوضى والشورى انحلالا.

قصم ظهر المسلمين التمويه عليهم بأحاديث السمع والطاعة ولزوم الجماعة، يقدمها أولو الأمر العاضين الجبريين ومن يخدمهم من علماء القصور أو من ديدان القراء علماء السوء على أنها الكلمة الأولى والأخيرة، وعلى أنهم منا. لا نشك أن من بين ولاة المسلمين الوراثيين من كانوا على نصيب جيد من التقوى. ناهيك بالإمام الفذ عمر بن عبد العزيز. لكن وقوفنا عند متن الأحاديث الوقفة العلمية اللائقة بكلام من لا ينطق عن الهوى، وعند الألفاظ القرآنية المحفوظة، يكشف لنا عن الزيف من أصله. ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، «منكم» هذه تبعيضية تدل على أن ولي الأمر لا بد أن يكون جزءا بل عضوا من جسم الأمة يألم لما تألم. «منكم» نبعية، فليس منا من لم ينبع من بيننا، نكون نحن اخترناه وبايعناه واشترطنا عليه. «منكم» شورية، فليس منا من يستبد علينا ويتجر في مصيرنا.

يتعارض واجب الطاعة وواجب النصيحة والشورى، وتلعب الرئاسة بمن يلي أمرنا ونحن لم نتأكد من أنه منا عضوية ونبعا وشورى، فيصبح التنظيم أو الدولة جماعة من الخدم عند أقدام الأمير، تتلى له آيات الطاعة وأحاديثها، فيزداد طغيانا ويزداد من حوله من الخدم خنوعا حتى يعبد من دون الله.

إن التنظيم الإسلامي والدولة الإسلامية يراد أن يكونا جسما قويا قادرا على التنفيذ. والطاعة عصمة الأمر كله مع المحبة والشورى. وإن تنازعنا في شيء نرده إلى الله ورسوله. نقدر على الوقوف في وجه الأمير إن زاغ إلا إن كانت طاعتنا له تعبدا لله لا لمنصب وجاه.

متى كان أمر الله في كتابه وسنة رسوله قطعي الثبوت والدلالة، واضحا لا يحتمل وجوها فطاعة الأمير مشتقة مباشرة من طاعة الله ورسوله. وهذا في العبادات والأحكام.

فمتى كان وجهان فأكثر مما اجتهد فيه من قبلنا، وأمكن تطبيق أحدهما، وصلح أمر الأمة عليه، فللإمام حق الترجيح.

أما إن كان غير ذلك فالسياسة الشرعية أن يجتهد الحاكم -أصاب أم أخطأ- في حدود الشريعة.

يقول الإمام البنا رحمه الله ورضي عنه في القاعدة الخامسة من أصوله العشرين: «ورأي الإمام ونائبه فيما لا نص فيه وفيما يحتمل وجوها عدة وفي المصالح المرسلة معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية. وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات. والأصل في العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعاني. وفي العادات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد».

الطاعة والهيبة:

ذكرنا نصيب التنظيم من الطاعة، أما نصيب التربية منها أي ربطها بمعاني الإيمان وهي من أهم شعبه، وبالمحبة وهي كنز تهدده رياح الخلاف، فنتحدث عنه بلسان شهيدنا سيد قطب رحمه الله. نحتاج للتعبير عن المعاني الرقيقة ذلك الأسلوب المشرق. قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً﴾.[1]:

«فلا بد من امتلاء القلوب بالتوقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تستشعر توقير كل كلمة منه وكل توجيه. وهي لفتة ضرورية فلا بد للمربي من وقار، ولا بد للقائد من هيبة. وفرق بين أن يكون هو متواضعا هينا لينا وأن ينسوا هم أنه مربيهم فيدعوه دعاء بعضهم بعضا. يجب أن تبقى للمربي منزلة في نفوس من يربيهم، يرتفع بها عليهم في قرارة شعورهم، ويستحيون هم أن يتجاوزوا معها حدود التبجيل والتوقير».

ما ينبغي أن تكون علاقات الأمير بالجماعة علاقة قانونية إدارية. تقنين الطاعة وسلمها وسيلة لا غاية. الغاية رضى الله، ورضى الله في الجهاد لإعلاء

(1) سورة االنور، 63.

كلمته، والجهاد لا بد فيه من أمير ومأمور، ومقرر، ومنفذ، واجتهاد، وتشاور مع اختلاف الرأي، ثم سمع وطاعة. وليست طاعة ولي أمر المسلمين نسخة من الانضباط الثوري، بل هي عبادة من القلب، وولي الأمر محبوب مهيب معظم، موقر.

عقد الإمارة:

قد نجد من رجال الدعوة أو المقتحمين فيها من يريد من أتباعه سمعا وطاعة بلا حدود ولا شروط. ويساء استعمال كلمة بيعة فتنغلق جماعة من المسلمين على نفسها، ولا تلبث أن تضلل من خالفها وتكفر. ما نحن بصدد التعريض بأحد، إنما نحن بصدد البحث عن منهاج لتربية وتنظيم مؤمنين مسؤولين لا إمعات تابعين.

لا نستعمل كلمة بيعة، تعظيما لشأنها فهي من مفاهيم عقد الخلافة. ندخرها ليوم يجمع الله فيه شمل الأمة. لكن لا بد من عقد وعهد وميثاق. وعقد الجماعة القطرية مرحلة لا بد منها، وإقامة الخلافة واجب على المسلمين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. فمتى اجتمعت كلمة المؤمنين ذوي الغناء والسابقة والحظ من الله في قطر، وعقدوا إمارة، فحرمتها كحرمة البيعة دون أن تكونها. وما يعطيها تلك الحرمة إلا النص الصريح فيها على أنها مرحلة نحو الخلافة تسقط بإقامتها.

تعدد البيعة وتكرارها:

بايع الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعات متنوعة. فبعضهم بايع على الإسلام، وبعضهم على الإسلام والجهاد، وبعضهم بايع على الصدقة والجهاد، وبعضهم بايع على الهجرة، وبعضهم على النصرة، وبعضهم على الجهاد، وبعضهم بايع على السمع والطاعة والمحبة، وبعضهم على النصيحة، وبعضهم على الصبر، وبعضهم على الأثرة. وبايع النساء على ما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ

بِاللهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

تعددت صيغ البيعة بتعدد الظروف والأشخاص والمهمات. فلا مانع من بيعة يبايع فيها الوارد عند قبول الجماعة عضويته كنصير، ثم ثانية عند قبوله كمهاجر، ثم ثالثة عندما يستقر، ويستأنس بذمته، ويوثق بقوته وغنائه، يندمج فيها نهائيا في صف الجهاد.

ولا مانع من توكيد العقد الإماري عند العزمات والأزمات، إيقاظا للهمم وتذكيرا بالواجب.

فصول العقد:

يعطى العقد الإماري كل ما يستحقه من جدية وقداسة. فهو عهد أمام الله تعالى يلتزم بمقتضاه المبايع والمبايع له- والمبايعة عقد مبادلة بشروط يقبلها الجانبان- على الوفاء بالعقد. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾.[2] فكل عقد بين المؤمنين عقد محترم، تجاريا كان أو غيره. لكن حرمة العقود تزداد بحرمة المتعاقد عليه. فإذا كان عقد الإمارة موضوعه أشرف المواضيع فالوفاء به مما يقرب إلى الله عز وجل. واللعب به أفجر الفجور.

لهذا نود أن تكون فصول العقد واضحة، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة. وإن الله لسميع عليم. وهو القائل سبحانه لنبيه ولنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.[3] وكذلك يد الله فوق يدي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يجتمع مسلمو الأرض على رجل يختارونه لذلك المقام الأسمى، وتلك المسؤولية العظمى. وفي انتظار تلك البيعة الكاملة تكون العقود القطرية، بما هي خطوات ضرورية نحو ذلك العقد الجامع، تستمد

(1) سورة الممتحنة، 12.
(2) سورة المائدة، 1.
(3) سورة الفتح، 10.

حرمتها كاملة من كونها شعبة تصب في البيعة الخلافية المستقبلة الموعودة التي يشهدها الله وملائكته.

عندما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد الأوس والخزرج بيعة العقبة الأولى بايعهم بيعة النساء. فكان العقد ينص على واجب كل مسلم من جهة الأنصار، وعلى جزائه في الدار الآخرة من جهة النبي صلى الله عليه وسلم. روى الشيخان عن عبادة بن الصامت قال: كنا اثني عشر رجلا، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف. فمن وفي منكم فأجره على الله. ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له. ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه**». قال عبادة: فبايعناه على ذلك.

التزام بين العبد وربه ليس فيه تعاقد على جهاد. والرسول شاهد.

فلما كان من العام القابل وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، فكانت بيعة العقبة الثانية، وهي بيعة ربطت بين ذمة المؤمنين وذمة النبي الرسول بشروط واضحة. قال ابن هشام يروي عن ابن إسحاق عن كعب بن مالك: «فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق (...) قال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب. فتكلم القوم وقالوا: خذ منا لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام. ثم قال: «**أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم**» فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: «نعم! والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا. فبايعنا يا رسول الله. فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة. ورثناها كابرا عن كابر». فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله! إن بيننا وبين الرجال -يعني اليهود- حبالا وإنا قاطعوها. فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «**بل الدم الدم! والهدم الهدم! أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم**». هذه البيعة النبوية الثانية التزام متبادل:

فمن جانب الأنصار التزام بأن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم.

ومن جانبه التزام ببذل دمه: «الدم الدم!» وبيته بمن فيه: «الهدم الهدم!» دفاعا عمن أصبحوا منه وهو منهم، يحارب من حاربوا، ويسالم من سالموا.

ومرة أخرى نقف عند قوله صلى الله عليه وسلم: «**أنا منكم وأنتم مني**»، لكي لا نتوهم أن الله عز وجل يبارك ويشهد عقدا يستعبد فيه رئيس قائد عباد الله يسخرهم لهواه، يرتاح ويتعبون، ويقاتلون وهو قاعد.

هكذا بدأ جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ولغد الإسلام يجب أن يكون العقد متبادلا وواضحا ومفصل الشروط والالتزامات.

1- لا يجوز عقد إمارة قطرية جهادية سياسية إلا باجتماع جمهرة أهل القطر، أعني منهم أهل السابقة والغناء والحظ من الله. فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بويع على الجهاد يمثل ومن معه الإسلام، إذ لم يكن على وجهها مسلمون غيرهم، فإن المؤمنين الساعين لإقامة دين الله اليوم في أقطار الإسلام كثير. فإن جاز للرسول الكريم وهو المعصوم وهم وحدهم المسلمون، أن يتبايعوا من دون الناس، فما يحق لنا اليوم والمؤمنون كثير أن نتبايع إلا بشروط. فنتصور هذه الأقطار التي قسمت إليها الفتنة دار الإسلام بمثابة جزر مقطوعة الصلة عن بعضها. فإن جاز استقلال كل أهل جزيرة بأمرهم عن الجزر الأخرى لاستحالة قومة إسلامية متزامنة في كل الأقطار، فلا يجوز أن تكون في الجزيرة الواحدة جماعتان وأكثر ولا يسعى عقلاء المؤمنين وصالحوهم لتوحيد الصف وعقد إمارة يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون. عقد رسول الله صلى الله عليه

وسلم البيعة مع أصحابه وأهل الأرض من دونهم كفار. ويعقد أهل القطر المسلم اليوم في ما بينهم من دون المسلمين الناعسين والمثبطين والغافلين. لكن لا بد أن يسعوا لجمع أصلح شطر من أهل السابقة والغناء والحظ من الله، المدركين لواقع الإسلام، المستجيبين لنداء الله ووعد رسول الله بإقامة حكم الله في الأرض، المريدين لذلك، القادرين عليه. جمع أصلح شطر إن تعذرت تعبئة كل ذوي النيات الحسنة.

2- ويتم العقد على إقامة دولة إسلامية قطرية تسعى منذ قيامها لتوحيد المسلمين ودعم جهاد كل قطر حتى الخلافة.

3- ويكون كتاب الله وسنة رسوله دستور العمل، ومرجع الخلاف، باجتهاد المؤمنين جميعا، وترجيح الأمير فيما تعذر فيه الوصول إلى إجماع أو شبهه.

وبعد هذه البنود العامة التي حددت الفاعل والهدف والخط، تأتي بنود التنظيم الجهادي. نأخذها من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي رواه الشيخان والنسائي. يقول فيه: «بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان**».

4- السمع والطاعة للأمير ومن ينوب عنه مع الشورى التي لا تلزم الأمير إلا مع إجماع مجلس الإرشاد أو شبه إجماعه، وهو إجماع وتصميم ثلثي الأعضاء.

5- السمع والطاعة في العسر واليسر. فليس الجهاد في سبيل الله فسحة مريحة. ويقدح في بيعة المرء، بل يفسخها، أن يؤثر الراحة ويكثر من الاعتذار بقوله: «لا أستطيع!» نعم في حديث للبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا: فيما استطعت! فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، ولا يحق للأمير أن يكلف المؤمنين فوق طاقتهم. هنا رحمة يجب على الأمير والمؤمنين أن يفيئوا إلى ظلها عند وهج نيران العدو، وعند

شدائد العقبات، دون أن يتخذوها ذريعة للكسل والتواكل والميل إلى الاسترواح. إنها العقبة تقتحم!

6- السمع والطاعة في المنشط والمكره. تأتي ظروف كاسحة تفل العزائم ويقل المتطوع للمهمات الحاسمة. عندها يحق للأمير أن يعين رجلا أو رجالا للمهمات حتى ولو كان فيها الموت. روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب -في غزوة الخندق- وأخذتنا ريح شديدة وقر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ألا رجل يأتينا بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة!** فسكتنا، فلم يجبه منا أحد. ردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا. ثم قال: **قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم!** فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم. قال: **اذهب فأتني بخبر القوم، ولا تذعرهم علي** (لا تزعجهم). فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام (ظلام وريح وغبار) حتى أتيتهم. فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار. فوضعت سهما في كبد القوس، فأردت أن أرميه. فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ولا تذعرهم علي!** ولو رميته لأصبته. فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام». الحديث.

أرأيت السمع والطاعة في المكره ثم الدقة في تنفيذ الأوامر؟

7- المبايعة على «الأثرة علينا». وهذا بند مهم جدا. ومعنى ذلك الالتزام بالصبر ولو اعتقدت أن أولي الأمر يعاملونك بالحيف، ويفضلون غيرك عليك، ويرقون من لا يستحق إلى آخر ما تحدث به المرء نفسه. معنى ذلك أن أولي الأمر قد يخطئون، فهم بشر. فلكيلا يصبح عقد الإمارة صورة تلعب بها الرياح، نضرب لها أوتادا في نفس المؤمن الذي لا تستفزه الأهواء، ويحسن الظن قبل أن يتهم، ويغلب جانب الفتوة والبذل على جانب الشح والتنافس على الجاه والرئاسة.

8- المبايعة على ألا ننازع الأمر أهله. بند لاحِق بالبند السابق. لأن الرئاسة مما تحبه النفس ويزينه الهوى. فسرعان ما يخترع من عنده طموح مرضي -وكل طموح إلى الإمارة من أجل الإمارة مرضي بميزان الإيمان- مبررات ليسقط أولي الأمر من عين الناس فيقوم له فيهم ناموس.

9- المبايعة على عزل من ظهر كفره بواحا، أو ما يقدح في إمارته من فسق ظاهر يجرح في عدالته أو عجز في كفاءته. قال الإمام الماوردي: «فيخرج به -أي بالإمام- عن الإمامة شيئان: أحدهما جرح في عدالته والثاني نقص في بدنه -نقول نحن نقص في كفاءاته الجسمية والعقلية-. فأما الجرح في عدالته وهو الفسق فهو على ضربين: أحدهما ما تابع فيه الشهوة. والثاني ما تعلق فيه بشبهة».

ولكيلا يكون النزاع للأمير فوضى فصلنا في ما سبق مسطرة عزل الأمير.

بهذا البند الأخير تحدد شروط فسخ العقد. لأن الأمير إن فسق لم يعد منا، فأحرى إن كفر. فإن لم يعد منا فما له علينا سمع ولا طاعة. إذ الأصل أن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فمن فسق عن أمر ربه خرج تلقائيا من صفنا.

تسعة بنود علينا تنفيذها وعلى الأمير فيها وفي كل ما أوجب الله علينا أن يفي بالتزامه وهو واحد: أن يكون منا، عضوا من كياننا، نابعا من اختيارنا، يستشيرنا ولا يستبد به هواه فيستبد علينا.

شرطنا السمع والطاعة في حدودهما الشرعية. وشرطه أن يكون وأن يبقى منا له ما لنا وعليه ما علينا: «الدم الدم! والهدم الهدم!» هذا معنى أساسي في الولاية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾.[1] محبة متبادلة، نصيحة متبادلة وتشاور، نصرة متبادلة. لا جماعة إلا بأمير ولا أمير إلا بجماعة. وروح التنظيم الولاية بين المؤمنين محبة وتناصحا وطاعة.

الأمير حكَم:

قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾.[2]

في كل عمل جماعي تحدث خلافات في الرأي. وقد يكون الحسم في الخلافات الشورية فوريا ونهائيا مسألة حياة أو موت. وقد يكون التصالح بين الآراء بالحلول

(1) سورة التوبة، 71.
(2) سورة النساء، 65.

الوسطى مضيعة للحقوق وتوهينا للجماعة. فلا بد أن يعطى الأمير، وهو خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعطوف عليه لأنه من أولي الأمر منا، حق الفصل بين الخلافات، وحق ترجيح جانب على جانب، فيما يصعب فيه الإجماع أو شبهه.

تشجر مسائل خلافية، أي تختلف كما تختلف أغصان الشجرة. فإذا لم يفصل في الخلاف بالتحكيم الحاسم الفوري والنهائي انتقل الأمر من «شجر» إلى «اشتجر» إلى «تشاجر» فإذا هو خلاف عدائي، وحرب، وذهاب ريح المؤمنين.

ليس للأمير في أمور التحكيم وغيرها من العزمات أن يخالف نصا محكما من كتاب الله وسنة رسوله. لكن المؤمنين يأثمون إن لم يرجعوا في نزاعهم إلى أميرهم ليطبق فيهم قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.[1]

النصرة:

كذلك يحق للأمير على جماعة المؤمنين، وراثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصروه في عزماته وفصله في الخلاف تطبيقا لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾.[2] وقوله عز من قائل: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

بيد أن نصرة الأمير ليست كنصرة المعصوم صلى الله عليه وسلم. لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي يوحى إليه فلا سبيل لأحد أن يقدم بين يدي الله ورسوله. والأمير يجتهد فيصيب ويخطئ كما يجتهد المؤمنون ويخطئون، من كانت له منهم جميعا مؤهلات الاجتهاد وهي العلم بكتاب الله، وسنة

(1) سورة النساء، 59.
(2) سورة الأنفال، 74.
(3) سورة الأعراف، 157.

رسوله، ومقاصد الشريعة، والفهم عن الله بإتقان لغة القرآن، والاطلاع على الناسخ والمنسوخ، ثم دراية الواقع وحركة العالم، وكيد الأعداء، وحاجات الأمة، وإمكانياتها.

فبسبب الحاجة الأساسية أن تحسم الخلافات بين المؤمنين يحكم الأمير فيما شجر لئلا يستفحل الخلاف وتشب الفتنة.

وبسبب عدم عصمته وتعرضه للخطأ، يعطى فسحة فلا يضيق عليه في أحكامه وعزماته بدعوى أن ترجيحه خلاف الأولى مثلا في مذهب من المذاهب. يعطى الأمير كل حقه أن يجتهد ويخطئ ما دمنا لا نتهمه في صدقه، تطبيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

ولخطأ الحاكم في اجتهاده حدود في قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**» وقوله: «**السمع والطاعة على المرء فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**».

ففي هذه الحدود تجب على المؤمنين نصرة الأمير لتنفيذ عزماته وحكوماته. فإن لم يقبل أهل الرأي المرجوح حكومته، فعلى الجماعة أن تتضامن مع الأمير، وتفرض حكومته، تعزيزا له ونصرة وتوقيرا.

لكن قد يتعدى الأمير بهذه الحقوق الممنوحة له حده. فالرئاسة مزالق، والبشر بشر مهما كان ظاهرهم يشهد بتقواهم.

فإن اجتمع أربعة فأكثر من مجلس الإرشاد العام على اتهامه، واقترحوا كتابة مشهودة عزله، فعلى المؤمنين في الجماعة نصرة المتهمين للأمير بكل الوسائل حتى يجتمع المؤتمر العام ويصوت. فإن صوت ثلثا المؤتمر على نزعه لزم المؤمنين أن ينصروا قرار المؤتمر وسقط عنهم نصرة الأمير، بل لزمهم مقاومته إن أبى أن يتنازل.

أمراض التنظيم

الخلاف:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.[1]

يتعارض واجب الولاية بين المؤمنين التي أمرنا بها وحددت لنا شروطها مع هذا الخلاف الفطري الذي ابتلانا الله به بين أمة وأمة، وفئة وفئة، وفرد وفرد. الولاية تقتضي لم الشعث بين الآراء والإرادات والأنانيات بضبط النفس، وبخسها، وتوطيدها على التعاون مع المؤمنين والذلة لهم -أي السهولة واللين-، وتقتضي النفس الجامحة المستروحة بريح الخلاف أن ينتصر لها المرء في مواجهة أقرانه، وأن يتعصب حتى القتال.

المسلمون موزعون في دويلات جزأ إليها الاستعمار أقطار المسلمين. ولكل دويلة قومية أو قوميات وثقافة، ورثها عن الاستعمار وما قبل الاستعمار، ورواسب في الكيان النفسي والاجتماعي، تصبغ السلوك وتوجه الفكر. فعلى مستوى الدويلات الفتنوية دواع للخلاف متجذرة. ولا يخلو المؤمنون المجددون لإيمانهم، نظرا لهذه الرواسب ونظرا للخلاف الناشئ بين جماعات الدعوة المتفرعة في أقطار المسلمين، من معاناة لأمراض الخلاف من فئة من المسلمين لفئة ومن مدرسة لمدرسة ومن تنظيم لتنظيم.

هذا خلاف جماعات يصاب به القطر فلا يجد منه متخلصا، ولا له دواء، ولن يجد إن ظن المؤمنون أن الخلاف يذهب بنصرتهم المتعصبة لحركة عالمية ضد حركة. وقد أشرنا قبل إلى أن حبس الخلاف في القطر أدنى أن يخفف منه وينهيه بقطع روافده المشتجرة بتعدد الحركات العالمية.

(1) سورة هود، 118-119.

أما الخلاف داخل التنظيم الواحد الناشئ عن النقص في التربية وعن الخلل في توازن النواظم الثلاث، أعني الحب في الله والنصيحة الشورية والطاعة فلا دواء له يرجى باتخاذ تدابير تنظيمية مهما كانت دقيقة. ذلك أن الخلاف الاشتجاري المفضي لتوهين وتمزيق الجماعة نقمة تصيب العبيد إن ركبوا هواهم فركبهم الشيطان. فلا علاج إلا رحمة من الله تصيبهم بقمع الهوى، وتغليب الأخوة، والذلة على المؤمنين، وطاعة أولي الأمر، على النعرة والتصلب الغضبي.

لا مناص مع ذلك من اتخاذ تدابير نظامية لحسم الخلاف، ذكرنا أهمها وهو رد الشيء المتنازع عليه إلى الله ورسوله بقبول حكومة الأمير. وسنذكر غيرها بعد حين إن شاء الله. قال شارح العقيدة الطحاوية في طاعة أولي الأمر: «وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر وإمام الصلاة والحاكم وأمير الحرب وعامل الصدقة يطاع في مواضيع الاجتهاد. وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد. بل عليهم طاعته في ذلك وترك رأيهم لرأيه. فإن مصلحة الجماعة والائتلاف ومفسدة الفرقة والاختلاف أعظم من المسائل الجزئية».

كلما أشجر بين المؤمنين خلاف، ونشب نزاع، وهبت رياح الهوى، وماجت مظلمات بحر الأنانية، فليعلم المؤمنون أن إيمانهم نقص بمقدار ما ابتعدوا عن الأخوة واللين بينهم، وليراجعوا دستور الوفاق والوئام في قول الله عز وجل كما حكى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في، المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيئون والصديقون والشهداء**» رواه أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعي عن عبادة بن الصامت.

قبل أن نصل إلى ضرورة إلزام المرء بالطاعة، نفحص أسباب الوحشة أو الجفوة بين المؤمنين. فإن كان الخلاف على الرأي لا يتعدى مجال الرأي، ولا يتأثر بانفعالات فأمره هين. نلتمس الإجماع أو شبهه، أو ترجيح الأمير، وقد

انتهى الأمر. أما إن كان الخلاف غضبيا فننظر في الدستور الإلهي دستور الرحمة التي تغشى المؤمنين حين يحبهم الله بتحابهم وتواصلهم وتناصحهم وتزاورهم وتباذلهم وشوقهم إلى الله عز وجل يجلسهم على منابر من نور مغبوط عليها.

نسأل المتنازعين الغضبيين: هل تزاورتم؟ هل تباذلتم؟ هل تناصحتم؟ هل تجالستم؟ ويحكم هل تحاببتم حتى يحبكم الله؟ ويحكم هل ذكرتم الله، هل تذكرونه فيذكركم ويرحمكم أم نسيتموه فأنساكم ووكلكم لخلافكم وانفعالكم؟!

هو خلاف لا ينجو منه إلا من رحمهم الله كما قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[1] وهي رحمة موعودة حسب دستور الأخوة كما قال الحديث: «**حقت محبتي...**».

لا إله إلا الله:

لا إله إلا الله حين نكثر من قولها نجدد بها إيماننا، توحدنا وتذهب الخلاف. لا إله إلا الله حين نذكر بها ربنا ومصيرنا إليه توحدنا إذ تذهب عنا الغفلة عن الله. لا إله إلا الله حين تفتح لنا أبواب رحمة الله الواسعة، أبواب محبته والقرب منه، تنشلنا من مسارب الغضب والخلاف الضيقة المبعدة عن الله. لا إله إلا الله حين تضعنا في مقام العبودية لله، نقبل حاكميته ونرفض ونقهر حاكمية طاغوت الهوى والشيطان، تؤلف بيننا في وجه طواغيت الأرض من حكام الجور، وتذيب ما تصلب من عواطفنا لما التفت بعضنا إلى بعض فنسي الله ونسي الجهاد في سبيل الله. لا إله إلا الله محمد رسول الله حين تلفتنا إلى كتاب الله وسنة رسوله تمسح عن قلوبنا لأواء التعصب، وتأخذنا أخذا رفيقا بين يدي الله ورسوله، نرد إليهما أمرنا، ونقبل حكومتهما بقبول حكومة أولي الأمر منا.

هذا حق التربية والوعظ في حسم الخلاف. وحق الإجراءات التنظيمية يأتي إن شاء الله.

---

(1) سورة هود، 118.

الولاية بين المؤمنين قرب وتحاب وتناصر، والخلاف الغضبي بعد ووحشة وتخريب للأخوة المؤلفة والطاعة الجامعة. وكل مؤمن لا يملك نفسه ولا يضبطها لا يستحق عضوية الجماعة، مهما كان مجموعه في الخصال العشر وشعب الإيمان جيدا. فإن وقع ودخل مَن هذه صفته الجماعة فعبادته لهواه بالتعصب الغضبي يقدح في نصرته وهجرته وعضويته، لأن الله عز وجل بيَّن الولاية وأهليتها حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾.[2] فمن خرب الولاية بشذوذ طبعه وتعصبه للرأي خرج من الولاية، وعزلته الآية الكريمة.

عصيان أولي الأمر: أخطر الأمراض

في قصة الملأ من بني اسرائيل إذ طلبوا إلى نبيهم أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله أكثر من عبرة.

في حديث للبخاري في كتاب المغازي عن البراء رضي الله عنه قال: «ولم يجاوز معه إلا مؤمن». أي مع طالوت الملك الذي عينه لبني إسرائيل نبيهم.

فكانت طاعة الأمير الملك معيارا للإيمان وقد مر ذلك الجند بامتحانات عدة:

أ- امتحان الاستعداد لبذل النفس في سبيل الله. ولم ينجح فيه إلا قليل، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ (القصة كلها في سورة البقرة من الآية 246 إلى الآية 252).

ب- امتحان النزول عن الأنانية الفردية، وهو نزول بدونه لا يمكن جمع الجماعة. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾. ولا شك أن الاستكبار منع طائفة من الدخول في الصف.

(2) سورة الأنفال، 72.

ج- امتحان الطاعة الكلية قبل لقاء العدو، فإنه ما لم يغلب ويقهر عدو الأنانية المتمنع على الطاعة لأولي الأمر لا سبيل لغلبة العدو. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾. عصوا الأمير فانتفت عنهم قابلية الجهاد.

د- امتحان الاتكال على الله. قلة لم تشرب وهي قلة من الذين لم يعترضوا على إمارة طالوت، ولم يظنوا أنه دونهم استحقاقا لقلة ثرائه. هم قلة من الذين حدثوا أنفسهم بجهاد حين خاطبوا نبيهم في تأمير ملك عليهم. هذه القلة المنتخبة الممحصة ثلاث مرات بقي فيها من يقول كما حكى الله عز وجل: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ﴾.

وما لقي العدو واستحق نصر الله والفوز عنده بتوكله على ربه إلا أمثال داود عليه السلام، وهم الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وهم الذين قالوا عند اللقاء بثقة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال الله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾.

كان لا بد من تمحيص العناصر المريضة في الجند وفرزهم. فعندما بقي المؤمنون حق الإيمان جاءهم نصر الله. فكان الدفاع منسوبا لله وكان النصر من عنده. وما الناس في العملية إلا مجلى للمعاني المتصارعة: الكفر والإيمان. فكان لا بد أن يمثل الإيمان رجال صادقون برئت همتهم من مرض القعود (الامتحان الأول). وبرئت أنفسهم من وباء الحسد والأنانية والاستعلاء في الأرض بغير الحق (الامتحان الثاني). وبرئت جوانحهم من آفات العصيان عندما يصدر أمر للتنفيذ في الساعة الحرجة (الامتحان الثالث). وبرئت قلوبهم من مثبطات الاعتماد على غير الله (الامتحان الرابع).

تنبيه: إمارة طالوت جاءت وحيا من الله. لكن لا يقدح في إمارة من ولاه المؤمنون أمرهم وعقدوا معه عقدا شرعيا أن يكون مصدر إمارته أرضيا. فإن الله تعالى مع المحسنين، فيؤول أمر عقد عقدوه إلى قداسة أمور السماء.

صدق الله تعالى قال: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إنما الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة**» رواه الشيخان. ومعناه أن الناس عند العد مع الرخاء والعافية كثير. فإذا اقتضى الأمر أن يحملوا أعباء الجهاد كما تحمل الراحلة النجيبة من بين الحيوانات السائمة فلا تكاد تجد واحدا بالمائة.

مرض العصيان -خاصة في الساعات الحرجة- هو الطامة الكبرى. قال الله تعالى يقص نبأ غزوة أحد: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾.[2]

كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم للرماة واضحا دقيقا في تلك الغزوة الامتحانية. عند البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم فقال: «**لا تبرحوا! إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا! وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا**» وفي رواية «**وإن رأيتمونا تخطفنا الطير**».

فكان جزاء عصيان المسلمين قائدهم عندما أراهم الله ما يحبون بانكشاف العدو عند الصدمة الأولى أن كانت تلك المقتلة العظيمة المليئة بالعبر.

قال الحافظ ابن حجر: «كان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة منها تعريف المسلمين عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول ألا يبرحوا منه».

---

(1) سورة الروم، 47.
(2) سورة آل عمران، 152.

ولم يصب العقاب خاصة من عصوا، بل أصاب كافة المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.[1]

وقد جمع الله لنا سبحانه في سياق سورة آل عمران ذكر أربعة أمراض مترابطة بعضها يغذي بعضا وينتج عنه:

أ ـ الفشل

ب ـ التنازع في الأمر، وهو الخلاف الانفعالي.

ج ـ العصيان ولو بحجة أن الظروف التي صدر فيها الأمر تغيرت.

د ـ حب الدنيا وهو رأس البلاء ومعدنه.

الأمراض الفرعية:

حصل لنا أن أمراض الخلاف الانفعالي دواؤها الشورى الإيمانية العميقة الهادئة، حتى إذا قر الأمر وجبت الطاعة على ما تعاقد عليه المؤمنون عند عقد الإمارة. هذه الطاعة هي دواء آفات بل كوارث العصيان عندما تكون طاعة الأمير مشتقة من طاعة الله ورسوله لاحقة بها. ولا تكون كذلك إذا كان أمر الأمير مخالفا لأمر الله تعالى في آية محكمة مجمع على فهمها، أو حديث صحيح لا خلاف في فهمه.

أما الأصول النفسية لهذين المرضين الرئيسيين –الخلاف الانفعالي والعصيان– فقد لقيناها في قصة طالوت وأحد. ونراجعها:

أ– الكذب في دعوى الجهاد وهو مرض مقابله الصحي الصدق.

ب– الاستعلاء بغير حق وهو مرض مقابله الصحي الذلة على المؤمنين، أي التواضع لهم والنزول عن الأنانية.

ج ـ تغليب الرأي الشخصي على قرار الأمير، وهو مرض مقابله الإيماني الوفاء بالعهد والعقد.

---

(1) سورة الأنفال، 25.

د ـ الاتكال على الأسباب الظاهرة، وهو مرض مقابله التوكل على الله عز وجل، هذا مع إعطاء الأسباب حقها بإعداد ما استطعنا من قوة. وإنما الأسباب الظاهرة من وضع الله تعالى، فادعاء تخطيها رفض للعبودية المضروبة علينا وعلى كل البشر على سواء في هذا الميدان.

هـ ـ الفشل والهزيمة المعنوية، وهو مرض يحدث بغلبة الهواجس الأنانية والنفسية، ودواء ذلك ذكر الله والحضور معه في كل الأحوال.

و ـ والتنازع في الأمر وهو الخلاف الانفعالي عندما يتعدى نطاق الأفراد فيسري داؤه إلى الجماعة. ودواء ذلك الشورى السنية المنظمة.

ز ـ العصيان ودواؤه الطاعة بالمعروف.

ح ـ حب الدنيا وهو أصل البلاء، وحسمه بحب الله ورسوله والمؤمنين والجنة ولقاء الله وهو عنا راض، والنظر إلى وجهه الكريم.

عن هذه الأصول تتفرع أمراض:

أ ـ المحسوبية، فيوضع الرجال حيث لا ينبغي، وذلك خراب التنظيم.

ب ـ الارتجال ليظهر كل مقدرته الكاذبة في المحافل وعند اتخاذ القرار.

ج ـ التعصب للرأي، فيفوتنا بعدم الاعتراف بخطئنا مثوبة التوبة وفضلها: «**كل ابن آدم خطاء وأفضل الخاطئين التوابون**»[2]. وهذا التعصب هو بنفسه أصل للتنازع والفشل.

د ـ الوصاية على الناس بغير حق والاستعلاء الخبيث. فمن ديننا أن يوقر الصغير الكبير، ويرحم الكبير الصغير. لكن الكبير إذا لم يكن في قلبه رحمة بها يرقب وجه الله في رعيته، وينتظر أن تصيبه بمحبته لهم رحمة من الله كفاء حسن رعايته، يوشك أن يتحول طاغوتا يستبد.

(2) حديث مرفوع رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما.

هـ-علة الجماهيرية. عندما يكبر التنظيم وتتوسع دوائره -خاصة بعد قيام الدولة الإسلامية- تكثر دواعي الخلاف بين المؤمنين، ويتسرب إليهم عناصر وصولية تأتي معها بالأفكار المضطربة، والمطامح الخبيثة، والأهداف المتناقضة. عند ذلك يجب الاحتراز، بل قبله لكيلا تتسرب تلك العناصر ومعها تلك العلل. ذلك أن دخول معركة بناء أمة أهم من معركة مع عدو محدود في ميدان محدود. فيجب أن تتحلى القلة المؤمنة بخصال الإيمان التي تؤهلها لتختلط بالجماهير مؤثرة لا متأثرة، مقومة لا طيعة لعوامل الاعوجاج.

العناصر المريضة:

لا ينبغي للتنظيم الإسلامي أن يكون فئة مغلقة، ونخبة خارج صفوف الشعب ومن فوقه. وتتهددنا أخطار الانتهازية ودخول صفوفنا من قبل أصحاب المصالح الذين لا استعداد لهم أن يندمجوا في جماعة المسلمين، ولا أن يفيقوا من الغفلة عن الله حتى يصبح الله همهم الأول، ولا أن يبذلوا في سبيل الله ما لديهم من جهد ومال ليساهموا في إعادة بناء الأمة على أساس العدل الاجتماعي والمساواة.

الطبقية، والفساد، ورخص الذمم، هذه ظواهر النفاق دائما. ووجود المنافقين في الصف الإسلامي لا مناص منه، خاصة عندما يكبر التنظيم ويتوسع، وتقوم الدولة الإسلامية. والكتاب والسنة مليئان بتحذيرنا من المنافقين. واجبنا أن نأخذ حذرنا وعدتنا لتطهير الصف من كل منافق أبدى لنا صفحة وجهه، فتلك هي القاعدة.

على أن الصرامة في قبول الواردين في العضوية يجب أن تكون السد الأول في وجه هذه العناصر، ولنحذر من تكاثر الواردين بعد انتصار الحركة الإسلامية، فما نؤتى في صميمنا بضربة أفتك من فتح الأبواب أمام الخاص والعام من الطغام.

القائد الجبار:

المزلقة الكبرى أن يوسد الأمر إلى غير أهله، وذلك من علامات الساعة كما جاء في الحديث. ويعلم الله قصد نبيه الكريم بهذه الكلمة. لكن مما لا شك فيه أن ما يسمى في لغة العصر بعبادة الشخصية، أي تجبر القائد الأمير وتألهه، يؤذن بساعة هوي التنظيم إلى دركات الجاهلية.

سرعان ما تغلب النفس ومغريات الدنيا الأمير الذي وسد إليه الأمر وهو ليس من أهله، فيخلط ما بين شخصه ومصلحته وما بين كيان الجماعة والأمة ومصالحها، فيسبق مصلحته الدنيا، ويسيء استعمال السلطة، ويتأله على الناس. وعندها يصبح باباً لإيواء الانتهازيين المستعدين لعبادته فيرفعهم ويقدمهم، ويؤخر الصالحين. وبعدها يصبح أمر الجماعة مرتعا للاستغلال.

خطر ذلك لا حد له إن ظهر على المستوى الأعلى إلا بوجود جماعة تعاقدت من أول يوم على عزل الأمير إذا جار. وقد بينَّا وجوب وقوف كل مؤمن إلى جانب الحق، وبينا مسطرة العزل.

على أن كل ذي إمرة جزئية معرّض لأن يدعي العصمة أو بعضها، فيزعم أنه فوق النقد والنصيحة والشورى. كل ذي أمر معرض لعلل السلطة وأمراضها، خاصة عند اتساع المهام، وتضخم المسؤولية، والنمو السريع للصف.

لهذا أعطينا الأمير السلطة التامة لعزل كل عضو ظهر عواره لحسم البلاء من جذوره قبل أن تتسلل أمراض أولي الأمر وعيوبهم فتعم الأمة وتستفحل على الزمن. لا بد من حسم، وآخر الدواء الكي.

باستثناء أعضاء مجلس الإرشاد الذين لا يحق للأمير المرشد العام أن يعزلهم دون تصويت المؤتمر العام.

العقوبات:

قبل العزل والحسم والكي، يحتاج التنظيم إلى علاج دائم ليقوم ما يصلحه التقويم، ويعيد إلى الصحة ما لم يقنط منه.

الاضطرار إلى اتخاذ عقوبات في التنظيم دليل على خلل في التربية ونقص في كفاية الفرز عند اختيار الصالحين.

فلا بد من تقويم على كل المستويات دائم منتظم للناس، والإنجازات، حتى تتلافى الأخطاء البسيطة العادية، وحتى يعرف مصدر الكبيرة منها.

فما كان من الأخطاء آتيا من ارتخاء المراقبة القلبية الطارئة على المؤمنين في الغفلات، الملفتة إياهم عن ذكر الله، اتخذنا فيه ما من شأنه أن يوقظ القلب ويعيد إلى ذكائه المراقبة الوجدانية.

وما كان آتيا من عطب في النفوس والمسطرة النظامية، عالجناه بالنصيحة، وإصلاح ذات البين، وتعميم التواصي بالحق والصبر على كل المجالات.

حتى إذا استوفينا العلاج التربوي وأسبابه، آن أن نطبق أمر الله بالحكم على كل ذي آفة أن يذهب عنا بآفته، لا تصيبنا عاقبة ظلمه.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾.[1]

فمن كان لا يسوءه ما يسوءنا، ومن كان دون الجماعة إيمانا، ومن كان يأتينا بالخبال والعنت عاقبناه بما يصلح أمرنا.

ولا بد من قاض في نوازل العنت والخبال، يقضي بأحكام الشرع. فلا بد من جهاز مركزي وفروع له على مستوى الجهات.

(1) سورة آل عمران، 118.

الفصل الخامس

الخصال العشر وشعب الإيمان

- السلوك إلى الله
- شعب الإيمان
- وحدة السلوك
- الخصال العشر:

- الصحبة والجماعة
- الذكر
- الصدق
- البذل
- العلم
- العمل
- السمت الحسن
- التؤدة
- الاقتصاد
- الجهاد

الخصال العشر
وشعب الإيمان

السلوك إلى الله:

قال الله تعالى يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[1].

ذلك السبيل عقبة تقتحم. وليكون سلوكنا على ذلك السبيل، على ذلك الصراط المستقيم، سلوكا على بصيرة، واقتحاما على هدى لا على تخبط، على علم لا على ظن، على حق وسنة لا على هوى وبدعة، نحتاج لمعالم وأمارات على الطريق، نتأكد بها أننا لم نزغ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق**» رواه الحاكم عن أبي هريرة. الصُّوَى جمع صُوَّة وهي الحجارة التي تعلم بها الطريق.

فهو سلوك إذن، سير وطريق تقطع مسافاتها، وغاية يسعى إليها. ما هي طريق معبدة سهلة، بل هي طريق وعرة، عقبة. من حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي وابن سعد عن أبي البجير: «**ألا وإن عمل الجنة حزن بربوة، ألا وإن عمل النار سهل بسهوة**». وهو حديث حسنه السيوطي، يوافق في معناه ويشرح آية اقتحام العقبة. الحزْن الوعر والربوة العقبة والسهل والسهوة عكسهما.

شعب الإيمان:

والغاية الله عز وجل، والمنزل الجنة، لمن سلك طريق الإيمان، وسبقت له من الله الحسنى.

---

(1) سورة يوسف، 108.

عندما يذكر الإسلام لمن لا يعلم عن الإسلام شيئا، بل حتى عندما يتقدم في سرب الإيمان من يتقدم، يخيل للسامع والباحث والعابد والمجاهد صور شتى عن ما هو الإسلام، وعن معنى درجات الإسلام فالإيمان فالإحسان. ما هو الإسلام بالنسبة لي كفرد له مبتدأ في الزمان، ومثوى في المكان، ومكانة ووظيفة في المجتمع، وشهوات، وعقل، وطموح، وموت. ثم معنى الإسلام والإيمان والإحسان بالنسبة لسير البشرية التاريخي ولحاضر المسلمين ومستقبلهم. قد تكون الصور المتخيلة عائمة محلقة في المعاني المجردة، أو مغرقة في الجزئية لا تتجاوز الاهتمامات الفردية.

فنريد أن تكون التربية الإيمانية والتنظيم الجهادي، جامعين لكل معاني الإيمان، وحركاته، وعواطفه وعباداته، سواء ما يخص منها الفرد وما يعم الجماعة وما وراءها من العالم. وجدنا حديث شعب الإيمان ونكرره، روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الإيمان بضع وسبعون -عند البخاري بضع وستون- شعبة (زاد مسلم): أعلاها قول لا إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

هذا الحديث الشريف يضع أقدامنا على منطلق الجادة، ويضع لنا صوى ثلاثة من معالم الطريق، ثم يحصر لنا عددها في بضع وسبعين.

فنريد أن يكون سلوكنا على بصيرة واتباع، ونريد أن تكون الدعوة دعوة إلى الله، لا مجرد دعوة للإسلام أو مجرد دعوة للجهاد. فإن ذكر الغاية -وهي وجه الله تعالى- والتذكير بأن الأمر سير، وسلوك، ومراحل زمنية مداها عمر الفرد واستمرار الرسالة إلى يوم القيامة، يعطينا تصورا متحركا للإسلام، يصور لنا الإيمان مجموع علاقات بين العبد وربه وبين العبد والناس، ثم بين جماعة المؤمنين المخاطبة بالقرآن، وبين سائر بني الإنسان، تم يصور لنا معنى كل ذلك، ومعنى المبدأ والمعاد، والدنيا والآخرة.

للإسلام صوى وطريق لها معالم، والحديث عن شعب الإيمان يصور الإيمان وحركة المؤمنين في سيرهم إلى الله نهرا له شعب وروافد.

العين التي ينبع منها الإيمان، إذ هي أعلى شعبه، قول لا إله إلا الله. قولها باللسان، واعتقادها بالقلب، وتنفيذ مقتضاها وهو حاكمية الله. ثم ينحدر النهر وتصب فيه روافد سائر الشعب، فكلما كان نصيب المرء من أعمال الإيمان وعواطفه وأقواله وآدابه ومواقفه وعمله وسمته أكثر كان إيمانه أقوى.

يمثل نهر الإيمان في تجمعه وقوته الزاخرة في قلب المؤمن وجهاد الجماعة:

1- «مجموع» فضائل المؤمن، وقد جعلنا كلمة «مجموع» مفهوما نعني به أن المؤمنين يتفاوتون في الإيمان وخصال الخير، فلا ننتظر أن تعطينا التربية رجالا في نفس المستوى في كل الجوانب، ولا ننشد في إخوتنا الكمال في كل الفضائل. هنالك الاستعداد والقابلية اللذان أودعهما الله تعالى في فطرة كل منا، وهناك القدرة على الكسب، على التعلم والعمل وبذل الجهد، إلى كل ما هنالك.

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متفاضلين باعتبار «المجموع»، فما أجمعت عليه الأمة من تفضيل بعضهم على بعض استنادا لتفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم لا يدل على أن الفاضل فاضل في كل خصال الإيمان، بل يدل على أن مجموعه الإيماني في كله أرفع عند الله درجة وأثقل في ميزان الأعمال والجهاد وزنا. ولا يمنع فضل هذا في جزئية إيمانية أن يكون مفضولا في مجموعه.

أورد الترمذي وابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبي، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ. ألا وإن لكل أمة أمينا، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح**».

وأحاديث أخرى مثل هذا تذكر الخصال التي برز فيها هذا على هذا.

2- الجماعة المؤمنة التي تقوى على الجهاد بتوفر الكفاءات والفضائل في أفرادها وتكاملها. فبالنسبة للجماعة يمثل نهر الإيمان مجموع السلوك الإيماني في مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

فمعنى الحل الإسلامي أن يهيمن شرع الله بأحكامه، والإيمان بالله بكل شعبه، على كل حركات المجتمع وعلاقاته ونشاطاته، في القضاء، في الحكم، في الجيش، في الإدارة، في الشرطة، في التربية، في الشباب، في إنصاف المرأة، في قوامة الرجل، في الأموال والاقتصاد، في الحياة اليومية، في علاقات المسلمين مع الصديق والعدو، في الأسرة والبيت، في القطر وعبر الأقطار، حتى يتوحد المسلمون في العالم.

الذين يقترحون الحلول المستوردة لورطة المسلمين التاريخية، وتخلفهم الاقتصادي، وهزيمتهم العسكرية والحضارية، يلفقون من أفكار وقيم الجاهلية، يقترحونها أو ينفذونها ويفرضونها إن تسلطوا على الحكم، فيزداد الخبال في مجتمعاتنا الضحية.

وغداة الإسلام نحتاج أن تحتل القيم الإيمانية محل قيم الفتنة في كل مجال، وتملأ فراغا كبيرا على كل مستوى، بعد أن ينفر الشعب من رائحة كل ما ليس منا ولا من ديننا. في كل جزئية مهما صغرت من حياة الأمة لا بد أن يهيء المجاهدون الجواب عن الأسئلة، والنشاط الإيماني ليخلف النشاط الجاهلي، والفكر الإسلامي ليسود حيث كان يسود غيره، والأخوة الإسلامية لتعود الرحمة فتغطي الكراهية، والعدل الإسلامي لينهي الاستغلال الطبقي والحقد والبؤس.

مهمات المؤمنين يوم الإسلام كثيرة وضخمة وشاملة ودقيقة، فلا بد من تهييء الإسلام. وذلك من أول واجبات التربية والتنظيم، وشعب الإيمان بعددها الواسع وشمولها للعقيدة، والعاطفة، والحركة، وكل السلوك، هي المضمون الذي يتجسد فيه الإيمان طريقا إلى الله، وحلا لمشاكل المجتمع والأمة، ومنهاجا للحكم، وتنمية، وسياسة.

يمثل نهر الإيمان بشعبه الثرارة وقوته الزاخرة في قلوب الإسلاميين الصاحين من غفوة، الذاكرين الله من غفلة، المتحفزين لجهاد، طاقة النهوض لموعود الله بقيام الخلافة على منهاج النبوة، ووحدة المسلمين في العالم، لموعود الله بدخول

الإسلام أهل الحجر والمدر، لسيادة الحضارة الإسلامية والقيم الإيمانية على الجاهلية في الأرض.

وحدة السلوك:

إن تفاوت الأفراد في الاستعداد والكسب والتحلي بخصال الإيمان لا ينفي ولا يناقض وحدة السلوك التي تؤدي إلى وحدة الشعور، فتؤدي هذه إلى وحدة الولاء.

لا يمكن أن يتجاوز المسلمون خصائص الأنانية الفردية، وخصائص السمات الاجتماعية، إلا بتوحيد عميق لما يجيش في القلوب، وما تعالجه العقول، وما تتحرك فيه الجوارح.

الانتماءات السطحية الشيطانية للشهوة، والطموح الفردي، والعصبية المحلية، والوطنية والقومية، حواجز نفسية وسياسية واجتماعية ومصلحية، تحول دون تكوين جماعة منسجمة، ودون لقاء المجتمعات المسلمة المغلوبة على أمرها لتكون جسم الأمة الصحي القادر على مواجهة مهماتنا التاريخية وحمل أعباء حضارتنا ورسالتنا للعالم.

فنهر الإيمان بشعبه يمثل وحدة سلوك تكسر الحواجز، حواجز الأنانيات، والعادات، وسائر الحدود النفسية، والاجتماعية، والسياسية، والمصلحية، التي ضربت بين أفراد مجتمعاتنا المفتونة الطبقية، وبين مجتمع وطني قومي وآخر.

انتماؤنا إلى الله عز وجل بوحدة السلوك الإيماني الأخلاقي لا يعني أن نتبخر من على الأرض، بل بالعكس يعني أن نلتحم في جماعة الجهاد، ثم نسعى بعد إقامة الدولة الإسلامية الفطرية أن نلتحم عبر حدود الفتنة حتى النصر والخلافة والوراثة بإذن الله. وهذا يعني تحرير الإنسان، وتحرير الأرض، والجلاد على ذلك.

الخصال العشر:

شعب الإيمان بضع وسبعون، حصرها الحليمي والبيهقي في سبع وسبعين، فنقف عند هذا العدد وإن كان البضع من ثلاثة إلى عشرة كما في اللغة.

فلكثرة العدد نقسم الشعب في تصنيفها إلى عشر فئات، تكون كل فئة منها خصلة، لتقارب موضوعها ومغزاها الإيماني ومرماها السلوكي.

ونحن ذاكرون ذلك ببعض التفاصيل إن شاء الله في هذا الفصل.

عشر صوى على الطريق، عشر خطى، عشر مجموعات من الشعب.

* الخطوة الأولى على طريق التربية والتنظيم، على طريق المنهاج المؤدي إلى الله عز وجل بالنسبة للمؤمن، وإلى الخلافة بالنسبة للأمة وإلى سيادة الحضارة الإسلامية بالنسبة للعالم، هي الصحبة والجماعة. هي لقاء رجل يربيك، وجماعة مؤمنة تؤويك وتحضنك، حتى يسري بصحبة المربي والجماعة إلى قلبك و«سلوكك أول سلك من أسلاك نور الإيمان، وأول نفحة من عبيره، وأول فيض من مائه».

* الخطوة الثانية الإقبال على ذكر الله ترديدا للكلمة الطيبة وصلاة وعبادة. ومتى أصبح ذكر الله ودعاؤه والإقبال عليه في كل زمان الفرد المؤمن والجماعة الإيمانية المجاهدة هو الشغل الأول للقلب واللسان والجسم والفكر، فقد بدأ تحول الفرد والجماعة من الغفلة عن الله لذكره، من الإباق عن بابه للتوبة إليه، من تحكيم الطاغوت لنصرة شرعه.

* الخطوة الثالثة الصدق، التصديق بالله وغيبه. البرهنة بالاستقامة في القول والفعل على استعداد للجهاد.

* الخطوة الرابعة البذل، بذل يزيل شح النفس الفردية، فتزول بعموم الإيمان وسيادته شقاوة البائس المحروم. عدل الإسلام سيف يقطع بشرع الله

الطبقية والأثرة والاستغلال. والبذل المتطوع يأتي بالأخوة سكينة ورحمة بين الناس.

* الخطوة الخامسة علم.
* الخطوة السادسة عمل.
* الخطوة السابعة سمت.
* الخطوة الثامنة تؤدة.
* الخطوة التاسعة اقتصاد.
* الخطوة العاشرة جهاد، والجهاد ثمرة تربية وتنظيم وعمل نشيط ملتزم بخط الإيمان، وسير الإيمان، وفيض الإيمان، وسلوك الإيمان.

جعلنا الخصلة العاشرة مصبا لروافد الإيمان وشعبه، متدرجين من أهون أعمال الإيمان إلى أشقها. من لقاء فيه صحبة ومحبة رقيقة ومحضن دافئ أمين، إلى الموت في سبيل الله في ساحة الجهاد، مع الجماعة.

وتدرجنا تربية من الاتصال بأشخاص يشع منهم الإيمان، إلى ذكر الله وهو الدواء، إلى امتحان الصدق بالبراهين العملية، إلى بذل وعطاء، إلى علم وعمل، إلى سمت وتميز، إلى تؤدة وصبر، إلى اقتصاد ومضاء في الطريق، إلى اكتمال الرجولة بالكفاءة للجهاد.

وتدرجنا تنظيما من صحبة فضفاضة عاطفية، إلى عبادة فردية يندب الشارع أن تكون جماعية فيضاعف عليها الجزاء، إلى اختبار صدق الوارد، إلى البدء بماله نأخذ منه، إلى تعبئة فكره لمعركة العلم، إلى تشميره للعمل، إلى انضمامه إلينا وتميزه عن القاعدين، إلى تمرسه بمهمات شاقة تريد الصبر، إلى الموقف التنفيذي الذي لا يتردد، إلى الجهاد والموت في سبيل الله.

الخصال العشر -وتحت كل منها عدة شعب من شعب الإيمان- منهاج تربية، وتنظيم، وحكم، وسلوك إلى الله. تشمل كل الفرض والنفل والسنة والندب.

ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شعب الإيمان جمع بين لا إله إلا الله وهي أصل الإسلام وركنه الأول، وبين الحياء وهو خلق، وبين إماطة الأذى وهي فضيلة، وروى البخاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن عدي: «إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان». جمع بين الفرائض والسنن والحدود والشرائع، فكلها صوى على الطريق والسنة تكمل الفرائض، والمكروه يلحق بالمحظور.

لم نصنف الفرائض وحدها، والسنن والمستحبات وحدها، والمحظورات والنواهي وحدها. إنما صغنا السلوك الفردي والجماعي باعتبار ما وعد الله من خير لمن أطاعه وأطاع رسوله في الأمر والنهي، ويبقى ترتيب الشريعة على حاله، فالفرض فرض وأحكامه أحكامه، والسنة والحرام والمكروه، وكل على مقتضاه.

ثم إننا لم نضع لا إله إلا الله في أول الشعب فهي أعلاها، إنما مهدنا لها بشعب الصحبة والجماعة لأسبقية العامل الاجتماعي -الوالد والمربي والرفيق- في التأثير فإنما آمن من آمن لأنه سمع من دعاه للإيمان وصدقه واتبعه، وإنما كفر من كفر وانحرف من انحرف بتأثير البيئة أول شيء.

نذكر إن شاء الله تحت كل خصلة مغزاها تربية، ثم مغزاها تنظيما، ثم نعد ما أدرجناه تحتها من شعب الإيمان.

الخصلة الأولى
الصحبة والجماعة

الصحبة والجماعة تربية:

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.[1] نقف مع كلمة «معه»، فبهذه المعية والصحبة كانوا رجالا. ونقف عند التراحم بينهم، فبتلك المحبة الرحيمة كانوا جماعة.

فلا غرو إن جعلنا الصحبة والجماعة أولى الخصال، فقد أتبع الله عز وجل في الآية بعثة محمد صلى الله عليه وسلم بذكر المعية له، فهي أولى صفات المؤمنين، في ذلك الزمان وفي هذا وفي سائر الأزمنة، والرحمة بينهم مرآة لتلك المعية، ومن كان مع رسول الله فهو مع الله، ومن بايع رسول الله فقد بايع الله، ومن أحب رسول الله فقد أحب الله.

كان رسول الله صلى الله عليم وسلم يقول كلما ارتحل في سفره: «**اللهم أنت الخليفة في الأهل والصاحب في السفر**»،[2]، فلقوة تعلقه صلى الله عليه وسلم بربه عز وجل سرت من قلبه الطاهر مادة الإيمان إلى من صحبه، ثم امتدت الصحبة وراثة فكانت رحمة بين الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، تسري من قلب لقلب، ومن جيل لجيل، بالصحبة والمحبة والتلمذة.

الصحبة والمصحوب:

من أصول الشيخ البنا رحمه الله: «ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى. والأولياء هم المذكورون

---

(1) سورة الفتح، 29.

(2) رواه الإمام أحمد ومسلم وغيرهما.

في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[1] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية، مع اعتقاد أنهم -رضوان الله عليهم- لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا في حياتهم أو بعد مماتهم فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم».

المحبة والاحترام والثناء في حدود الشريعة هو ما يليق بالصالحين من هذه الأمة أحياء وأمواتا، وإنما نبه الشيخ البنا رحمه الله على بشريتهم وعجزهم عن النفع والضر لإلفات النظر كيلا يبقى في ذهن المؤمنين من هذه الخرافات التي تعيث فسادا في أوساط العامة من تقديس الرجل الصالح أو مجرد من تظهر عليه الخوارق وهو ليس من الله في شيء، ولكي يحذر من بدع عبادة القبور وتأليه البشر.

بعد هذا نقول: إن المحبة والاحترام والثناء على الصالحين من هذه الأمة قربة إلى الله لقول الله عز وجل معلما إيانا الأدب مع أحبائه، وملقنا إيانا صيغة الدعاء لهم، وموجب هذا الدعاء، وهو أنهم سبقونا بالإيمان، وعلمونا الإيمان: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[2]

لكن احترام الأولياء من بعيد، ومحبتهم بلا صحبة، والثناء عليهم دون أن يكون الثناء حافزا لنا على اللحاق بهم، أعمال لا تثمر إيمانا وإن أثمرت ثوابا. ومن الناس من يحترم الأموات، ويحب الأموات، ويثني عليهم وحدهم، معتقدا أنه لا ولي لله من معاصريه، هؤلاء يحرمون ثمرة صحبة الصالحين.

وإنما ينفع الله عز وجل المؤمن الصادق الجاد في الإقبال على ربه أول ما ينفعه بصحبة رجل صالح، وولي مرشد، يقيضه له، ويقذف في قلبه حبه. ومتى كان المصحوب وليا لله حقا والصاحب صادقا في طلبه وجه الله ظهرت ثمرة الصحبة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح وقال فيه الترمذي: حديث حسن: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من**

(1) سورة يونس، 63.
(2) سورة الحشر، 10.

يخالل»، والآيات والأحاديث المشيرة إلى الصحبة والحاثة عليها كثير، وكل تاريخ الإيمان يشهد بأن قلب الداعي إلى الله على بصيرة، نبيا كان أو وليا، هو النبع الروحي الذي اغترفت منه أجيال الصالحين بالصحبة، والملازمة، والمحبة، والتلمذة، والمخاللة.

وعلى قدر المصحوب إيمانا وإحسانا وولاية ينتفع الصاحب.

ومن المؤمنين من يرفع الله همته لطلب معرفة ربه والوصول إليه مع الذين أنعم الله عليهم، فمن كتب الله سبحانه له سابقة خير يسره لصحبة دليل رفيق، ولي مرشد.

في وصف الرغبة في الله ووصف الولي المربي نورد كلمات للشيخ عبد القادر الجيلاني. وليس هذا الرباني الصالح رحمه الله ورضي عنه الشاهد الوحيد على سر صحبة أولياء الله. إنما نقتصر على كلامه لإجماع علماء الأمة على صلاحه وإمامته وفضله.

قال رحمه الله يخاطب مريد وجه الله، يضع قدمه على أول مدرجة على الطريق إلى الله: «إذا أردت أن تصحب أحدا في الله عز وجل فأسبغ وضوءك عند سكون الهمم ونوم العيون. ثم أقبل على صلاتك تفتح باب الصلاة بطهورك، وباب ربك بصلاتك، ثم اسأله بعد فراغك: من أصحب؟ من الدليل؟ من المخبر عنك؟ من المفرد؟ من الخليفة؟ من النائب؟ هو كريم لا يخيب ظنك، لا شك يلهم قلبك، يوحي إلى سرك، يبين لك، يفتح الأبواب، تضيء لك الطريق(...) فإذا اتحدت الجهات عند قلبك، وغلب الأمر على تعيين واحد، دونك واقصده».[3]

ثم بين للطالب الجاد أن المعايير الظاهرة لا تصلح للحكم على ولاية الله، قال: «لا تنظر إلى فقره ونقصان نسبه، وإخلال حاله، ورثاثته، وقصور عبارته. فإن المعنى في باطنه لا في ظاهره، في بنيته لا على وجهه. ولا تبدأه بالكلام (إجلالا له)

(3) الفتح الرباني، ص 330.

ولا تبد له حالا (أي لا تكشف أسراره) انتظر فائدته من ربه، هو الكاتب والأمر لغيره. هو سفير، هو المشار -أي الخادم- والطبق لغيره. هو المعبر والعبارة لغيره، فتقبل ما يفتح الله على لسانه»[1].

وقال يصف عطاء الله لأوليائه ونصره لهم: «إذا أراد الله عبدا لأمر هيأه له. هذا شيء يتعلق بالمعاني لا بالصور. إذا تم لعبد ما ذكرت صح زهده في الدنيا والآخرة- أي كان طلبه وجه الله فوق طلبه جزاء الآخرة لأن من أقبل الله تعالى عليه منحه خير الدنيا والآخرة- (...) تصير ذرته جبلا، قطرته بحرا، كوكبه قمرا، قمره شمسا، قليله كثيرا، محوه وجودا، فناؤه بقاء، تحركه ثباتا، تعلو شجرته وتشمخ إلى العرش وأصلها إلى الثرى (...). لا دنيا تملكه (...). فإذا تم هذا صلح هذا العبد للوقوف مع الخلق، والأخذ بأيديهم، وتخليصهم من بحر الدنيا. فإذا أراد الله بالعبد خيرا جعله دليلهم، وطبيبهم، ومؤدبهم، ومدربهم، وترجمانهم، وسانحهم، ومنحتهم، وسراجهم، وشمسهم»[2].

وعن ضرورة الشيخ المربي لمريد الوصول إلى الله ومعرفته والقرب من جنابه يقول: «اصحب أرباب القلوب حتى يصير لك قلب. لا بد لك من شيخ حكيم عامل بحكم الله عز وجل يهذبك ويعلمك وينصحك»[3].

وكما نصح الإمام الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال» بالصحبة، وكما برهن عمليا عن صدقه في طلب وجه الله وإيقانه بضرورة صحبة شيخ كامل حين خرج -وهو حجة المسلمين تشد إليه الرحال- في طلب مصحوب، تاركا المال والجاه والدنيا، كذلك ينصح الجيلاني حين يقول: «خذ مني دواء لمرض دينك، واستعمله وقد جاءتك العافية. من تقدم كانوا يطوفون الشرق والغرب في طلب الأولياء والصالحين الذين هم أطباء القلوب والدين. فإذا حصل لهم واحد منهم طلبوا منه دواء لأديانهم»[4].

---

(1) الفتح الرباني، ص 330.
(2) نفس الكتاب، ص 35.
(3) نفس الكتاب، ص 105.
(4) نفس الكتاب، ص 160.

وقال رحمه الله حاثا على اتباع الكتاب والسنة وصحبة العارفين بالله عز وجل: «اتبع الشيوخ العلماء بالكتاب والسنة، العاملين بهما، وحسن الظن بهم، وتعلم منهم، وأحسن الأدب بين أيديهم، والعشرة معهم وقد أفلحت، إن لم تتبع الكتاب والسنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبدا. ما سمعت من استغنى برأيه ضل؟ هذب نفسك بصحبة من هو أعلم منك».[5]

ويصف الشيخ عبد القادر رحمه الله حال السالك إلى الله حين تجذبه إلى الله يد العناية، يقول: «يا غلام! ثم أمور باطنة لا تنكشف إلا بعد الوصول إلى الحق عز وجل، والقيام على بابه، ولقاء المفردين -وهم المشايخ العارفون بالله الذاكرون الله كثيرا- والنواب، والوقوف هناك. إذا ما صرت إلى باب الحق عز وجل، وأدمت الوقوف مع الأدب والإطراق -الخشوع الدائم- فتح الباب في وجه قلبك، وجذبه من جذب، وقربه من قرب، ونومه من نوم، وزفه من زف، وكحله من كحل، وحلاه من حلى، وفرحه من فرح، وآمنه من آمن، وحدثه من حدث، وكلمه من كلم»،[6] والكتاب كله حكم فريدة.

عقد الأخوة:

لندرة الهمم العالية المتشوفة إلى معرفة الله، اليائسة من كل شيء دون الله، المضطرة الاضطرار الكلي إليه سبحانه، الظمأى إلى مورد قربه، يعز علينا نثر الحديث عن الإحسان وطريقه أكثر مما فعلنا، فيتخطاه الناس وهو حرمة من حرم الله. فنحيل على كتب مشايخ الطريق من حفظه الله من تدجيل الكاذبين وتشكيك الجاهلين.

درج السلف الصالح على عقد الأخوة في الله مع من يرتجون صلاحهم. وعقد الأخوة في الله نوع من الصحبة، دون التلمذة والمخاللة والسلوك الموجه. فكان علماؤنا وصلحاؤنا يكثرون من زيارة أهل الخير، ويتبركون بلقائهم، ويتواصون

(5) الفتح الرباني، ص 162.
(6) نفس الكتاب، ص 267.

بأن يدعو بعضهم لبعض، ويذكر بعضهم بعضا بين يدي الله عز وجل في خلواتهم وجلواتهم وتهجدهم.

وفي الجماعة المنظمة المجاهدة ينبغي أن تفشو هذه الرابطة وتتمتن. فإن الله عز وجل إذا عرض عليه جماعة المؤمنين أمورهم تضرعا وتوسلا، يطلبون نفس الحاجة، ويبثون إلى مولاهم نفس الشكوى، ويقدم إلى بابه كل منهم حاجة إخوته، خليق أن يستجيب بكرمه ورأفته.

دعاء الرابطة:

ما سماه الشيخ البنا رحمه الله ورد الرابطة إنما هو تجسيم وتطبيق عملي لعقد الأخوة بين المؤمنين.

ونرى دعاء الرابطة ضروريا لربط المؤمنين في جماعة. فإذا سرى معنى الربط بتكرار المجالسة، وتكرار الوقوف بين يدي الله في الصلاة، والعمل المشترك، والدعاء الرابط، التقت الصحبة بالجماعة ولم تكن الجماعة شكلا ولا الصحبة صحبة انفرادية.

ينبغي لكل مؤمن -والأفضل وقت السحر عندما ينزل ربنا عز وجل إلى السماء الدنيا يدعونا هل من تائب وسائل- أن يفتح دعاءه الرابط بالفاتحة، ثم يستغفر الله لذنبه، ويسأله لنفسه ووالديه وأهله وولده وذوي رحمه خير الدنيا والآخرة، ويصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أنبياء الله ورسله. ثم على الخلفاء الراشدين والصحابة والأزواج والذرية. ثم على التابعين وصالحي الأمة وأئمتها. ثم يتلو معمما الدعاء: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. ثم على المؤمنين المجاهدين في عصرنا ويعرض على الله حوبتنا ويستفتح للمجاهدين. ثم يخصص بالدعاء من يربطه بهم رباط الجهاد ويذكر الأسماء. ثم يسأل الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم الرحمة والمغفرة والنصر وخير الدنيا والآخرة. ويتوجه في دعائه هذا لمستقبل الإسلام والخلافة والظهور على الأعداء.

بهذا يستشعر المؤمن انتماءه إلى الموكب النوراني -موكب الإيمان والجهاد- من لدن آدم إلى يوم القيامة فيدخل في بركة أمة الخير التي تولاها الله. ويزداد صلة إيمانية ومحبة بمن يدعو لهم عن ظهر غيب من إخوته.

لا جهاد إلا بجماعة منظمة:

المسلمون في العالم بحاجة ماسة لتوحيد الكلمة، والفكر، والخط، والمنهاج. من المسلمين من يقتصر في دعوته على العلم، ومنهم من يقتصر في تربيته على التقوى الفردية، ومنهم من يجعل كل همه الفكر الإسلامي، ومنهم من تغلبه الحركية فيتحرك على سطح الواقع لفقدانه عمق الإيمان الكفيل وحده بإكسابنا الثقة بالله، وترشيحنا لتلقي نصر الله، والخلافة في الأرض عن الله.

ومما يفرق ولا يجمع وجود صحبات لا تفضي لجماعة. ووجود تقوى لا تتفتح على جهاد.

يكون هذا حتى بين أولياء الله الصادقين أهل النور والفتح. ننظر إلى مستقبل الإسلام، ونحن على يقين من أن الخلافة على منهاج النبوة وعد من الله ورسوله غير مكذوب، وعد الله حقا، ومن أصدق من الله قيلا. ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فلا بد من أن يتولى تربية جند الله صالحو الأمة من أولياء الله. فإذا اعتبرنا أن من أولياء الله من لا وعي له بحاضر الإسلام ولا بمستقبله، ولا كفاءة له لتنظيم الجهاد وقيادته مع وجود فضله وعلمه، ومع ظهور كرامة الله له، برز لنا مشكل ليس بالسهل حله.

ذلك أن تعدد الصحبة، وتعدد «المتبوعين المقدمين» كما يعبر الغزالي، قد يكون سببا في صدع وحدة الجماعة. فإن أولياء الله العارفين به ما هم في درجة الصحابة رضي الله عنهم، فهم أكثر تعرضا للخلاف منهم. ولا هم معصومون. فيخشى أن ينشأ عن تفرقهم تفرق الأمة من حيث نسعى للجمع.

فكيف نجمع بين صحبة مشايخ يدلوننا على طريق معرفة الله فيربون لنا رجالا محسنين هم على كل حال صلب الجماعة وقوامها، مع الاحتفاظ بنظام الجماعة ووحدتها؟

فطر الله عز وجل هذا الإنسان على الأنانية والدعوى، فقلَّما تجد بشرا لا يحدث نفسه بالرئاسة على الأمثال حتى ولو كان من المؤمنين. قال أحد الصالحين: آخر ما يخرج من قلب العارفين بالله حب الرئاسة.

فنزيد على ما درج عليه سلفنا الصالح من شروط الولاية وأهلية التربية -وقد ذكرنا بعضها على لسان الجيلاني- شرطا نعتبره أساسيا للحفاظ على وحدة الصف.

نعتبر شيخا ومربيا صالحا للجهاد من آتاه الله من فضله، زيادة على ما يؤتي أحباءه من فتح، ومعرفة بربه، وتقوى، واتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مزية لا تعدلها -بالنسبة لمستقبل الأمة- مزية، خصلة من خصال الإيمان لا تعدلها خصلة بالنسبة لمستقبل الأمة، ألا وهي جمع الجماعة والحفاظ على وحدتها.

يشجع جند الله على صحبة من ظهر فضله من صالحي الأمة وعلمائها العاملين بشرط، هو أن لا تتنافى تلك الصحبة مع الجماعة، أي لا يغلب جانب التأمل، والذكر المنفرد، والتقوى الانعزالية والخلوة القاعدة، جانب التحرك والجهاد لإقامة الدولة الإسلامية والخلافة على منهاج النبوة.

الصحبة والجماعة تنظيما

نسمي «تربية متوازنة» تلك التربية الإيمانية التي لا تقصر بالمؤمن عن درجة المجاهدين ولا تجعله من غثاء الحركية الجوفاء الخالية من لب الإحسان.

التربية المثلى هي التي تجعل من جندي الله عارفا بالله مجاهدا في سبيله، فمن المتصدين للجهاد من هم في حماس إيماني دون الصدق. ومن أولياء الله من اعتزل الناس فلا يحدث نفسه بإحياء غيره فضلا عن إحياء أمة.

وكيفما كان فضل الرجل الصالح فإن الله عز وجل أعطانا معيارا للأفضلية حيث قال: ﴿فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾.[1]

قد تجد وليا لله يجمعك على الله مع القعود.

خير منه ولي لله يجمعك على الله مع الجهاد.

قيادة من عامة المؤمنين تنظم جهادا وتقوى على تنفيذ مهماته خير للأمة من محسنين قاعدين بميزان ما نرى، وقد أعلمنا الله أن لهذا الميزان شأنا حيث قال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] فجعل حكمنا على ما نرى من نتائج عمل بعضنا حكما لاحقا بحكم الله ورسوله.

لكن جماعة لا تتجاوز قيادتها مستوى عامة المؤمنين جماعة كالجماعة وليست بها، ليست بها حتى يكون اللب الإحساني فقار ظهرها وسر نشأتها، وعماد بنائها. حتى يكون حب الله ورسوله حاديها، والشوق إليه عز وجل رائدها والسير إليه منهاجها.

فإذا أراد الله بجماعة المؤمنين رشدا قيض لها من أوليائه من يشد أواصرها بالصحبة المستمدة قوتها من القلوب، الواقفة على باب الله تطرق، تسترحم، تستفتح، تتضرع، تبكي شوقا ولهفة. كل ذلك والجوارح آخذة في تعبئة الجهود، والعقول منكبة على العلم النافع وإعداد ما أمرنا به من قوة الخبرة والتخطيط.

الجماعة المؤمنة المجاهدة تركيب عضوي كالجسد الواحد. فقيادة تمثل الرأس المفكر دون أن تكون في نفس الوقت قلب الجماعة الحي قيادة لا تجمع الكفاءتين الإيمانيتين: الرحمة القلبية والحكمة العقلية. وقيادة ذات رحمة في القلب ونورانية وكرامات لا تقدر على فهم الواقع والتخطيط للمستقبل والتنفيذ

(1) سورة النساء، 95-96.

(2) سورة التوبة، 105.

قيادة كسيحة بميزان ما نرى ونحكم، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] المحسنين يعبدونه سبحانه كأنهم يرونه، المحسنين في فهم مهمات الجهاد وتنفيذها، وقد كتب الله الإحسان على كل شيء، من رأس الأمر كله وهو صلاح القلب إلى ما يتبع من جليل الأمر ودقيقه.

الإمام المصحوب:

روى الإمام البخاري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: «لما طعن عمر جعل يألم، فقال له ابن عباس -رضي الله عنهما- وكأنه يجزعه -يصبره ويسليه-: «يا أمير المؤمنين! ولئن كان ذاك! -أي لنفرض أنك مت من طعنتك هذه- لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض ثم صحبت صحبتهم -بفتحتين أي أصحابهم- فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال -أي عمر-: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه، فإنما ذاك منٌّ من الله تعالى منَّ به علي. وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منٌّ من الله جل ذكره منَّ به علي. وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك. والله لو أن لي طلاع الأرض -أي ملئها- ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه!».

من حديث للبخاري أن عثمان رضي الله عنه قال: «أما بعد فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين كما قلت. وصحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعته. فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله».

نرى أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينزلون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلته في حسن الصحبة والطاعة، ويرون رضا الأمير من رضا الله، لم تكن

(1) سورة العنكبوت، 69.

العلاقة بين أمير المؤمنين ورعيته علاقة سلطة فقط، بل كانت علاقة كلية لا ينفصل فيها الحب والإخلاص عن الطاعة والامتثال.

فكان الأمير مصحوبا ترجى بركته، ورئيسا يطاع أمره. كانت طاعة أولي الأمر لاحقة بطاعة الله ورسوله منشقة منها، وكانت محبة الأمير من محبة الله ورسوله.

فالخلافة على منهاج النبوة لا تكون كذلك إلا إن ولي أمر المسلمين رجال توفر لهم التقوى والحظ من الله بقدر ما توفر لهم الغناء والكفاءة التنفيذية.

في مجتمعات الجاهلية والفتنة علاقات سلطوية على كل المستويات. في الإسلام تسبق الدعوة الدولة، فإن اجتمعت الدعوة والدولة في يد جماعة المؤمنين فالأمير مرب مصحوب، وظيفته التربوية لا تنفك عن وظيفته السلطوية، بل تستمد هذه من تلك وتتقوى بها، فإنما نطيع أولي الأمر منا لأن الله أمرنا بذلك. العقد الإماري لا بد منه فهو شرع، لكن طاعة الأمير وحسن صحبته وإجلاله وتوقيره عبادة.

فإن اتبعتني:

ذهب موسى للقاء الخضر عليهما السلام، يلتمس منه علماً كما أوحى الله إليه. وقص الله تعالى علينا نبأ موسى في رحلته مع فتاه قال عز من قائل: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾.[2]

عقد تلمذة بمقتضاه التزم التلميذ موسى، وهو النبي الرسول من أولي العزم، باتباع شيخه، وطاعته، والصبر على مبادرته. وفي القصة تشريع موعظة للأمة التي تتلو القرآن.

(2) سورة الكهف، 65-70.

كان موسى فردا في هذا العقد كما كان الخضر عليهما السلام، فهي صحبة فردية.

أما العقد الإماري والبيعة الخلافية فالالتزام التربوي فيهما ضمني. عندما يبايع المبايع على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأثرة عليه، فإنما يسلم إمرة نفسه للأمير والخليفة في كل شؤون دنياه وآخرته. فلما فسد الأمراء، وتسلطوا عليها بالسيف، ولم تكن لهم أهلية أن يربوا فتنفع صحبتهم، اختل الأمر كله فأصبح ملكا.

ولغد الإسلام يختار المؤمنون أولي الأمر منهم، ويختارون من ينفع الله بصحبته كما ينفع برأيه وقوته على البناء. القوي الأمين، رجل يقوى على ضبط شؤون الأمة سياسة وإدارة وتنفيذا، ويؤتمن على دين الأمة تربية وحفظا ودلالة على الله عز وجل.

ومن السنة أن يفرد الإمام من يشاء بعقد الصحبة الخاص كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان العقد الضمني على الصحبة باعتبار أن رضى الأمير من رضى الله كما رأينا غير كاف، فالحديث التالي يفتح مجالا لإبراز جانب الدعوة والتربية في وظائف الأمير.

أخرج البغوي وأبو نعيم وابن عساكر عن عتبة بن عبد رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع بيعات: خمسا على الطاعة واثنتين على المحبة».

الإخاء بين المؤمنين:

صحبة طاعة وتلمذة بين عامة المؤمنين وأميرهم بالإحسان، بها يتعرضون جميعا لرضى الله. وصحبة أخوية بين رجل ورجل على شرط التلمذة والتوقير والطاعة، كما رأينا في صحبة موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام. والجمع بين الصحبتين في المجتمع الإسلامي المتجدد، في التنظيم الدعوي قبل قيام الدولة الإسلامية وبعدها، سنة مرغوب فيها.

فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فعين للأنصاري أخا له من المهاجرين ليصحب هذا الحديث العهد بالإسلام أخا له سبقه بالإيمان، فينتفع بملازمته، في نفس الوقت الذي يصحب فيه الاثنان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فينتفعان بتلك الصحبة النبوية المباركة.

لم تكن الصحبتان متنافيتين، بل كانتا متكاملتين. ونرجو الله عز وجل أن يقيض لجماعة المؤمنين في أطوار تألفها في غد الإسلام أولياء له يربون الأجيال الطاهرة في وجهة الجمع والتأليف الجهادي لا حسب صحبة الاعتزال والخلوة. فإن كان هذا الأسلوب الفراري ملائما أيام كان الإسلام في ضمور وتقلص، فلا مكان له غدا إن شاء الله -وقد بدأ هذا الغد الأغر والحمد لله- والإسلام في إقبال، وداعي الله في القلوب ينادي: حي على الجهاد.

لا تكاد تجد من يشير في سياق الحديث عن إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار لغير تبادل المصالح المعاشية بين الإخوة.كان ما نعرفه ونكبره من إيثار الأنصار رضي الله عنهم إخوتهم على أنفسهم حتى مدحهم الله جل شأنه في قرآن يتلى ليستمر العمل بمقتضاه أبد الدهر. قال الله تعالى يذكر نتائج هذه الصحبة في قلوب الأنصار بصحبة المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.[1]

لكن المحبة والصحبة كانتا المطلب التربوي من هذا الإخاء. اقرأ جيدا ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، فهي صحبة سبقت الإيثار، وكان الإيثار على النفس نتيجة لها. ثم انظر كيف وصف الله تعالى المهاجرين بالصدق هنا وكيف أمر بصحبة الصادقين في قوله جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[2]

(1) سورة الحشر، 8-9.
(2) سورة التوبة، 119.

«مع» و«أحب» كلمتان إن تتبعتهما في الكتاب والسنة بقلب مشتاق ظهر لك سر الصحبة إن شاء الله.

ولتبادل المصالح بين الإخوة، وتخصيص المؤمن بصديق صاحب تكون قوية أواصر المحبة والخدمة المتبادلة بينهما، سند في كتاب الله عز وجل حيث قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾،[1] فجعل سبحانه الأكل من بيت الصديق كالأكل من بيتنا أو بيوت آبائنا وأهلنا.

ألفة وتداخل ورحمة، وسنرى في شعب الخصلة مدى اتساع دائرة الصحبة المطلوبة حتى أنها تعم المجتمع كله القريب والأقرب والصالح والأصلح.

لا بد للمؤمن من صاحب صديق مختص به في الصحة والمرض، في الحاجة تقضى، في التعهد من قريب. فشبكة الأخوة الإيمانية ليست حلما شفافا، بل إن لها من كثافة الحاجات الأرضية ما يبرر أن تخصص داخل الأسرة التربوية وخارجها علاقات ثنائية تخدم الجماعة، وتخفف بتبادل الخدمة وقضاء الحاجة حركة الجماعة، وتقتصد من وقتها وجهدها.

التماس الصحبة والخير:

يجعل من صلب العمل المنظم أثناء السياحة للدعوة زيارة أهل الخير والصلاح، فذلك من سنة هذه الأمة.

وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إن أدركوا أويسا القرني -ووصفه لهم- أن يلتمسوا منه الخير، والحديث طويل عند مسلم في كتاب فضائل الصحابة.

وروى الإمام البخاري عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال: «قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست

(1) سورة النور، 61.

إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء، فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي».

وروى الترمذي من طريق خيثمة بن عبد الرحمن قال: «أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا. فيسر لي أبا هريرة، فقال: ممن أنت؟ قلت: من الكوفة جئت ألتمس الخير».

فالخير الذي التمسوه رضي الله عنهم هو لقاء الأخيار، وبهذه اللقاءات والتجالس والاتباع والصحبة بقي الخير في هذه الأمة.

صحبة الشعب:

ينبغي لجند الله أن يتعبأوا للتغلغل في الشعب قصد إيقاظه وتربيته والتماس الخير عند أهل الخير. وما من جلسة ولا وقفة مع شخص من خلق الله، تدعوه إلى الله، وتحاجه في الله، وتتحبب إليه في الله، وتذكره بالله، إلا وهي حركة مباركة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الحركة دائبها في الدعوة. روى ابن القيم في «زاد المعاد» عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ومجنة وعكاظ يقول: «**من يؤمنني؟ ومن يؤويني؟ ومن ينصرني حتى أبلغ رسالات ربي فله الجنة؟**». اتباع الناس والإلحاح عليهم في كل مكان ومناسبة وبكل أسلوب حكيم، هذه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ينبغي أن تنظم تنظيما بادرة الرحمة التي يجدها المؤمن في قلبه عند توبته ودخوله في الصف الإيماني، التي تدفعه إلى الناس ليدعوهم إلى الخير.

تنظم هذه البادرة وتصان أن يدركها الفتور، فمكان المؤمن مجالس الناس ونواديهم وتجمعاتهم مهما كانت. وكلمته لكل من لقي عفوا في تنقلاته، في الحافلة وفي مدرسته، ومكتبه، ومعمله، وجواره، وشارعه، الدعوة إلى الله. ولا يترك

الفرص تأتي عفوا بل يهيئها، يقصد الناس يهجم لا يمل بالوجه الباسم، والكلمة الطيبة، والخلق الجميل.

باب الدعوة الصحبة، فكن كلمة الحق التي لا تخجل، ووجه الخير الذي لا يعبس إن جاءه الناس، بل يسعى هو إلى الناس.

ساعي الخير كن، وكن حيث يحب الله أن تكون، بالوصف الذي يحب: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.[1]

شعب الخصلة

نذكر شعب الإيمان كما صنفناها بإيجاز، ويرجع لكتابنا «شعب الإيمان» يسر الله تحقيقه وطبعه، ففيه من الأحاديث المفصلة ما يعطي لكل شعبة دلالتها مبنية على كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم، وسأرقم الشعب من 1 إلى 77 إن شاء الله.

الشعبة الأولى: محبة الله ورسوله

يعرف المؤمن أن لله عز وجل أولياء، فالولاية العامة هي ولاية المؤمنين في قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.[2] والولاية الخاصة في قوله عز من قائل: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾.[3] أولياء الله يحبهم ويحبونه، فيسعى المؤمن لمحبتهم ليدرجوه، ويعلموه محبة الله ورسوله. وما لصحبة الأخيار من غاية إلا أن يدلوك على الله ويحببوه إليك، فإذا علمت أن الله عز وجل يتقرب إليه بالفرض والنفل حتى يحب العبد فيكون سمعه وبصره ويده ورجله كما يليق بجلاله سبحانه، وذقت حلاوة الإيمان، ثم تنسمت ريح القربة حتى أصبح همك الأول الله، وغايتك وجهه ومحابه، ومحاب رسوله مبتغاك، فقد أشرفت على قمة العقبة.

(1) سورة حم فصلت، 33.
(2) سورة يونس، 62-63.
(3) سورة آل عمران، 74.

وما يشرف عليها من لم يصبح الله ورسوله أحب إليه من نفسه ووالده وولده. روى البخاري وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده**»، بعضهم يعمد إلى تعبير المؤمنين عن هذه المحبة كالتسييد ينتقده. يوشك هؤلاء أن ينسونا أن محبته صلى الله عليه وسلم البالغة شرط في الإيمان، لا إيمان بدونها.

الشعبة الثانية: الحب في الله عز وجل

ولا بد لك في الطريق من دليل يدلك على الله، ورفقة يربط الله عز وجل بمثالهم واستقامتهم في السير قلبك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه عز وجل: «**حقت محبتي للمتحابين في، وحقت محبتي للمتواصين في، وحقت محبتي للمتناصحين في، وحقت محبتي للمتزاورين في، وحقت محبتي للمتباذلين في. المتحابون في على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء**» رواه الإمام أحمد وابن حبان والحاكم والقضاعي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

هذا الحديث دستور الصحبة وبرنامجها.

الشعبة الثالثة: صحبة المؤمنين وإكرامهم

صحبة الأخيار، وزيارتهم، وإكرام الزائر، وإكرام ذوي الحرمة من العلماء، والصالحين، وآل البيت، وعامة المسلمين. وتوقير الكبير، ورحمة الصغير. المجتمع الإسلامي مجتمع إخاء ورحمة، فيعبر عن هذه الأخوة بكل معاني الإكرام والإحسان، مع إنزال الناس منازلهم حسب غنائهم في الإسلام وسابقتهم وحظهم من الله عز وجل.

الشعبة الرابعة: التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في خلقه

كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن، يعطي كل ذي حق حقه، ثم يفيض خيرا ورحمة على العالمين. ينبغي تقصي هديه صلى الله عليه وسلم في كتب

الشمائل، واتباع سنته صلى الله عليه وسلم في عظائم الأمور ودقائقها. فالسنة الشريفة وحدها كفيلة أن توحد سلوكنا، وتجمعنا على نموذج واحد في الحركات والسكنات، في العبادات والأخلاق، في السمت وعلو الهمة. فإنه لا وصول إلى الله عز وجل إلا على طريق رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا سبيل إلى جنة الله ورضوانه ومعرفته إلا باتباعه ظاهرا وباطنا. فذلك كله برهان عن صدقنا في اتباعه، إذ فاتتنا صحبته.

الشعبة الخامسة: التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته

الاستقرار في البيت، وحسن التعامل فيه، من أهم ما ينبغي أن يميز المؤمنين. وإنه لجهاد يقتضي رحمة وحكمة، لا سيما في فترة الانتقال من مجتمع الفتنة إلى المجتمع الإسلامي. للناس عادات ومشارب، والبيت مغزو بأدوات الإعلام الفتنوية. ولأهل كل بيت فتن. فعلى المؤمنة والمؤمن ألا يعنفا على أهل بيتهما بما ينفر. الجهاد في البيت جهاد دعوة وصبر ومصابرة. وإحسان المؤمنة والمؤمن بعد توبتهما أشد تأثيرا على أهلهما من التعنيف. فإذا اكتشف الأقارب مع التوبة أن صاحبهم أو صاحبتهم صارا أوطأ كنفا، وأحسن خلقا، وألطف معشرا، وأوفى عهدا، مما يعهدون، فقد أوشكوا أن يحبوا الدعوة ويأنسوا إليها. وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سياسة في أهله، ورقة ولطف بالأطفال، وقيام عليهم وخدمة.

الشعبة السادسة: الإحسان إلى الوالدين وذوي الرحم والصديق

من المؤمنين من يفتقد عند توبته مرشدا يدله على الرفق. فإذا كان له أبوان وذوو رحم سادرون في الغفلات، أو يعلم الله ما عندهم من موبقات، أعلن الابن والابنة الحرب على الوالدين والأقارب، وخسرت الدعوة فرصة لتبليغ الناس أن الإسلام رحمة وطهارة وسلم للعالمين.

يرتكب التائب الذي لا مرشد له كبيرة عقوق الوالدين لمجرد أنه لا يجد عند أمه وأبيه ذلك الالتزام بالسنة كما يقرأه في الكتب.

ألا إن مجتمعنا مفتون، ولا يمكن طلب الاستقامة من الناس، ومن نظام الأسرة والمجتمع المتأثر بالجاهلية المبني على قيمها، قبل أن نعيد بناء الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.[1] وانظر عند الشيخين قصة جريج حين قدم صلاته على تلبية حاجة أمه. فهي موعظة لنا ألا نعق والدينا، ولا نقاطع أقاربنا، باستعلاء العابد الذي يحسب أن ركعاته تغنيه عن بر من أمرنا ببره.

أضل ما يمكن أن يكون الأبوان أن يدعوا الولد والبنت لكفرهما. وما أمرك الله عندئذ بالعنف عليهما. إنما أمرك برفض الكفر مع إبقاء علاقات الصحبة لهما بالمعروف. فما بالك بمن يعق والديه المسلمين لبدعة إضافية أو معصية. ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾: ينبغي للمربي المتبع -أرأيت أن الله عز وجل ما ترك لنا فرصة للحث على صحبة الأخيار إلا خاطبنا بها- أن يقود برفق حركة التجديد في الأسر، لتحبيب الإسلام للناس، وتفادي معصية الله تعالى بتعريض النشء للعقوق. ومتى كانت الأم صالحة فهي أول صحبة نافعة أمر الشارع صلى الله عليه وسلم برعايتها. روى الشيخان أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحق الناس بحسن الصحبة؟» قال: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك**». أي الأقرب فالأقرب. هذا إن كانوا صالحين وصحبة الأخيار هي المعتمد على كل حال.

علموا الشباب صلة الرحم وصلة القريب.

---

(1) سورة لقمان، 14-15.

الشعبة السابعة: الزواج بآدابه الإسلامية وحقوقه

الاستقرار الاجتماعي بالزواج، والإنجاب، وحمل مسؤولية بيت، من أهم ما يعين على ترشيد الرجال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخاطب الشباب: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**».

للإسلام سنن في اختيار الزوجة ذات الدين، واختيار الأزواج من ذوي الدين والخلق. فلا حاجة لالتماس نشر الدعوة بتزويج المؤمنين والمؤمنات ممن ترجى توبتهم. فإنها مضيعة لمستقبل شبابنا. لنركز اهتمامنا على تأسيس مجتمع طاهر بتخصيص الطيبين للطيبات والسعي في تقريب فئات الإسلاميين بالزواج.

ولتكن أعراسنا مناسبة للدعوة وفرض سنن الإسلام في إقامتها. ولا بد في هذا من مصانعة الأسرة وتليينها للتنازل عن المهور الغالية، والتكاثر في النفقة، والغلو في اقتناء الأثاث، وقصم ظهر الخاطب بالشروط.

ثم ليتق الله شبابنا وشوابنا أن يقيموا أمر الله في عشرة الزواج. فإن الطباع قد تتنافر حتى بين المؤمنين والمؤمنات. وليست تظهر آثار التربية والدعوة في رخاء الأسرة التربوية والتنظيم الحركي المتآلف إنما تظهر في تخلق الزوجين المؤمنين، وفي صبرهما على ما يبدر من حدة. لا سيما في أوائل العشرة.

الشعبة الثامنة: القوامة والحافظية

جمع الله عز وجل وظيفة الزوج ووظيفة الزوجة في قوله جل ذكره: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ**﴾.[1]

(1) سورة النساء، 34.

فالرجل مسؤول عن رعيته يربيها، ويطعمها، ويكسوها، ويحميها، ويقيها نارا وقودها الناس والحجارة بتوجيهها إلى الإيمان. والمرأة حافظة لغيب الرجل، حامية لظهره، كي ينبعث إلى جهاده آمنا أن تظهر من خلفه عورة تكسر صلبه. جند الله كتائب بعضها يغشى ساحة الجهاد على كل الجبهات، وبعضها خصص الله له الجبهة الأمامية جبهة إعداد المستقبل، جبهة الحفاظ على الفطرة وسط المجتمع المفتون، حتى تبرز أجيال غد الإسلام لموعود الله عز وجل.

ولنسائنا مهمة أشق من مهمة الرجل. ذلك أن مجتمع النساء بيننا جمع بين الحفاظ على التقاليد البالية والسلوك الغازي. فمثقفاتنا بما يشعرن من تخلفهن عن ركب الدعارة الجاهلية (في الجملة) أشد تحللا وانحلالا من أمثالهن من الرجال. وما عند شعبياتنا من خرافات مردها للبؤس والجهل، والظلم، وطول الأمد، والانبهار بالأسر الثرية، وتقليدها في عادات التبذير، كفيل أن يدفعهن لعداء الحجاب والحشمة والتقوى بمثل عداء الأخريات أو أشد.

لكن فطرة الإسلام الموروثة لا يزال لها وجيب تحت رماد الفتنة. فالنساء إن صلحن كن الركن الركين في بناء المجتمع الإسلامي المتجدد.

فعلى المؤمنات أن يعرفن جبهتهن.

وعلى رجال الدعوة قبل قيام دولة الإسلام وبعده أن يعطوا لبؤس المرأة وحرمانها وظلمها ما تطلبه من النصفة أول الأوليات.

الشعبة التاسعة: إكرام الجار والضيف

يتوسع مفهوم الصحبة والجماعة بتقدمنا في عد شعب هذه الخصلة. فمن محبة الله تعالى، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، إلى محبة حبيبه وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم، إلى محبة أوليائه تعالى والأخيار من أمته صلى الله عليه وسلم، إلى الوالدين والأقربين، والزوج والزوجة، فالجار بالجنب، فالضيف العابر.

وهكذا تكون الدعوة رحمة جامعة بين المؤمن وخالقه، ثم تفيض فتعم من أمر الله ورسوله بمحبتهم وإكرامهم وحسن عشرتهم. وهكذا تتكون على نور محبة الله تعالى نواة المجتمع الإسلامي والأخوي وتتوسع.

ويمتاز المجتمع الإسلامي بحسن التجاور بين المسلمين. من أهم ما تشكوه مجتمعات الاستهلاك المكونة من الأسر الأنانية على نمط الجاهليين أن الناس أصبحوا لا يأبه بعضهم لبعض، ولا يهتم، ولا يتكلم، ولا يعرف. فآصرة الأخوة الإسلامية الجامعة تقرب الأسر، وتربطها بحقوق ضبطها الشرع وحث عليها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

أما إكرام الضيف بالقرى والخدمة والملاطفة، فهو سمت الدعوة، وأهم آدابها. بيوت المؤمنين هي معاقل الدعوة ورباطاتها. فينبغي للمؤمنين والمؤمنات أن يفتحوا بيوتهم للواردين. وعلى الدعاة أن يضربوا المثال في ذلك. فداعية لا يفتح باب داره، وباب قلبه، وبشاشة وجهه، للمؤمنين والواردين دعي.

ولا كلفة مما يعتاده الناس. فمتى بقيت الكلفة بين المؤمنين، أو خجلت المؤمنة أن يدخل بيتها وارد وواردة دون أن تقيم طقوس مجتمع التكلف والاستهلاك، فأمر الدعوة في ذلك البيت إلى غير رشد.

الشعبة العاشرة: رعاية حقوق المسلمين والإصلاح بين الناس

فرض الله تعالى على المؤمنين الولاية والتناصر والتعاون. وإن تجديد الإسلام وإقامة الخلافة الإسلامية مسيرة شاقة لجند الله، تقاومهم قوى الشر المتضامنة المتألبة. فسبيل المؤمنين أن يتقدموا يدا في يد ويواجهوا قوى الباطل. وعلى جند الله أن يبسطوا يد الرحمة للمسلمين، ويبرهنوا للشعب بحملهم همومه، ورعايتهم لحقوقه، أن برنامج الحل الإسلامي إقامة مجتمع العدل والرحمة والكرامة.

على مستوى التنظيم تشاع مستلزمات الأخوة بين جند الله، يكرم بعضهم بعضا، ويصلحون ذات بينهم، ويسترون عورات الناس ما لم يكن فسق، أو بدعة قادحة في العقيدة، أو خيانة لأمانات الجماعة.

ومن مكملات الدعوة إدخال السرور على المسلمين، وتنفيس كربهم، ومدافعة اضطهاد المستكبرين عنهم. حتى إذا اجتمعت الدعوة والدولة في يد المؤمنين كان معنى هذه الشعبة إقامة مجتمع يكرم فيه المسلمون، ويكرم فيه الإنسان.

الشعبة الحادية عشرة: البر وحسن الخلق

من المؤمنين من ينقص إيمانهم لسوء خلقهم، وغلبة الطبع الغضبي عليهم، حتى لا تجد لهم حظا من هذا الشعبة. سوء الخلق العابر لمزعج أو هم طارئين يمكن علاجه. أما صاحب الطبع الحاد الذي لا يصلح للعشرة فعلاجه أن يجنب التنظيم. لأن الاستقرار النفسي شرط أساسي في بناء الجماعة. فأي عنصر يغلب عليه الانفعال يسبب قلق المؤمنين، ويصبح مثبطا ومنفرا. المؤمنون أبرار، والبر حسن الخلق، فمن لا حظ له فيه يستعان بما لديه من خير لكن لا يعول عليه.

وغياب هذه الشعبة من مجموع المؤمن تسقط أهليته للعضوية، لأنه لا صحبة مع سوء الخلق والانفعال الغضبي، ومعهما تسقط كل شعب هذه الخصلة.

الخصلة الثانية
الذكر

الذكر تربية

الكيمياء الإلهية، والدواء والعلاج التي بها يطهر القلب، وهو مصب الإيمان وملتقى شعبه ومصدر نوره، هو ذكر الله. قال الله تعالى: ﴿أَلَاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[1] وإنما تحيى القلوب بذكر الله، والتفكر في آلائه، واستمطار رحمته، ومناجاته، والاعتذار إليه عن التقصير، واستغفاره للذنب، حتى يصبح هم المؤمن الله. في الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن أعطى الدنية من نفسه غير مكره فليس مني**».

إنه لا يستطيع حمل هم الأمة، وهو ثقيل، إلا من أصبح همه الله، وغايته طلب وجهه، فهانت عليه الشدائد، واسترخص الموت في سبيل محبوبه.

كتاب الله وهذيان العالم:

العالم كل ما سوى الله. وعالم اليوم تسيطر عليه الجاهلية، وقيمها، وثقافتها، ووسائل إعلامها، فلا تكاد تسمع ذكر الله. والناس من حولك غافلون، لاهون، مشتغلون بسفساف الأمور. هم منغمرون في الحياة الدنيا، لهوا ولعبا، وشكا وإلحادا، وغفلة عن الله.

هذيان العالم ملعون، أي مبعد مبعد عن الله (بفتح العين وكسرها). قال رسول الله عليه وسلم: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما ومتعلما**». رواه ابن ماجه والطبراني بإسناد حسن.

---

(1) سورة الرعد، 28.

وكتاب الله هو الحبل المتين، هو الذكر الحكيم. فتربية جند الله ترتكز على الاستمساك بهذا الحبل، بهذه العروة التي من تمسك بها نجا. ثم بعد النجاء من هذيان العالم يتبطن في القلب حب الله حتى يصير حب القرآن خلقنا ورائدنا.

تنظيم جند الله يجعل القرآن محور العلم، ويجعل ما إلى ذكر الله من تدارس للقرآن، وفهم له، وإعداد الفكر الإسلامي الذي يحررنا من هذيان الجاهلية وفلسفتها ونظرياتها الإديولوجية، مطلبا أساسيا.

وبعد قيام الدولة الإسلامية يصبح القرآن، وعلومه، وما تفرع عنه من حكمة مادة الثقافة والتعليم والإعلام، ليصطبغ المجتمع كله بصبغة القرآن، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة؟ وتكون العلوم الكونية التي يبزنا فيها اليوم الجاهليون مستنيرة بنور القرآن خادمة لأهدافه.

القرآن ذكر يربي الإرادة، والقرآن شريعة تضبط علائق التنظيم، والقرآن دستور للحكم والعلم وتغيير العالم.

من هذيان ما قبل الإسلام، وهو حديث الفكر المادي الجاهلي وفلسفاته ونظرياته الإيديولوجية، إلى لغة القرآن، أعني لغة اللسان والقلب والإيمان.

أصول:

من أصول الشيخ البنا رحمه الله: «والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام. ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف. ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات».

ومن أصوله رحمه الله: «وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده. ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية. ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه».

ومن أصوله رحمه الله: «وزيارة القبور، أيا كانت، سنة مشروعة بالكيفية المأثورة. ولكن الاستعانة بالمقبورين، أيا كانوا، ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم، عن قرب أو بعد، والنذر لهم، وتشييد القبور وسترها، وإضافتها، والتمسح بها، والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات الكبائر، تجب محاربتها. ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذرائع».

ومن أصوله رحمه الله: «والعقيدة أساس العمل. وعمل القلب أهم من عمل الجارحة. وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعا وإن اختلفت مرتبتا الطلب».

طلب الكمال:

ما أشار إليه الشيخ البنا رحمه الله من النور والحلاوة والإلهام والكشف والرؤى الصالحة عطاء يخص الله به من يشاء من عباده المؤمنين الذاكرين السالكين طريق الحق. ومنتهى كل ذلك الفتح الأكبر الذي يحصل لأولياء الله. وهم درجات والفتح درجات. نترك الحديث في هذا لفحل من فحول الأولياء، هو الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله.

قال رحمه الله يصف حال المفتوح عليهم: «من قوي إيمانه وتمكن في إيقانه رأى بقلبه جميع ما أخبره الله عز وجل به من أمور القيامة. يرى الجنة والنار وما فيها. يرى الصور والملك الموكل به. يرى الأشياء كما هي. يرى الدنيا وزوالها وانقلاب دول أهلها. يرى الخلق كأنهم قبور يمشون. وإذا اجتاز القبور أحس بما فيها من عذاب ونعيم. يرى القيامة وما فيها من القيام والموافقة. يرى رحمة الله عز وجل وعذابه».[1]

ارجع لهذا الكتاب لتسمع واحدا من مؤمني الأمة يحدثك بما فتح الله على قلبه. ولا تخلط وتسئ الفهم، فالفتح رؤية قلبية بحاسة يفتحها الله في القلب. ولا تظن أنك ترى كل ذلك بحاسة الشحم. فتح الله لنا ولك.

---

(1) الفتح الرباني، ص 93.

ارجع إلى كتاب «حياة الصحابة» للشيخ يوسف الكاندهلوي لتقرأ ما كان يحدث من فتح لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما أتينا بشهادة رجل متأخر زمنا عسى أن تستيقظ هممنا لنطلب إلى الله عز وجل كمال ذواتنا.

والمؤمن الرشيد إن عثر على ولي مرشد يسلكه وُعورات الطريق لا يسأل الله الفتح طلبا لحظ نفسه والكرامات. إنما يطلب من الله أن يغفر له، ويرفعه في درجات القربة ويعطيه كمال الإيمان والإحسان.

فإن الفتح كرامة، والاستقامة إلى الله هي مطلوب القوم. ورحم الله الشيخ البنا فقد حذر من مزالق الاعتماد على الكشف وسائر المظاهر النوارنية التي قد تتماثل في شكلها مع المظاهر الشيطانية حتى لا يميز الجاهل بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

الأوراد:

يقول الصالحون من هذه الأمة: «من لا ورد له فلا وارد له». والوارد هو مزيد الإيمان الذي يقذفه الله عز وجل في قلب المتبتلين الذاكرين الله كثيرا المتهجدين.

كان لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوراد وأحزاب (أي أجزاء من القرآن ونوافل من الخير يومية لا ينامون عنها)، أنظر كتاب «حياة الصحابة».

يكون لجند الله أوراد أي أعمال دائمة من كل شعب هذه الخصلة. فمقل ومكثر بالتدرج، إلى أن يقوى إيمان الوارد، فيصبح ذكر الله غذاء ضروريا، وتصبح الكلمة الطيبة لا يزال لسانه رطبا بذكرها.

ولا بأس أن يتواصى الإخوة ويتنافسوا في الذكر. فما جاء من أذكار وعبادات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محدودة بالعدد، فلا مكان لتجاوزها. وما ترك فيه لنا الخيار أو ندبنا فيه إلى الإكثار أكثرنا.

تحديد العدد ورفعه بالتدريج سياسة للنفوس الكالة الكسول وليس تشريعا. وبعضهم يندد بمن يعين لنفسه عددا من النوافل والأذكار والدعوات والقرآن أو يحدده له غيره، يعتبر ذلك افتياتا على الشارع. وما هي إلا سياسة. المحذور أن يتقدم أحد بين يدي الله ورسوله فيما جاء منصوصا على عدده. والمكروه أن تتعدى دائرة السنة، كأن تختم القرآن في أكثر من شهر أو أقل من ثلاث. وليس مذهبنا أن نحدد لأحد وردا.

وللورد، تحديدا ودواما، سند في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها ولو قل**». الدوام معناه تكرار عدد العبادة يوميا. وهذا معنى الورد.

وما بعد الورد من استغراق الوقت كله في الذكر، سنده حديث عائشة الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه. وسنده ما رواه ابن حبان وابن السني والطبراني والبيهقي عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله**».

لا إله إلا الله أعلى شعب الإيمان. فطالب الحق، ومريد الله، وسالك الطريق إليه، من نصح نفسه، وانتصح بوصية الله ورسوله، فجعل هذه الكلمة الطيبة على لسانه وفي قلبه على كل أحيانه حتى يحبه الله.

الذكر تنظيما

ذكر الله غايته أن نتولى الله بالقيام بعبادته كما أمرنا حتى يتولانا هو برحمته كما وعدنا.

ومن ثم فالذكر ليس فقط مناجاة في الضمائر، وكلمات على اللسان، وشعائر ظاهرة يعظمها المؤمن. بل الذكر الوقوف بين يدي الله صفا في الصلاة، يتقدم إليه جند الله لأداء مراسيم العبودية، ثم إشاعة حاكمية الله في علاقات جند الله مع

الله، وفي علاقاتهم استعدادا لتطبيق شريعته يوم يؤول الحكم إلى المؤمنين، في كل مجالات الحكم، والسياسة، والاقتصاد، وشكل المجتمع، والعدل فيه، والثقافة، والجهاد كله.

الولاية لله:

ينتقل جند الله من حال الغفلة وهذيان العالم إلى حال الذكر. في كل حركة، وأمام كل موقف مستجد، وعند كل عمل، يصحح جند الله النيات، ويضعون أسئلة يجاب عنها جواب الذاكرين. فعن سؤال من نحن؟ يستبطن المؤمنون جواب: جند الله. وعن سؤال الولاء، جواب: ولاؤنا لله. وعن سؤال الغاية، جواب: وجه الله. وعن سؤال القائد، جواب: رسول الله. وعن سؤال الحاكم، جواب: الله. وعن سؤال دستور الحكم: كتاب الله. وعن سؤال الوسيلة: الجهاد في سبيل الله. وعن سؤال استعدادنا: الموت في سبيل الله.

نقلة جماعية من معاني التجمع السياسي والتنظيم الأرضي إلى معاني النسبة إلى الله ورسوله وكتابه.

ضاعت هوية المسلمين في متاهات القومية والحزبية والإديولوجية والعصبيات والولاءات الأرضية.

ذكر الله في حق جند الله أن يعيدوا صياغة الروابط العادية الغافلة فيفشوا فيها معاني الإيمان فيما بينهم، استعدادا ليعكسوا ذلك على المجتمع المسلم كله، سياسة، وتعليما، وتخلقا واقتصادا، وشعورا، وسلوكا، وعبودية لله عز وجل.

لا بد من نقلة جماعية لنستعيد بيننا هوية الإيمان، لتقارع من مكان العزة بالله، وقوة الاعتماد عليه، ونور اتباع رسوله، وحق شريعة كتابه، هوية الباطل.

إذا كان جند الله واحدا واحدا من الذاكرين الله كثيرا سهل استعدادهم جماعة ليكون ولاءهم للحق سبحانه من القوة بحيث يهيئهم للجهاد والموت في سبيل الله. فالجهاد والموت في سبيل الله هما الخصلة الغائية لجماعة أولياء الله. وهما

الوسيلة، وهما ثمن رضى الله سبحانه. في الحديث: «**ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة!**».

لن تكون دولة إسلامية، ولا خلافة إسلامية، ولا جهاد إسلامي، إن لم تحدث في إرادة جند الله وفكرهم، في قلبهم وفي جوارحهم، هذه النقلة، نقلة الهوية والشخصية والسلوك.

الناس عباد الله جميعا بنسبة الخلق، والتدبير منه تعالى، ونسبة الافتقار منهم.

لكن جند الله، زيادة على عبودية القهر هذه، يكتسبون بالإقبال على الله تعالى عبودية الإرادة والاختيار من جانبهم، والرحمة والنصرة من جانبه عز وجل. فالمؤمن يحقق الله له، لمن يشاء، عبودية كمال ولايته، وجماعة المؤمنين يحقق الله لهم النصر والتمكين في الأرض، وكرامة المجاهدين في أية عاقبة من إحدى عاقبتي الحسنيين.

عزاء الجاهلية:

رواسب الماضي بين الواردين والأعضاء في التنظيم يراد لها أن تندثر.

فإذا كان سوء الخلق الفردي مانعا من صلاحية الفرد للدخول في الصف، فإن ثمة تخلقا سيئا لا يأتي من قبل طبع الأفراد، بل من طبيعة كل تجمع بشري. أقصد طبيعة الولاء للإلف القريب، ولأسرة الدم، وللقوم والوطن. (الدفاع عن حق الأمة وتراب الوطن الإسلامي فرض).

الولاء لله، والولاية بين المؤمنين، يناقضان مناقضة تامة الولاء العرقي والقومي. والقومية داؤنا ووباؤنا المفرق للمسلمين على حيثيات النسب، كما يفرقهم على حيثيات السياسة الفتنوية في حدود هذه الدويلات القومية.

عندما يرد علينا الوارد من طلاب الحق المرشحين للانضمام، يحتل إلف أسرة الإيمان مكان عاداته العاطفية، فيشجع على ذلك. لكن ينبغي أن ترفع التربية

شعور الولاء تدريجيا حتى يعم كل إخوانه في التنظيم، وكل المؤمنين المجاهدين، في كل الأقطار. على أن لا يتحول هذا الولاء الواسع إلى عاطفة فضفاضة تحل ما يريد التنظيم جمعه. ففي مراحل البناء يكون الولاء على مستوى المرحلة. فولاء الطاعة لأولي الأمر في القطر، قبل أن تتهيأ الوحدة، يجب ألا يناقش ويعارض بالولاء العام.

ومتى توحدت قلوب جند الله على حب الله ورسوله، وعلى مداومة الحضور بين يدي الله ورسوله، ذهبت الطبيعة الإلفية وما يتفرع عنها من عصبيات.

وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصبيات الدموية والقومية عزاء جاهليا، ووصف لنا كيف نحارب هذا العزاء أشد الحرب. فكل رواسب التعصب للأشخاص (الصحبة في الله والأخوة المطلوبان نقيضان للتعصب المفرق)، أو الماضي، أو التكتلات داخل التنظيم، تحارب أشد الحرب، إن لم تفد التربية في رفع معناها، أو تسرب إلى الصف شخصيات فجة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**». رواه البخاري في الأدب وأحمد والنسائي وغيرهم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تطبيقا للأمر الشريف: «من اعتز بالقبائل فأعضوه، في رواية فأمصوه».

وهذه الكلمات عند العرب أقذع ما يسمع. لذلك أمرنا أن نستعملها لمحاربة أفتك الأمراض.

ونوسع مفهوم هذا الأمر الشريف إلى ميدان الدعوة، ومحاربة الأفكار المستوردة. فنكتب ونخاطب بكل ما ينقض فكر الجاهليين وأذنابهم من بيننا، وبكل ما يسفه القومية العصبية وحملة شعاراتها. نرفع النكير على ما يشتت الأمة ويمنع من وحدتها.

لا إله إلا الله تجمع المسلمين. تجمعهم إلى الله قلوبا محاسبة على نياتها، وأجساما وذواتا محشورة إلى دارها بعد الموت. وتجمعهم شعوبا وقبائل ليعرفوا

الله فيتعارفوا ويتآلفوا ويقوموا لأمر الله، لا كتخبط العصبيات، عصبيات الذين ﴿لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[1] وأي شيطان ومس أكثر إفسادا للتنظيم من التعصب للرأي، والأشخاص والاتجاهات، وللأمة من العصبيات القومية، والمذهبية، والعرقية، والطبقية.

لا بد لجند الله من تذويب الكيانات الشيطانية أول ما يفعلون بعد قيام الدولة الإسلامية. كيان الظلم الطبقي، وكيان الانتماء المفرق للمسلمين، وكيان الاقتصاد التابع للجاهليين واليهود، وسائر كيانات الجهل والفقر والمرض.

الولاء لله ليس آية تتلى، وصلوات منعزلة في المساجد، ورسوما على التلفزيون. بل اتجاه عملي لتكون آيات الله شرعا يحكم كل الحياة، والصلاة شعار وحدة بين يدي الله، والمساجد بوتقة لصياغة حضارة الأخوة الإسلامية بين العباد.

شعب الخصلة

الشعبة الثانية عشرة: لا إله إلا الله

مهدنا لهذه الشعبة العليا بشعب الصحبة، وإن كانت هي السابقة والمقصودة، لأسبقية الدليل يمشي بك إلى المقصد، والرفيق على الطريق.

شهادة أن لا إله إلا الله مع لازمتها شهادة أن محمدا رسول الله هي أصل الإسلام، والركن الركين في الإيمان. شعبة هي أم الشعب، ومنبع الفيض الإيماني، وجماع الخير. هي الكلمة الطيبة قولا واعتقادا. هي الشجرة الطيبة أصلا وفروعا وطيبا وثمرا.

قال ابن أبي جمرة رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[2] ما نصه: «إن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾. فالكلمة هي كلمة الإخلاص

(1) سورة البقرة، 275.
(2) سورة إبراهيم، 24.

(لا إله إلا الله)، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأمر واجتناب النهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة. وغاية كماله (أي الثمر) تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها».

فلا إله إلا الله في المثل الذي ضربه الله لنا توازي وتماثل الإيمان في تأصلهما، وتفرعهما، وثمرتهما، وحلاوتهما. بل الكلمة الطيبة هي أصل الإيمان وحقيقته، منها يتفرع، وعنها يصدر، ومن معينها يتدفق الرافد الأعلى من روافده.

لا إله إلا الله تجمع الأمة المسلمة. فكل أهل التوحيد، أهل القبلة، إخوة لنا مهما كان الخلاف المذهبي، ومهما كانت بدع بعضنا وفجورهم، إلا بدعة تخرج من أصل التوحيد، أو فجوراً يتعدى مرتكبه ويفسد الأمة.

لا إله إلا الله تجدد الإيمان كما جاء في الحديث: «**جددوا إيمانكم. قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله**». رواه الإمام أحمد ورجاله ثقات والطبراني. ورمز السيوطي إلى صحته.

ورب معترض ومتعالم على الله ورسوله يأتي برأيه يقول: «كلمات وردت في السنة من تسبيح وتحميد وغيرهما. فلم التركيز على كلمة الإخلاص دون غيرها؟».

اعلم يا أخي أن الله ورسوله أعلم. وقد وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصية الكلمة الطيبة في تجديد الإيمان. فمن اتبع وجرب عن يقين عرف. وذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصائص أذكار وعبادات أخرى، فالمتبع اليقظ يميز. روى مسلم عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض. والصلاة نور والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك الحديث**». وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى الإمام أحمد والبيهقي: «**سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله تملأ الميزان، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض. والطهور نصف الإيمان والصوم نصف**

الصبر» حديث صححه السيوطي. فترى التسبيح والتحميد والتكبير تعطي الثواب الجزيل، وهو شيء يغشاك. وترى الطهارة نصف الإيمان لكنها لا تجدده. وذكر المعصوم المحبوب صلى الله عليه وسلم أن لا إله إلا الله، الإكثار من قولها، هي الكيمياء التي تجدد الإيمان، وتقويه، وتبعثه. كما ذكر الله سبحانه أن القرآن شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة. فخذ لنفسك من طب الكتاب والسنة إن كنت من الموقنين.

الشعبة الثالثة عشرة: الصلاة

الصلاة لوقتها وفي المسجد مع الجماعة هي الضابط للمسلم، إذ تنقله من الوقت السائب، المقيد بعلاقات العمل والراحة والطعام واللهو، إلى الوقت الإيماني، المقيد بداعي الله خمس مرات في اليوم ومرة في الجمعة. تنقله من المكان السائب المنطلق في ساحة الغفلات، إلى بيت الله يلبي النداء رمزا للطاعة والانقياد. تنقله من الوحدة السائبة، وضياع الرفقة الغافلة، إلى صف المصلين المتراصين بين يدي الله.

وينبغي الحرص على صلاتي الصبح والعشاء في المسجد والجماعة. وينبغي أن لا يعذر الوارد على تأخير الصلاة عن وقتها ولا على التراخي في حضور الجماعة والمسجد. فما صلاة الفذ عند العذر، وما صلاة المرأة في بيتها إلا استثناء من القاعدة، وهي صلاة الجماعة.

روح الصلاة الخشوع فيها. وهذا لا يأتي إلا بصحبة الخاشعين، وبالكلمة الطيبة حين تخالط بشاشتها القلوب. فميزان إيمان كل وارد وكل مؤمن ومؤمنة بينه وبين نفسه ما يجده من خشوع في صلاته. ينظر هل زاد إيمانه أو نقص.

ويحمل كل امرئ نفسه على الحضور في كل صلاته ما أمكن. فإنه لا يكتب له من صلاته إلا ما حضر فيه بقلبه ونيته مع الله عز وجل. والغفلات من طبيعتنا. فأدنى ما علينا، وأقصى ما نستطيع، أن نجتهد لنذكر الله كلما نسينا. ونستغفر الله ثلاث مرات دبر الصلاة ليجبر غفلاتنا ويغفر تقصيرنا.

الشعبة الرابعة عشرة: النوافل

يعلم المؤمن بما بلغه من صحيح الأخبار أن الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده فهي مناجاة، ويعلم أن الله يقبل عليه في الصلاة. وأنه أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، وأن التقرب إلى الله عز وجل يكون بالفرض أولا، فإذا تم الفرض أركانا وخشوعا صح النفل. إذا علم هذا كان حرصه على النوافل أقوى من داعي الاقتصار على الفرائض.

يطلب إلى المؤمن أن يحافظ على السنن الرواتب، والوتر من آخر الليل، ولا يترك أن يقرأ كل ليلة بالآيتين من آخر البقرة للحديث الوارد في ذلك. وصلاة الضحى. والكيس من واظب على صلاة الاستخارة يوميا يتخذ به عند الله عز وجل وسيلة ليلهمه رشده في كل أمر. ولا بأس من المواظبة على صلاة الحاجة لإبداء الافتقار إليه سبحانه والاعتماد عليه.

الشعبة الخامسة عشرة: تلاوة القرآن

القرآن شفاء لما في الصدور، شفاء ورحمة للمؤمنين. على تلاوته وحفظه ومدارسته والعكوف عليه مدار طب القلوب وإعدادها لتمتلئ إيمانا. هو النور.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده**». رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

وعد من الله ورسوله. فمن يسكن أنفسنا من اضطراب الحياة اليومية، وموجان الفتنة في العمل والشارع والبيت، إلا سكينة مجالس القرآن؟ تغشانا فيها الرحمة ويذكرنا الله فيمن عنده!

كل مجالسنا وأحاديثنا تدور حول القرآن ومعانيه، حول وعده ووعيده، حول بشارته ونذارته، حول رحمة الله وحكمته، حول ذكر الله نفسه بالعزة، والعظمة،

والألوهية والربوبية، وذكره أحبابه بخصال الإيمان، والمصير إلى الجنان وذكره أعداءه بخصال الكفر، والنفاق، والمصير إلى النار، حول قصص من سبقنا لنتعظ، حول أحكام الله لنتقيد بها.

لا أقل من أن يتلو المؤمن جزءا (حزبين) كل يوم صباحا ومساء. وللتلاوة آداب انظرها في كتاب النووي: «التبيان في آداب القرآن».

والتجويد علم يأخذ منه المؤمنون حسب الاستعداد، ولا بد لكل من حد أدنى يصون لسانه من إساءة الأدب مع كلام الله عز وجل.

ولاستماع القرآن آداب.

ويكون للمؤمن ورد للحفظ، يبدؤه بالسور والآيات الفاضلة القصيرة، مثل آية الكرسي، وسور يس، والسجدة، والملك، وسور المفصل. فما حفظ أكثر من تلاوته والقيام به لئلا يتفلت.

ثم يعمد إلى الزهراوين البقرة وآل عمران، ويعقد مع الله تعالى عقدا أن يحفظ القرآن كله قبل موته، ويستعينه على ذلك، ويبذل كل الجهد. فإنه إن مات دون غايته وقد بذل الجهد، يبعثه الله إن شاء الله على نيته يوم يقال لقارئ القرآن: اقرأ وارق. يوم التغابن والحسرة إذ يقرأ المجاهدون فيرقون أمام أعين من فاتهم الحفظ.

الشعبة السادسة عشرة: الذكر وأثره

يقول رسول الله صلى الله عليه فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه**» رواه أبو داود والحاكم وابن حبان.

ويقول رواية عن الله تعالى: «**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعـًا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعـًا. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**» رواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة.

جل الله! ما أعظم كرمه ورحمته بنا. يعرض علينا صحبته وأن يكون معنا، وأن نتقرب إليه ليتقرب إلينا، وأن نسير إليه ليسارع إلينا.

جل الله! ما يعي هذا ويعمل عليه إلا عبد نور الله بصيرته، فعلم أن وعد الله حق، وأحيى الله قلبه، فخرج من بين أموات القلوب الغافلين عن الله. وما يحيي القلوب إلا ذكره سبحانه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**» رواه البخاري ومسلم، غير أنه قال: «**مثل البيت الذي يذكر الله فيه...**».

آثار ذكر الله فيك إحياء قلبك. وآثاره في مجتمع الغفلة والفتنة أن يسري شفاء ذكر الله في الجسم المريض. تذكر الله في ملأ عندما تؤذن للصلاة، وعندما ترفع شعار التوحيد بين المتنكرين لدينهم، وعندما تدعو هذا وذاك وهذه الجماعة وتلك إلى الله. تحاضر، وتحاج، وتخاصم في الله. كله ذكر.

والورد المواظب عليه بآداب الذكر، ومنها الطهارة واستقبال القبلة والحضور القلبي، منه تأتي القوة التي تحملك إلى محافل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

الشعبة السابعة عشرة: مجالس الإيمان

روى الإمام أحمد بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه قال: «كان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعال نؤمن ساعة! فقال ذات يوم لرجل، فغضب الرجل. فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله! ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **يرحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة!**».

وفي الباب الأول من كتاب الإيمان للبخاري قوله: «وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة».

وعند الإمام أحمد: «كان معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا نؤمن ساعة. فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه».

وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**».

للناس في مجالس الذكر الجماعي مقالات وخلاف. ومذهبنا تجنب ما يفرق الصف. فمجالس القرآن تلاوة وتدارسا، ومجالس الإيمان التي تتنزل عليها السكينة، وتغشى أهلها الرحمة، وتحف بهم الملائكة، من أهم شعب الإيمان. ولا ينبغي أن نواجه بما يخالف الرحمة والسكينة وصحبة الملائكة ما نراه من تلاوة جماعية وذكر جماعي درج عليهما الناس. لا نصدم المسلمين لمجرد أن التلاوة جماعية والذكر جماعي. فلا دليل قطعيا مع من يحرمون ذلك. بل ثبت أن الصحابة كان يدرس القرآن بين أيديهم قراءة جماعية.

أما جند الله المتجددون المجددون ففيما أوردناه من أحاديث برنامج لجلسات الأسر وجلسات الشورى حتى تكون كل مجالسهم مجالس قرآن وذكر وإيمان، سواء ما كان منها منظما، وما أتى بمناسبة اجتماعية. ولا حاجة أن تكون التلاوة جماعية ولا الذكر. فإن تلاوة القرآن يجودها واحد تتيح لنا ثواب الاستماع، وقد أمرنا به كما أمرنا بالتلاوة. وهذا لا يتأتى لا تجويدا ولا استماعا بالاشتراك كما درج الناس. والذكر كذلك لا داعي لإثارة الخصام حول معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «يذكرون الله» هل يذكرون جماعة أو فرادى. نحن في غنى عن تبذير الجهد في الخلافيات.

ولنحذر أن يمر مجلس من مجالسنا دون أن نذكر فيه الله فيكون علينا ندامة وترة كما جاء في الحديث. ولتتخلله الموعظة، لا سيما إذا كان مجلسا تنظيميا نتفرغ فيه لدراسة حركتنا على الأرض بين الناس ومشاكل الناس.

وللمجالس كفارة تحفظ ولا تنسى، وهي كما جاء في الحديث الصحيح: «**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك**» وزادت روايات حسنة صحيحة «**عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

الشعبة الثامنة عشرة: التأسي بأذكاره صلى الله عليه وسلم

نجد في كتاب «الأذكار» للإمام النووي، وهو من أوسع الكتب في أذكار رسول الله صلى الله عليه وسلم زادا نافعا من الأذكار المأثورة. فمع التركيز على كلمة التوحيد أعلى شعب الإيمان نعطي للتسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة وسواها من الأذكار الواردة حقها، في أوقاتها، وبأعدادها، كما وردت في السنة.

ونحفظ جوامع الذكر النبوية، ونحافظ على الأذكار الواردة عقب الصلوات، وفي الصباح والمساء، وعند الدخول والخروج، وعلى الأذكار الواردة في الاستعاذة، وعلى الأذكار غير المقيدة. يحفظ المؤمن منها ما تيسر تباعا. فقد جاءتنا من الحبيب صلى الله عليه وسلم كلمات محفوظة لكل مناسبات الحياة، ولكل منها فضيلة، ومن كل منها يسري إلينا مزيد من النور والإيمان.

الشعبة التاسعة عشرة: الدعاء وآدابه

روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**».

وهذا ينظر إلى قول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾.[1]

فمقام العبد ومقام جماعة المؤمنين المستضعفين في الأرض التذلل بين يدي الله عز وجل، وإظهار فقرنا إلى مدده وعونه وهدايته.

وللصلاة أدعيتها السنية كما لكل الحالات أدعيتها. كدعاء الاستخارة والحاجة.

(1) سورة الفرقان، 77.

وللدعاء آداب منها أن لا يعجل ويقول: دعوت فلم يستجب لي، ومنها ألا يرفع رأسه في دعاء الصلاة، ومنها أن يظهر غاية المسكنة، وأن يتباكى تضرعا لله تعالى، ومنها الحضور القلبي لكي لا تصبح الأدعية كلمات تلاك، ومنها ألا يدعو على نفسه وأهله وماله، ومنها الدعاء في الجماعة تناوبا، يدعو واحد ويؤمن الباقون.

ويختم المؤمنون مجالسهم بتلاوة سورة العصر كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم وبعدها الدعاء بالتناوب.

ومن المؤكد أن ندعو الله تعالى بأسمائه الحسنى، كما أمرنا في كتابه، حين ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا يقول: هل من سائل، هل من تائب، هل من مستغفر. وأن نلتمس دعاء الصالحين، ودعاء من يستجاب لهم كالمظلوم، والمسافر، والوالدين، والصائم حتى يفطر، والإمام العادل.

ودعوة المؤمن لأخيه عن ظهر الغيب مستجابة. فلا نغفل ذلك، نقدم بين يدي الله عز وجل مصاعبنا ومشاكلنا بعد أن نتخذ أسباب حلها. فمن خاصم أخا له فليدع أحدهما للآخر عن ظهر غيب.

الشعبة العشرون: التأسي بدعواته صلى الله عليه وسلم

رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمنا بالله، يعرف الخير فيدعوه به، والشر فيستعيذ منه. فنتبع كلماته الشريفة في الدعاء، كل دعاء بمناسبة، ونحفظ من ذلك نستكثر. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأدعية الجامعة، وأدعية المناسبات، وأدعية الأوقات، وأدعية أثناء العبادات، وأخرى في الأكل والشرب والعادات.

ونحفظ أدعية القرآن مع الانتباه إلى مناسبتها، حتى نأخذها عن الله عز وجل، نتضرع إليه كما تضرع إليه أحبته التي أوردها الحق سبحانه على لسانهم. فورودها تعليم لنا أن نكون له سبحانه عبيدا كما كان أنبياؤه وأولياؤه.

الشعبة الحادية والعشرون: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا**».

فإن كان هذا فضل الصلاة على الحبيب صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يستكثر منها المؤمن. وإنه لشح ما له مثيل أن يكتب المؤمن ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب بين قوسين صادا صماء، ويحرم نفسه وقارئه من ذلك الفضل العظيم.

نكتفي بالصيغ الواردة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي كثيرة. والصلاة الإبراهيمية في التشهد وغيره هي العمدة. لا تذكر السيادة في الصلاة لكن لا مشاحة خارجها. ومن علمائنا من يحرصون على أن يذكر الاسم الشريف في الصلاة الإبراهيمية دون لفظ السيادة مطلقا. فلا نتخاصم على ذلك، ولا بأس.

صلاتنا على الرسول الكريم على الله عز وجل تبلغه، ويبلغه سلامنا، كما جاء في الحديث. فلنتأدب مع إمام الأنبياء وخيرة الخلق صلى الله عليه وسلم. وأول هذه الآداب تعظيمه في أنفسنا، ومحبته الموصولة بمحبة الله لا تنفك. ومن الآداب أن نهدي ثواب صلاتنا عليه لروحه الشريفة. ومنها أن نكثر من الصلاة عليه يوم الجمعة.

ولنحذر أن نبعد عن رحمة الله إن ذكر عندنا اسمه الحبيب فبخلنا عن الصلاة عليه، ومن هذا البخل الشنيع صاد بعضهم الصماء.

ولا يفوتنا كما يفوت الكثيرين أن المقصود من الصلاة عليه والتسليم والإكثار منهما هو صحبته ومحبته. فإننا إن أكثرنا ذكره كما أمرنا، أصبحت صورته ومعناه في قلوبنا بمثابة النور الذي نهتدي به إلى ذكر الله ومحبته. نتيجة الصلاة على المحبوب المجتبى صلى الله عليه وسلم وَصْلتنا الدائمة به. فالصلاة صلة.

الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير، لذلك أوصى بعض سلفنا الصالح أن يبتدئ المؤمن دعاءه ويختمه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «فإن الله تعالى أكرم من أن يقبل الصلاتين ولا يقبل ما بينهما».

الشعبة الثانية والعشرون: التوبة والاستغفار

الإسلام رحمة. وبابها للعصاة والغافلين ومن يعلم الله عز وجل ما في قلوبهم من هذه الفئات المختلفة في مجتمعاتنا هو التوبة.

في انتظار أن يأتي الحكم الإسلامي بالرحمة الموعودة تحت ظل الخلافة على منهاج النبوة، يتهيأ جند الله، يتبوأون فسحات رحمة الله، بالإقبال على مولاهم تبارك وتعالى.

وأول الإقبال توبة نصوح بشروطها، وهي العقد مع الله أننا رجعنا إليه نادمين، والإقلاع عما كنا فيه من الفواحش والعصيان وترك الإصرار بعد رد المظالم إلى أهلها.

تنحل عقد الوارد، ويستوي عند المؤمن الشدة والرخاء رضى بالله تعالى، عندما يستحضران أن الله تعالى يفرح بتوبة عبده.

يجدد المؤمن التوبة إلى الله على كل أحيانه. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا أيها الناس توبوا، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**» رواه مسلم والترمذي.

ويستغفر المؤمن ربه سبحانه في الأسحار. ويكثر من الاستغفار. ويستعمل الصيغ الواردة، لا سيما سيد الاستغفار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» قال: «**من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة. ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**» رواه البخاري والترمذي والنسائي.

هـذا الدعـاء عهـد عنـد الله، روحـه أن تكـون موقنـا بـه وحاضـرا مـع الله عنـد التضرع بـه.

الشعبة الثالثة والعشرون: الخوف والرجاء

نحن في تعاملنا مع الله عز وجل ما بين خوف ورجاء. عمل قاربنا فيه نرجو عند الله قبوله وثوابه. لكن يمنعنا من الغلو في الرجاء، وهو غرور ينحدر بنا إلى التهاون في أمر الله، ما نعرفه من نفوسنا من تقصير. فنعمل بلا وني ولكن نصحب عملنا بالاستغفار من التقصير والهفوة والفلتة الملازمة للبشر.

المجتهدون في عبادة ربهم وذكره يتعاورهم الخوف والرجاء وذاك ما يليق بالعبودية. قال الله تعالى يصف المؤمنين الخاشعين الذاكرين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.[1] لا راحة دون محاب الله، ولا بخل عن البذل في سبيله، والقلب خاشع يخاف ويرجو.

تجيء المؤمن ساعات قبض وخوف، فيعالج نفسه ويعالج إخوته بذكر سعة رحمة الله تعالى، وتجيئه ساعات بسط ورجاء وعلاجها ذكر المشيئة الإلهية والخاتمة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الخوف من الله عز وجل، كثير البكاء من خشيته، كما كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم. هذا ما يليق بالعبد وما يتقرب به إلى الله سبحانه: التذلل والانكسار.

الشعبة الرابعة والعشرون: ذكر الموت

عالم الجاهلية وعالم الفتنة وعالم الهذيان والهوس والغفلة، عوالم منقطعة عن الله سبحانه. المادية الوضعية فلسفة الإنسان الذي أيس مما عدا ما يحسه، ورضي أنه دابة يقطع وجودها الموت، ويهلكها الدهر.

(1) سورة السجدة، 16.

حضارة الجاهلية التي تبطنت عقول بعض أبنائنا، وغزت ثقافتنا وبيوتنا وحياتنا العامة والخاصة، حضارة تكفر بالله وباليوم الآخر والبعث والمعاد والجنة والنار.

وحضارة الإسلام ليست كذلك. فالدنيا قنطرة ودار بلاء وامتحان، تتزين لتفتن الناس. فيستمد المؤمنون القدرة على مقاومتها من إيمانهم بأن بعد الموت سؤالا وبعثا، وحسابا وجزاء.

ففيما نربي ونكتب ونذكر، يجب أن يكون ذكر الموت هادم اللذات كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم جزءا لا يتجزأ من حديثنا، وهم الآخرة غالبا على هم دنيانا. حتى إذا أصبح الله عز وجل هو همنا وقبلة همتنا كان رضانا به وعكوفنا على بابه حاديا لنا على طريقنا إليه تبارك وتعالى، عبر مشقات الدنيا، وسكرات الموت، ومثوى القبر، وهول الحشر، ودقة الحساب، ومعبر الصراط، ودار المقامة.

الخلافة على منهاج النبوة تريد منا حضورا ثقيلا قويا على الأرض لنغالب الأعداء، وننتج، ونصنع، ونتسلح، ونخوض الأسواق العالمية، ونزاحم العالمين بالأكتاف.

فلكيلا تغلبنا جاذبية الأرض فنخلد إلى القيم المادية، وتذوب حياتنا فيها، نربي أجيالا مهاجرة إلى الله، عابرة إليه، الموت بين عينها، تطلبه استشهادا في سبيل الله.

موقفان من الموت عند المؤمن: موقف تخشع وتدبر واستعداد، وهذا عام مطلوب من كل المسلمين. وموقف إيجابي هو موقف المتحفز للجهاد، المشتاق إلى لقاء الله، المستميت في سبيله عز وجل جهادا.

ويجمع الموقفين كون العبد عابر سبيل شاء أم أبى. فلأن يكون من الشهداء المقتحمين على الموت جهادا خير من أن ينتظرها قعودا متوجسا.

روى البخاري واللفظ له والترمذي بنحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو**

عابر سبيل». وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك».

ولكي يكون ذكر هادم اللذات جزءا من حياتنا، أمرنا الشارع أن نعود المريض، وجعل لنا في ذلك أجرا جزيلا، وأمرنا بالدعاء له ومواساته وتصبيره. وزيارة المرضى من أهم وسائل الدعوة، لأن المريض في حالة ضعفه وابتعاده عن عاداته أقرب أن يسمع ويتوب.

وللموت آداب وفضائل في تجهيز الميت، وللصلاة عليه، وتشييع جنازته، والدعاء له، وتعزية أهله. وقد سبق في مقدمة الخصلة وجوب محاربة البدع في عبادة القبور.

وعلى المؤمنين أن يتنافسوا في مباشرة المريض والميت، وزيارة القبور، اتعاظا وتعرضا لنفحات الله. في حضارة الجاهليين لا يذكر الموت، وتصم الأذان وتوارى الجيف لئلا يراها الناس. وعندنا عكس ذلك تماما، إذ نحتفل بجنازتنا. قال رسول الله صلى الله وسلم لأبي ذر: «**زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة. وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك، فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة**» رواه الحاكم وصححه، وتابعه الذهبي.

الخصلة الثالثة

الصدق

الصدق تربية

نريد تربية رجال ونساء ربانيين. وليست التربية الجهادية إنشاء جيل من الأصحاب المتبتلين، بل إنشاء جند الله المقاتلين، الطالبين وجه الله، الراغبين في الشهادة في سبيله.

الصحبة في الله إن كان لا يغذوها ذكر الله لا تلبث أن تصبح ألفة طبيعية تولد عصبية مفرقة. والصحبة مع ذكر الله والاجتماع عليه بدون مشروع جهادي يتحدث عنه، وينفذ، ويستعد لتنفيذه باختيار العناصر واختبارها، صحبة وجماعة لا يعدو خيرها دائرة أفراد منقطعين عن المجتمع كأنهم أعضاء مشلولة فيه.

الصدق خصلة إيمانية جامعة تناقض:

1 – النفاق بشعبه، وأهمها الكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصام. فاختبار الوارد يكون على هذه الأربعة حتى نطمئن أنه خرج من دائرة النفاق. وليس العمل الإسلامي الجهادي كالعمل الحزبي السياسي. هذا في أقوى أشكاله –وهو التنظيم الشيوعي– انضباط حديدي على فكر موحد وقيادة مطاعة، وذاك التزام كلي بأمر الله وأمر رسوله، وبمحبتهما ومحبة المؤمنين، وبتلقي تربية شاملة تعيد صياغة الشخصية روحيا وفكريا وعمليا، وبالانتظام الجهادي بالشورى والطاعة. العمل الحزبي انتماء سياسي مصلحي حركي لا علاقة له بالعقيدة والخلق والمعاني السماوية، حركة أرضية نضالية مصلحية. والجهاد الإسلامي يشترك مع النضال الحزبي في التدافع بوسائل الأرض الفكرية والعضلية والعلمية والمادية والتنظيمية، لكنه يتفوق عليه بنصر الله الموعود.

وشروطه التوحيد لله عز وجل، والاجتماع عليه، والإقبال على فضله، والالتزام بشرعه. فمتى فرط جند الله في هذه النقطة، متى دخلتهم العناصر المنافقة، متى كان في تربيتهم وتنظيمهم ما ينافي الصدق، نزلوا إلى مستوى أعدائهم وخصومهم وتخلف عنهم نصر الله. وأصبح إسلامهم مجرد فكر وسياسة وإديولوجية فارغة من ذكر الله والإقبال عليه والسير إليه.

2 – البقاء على العادات والذهنيات والأنانيات الموروثة. لا بد من تغيير شامل في الفرد والعلاقات داخل الجماعة. لا بد من هجرة إلى الله ورسوله بقطع حبال الجاهلية. والهجرة المطلوبة في حق الفرد المؤمن والجماعة المجاهدة في عصرنا هجرة معنوية. أول خطوة فيها هجرة ما حرم الله، ثم قطع ما يربطنا بالماضي قبل التوبة، والتعالي على حاضر الفتنة، وترقب نصر الله بالتخطيط للمستقبل والاستعداد له.

3 – البقاء على الإسلام الموروث عقيدة وعبادة وعلاقات. فجند الله يجب أن يعطوا للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حقه. ما يحدث من خلاف بين المسلمين في المذهب آفة من آفات الإسلام الموروث. ويتفرع عنه آفات أخرى تشل حركة المسلمين وتعوق المحاولات لجمعهم. فبعض المؤمنين يفهم الإيمان ومعرفة الله سلوكا كليا، وبعضهم يعتبر كل ذلك علما وجدلا. رحم الله الإمام البنا قال في أصوله: «معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام. وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من المتشابه نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل. ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء. ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1].

4– الرضى بالأوهام والخرافات المتفشية في الشعب المسكين المحروم المجهل. فإن كان الصدق مواجهة قوية للباطل الطاغوتي فإن تصحيح قواعد العقيدة في الصف وحوله، وفي القاعدة الشعبية، شرط أساسي للمواجهة. فإننا

(1) سورة آل عمران، 7.

لا نستطيع مقاومة الباطل وبيننا آثار من الباطل. يقول الإمام البنا رحمه الله: «والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر يجب محاربته (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة)».

5- الرضى بأنصاف الحلول في أهدافنا وفي مؤهلات جند الله. فالمؤمن القوي الأمين كامل الإيمان، المستكمل له باستمرار، هو وحده القادر، بعون الله، وفي تلاحم مع الصف، أن يحدث في المجتمع التغيير الإسلامي. نموذج لهذا المؤمن عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي أوذي في الله فصبر، وبرهن بصبره على صدق إيمانه. لزم المصطفى صلى الله وسلم وخلفاءه، وجاهد معهم حتى مات في سبيل الله. وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «**عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه**» رواه البزار عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. والمشاش مخ العظام.

أما شجب أنصاف الحلول بالنسبة للأهداف والوسائل والغاية الإسلامية فنجده عند الإمام البنا رحمه الله في أصوله: «الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا. فهو دولة ووطن وحكومة وأمة. وهو خلق وقوة ورحمة وعدالة. وهو ثقافة وقانون وعلم وقضاء. وهو مادة وثروة وكسب. وهو جهاد ودعوة وجيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء».

6- التجميع التكاثري دون اختيار العناصر واختبارها. يقول الإمام البنا رحمه الله ورضي عنه في خطبته في المؤتمر الخامس: «وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا، ولكن قليلين من هؤلاء يثبتون عند العمل. وكثير من هذا القليل يستطيعون أن يعملوا. ولكن قليلا منهم يقدرون على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل العنيف. وهؤلاء المجاهدون، وهم الصفوة القلائل من الأنصار، قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله. وفي قصة طالوت بيان لما أقول. فأعدوا أنفسكم، وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق. وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها، الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها».

لا نعرف صدق الوارد ولا استعداده إلا إن برهن على ذلك بأعماله، بمواقفه، بصلاحيته للطاعة والتنفيذ، بقدرته على ضبط نفسه.

ويختبر الوارد باستمرار حتى نعرف نضجه وصدقه، ثم يبقى الاختبار ومطالبة كل مؤمن بإعطائنا برهان صدقه على طول طريق الجهاد. فليس الأمر امتحانا يؤدى مرة واحدة ثم يركب العضو أنانيته ويستقر في علياء عضويته. الأمر أعظم من هذا، فمن كان يرجو الله عز وجل فليوطن نفسه على اقتحام العقبة وليشمر لذلك ما دام حيا. فإذا مات في سبيل الله فإلى رحمة الله ورضوانه. وإذا مات قلبه يودع من الصف.

ويراقب الوارد على مدرجة الخصال العشر وشعب الإيمان، ويلاحظ سلوكه، ويقوم من كان صالحا للتقويم. فإذا تبين أن فيه خصلة قادحة، أو كان في مجموعه ثغرة لا يمكن أن تسد بالتربية، فلا حاجة لإثقال كاهل التنظيم به. الأمر جد فينبغي أن يكون الامتحان صارما ومستمرا.

7- الغموض في كفاءات الأفراد، ونواياهم، ومشاركتهم للجماعة في تصورها للعمل، ورضاهم بأسلوبها، ونظامها، وإمارتها، وخطها السياسي.

العضو المهاجر والنصير دعامتان في بناء الجماعة، يمنعان أن يسقط، ووتدان لخيمة الجهاد، يشدانها أن تعصف بها الرياح.

الأعضاء في الجماعة حاملون، فمن أتانا واردا تحمله الجماعة وتحتضنه في دفء الصحبة. لكن الجماعة تنتظر منه أن يستجمع قواه باطراد يواكب يقظة همته، وتمتن ذمته، وصدق عزيمته، ليحمل مع الجماعة وتحت إمرتها أعباء الجهاد.

من الناس قوالون يدعون كفاءة ليست لديهم، ومنهم من يزعم أنه فهم هدفك وأنه معك، ومنهم من يظهر رضاه بخطك ونظامك، حتى إذا حلت ساعة التنفيذ وجاء البلاء هرب الأدعياء. فالأولى للجماعة ألا تربط عقدا إلا مع من تأنس منهم ألا يهربوا، وألا يعصوا وألا يخذلوا. قال الله تعالى يصف القوالين من المنافقين:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾.[1]

فلو صدقوا الله! الصدق مع الله!

الصادق مع الله من يموت مع الصادقين في سبيل الله لزوما لعهده وعقده. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.[2]

«مع»، مع الصادقين!

وقال عز من قائل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾.[3]

ما يبدل الصادقون، وما يتبدلون، ولا ينقضون عهد الله. وإذا لقوا فئة يثبتون ويذكرون الله كثيرا ويفلحون.

ليكن البند الضمني في عقد الإمارة التعاهد على الموت في سبيل الله. ليكن منادي الصادقين على رؤوس الواردين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.[4]

لا تصلح العناصر المتشككة والقابلة ليشككوها، ولا البخيلة بأموالها وأنفسها عن الله لبناء.

نرقب الوارد والعضو لنعرف ونقوي صلاح أمره على مستوى الخصال العشر: صدق صحبته لنا وانضمامه لجماعتنا، صدقه مع الله ورسوله، صدق ذمته وهمته وهجرته ونصرته، صدق بذله للمال والنفس والجهد، صدق إقباله على العلم،

(1) سورة محمد، 20-21.
(2) سورة التوبة، 119.
(3) سورة الأحزاب، 23-24.
(4) سورة الحجرات، 15.

صدق عمله ينجزه ويتقنه، صدق سمته وتميزه، صدق صبره وتحمله وضبطه لنفسه وشؤونه، صدق توجهه إلى الأهداف الجماعية والغاية الفردية الإحسانية، صدق طلبه للموت في سبيل الله.

الصدق تنظيما

تقول العرب: «رمح صدق» (بفتح الصاد) أي لا ينكسر بل ينفذ في الغرض.

ومنذ هجوم الاستعمار على دار الإسلام ظهرت في المسلمين حركات مقاومة تمثلت أقواها فيما سمي بحركات التحرير الوطني. كل هذه الحركات انطلقت من المطالبة بالحق الوطني، وحملت مع الشعارات الوطنية هتافات إسلامية بها استطاعت أن تحرك الشعوب المسلمة وتدفعها لمساندة حركات وحروب التحرير الوطنية.

تبين بعد الاستقلال السياسي الشكلي أن الهتافات الإسلامية كانت كذبا. وحكمنا مغربون لا يدينون بالإسلام إلا قولا منافقا باللسان. فشوكتهم تنكى في جسم المسلمين.

ومن أعماق الأمة بعث الله على رأس هذا القرن دفعة بدأها سبحانه منذ ستين سنة بتحرك أمثال الشيخ محمد إلياس والشيخ المودودي في الهند والشيخ البنا في مصر والشيخ سعيد النورسي في تركيا رحمهم الله.

تمثل الحركة الإسلامية اليوم قوة لا تفتأ تتجمع. ونريدها أن تكون شوكة تنصر الإسلام ولا تنكسر أو تنثني دون هدفها، وهو إقامة الخلافة الإسلامية. نريدها حركة صادقة.

أجيال ماتت وأخرى تجر على سطح المجتمعات المسلمة حياة ذليلة خاضعة للطاغوت. أجيال من علمائنا انهزمت، واستقالت، وهربت من الميدان، ونفضت يدها من أمر المسلمين، أو تمالأت مع حكام الجبر. أجيال استغشت ثيابها لكيلا

ترى حاضرنا الكئيب، وصمت آذانها لكيلا تسمع نداء الحق يحث الصادقين على الجهاد. حوقلة في المساجد وفسولة وجزع.

ومن تحت هذه الأجيال الغثائية يبعث الله جلت عظمته أجيالا شابة تريد أن تعاهد الله فتصدق ما عاهدته عليه.

الحماس والإرادة:

هذه الصحوة الإسلامية المباركة ظاهرة يراها العالم ويهتم بها العالم. أهي غبار ثائر وزبد طائش؟ كلا! ما هذا الذي يراه العالم ويهتم به إلا الوجه الظاهر لحركة حية في الأعماق، لقلوب تنبض بالإيمان، لإرادة فاعلة في التاريخ فعلا مدهشا. وهي لا تزال في أول انبعاثها.

إنه غرس غرسه الله عز وجل في أرض طال رقودها فهو مشتد ريان. سقاه بماء الإيمان ربه عز وجل فهو ماض بحوله سبحانه وقوته في خروجه وتعاظمه حتى استوائه.

قد يأتي الواردون بحماس متأجج مندفع، لكن الحماس كشعلة تبن لا يعتمد عليه. فالتربية شأنها أن تأخذ الواردين برفق حتى يبرد الحماس. ثم تأخذهم بالتجربة على إنجاز المهمات، والصبر في مجلس الإيمان، والصدق في اللهجة، والوفاء، والهجرة، والنصرة. حتى يتبين لنا الذين صدقوا ونعلم الكاذبين.

والتنظيم لا يقوم على الحماس المتأجج العابر. لكن يعتمد على الإرادة العازمة. حين تكون همة كل مؤمن أعلى من خدمة شهواته وأهدافه الشخصية، وحين تكون ذمته صادقة نأمن معها غائلته، ونأمن معها أن يخذلنا أشد ما نحتاج إليه. بهذه الإرادة العازمة يمكن أن نصنع الصف الصادق. ويمكن أن نطمئن إلى أن الغرس الإلهي يترعرع إلى الاستواء، وأن الصف المجاهد سائر في سبيل الله.

مثل هذا الزرع الإلهي المتأتي للرشاد في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾ إلى أن قال جلت قدرته: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.[1]

نبات متدرج إلى القوة. زرع خرج جانبه، ثم تقوت جذوره، ثم استغلظت نبتته، ثم استوى قائما على سوقه. فهو يعجب الصديق ويغيظ العدو.

هكذا جند الله. جسم يتألف حتى يقوى، ثم يزلزل الطاغوت العدو، ويفرح يومئذ المؤمنون بأن نصر الله بدأ.

ما حركتنا كحركات الأحزاب، تنطق كذبا، وتبعث غبارا حماسيا، وتبني على أرضية النفاق.

نصرة الشعب لنا وتحمسه للقضية الإسلامية حقيقتان برهن عنهما إيران وسوريا. ونعمل إن شاء الله لنحول هذا الحماس من حولنا إرادة عازمة مخططا طريقها.

الطليعة المجاهدة:

كلمة «طليعة» ضالة لنا نستردها. لا نستعملها تقليدا للثوريين بل نأخذها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام المجاهدين. في البخاري «باب فضل الطليعة»، ونعطي الكلمة معنى السبق والتقدم أمام الجند لاستطلاع الميدان واستجلاء الأخطار، وفداء الجند.

الأمة لا إرادة لها واضحة. إنما هي آمال تراود ضميرها، وهزات تهز عاطفتها لذكر تاريخنا وديننا، وما تنجزه الطلائع الإسلامية المجاهدة في أفغانستان وسوريا وإيران.

(1) سورة الفتح، 29.

التنظيم القطري قبل الوصول إلى الحكم وبعده هو الطليعة الشجاعة التي ينبغي أن تخطط للمستقبل، حتى يصبح توتر الأمة نحو المستقبل إرادة واعية لا حماسا حالما. ينبغي أن تخطو على ميدان الجهاد خطوات ثابتة لتتبع الأمة خطواتها. ينبغي أن ترتفع إلى مسامع كل مسلم من شعوبنا دعوة الجهاد واضحة فتنفذ إلى العقول، صادقة فتتسرب إلى القلوب.

انكشف كذب المغربين الفاجرين وفقدوا ثقة الأمة. وآن للأمة أن تعرف أن أبناءها الذين يتمنون لقاء الله لا أن يكونوا أذنابا لأعدائنا هم المؤمنون الصادقون. آن لنا أن نعرفها بمثال سلوكنا واستشهادنا واستبسالنا أن الأمة لن تسمو إلى حقائق ما يتطلبه منها الحاضر والمستقبل إلا بالسير مع الطليعة الصادقة.

غيرنا يعتمد الدعاية الكاذبة والتهريج والتهييج والحركية الجوفاء.

نحن طريقنا الطليعي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكل اضطهاد في سبيل هذا الواجب ينال الطليعة أكبر دعاية لها ولصدقها.

قبل الوصول للحكم وبعده نحتاج أكثر ما نحتاج للثقة بالله عز وجل ثم لثقة بعضنا في بعض. والطليعة بحكم وظيفتها تمشي رائدة على أرض العدو. فهي معرضة للإفك والتشكيك. وقد يبلغ فساد البيئة وغرابة الصادقين بين أهل الكذب والرياء والنفاق والتهريج أن يصور الأعداء معروفنا منكرا.

فلا بد للطليعة من الحيطة كيلا يدخل عليها الشك. فالثقة التامة بالقيادة هي قوام قوة جند الله. فبعد التحري لكيلا يدخل الصف إلا ذوو الذمم التي يعول عليها، يجب أن تتقدم الطليعة وهي واعية كل الوعي أن قيادتها عرضة لنيران العدو.

الأمر بالمعروف داخل الصف، والنهي عن المنكر داخله، في مجالس الشورى والنصيحة، هما الضمانة ليبقى الصف في الاتجاه الذي يرضاه الله سبحانه. فإن جاءنا فاسق بنبإ وإرجاف فلا نسرع إلى تصديقه حتى نتبين. وقد نهينا أن نتخذ بطانة من دوننا، فلا نحسب أن الأعداء ولا المتفرجين القاعدين يتورعون عن نقل الأراجيف وإشعال الفتنة كما نتورع.

الحرب الإعلامية تشن على طلائع المؤمنين كما تشن عليهم الحروب الإبادية. فلتعرف الطلائع خصمها وصديقها، وتلتحم مع الصادقين. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[1].

في الناس من حولنا فسولة وميل مرضي للقيل والقال. وأعداؤنا لهم مؤسسات وأجهزة للحرب النفسية يبثون عنا الكذب والأراجيف ينازعوننا إمامة الشعب.

وصف الطليعة يجب أن يبقى متماسكا برباط الإيمان، رباط الثقة بالله، وبإخوتنا، وأولي الأمر منا. ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾. بيننا يهدي بعضنا إلى بعض عيوبه بالنصيحة الأخوية، ويقوم خطأه بالتشاور الرفيق. ومَن دوننا لا نتركهم يفسدون ما بيننا.

ولا نترك ثغرة في التربية والتنظيم ينفذ إلينا منها فساد الضمائر، ورخاوة الذمم، أو يتسرب إلينا منها سم الدعايات ضدنا.

الهجرة والنصرة:

روى الإمام مسلم عن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**العبادة في الهرْج كهجرة إلي**».

الهرْج القتل بغير حق، والفتنة أشد من القتل. فمعنى الحديث الشريف أن الصادق عندما يكذب الناس، والمستميت على دينه عندما يفتن المؤمنون ويقتلون هو في درجة المهاجرين.

نقل الحافظ ابن حجر عن القاضي عياض أن العلماء اتفقوا على أن الهجرة من مكة كانت واجبة على المسلمين قبل الفتح. وأن سكنى المدينة كانت واجبة عليهم لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته بالنفس.

وهكذا يجب على المؤمنين، من كان منهم صادقا لا تنكسر عزماته أمام التهديدات والمخاوف، أن ينضم إلى إخوته لينصرهم في جهادهم

(1) سورة التوبة، 119.

ويواسيهم بنفسه. كانت الهجرة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حركة من مكان إلى مكان، ألزمتها ضرورة التجمع لمواجهة العدو وحماية بيضة الإسلام، أي عاصمته ومقر إمارته. أما الآن ودار الإسلام واسعة، وأقطارها متفرقة ووسائل العصر وطبيعة المواجهة مختلفة، فالهجرة والنصرة في حق الصادقين لا تطلب نقلة من مكان إلى مكان بعينه. التجمع المطلوب والاستنفار الواجب يتمان بربط المؤمنين في التنظيم القطري وإحكام تحركه عبر المكان وفي كل مكان. وخروج الوافد على الجماعة في سياحات الدعوة ومعسكرات الشباب يتيح له أن يبتعد عن مألوفاته وينقطع عن بيئته المرفهة الغافلة. وبذلك يطوي المراحل في قطع حبال الجاهلية والارتباط المتين بالجماعة.

ومتى تم تحرير قطر كان واجبا على المؤمنين خارجه أن يخفوا لنصرة إخوتهم وإمدادهم بالكفاءات والخبرات والتأييد المادي والمعنوي.

وعلى كل قطر تحرر أن يخصص جهوده لدعم الحركات القطرية الأخرى ونصرها.

هكذا نتصور الهجرة والنصرة تنظيما.

وقد سبق عرض الهجرة والنصرة تربية في الحديث عن العضوية. ولنا عنهما حديث بعد حين إن شاء الله.

شعب الخصلة

الشعبة الخامسة والعشرون: الإيمان بالله وبغيبه

من اعتقد في نفسه أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ونطق بذلك لسانه، وصدق برسل الله، وكتب الله، وملائكة الله، وقدر الله، وباليوم الآخر، ثم عمل بمقتضى الشهادة والتصديق فقد آمن. فما عدا تعريف الإيمان في حديث **جبريل**: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**.

لكن الإيمان حق الإيمان، وهو يزيد وينقص وله شعب منها الأعلى والأدنى، وله كمال حين يكتمل، وخروج حين يخرج فيكون كالظلة على رأس الزاني حين يزني مثلا، حالة شاملة لكيان المؤمن.

ليس الإيمان معنى مضافا إلى ذات الإنسان، بل هو معنى قائم بها. فكمال الإيمان هو كمال المؤمن في معناه. وما يحصله المؤمن في «مجموعه» من التحلي بصفات الإيمان، والتخلق بشعبه، هو مدى كماله الذاتي الذي يبعث على صورته إن ختم الله له بالحسنى. وهو مقامه عند الله أبد الآبدين. فإذا اكتمل الإيمان من كل جوانبه، واستمد قلب المؤمن من كل شعبه، ارتفع به إلى الإحسان. درجات. ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾.[1] فطلب كمالك من الله عز وجل بوقوفك على باب الكريم الوهاب، وعملك الدائب على مقتضى الكتاب والسنة، هو ما يطلبه إليك الإيمان. ليس الاعتقاد النفسي، والنطق اللساني، والتعبد المفروض عليك، ترقيك عن درجة الإسلام. لا، حتى يتجدد في القلب الإيمان، حتى يحدث في القلب تحول، حتى يجد القلب حلاوة الإيمان، حتى ينشرح الصدر بها. عند ذاك تزدهر ريحانة الإيمان، وتصبح على مثال تلك الشجرة الطيبة المضروب مثالها في القرآن.

العقيدة النفسية العقلية، والنطق اللساني، والعبادة بالجوارح إيمان عام جاء في حديث جبريل، وتخصصه الأحاديث الأخرى الكثيرة التي ذكرت حلاوة الإيمان، وشعبه، وكماله، والآيات التي ذكرت زيادته، ونقصه ودخوله، وكتابته في القلب.

هذا الإيمان المخصص هو الإيمان الحي الذي يحيي قلوب الرجال والنساء حتى يصلحوا أن يخاطبوا بيا أيها الذين آمنوا، لأن لهم إرادة طاعة الله ورسوله، ولأن لهم القدرة على تنفيذ ما أمروا.

تدخل بشاشة الإيمان القلب، ثم تغمره حلاوة، وتفيض فيه نورا. والأعمال القلبية -وهي النيات- روح كل عمل حين تصدر عن الشوق إلى الله، ومحبته، والتعلق به وبرسوله.

(1) سورة الإسراء، 21.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما. وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله. وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**».

عبودية الخوف والرجاء شرع نحن مطالبون به. لكن عبودية المحبة -وهي درجة فوق الأولى- هي وحدها معيار انتقال المؤمن من مراتب الإسلام إلى مراتب الإيمان والإحسان.

السالك إلى الله على مدارج الترقي يحب الله ورسوله مع الطاعة. ويحب المؤمنين بفيض من المحبة الإلهية، ويكره الكفر والعود فيه أشد الكراهة. أعمال قلبية.

من زعم أنه مؤمن وهو منكمش على شحه، وأنانيته، وسوء مخالقته لأهله ولجيرانه وللمؤمنين، فذاك دعي. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» وقال فيما رواه مسلم عن أبي هريرة: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا! ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**». الإسلام الأناني المنعزل لا تدخل في معادلته محبة المؤمنين، ومعاملتهم بالبر، والتعاون معهم. ومن ثم يتناقض مع محبة الله ورسوله، إذ محبة الله ورسوله ومحبة المؤمنين متلازمتان.

الإسلام الفردي حالة تتلاءم مع تشتت المسلمين، وتنتج عنه، وتغذيه. أما الجمع الذي ننشده فيريد إيمانا جامعا بالمحبة بيننا كأمة، وبيننا وبين الله ربنا. تحابنا فيما بيننا شرط لرضاه عنا وحبه إيانا.

الإسلام الفردي المنعزل الأناني يولي فيه المسلمون بعضهم إلى بعض وجه القساوة، ومعاملة الحذر، وسوء الظن. وفي الإيمان الجامع تقرب بالسلام، والبشاشة، والمخالقة التي تزرع الثقة وتمتن الرابطة، وتهيئ القوة المجاهدة. قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي بسند حسن عن أبي هريرة: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لأهله**».

دعنا من الإسلام المكفهر الذي يوجه أصابع الاتهام للناس، وينسى أن يطلب داء نفسه، ويتهم ذات نيته!

الشعبة السادسة والعشرون: الإيمان باليوم الآخر

من الذكر الأساسي لجند الله ذكر الموت، ودراسة ما ورد عن الحبيب البشير النذير من حديث عن أمارات الساعة، وعن فضل المتمسك بدينه في الهرج، وعن الدجال الذي حذرنا منه المصطفى صلى الله عليه وسلم أشد التحذير، وعن نزول عيسى عليه السلام، وعن النفخ في الصور، وعن البعث، وأهوال القيامة، والحساب، والميزان، والصراط، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار.

بيد أن الإيمان بكل هذا، ومدارسته، والاستعداد له بالاستغفار والعمل الصالح، يجب ألا يغذي في نفوس العصبة المحمدية معاني اليأس من إصلاح الأمة، وخواطر الهروب من الفتنة خوفا من موبقاتها.

ما نراه من أمارات الساعة كما حدث الحبيب صلى الله عليه وسلم كالتطاول في البنيان، والهرج، وطغيان الحكام وكفرهم، وفساد الذمم، وما ورد في كتب الفتن، يقوي عزمنا على الجهاد لإنهاء الفساد. وقد قدمنا في أول هذه الفصول حديثتين عن موعود الله لهذه الأمة بخلافة على منهاج النبوة بعد كل هذا البلاء، وبانتصار الإسلام حتى يعم كل الأرض.

فليعول أحدنا أن يتقرب إلى الله عز وجل، وأن يستعد للقائه في اليوم الآخر، بجهاد لتحقيق هذا الموعود. وليكن ذكر الموت وما بعدها حافزا، بعد محبة الله ورسوله، لنستهين بما نلقاه من بلاء في جهادنا، وما لا بد منه من بذل أنفسنا وأموالنا استشهادا في سبيل الله.

الشعبة السابعة والعشرون: النية والإخلاص

حديث مشهور رواه الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**».

عمر صاحب العزمات والغناء الكبير في الإسلام يروي هذا الحديث العظيم الذي جعله البخاري فاتحة كتابه، كما درج سلفنا الصالح على تقديمه بين يدي كتبهم، إشارة إلى كون النية روح جسد الأعمال.

فطليعة الجهاد المجدد قوامها الصادقون الذين أخلصوا لله ما وعدوه وجاهدوا في الله حق جهاده مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وفي مرحلة ما من مراحل الجهاد قد يرد على العصبة الخيرة مثل مهاجر أم قيس الذي روى العلماء أن الحديث يشير إليه. وهو رجل من الموالي منع في الجاهلية من زواج هذه المرأة. فلما هاجرت وسوى الإسلام بين الأحرار والموالي تبعها إلى المدينة: هجرة ناكح.

كذلك قد يرد الوصوليون والمنافقون. فلنحذر أن نغلب على أمرنا فنوسد الأمر إلى غير أهله.

ذلك أن الإخلاص لله تعالى لا ينفك عن الإخلاص لجماعة المؤمنين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «**نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه. ثلاث لا يغل** (لا يفسد قلب انطوى عليهن) **عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعاءهم محيط من ورائهم**» رواه البزار وابن حبان. قال المنذري: روي من طرق متعددة بعض أسانيدها صحيح.

هي وصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يبلغها الشاهد منهم الغائب. فنسمع ونطيع. لكن أين الأئمة الذين أمرنا أن نناصحهم؟ أين جماعة المؤمنين؟

الإخلاص لله أن نجمع ونربي وننظم ونقيم أمرنا على كتاب الله وسنة رسوله لتكون لنا جماعة وإمامة.

الشعبة الثامنة والعشرون: الصدق

قوم ساكتون خرس عن كلمة الحق، ناكثون لعهد أخذه الله عليهم أن يبينوا للناس ويقفوا موقف الصدق. وقوم منافقون، وقوم كاذبون، وقوم متأولون، مبررون زورهم أو مكفرون غيرهم.

الحاكم والمحكومون تحت سلطان الجبر سواء في المواقف الكاذبة والخطاب المنافق. وإنما تعقد آمال الأمة على الطليعة المؤمنة أن تجهر بالحق وتقف في وجه الباطل.

روى البخاري عن محمد بن زيد أن أناسا قالوا لجده عبد الله بن عمر: «إننا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عنده». فقال: «كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم».

والآن وقد أدى بنا ذاك النفاق في الكلمة والموقف إلى ما نرى، حان لجند الله أن يرجعوا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشعبة التاسعة والعشرون: النصيحة

يتجدد ديننا متى أصبح النصح لله ولرسوله وللمسلمين، خاصتهم وعامتهم، سلوكا في حياتنا، ومنهاجا لعملنا. ومعنى النصح لغة الوضوح والجمع. أمة يحكمها من ليس منها. يغشون ويضللون. أمة مشتتة، يزيدها تمزيقا دعاة العصبيات والإديولوجيات. العدو الخارجي لا بأس له لولا وجود دخلائه وصنائعه بيننا. فالنصيحة فضح هذا ومحاربته وجمع القوى الحية لإقامة الدين.

أما النصيحة الشورية والفردية فقد تحدثنا عنها من قبل.

روى الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجة عن تميم الداري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة! إن الدين النصيحة!**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم**».

فإذا رضينا أن يجحد وجود الله بيننا قوم مرتدون، وأن يعطل كتاب الله حكام جائرون ظالمون، وأن يلعب بسنة رسوله سفهاء مبذرون، وأن يغلبنا على العامة وعلى إمامة الشعب المسلم أحزاب فاسقون، فقد عطلنا النصيحة وهي الدين.

الشعبة الثلاثون: الأمانة والوفاء بالعهد

لا نأمن غوائل الفتنة وكيد المنافقين أن يغتالا الحركة الإسلامية، خاصة عندما يصل جند الله إلى الحكم، فيدخلوا في صراع مع واقع متشعب مشتبك بحياة المسلمين الموروثة، تنشب فيه الجاهلية أظفارها وتتربص به الدوائر.

ذكرنا حديث ابن عمر يشجب نفاق جلساء الأمير. وإن آمال الأمة لن تتحقق إلا إذا كان لكل عضو في جماعة الإيمان عهد مع الله وميثاق أن يستقيم على النصيحة، ويخاف عاقبة الغدر، فيقدم رعاية هذا العهد على عقد الإمارة، وعلى الاعتبارات الطارئة التي يبرر الناس بها تنازلاتهم عن الحق، حتى يهووا في نار جهنم بعد أن تسببوا في فشل الجماعة.

أخذ الله الميثاق على رجال الدعوة من العلماء: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾.[2] فجند الله الوارثون الصادقون مخاطبون بهذا القرآن زمان انفراد الدعوة وزمان قيام الدولة.

(1) سورة آل عمران، 187.
(2) سورة الأحزاب، 7-8.

وهم محذرون من عاقبة الغدر، خاصة منهم من ولي من أمر جماعة الدعوة أو نظام الدولة مسؤولية.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة، يرفع له بقدر غدره. ولا غادر أعظم غدرا من أمير جماعة**».

الشعبة الحادية والثلاثون: سلامة القلب

أمام العصبة المجاهدة مهمات كالجبل، الاستعداد لها يتنافى مع الغفلة والسذاجة التي يسميها العامة «طيبوبة القلب».

السذج بسطاء العقول خطر على الدعوة. لأن الواحد منهم يحسب أن الورع الفردي كفيل وحده بتغيير الواقع، أو تدفعه سذاجته لإفشاء أسرار المؤمنين، أو يغتر بوعود المنافقين.

الدعوة تريد من المؤمن أن يكون غرا كريما، ليس بالخب ولا الخب يخدعه. الجهاد لإقامة دولة الإسلام حرب، والحرب خدعة. والسذج البسطاء يسعهم فضاء رحمة الله، بعيدا عن الإعداد القوي الذي أمرنا به.

قال الله تعالى حكاية لدعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾.[1]

القلب السليم كما تبينه السنة المطهرة هو قلب المؤمن الذي يحسن الظن بربه، يرجو رحمته ويخاف عذابه، يحبه ويحب رسوله، لا يتجسس على المسلمين، ولا يحسد، ولا يغتاب، ولا ينم. همه الله عز وجل، وجهده منصرف لبناء جماعة الجهاد ودعمها.

وبسلامة القلب وصلاحه يتفاضل المؤمنون.

(1) سورة الشعراء، 87-88-89.

حظ المرء من الله تعالى يتوقف على مدى استعداده القلبي لتلقي الرحمة والهدى. هناك استعداد وهبي عام قدره الله وفطر عليه. وهناك استعداد كسبي. والكل من الله الكريم الوهاب. ومن الاستعداد الكسبي استشفاء القلب، وتطهيره، وتعريضه لنفحات الرحمة الإلهية. القرآن الشفاء. والطمأنينة الذكر. اليقظة من الغفلة، والتعلق الدائم بالله عز وجل، وطرح ما سواه في المواضع التي وضع فيها الشرع كل شيء.

من كان همه الله، وضابطه الشرع، ومنهاجه الاتباع، لا يحسد ولا يعادي المسلمين ولا يهجر ذوي صحبته وقرابته، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه.

الدعوة بحاجة لقلوب عالية الهمة، كما هي بحاجة لعقول راجحة النظر، وشخصيات قارة لا تنفعل انفعالا، بل تستفتي الشرع وتتدبر، حتى إذا عزمت مضت لا يثنيها شيء. فهذا معنى سلامة القلب.

الشعبة الثانية والثلاثون: الهجرة

أخذت الآن تعم في المجتمعات الإسلامية يقظة المسلمين من سبات الإسلام الوراثي الفاتر، وأخذ الناس يسمون صحوة إسلامية هذه الهبة، اللافتة لنظر العالم، من الرضى بالواقع المفروض على الأمة، وهذا الموقف المتميز عن الإسلام الرسمي الذي يسدنه حكام الجبر ويدعون إليه.

وتنتشر الدعوة سريعا بين الشباب المبارك على عتبة قرن التجديد هذا إن شاء الله. فينتقل المسلم في صحبة الدعاة من حال الركود أو الإلحاد أو اللامبالاة إلى الاهتمام بالإسلام، والميل إلى المؤمنين، حتى الإقلاع عن الماضي وموبقاته، وقعوده وخموله، إلى التوبة إلى الله، والتحفز للجهاد في سبيله.

في حياة من يسمون الآن إسلاميين هجرة نقلت كل واحد منهم من جاهليته لإسلامه. وهكذا يتجدد معنى الهجرة. وما يبقى لمن تمت هجرته إلا أن ينظر في

كتاب الله وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم ليكتشف النموذج الأول للمهاجرين، ويتلقى الأمر الموجه إليهم، والوعد الذي وعدوا به، ويتقمص الشخصية، ويقوم بالوظيفة التاريخية. قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.[1] فها قد ترك لنا سبحانه مكانا في رضاه، وإمكانية تسلسل واستمرار على تلك الخطى المباركة، بشرط اتباعهم بإحسان. ما أجيالنا نبذ منبوذة في تاريخ.

يتجدد الإسلام بتجدد الإيمان، وتجدد الفئات المذكورة في القرآن، وتجدد وظائفها. وفي المواجهة يصطف جند الله من مهاجرين وأنصار، يقاومون ويقاتلون حزب الشيطان الكافرين من خارج، وحزبه المدسوس فينا من المنافقين. ويتعرض حزب الله لإنكار الأعراب السادرين في غفلاتهم، وركودهم الناعس، وسخريتهم.

ما كانت الهجرة حدثا تاريخيا فريدا انقضى، بل هي معنى وسلوك واختيار. هجرة الأفراد الإيمانية الخلقية الإرادية، تتبعها هجرة كل منهم نحو إخوته، وانضمامه إليهم، وانتظامه معهم. ويتكون صف الجهاد لإعادة الخلافة على منهاج النبوة. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.[2]

ما انقطعت الهجرة وما ينبغي لها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

الشعبة الثالثة والثلاثون: النصرة

وهكذا النصرة: وظيفة تتجدد. قال الله تعالى يصف الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً

(1) سورة التوبة، 100.
(2) سورة الأنبياء، 104.

مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[3]

استجاب الأنصار لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعوه إن هو هاجر إليهم أن يؤووه ويحموه مما يحمون منه ذريتهم ونساءهم. وبذلك ابتدأ تاريخ الجهاد المتكامل بعد أن كان في مكة جهاد الصبر، وتحمل الأذى، وتحدي الباطل، وما ينتج عن التحدي من اضطهاد.

كذلك اليوم وغدا يستجيب إن شاء الله لدعوة التجديد في العالم قاعدة نصيرة في الأمة، تتحلى بالإيمان، وتحب الدعاة المهاجرين إلى الله ورسوله، وتؤوي، وتؤثر على نفسها، وتدعم الحركة حتى النصر الموعود بإذن الله.

والمؤمن يربى على شعب الإيمان كلها. فنطلب إليه أن يبرهن عن هجرته إلى الله ورسوله بقطع حبال الجاهلية كلها، ما استطاع منها في كل مرحلة معينة من مراحل الجهاد. ونطلب إليه قبل ذلك أن يبرهن عن نصرته بالتعبير العملي عن فضائل الأنصار المذكورة في الآية الكريمة.

ولكل درجة عهد وميثاق، ثم بيعة إن شاء الله يوم يلتم شمل المسلمين على الخلافة. وللأنصار الجدد حق على من سبقهم بإيمان وهجرة، أن يصحبهم في الله، ويؤاخيهم كما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار. أخوة تعاون مادي ومعنوي، أخلاقي تربوي، ومعاشي يومي.

ولجند الله حق بعضهم على بعض، أن يتواسوا بالمال والنفس كما تواسى سلفهم الصالح، ولهم حق التحاب في الله بعضهم على بعض.

ويتم تأليف العصبة المحمدية المجاهدة حين يعتبر كل منهم أن حبه إخوته عبادة، وأن تناصحه معهم وتشاوره عبادة، وأن طاعته لأولي الأمر منا عبادة.

(3) سورة الحشر، 9.

الشعبة الرابعة والثلاثون: الشجاعة

ماذا فعل المهاجرون الأولون والأنصار؟ بم استحقوا أن يذكرهم الله في كتابه فتتلو الأجيال شكر الله عز وجل لجهادهم وعطائهم؟

بإيمان بالله واثق، وطاعة لأمره وأمر رسوله لا تتخلف، ثم بشجاعة مكنتهم من اقتحام العقبة ومواجهة الموت. شجاعة للاستعداد الفطري فيها نصيب، لكن حافزها وباعثها وقوتها اليقين أنها إحدى الحسنيين.

سأل الإمام علي رضي الله عنه وهو يخطب: «من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت! قال أما إني ما بارزني أحد إلا أنصفت منه! ولكنه أبو بكر! لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه (على وزن يطؤه، معنى يجؤه يطؤه ويضربه برجله) وهذا يتلقاه. ويقولون له: أنت تجعل الآلهة واحدا؟! فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر. يضرب هذا ويدفع هذا، ويقول: ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟ ثم بكى علي، ثم قال: أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر؟ فسكت القوم. فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير منه! ذاك يكتم إيمانه وهذا يعلن إيمانه» رواه البزار.

هذا حديث للتأمل الطويل والاستهداء والاقتداء. للشجاعة ثمن!

الشعبة الخامسة والثلاثون: تصديق الرؤيا الصالحة وتعبيرها

ننتقل من ميدان مصارعة الباطل إلى ميدان التلقي عن الله تعالى. فالثبات في ذلك الميدان ثمن لولوج هذا الميدان. قال الله تعالى لإبراهيم بعد أن استعد ابراهيم عليه السلام لتنفيذ ما أمر: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1] فجعل سبحانه تصديق الرؤيا من سمات الإحسان.

(1) سورة الصافات، 104– 105.

في كتب الحديث أبواب مخصصة لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا. والرؤيا الصالحة، رؤيا يراها المؤمن أو ترى له، غير الأحلام المشتركة بين البشر.

الرؤيا الصالحة جزء من النبوة. هي وحي من الله للعبد الصالح، تشجعه على سلوك الطريق إلى الله.

وللرؤيا آداب نبوية وحرمة خاصة. فينبغي مراعاة تلك الآداب، والاهتمام بها كما كان يهتم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد روى الشيخان والترمذي وأبو داود عن سمرة بن جندب قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال: «**هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا؟**» زاد أبو داود: «**إنه لم يبق بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة**».

الصادق في طلب الله تعالى لا يتعلق بالرؤيا المخبرة عن أحداث العالم. الذي يهمه رؤيا تبشره بالسعادة الأخروية، وبقربه من ربه، ورضاه عنه. وانظر في كتب الحديث ما دون من مناقب الصحابة تجد أن منهم من احتفظت له ذاكرة الأجيال بالاعتراف بالفضل العظيم لرؤيا رآها أو رؤيت له، وعبرها له الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. يقول المادي الكئيب: مجرد رؤيا! وما جدوى الرؤيا؟ أما نحن فعندما نقرأ القرآن، ونقرأ سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ونرى ما للرؤيا من أهمية في حياة الأنبياء والمؤمنين، نعرف أن باب الغيب الذي بقي مفتوحا لنا إنما هو هذا الباب.

لكن الصادقين لا يرتبون على الرؤيا حكما جديدا، ولا يعطلون بها حكما معروفا من أحكام الشريعة.

كثير من الرؤى تحتاج تعبيرا. والتعبير علم وحكمة يؤتيها الله من يشاء. فمن لنا بتلك الحكمة!

لهذا فلا نبني على الرؤيا عملا، إنما هي مبشرات تسر ولا تغر. وظيفتها أن تشجع فينا خصال الإيمان ونية الجهاد، لا أن تصبح مصدر الأحكام.

الخصلة الرابعة

البذل

البذل تربية

كلمة بذل وردت في الحديث النبوي. معناها لغة إعطاء الشيء والجود به استهانة به في مقابل الفضل المرجو. يقال ابتذل الشيء احتقره.

ويدخل في هذه الخصلة ما أمر الله به من الإنفاق، ويدخل فيها الجهاد بالمال وهو مقدمة للجهاد بالنفس.

الفتوة:

كلمة فتى وردت في القرآن ست مرات مذكرة ومؤنثة ومفردة وجمعا.

وصف إبراهيم عليه وعلى نبينا وجميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام بأنه فتى. ووصف بها أصحاب الكهف. فهي كلمة تدل على الشجاعة في الحق، شجاعة نبي الله الذي كسر الأصنام، وشجاعة الفتية المؤمنين الذي قاطعوا الكفر وهاجروا إلى الله. كما وصف بالفتوة في سائر الآيات أهل الخدمة، وأشرفهم فتى موسى يوشع عليهما السلام.

نقصد بالفتوة كرم النفس الذي يدفع المؤمن للاستعلاء على الطاغوت، فيكسر الأصنام، ويبذل روحه في سبيل الله. ونقصد بها إلى جانب هذا الرفق مع المؤمنين، وخدمتهم، وتوطئة الكنف لهم.

الفتيان هم الجامعون بين صفتي الشجاعة والتواضع. ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[1] فوجه البأس يتقدمون به للقتال عن الدعوة، ووجه الخدمة

(1) سورة المائدة، 54.

باش للمستضعفين. يبذلون أنفسهم فداء لدين الله لأنها أرخص من أن يساوموا بها. ويبذلون مالهم ووقتهم للمسلمين خدمة ومواساة.

الفتى الحق من يكسر الأصنام يستهين بنفسه ثمنا لإبطال الباطل وإحقاق الحق. فهذه الفتوة الشجاعة لهدم الباطل. هذا نبي الله إبراهيم عليه السلام.

أما فتوة البناء فتريد صبرا وخلقا.

في مجتمعات منحلة ينادى المؤمنون غدا لإعادة بناء الأمة. وليس تبنى على الشح والأنانية والأثرة، وهي من أمراضنا الفتنوية. إنما تبنى على خلق جميل، نجد نموذجه الكامل في المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم.

قالت له أمنا خديجة رضي الله عنها حين رجع فزعا من الوحي، وهي أعرف الناس بسجاياه: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل (وهو من لا دابة له، فهو عاجز عن السفر) وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق (تساعد كل محتاج وكل من طرأ عليه طارئ)» رواه الشيخان وغيرهما. في رواية: «وتصدق الحديث» وفي أخرى: «وتؤدي الأمانة».

الفتى يحمل، ويصل، ويجمع، ويفدي إخوته. ليس الفتى من هذه الإبل المائة التي لا تكاد تجد فيها راحلة. بل هو حامل ثقل الجماعة. ثم لا يُمنُّ على إخوته عطاءه فيفسد عمله. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى**﴾.[1] فمن كان يقدم لإخوته خدمات ثم يذكرها ما شمَّ من خصلة البذل رائحة. وقولك في معرض الحديث بدون حاجة: «فعلت لفلان كذا» مما يبطل الأعمال عند الله. روى الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم** (قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات). قال أبو ذر: خابوا وخسروا! من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف**».

(1) سورة البقرة، 264.

المسبل إزاره هو الذي يطول ثوبه يستكبر على الناس، وهذا ليس من صفات المؤمن. ولا من صفته أن يعطي ويذكر عطاءه أمام الناس للفخر. ولا الذي يغش فيكذب ويحلف ليبيع سلعته.

الفتى يخدم إخوته. وقد أتى الله النبوة عبده يوشع بعد أن شرفه بخدمة رسوله موسى عليهما السلام. وذكر الواقدي أن وفد بني سعد هُذيم بعد أن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعث إليهم رسول الله في رحالهم، فجاؤوه ومعهم أصغرهم، وكان لم يحضر البيعة لأنهم خلفوه في الرحال. فتقدم الصغير، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام. قال: «فقلنا يا رسول الله، إنه أصغرنا وإنه خادمنا. فقال: «**أصغر القوم خادمهم. بارك الله عليه**». قال: وكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم».

عن أنس رضي الله عنه قال: خرجت مع جرير بن عبد الله البجالي في سفر، فكان يخدمني. فقلت له: لا تفعل! فقال: إني قد رأيت الأنصار تصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا (أي تخدمه وتنصره) آليت ألا أصحب أحدا منهم إلا خدمته. وهكذا جند الله في كل عصر يسارعون لخدمة الإسلام وخدمة من يخدم الإسلام، (الحديث رواه مسلم).

المال والشرف:

حب المال وحب المحمدة عند الناس عائقان نفسيان عن اقتحام العقبة إلى الله. فالمتكبر لا ينظر الله إليه لاستعلائه على الناس. والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس.

جند الله لا يراد لهم أن يكونوا طائفة متجبرة على الأمة، بل يرجى منهم أن يعيدوا بناء الحضارة الأخوية. فأول ملامح هذه الحضارة التساوي بين الناس، فلا يكون المال دولة بين الأغنياء، ولا يتخذ بعض الناس بعضهم أربابا من دون الله.

من أمراضنا الاجتماعية الطبقية والأثرة واستغلال الأثرياء المستكبرين الفقراء المستضعفين.

وسط الشعب مكان الفتية المؤمنين وفي خدمته. حرصهم على رضى الله عز وجل يرفع هممهم عن رذيلتي الشح والتكبر، وهما سمتان في النفوس الدنيئة.

هما سمتان تخربان الدين وتأكلانه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد والترمذي عن كعب بن مالك: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

باسم الله رب الغلام!:

روى الإمام أحمد ومسلم قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (انظرها عند مسلم في كتاب الزهد).

مؤدى القصة أن الملك أراد أن يهيء غلاما لخدمته في منصب الساحر (وكان ساحره هرم وخاف عليه الموت). فانبرى الراهب ودعا الغلام إلى الله ورباه على الإسلام. الدولة تريد إفساده والدعوة تنازعها. الملك يريد من الغلام أن يعبده ويكذب على الشعب ليبرر طاغوته. ورجل الدعوة يوجه العبيد إلى الله.

فكان أن كشف الملك علاقة الغلام بالرجل الصالح. وفتنه ليرجع عن دينه وحاول قتله.

هنا بذل الغلام نفسه ليموت هو، وتحيى الدعوة فأوصى الملك، وقد عجز عن قتله لأن الله كان ينجيه من المكايد، أن يجمع الناس ويقتله أمامهم. ففعل الملك، ومات الغلام، ودخل الشعب كله في الدين لما رأى من موقف الفتى الشجاع.

قصة طرحها لنا المربي الأعظم صلى الله عليه وسلم لنتأملها ونسترشد بها، لا أن نقرأها ونتسلى بقراءتها. كل شخص في القصة النبوية، وهي حق، يرمز إلى موقف ووظيفة متكررة متجددة في الصراع الأبدي بين الحق والباطل.

علماء السوء وحكام الجبر من جانب الباطل، ورجال الدعوة وفتيان الجهاد من جانب الحق.

ومتى كان لنا جيل ترخص عليه نفسه في سبيل الله، ويعطي ماله في سبيله سبحانه لا يحسب، متى كان لنا جماعة وطد أعضاؤها عزمهم على السفر إلى الله تعالى مهما كان ثمن الرحلة، فما ظهور الإسلام على الدين كله يومئذ ببعيد.

النفقة في سبيل الله:

يجيء الوافد إلى جند الله ومعه مخلفات ماضيه. بعد الإيناس الأول نفهمه أن العمل الجهادي المنظم لا ينهض له إلا الصادقون، وكل صادق لا يعرف صدقه إلا إن برهن عليه عمليا.

فنطلب إليه أن يساهم في نفقات الجماعة بانتظام، ونرفع نسبة عطائه من دخله تدريجيا. فإن كان غنيا طلبنا إليه أن يدفع أموال الزكاة زيادة على النصيب الشهري المعلوم. وطلبنا إليه أن يبذل في المهمات، وأن يخفض من نفقات عيشه الرفيه تدريجيا، ويحول إلى الجماعة.

الجماعة المجاهدة لا تعتمد في نفقاتها إلا على مساهمات أعضائها، ثم على تبرعات الشعب. ومتى كانت للجماعة أموال أسست بها أصولا تجارية وصناعية وفلاحية وغيرها حتى تستقل ماديا.

وعلى كل عضو أن يفتح صندوقا للدعوة حيثما أمكن. والتنظيم المالي للجماعة يأخذ بعين الاعتبار حاجات الأسرة والشعبة وكل المستويات الأخرى فيعطيها التصرف في نصيب مما يتجمع. وضبط الحسابات على كل المستويات من أهم الاحتياطات. فالدقة تمشي مع الأمانة. والفوضى مظنة كل فساد.

وحين تجتمع الدعوة والدولة في يد جند الله، تكون أموال الأمة مالا لله ينفق في وجوهه. لكن البذل يبقى البرهان الأول لصدق الصادقين. وقد رأينا في الحديث الصحيح أن «الصدقة برهان».

البذل تنظيما

المال والجهد عصب الدعوة، وبذلهما التزاما بعهد، وتطوعا بالخيرات، هو المصدر الأول والوسيلة الأولى لتربية العصبة الخيرة. والمال والجهد مستقبل الدولة أيضا.

التطوع:

نهب أموال المسلمين ولا يزال ينهبها حكام الجبر، ومن يسير في ركابهم، ويأكل من مائدتهم من الصنائع. طبقة مستكبرة نهابة.

هذه الطبقة الطفيلية المتسلطة تستأثر بخيرات المسلمين، وتكون وسائط للنهب الأجنبي والتسلط. تستهلك ولا تنتج، لا تحمل الكل، بل هي أصل الكلالات وسببها. جهود المسلمين تسخرها لمصالحها ومصالح حلفائها الجاهليين.

الأمة تتهيأ لاستقبال عهد جديد، عهد الإسلام، والحكم الإسلامي والخير الإسلامي، والأخوة الإسلامية، والعدل الإسلامي.

زحف المسلمين إلى الحكم هدفه استعمال سلطة الدولة لفرض الحكم بما أنزل الله. وما أنزل الله في حق المجتمع هو العدل، وإنصاف المظلوم والمحروم.

فالظلم الاجتماعي مما يزع الله بالسلطان، طاعة لله عز وجل في أمره لنا بالعدل، فرضا بسلطان الدولة.

وتبقى فجوة واسعة، فجوة الفقر والجهل والمرض التي يخلفها الحكم الجائر. وقد برهنت الأحداث على أن حكام الجبر، سواء رفعوا شعار الليبرالية وتحالفوا مع غرب الجاهلية، أو فرضوا نظام القمع الاشتراكي واستندوا لشرقها، فشلوا الفشل الذريع في ميدان الاقتصاد وتوزيع الخيرات، كما فشلوا أمام العدو الصهيوني الغازي وعلى كل الجبهات.

فجوة التخلف الاقتصادي والحضاري، وفجوة تدهور الأخلاق وفساد الضمائر، وفجوة الحقد الطبقي الذي تولد عن ظلم المستكبرين، فجوة معنوية، خلقية، روحية لا يغني في تضييقها وطمسها وازع السلطان وحده، إنما يغني وازع القرآن، يؤيده وازع القوة.

الدولة سلطان والدعوة قرآن.

مضى إن شاء الله زمن كانت الدعوة فيه لعبة في يد السلطان. وآن أن تصبح الدولة في يد الدعوة سيفا به تدفع كيد العدو وتكف يد المستغل، وآلة تصنع الخير والقوة.

ما الإسلام والدعوة إلى الله وعظ وتأملات. ولا هما بعد الصحوة المباركة تأملات في الأصلح، ومعارضة عاجزة لحكم الأمر الواقع الجبري. جند الله ينزلون إلى الميدان يهيئون قبل الوصول إلى الحكم الخبرات والكفاءات اللازمة لتغيير ما بالأمة من أمراض ولتدبير شؤونها.

وبعد الوصول تعبئ الدعوة الشعب إلى جانبها لإنجاز المهمات الاقتصادية والحضارية والاجتماعية، وسد الفجوات المتخلفة عن قرون الفتنة.

إلى جانب ما تفرضه الدولة فرضا، ما يبذله المؤمنون بذلا. إلى جانب طاعة السلطان، التطوع بحافز القرآن.

جند الله ينبغي أن يجمعوا طاقات الأمة المالية والعملية، ليصنعوا مستقبل الإسلام، يوم يتعين الحل الإسلامي، حين تلفظ الأمة كذابيها ومبيريها.

واستعدادا لذلك يلم جند الله طاقاتهم وجهودهم المتطوعة، ويضعونها في خدمة المستضعفين، في خدمة الشعب، وهو مادتهم التي لا تنضب بعد تأييد الله وسندهم على الأرض بعد سند الله.

تكون للجماعة مشاريع، سرية أو جهرية حسب طبيعة المواجهة ومرحلة الدعوة، في حقل جهاد التعليم حيث يصحب تعليم الهجاء تعليم القرآن، وفي

حقل مبادئ الصحة والإسعاف، حيث يتعلم المستضعفون أن الطهارة الإسلامية والعفاف الإسلامي صون للإنسان دنيا وأخرى، وفي حقل رعاية اليتيم والملهوف والبائس يكتشف المستضعفون أن الإسلام أخوة وعطاء.

الجهل والفقر والمرض أوبئة اجتماعية لا تذهب بالصدقة ولا بالتطوع المنظم وحدهما. ولا تذهب أيضا، والأمة حيث هي من التخلف، بجهود الدولة ولو صلحت وأمسكها المؤمنون. ففي انتظار اجتماع الدولة والدعوة في يد المؤمنين، يبرز التطوع كوسيلة من وسائل تحبيب الإسلام، والتعريف به والدعوة إلى الله. ثم يستمر التطوع في سائر المراحل، يهيئ ثقة الناس بالمؤمنين، ويحرك عواطفهم إليهم، والتفافهم حولهم، وزحفهم خلفهم. ثم يستمر التطوع بعد قيام الدولة الإسلامية نشاطا أساسيا مكملا لجهود الدولة، تعبئة شعبية لإنجاز ما لا تقدر عليه الدولة. والمهمات جسام وطوال.

يشمل العمل التطوعي، حسب الإمكانات والمرحلة، تنظيم تعاونيات فلاحية وتجارية وخيرية، وتنظيم تعاونيات إنتاجية واستهلاكية، وتنظيم أعمال لاستصلاح الأرض وسقيها وفلاحتها، وتنظيم وحدات صناعية، وتدريب الشباب على الأمن الداخلي والخارجي، إلى آخر مهمات التنمية. ويوم تقوم دولة الإسلام نجد أنفسنا هيأنا الأطر الصالحة لتسيير دواليبها، وهيأنا القيادات الشعبية القادرة على إخراج ما عند الشعب من قدرة على البذل، بذل المال والجهد.

يشعر المؤمن حين نضعه عند وفوده في مشروع تطوعي أنه عضو منتج صالح، فهذا يقوي عزمه لما يرى من نتائج جهده. وهذا هو الجانب العملي الضروري في التربية بعد الجانب الآخر جانب التربية الروحية الإيمانية التعليمية التأليفية. يجب ألا يترك المؤمنون يركدون في صحبتهم، منكمشين على أنفسهم. بل يدفعون إلى الميدان دفعا من أول خطوة، على أن لا يصرفهم الجهد الميداني عن المهمة الشاملة، مهمة تكوين شخصيتهم الإيمانية. العمل التطوعي الميداني جزء لا يتجزأ من التربية، لكنه الجزء لا الكل.

نكف عن التفكير في الدعوة كأنها علاقة أفراد بربهم ليس غير، ونكف عن اعتبارها معارضة أبدية للحكم يكفيها أن تصرخ منددة بالباطل، ونكف عن التفكير بالذهنية القاصرة ذهنية التابع المحجور الذي ينتظر أن يهيئ له غيره الخبز، ويدبر أمر معاشه.

الدعوة إلى الله أول كل شيء نداء بالرجعة إلى الله عز وجل، والسلوك إليه وتحقيق العبودية له. ثم هي معارضة للباطل حتى تنقض بناءه، ثم هي المسؤولة يوما ما عن مسك زمام الأمور، وتسيير عجلة الإنتاج، وتدبير مشاكل الدولة، وإحلال العدل والرخاء والأخوة في الأمة.

التطوع الميداني يهيئ فرصة للمؤمن ليعرف مشاكل أمته، ويلتصق بواقعها ويعاني آلامها، ويتهيأ لحمل أعبائها.

ندفع المؤمنين لميدان التطوع، يعطون الشعب من أموالهم، ووقتهم، وجهدهم. فينتقلون بذلك من الموقف التابع إلى الموقف المسؤول، ومن ذهنية الذي يبحث عمن يحل مشاكله، إلى عقلية القوي الأمين، يتعلم القوة والأمانة في الميدان لا في الأحلام، يحل هو مشاكل الناس، لا يكون عالة على الناس.

هناك في الشعب المسلم بطالة متفشية من جراء فشل الجاثمين على صدورنا. هذه البطالة يمكن أن تتحول طاقات للبناء لو جاء العدل، ودخل وسط الشعب أمناء أقوياء يدهم في يد المحروم، ومجلسهم معه، ووجههم باسم في وجهه، وأخوتهم مبذولة له، عطاء من مال ووقت وجهد واهتمام وإكرام.

من يعلم الجيوش الجرارة من الشباب الذي لفظته مدارس الفتنة وغيره ممن لم تفتح له قط بابها؟ من يعالج أمراض مجتمع الفتنة الحسية والمعنوية؟ من يسد خلل الفقر والبؤس الذي منه تدخل للناس سائر الرذائل؟

بل كيف نفعل ذلك؟

جند الله لا يكونون جندا لله إلا إن غشوا كل ميادين الجهاد، السياسي منها والاقتصادي والاجتماعي. خارج الدولة إبان الزحف، وتحت مظلتها ودعما لها يوم يصبح أولو أمرنا منا، كتاب الله كتابنا وسنة رسوله منهاجنا وبرنامجنا.

مشاريع التطوع ينبغي أن تنظم، فيدرب المؤمنون قبل أن يقذفوا للميدان، ويكون على نشاطهم إشراف مسؤول، ويكون لعمل كل مؤمن تقويم وتشجيع يدفعانه لمزيد من الجهد.

ويدرب جند الله على تحمل المسؤوليات حتى يقدروا عليها. ففي غد الإسلام نكون في حاجة ماسة إلى الخبير والمعلم والأستاذ والحاكم والعامل الذين يتركون المدينة ورفاهيتها، ليخرجوا للبادية، يقودون الإصلاح الزراعي أثناء ما يعلمون الناس دينهم. نكون في حاجة لرجال ينهضون من وسط الميدان، جنبا إلى جنب مع الشعب، بجهاد البناء في ثقة وحماس وود.

دعاة فعلة:

نحن غدا بحاجة لدعاة فعلة، لا لخطباء ملتهبين من فوق رؤوس الشعب.

دعاة فعلة. قلب مع الله، ولسان لاهج بذكره والثناء عليه والدعاء إليه، ويد تصنع في الطين، وفي البيئة الملوثة تصلحها، في مخلفات الفساد تميط أذاها، في المهمات الشاقة الدائبة اليومية. جهاد.

يستعمل الناس كلمة «تضحية»، ونستبدلها نحن بكلمة بذل النبوية. الذي يعبر عن عمله بكلمة تضحية ينظر إلى عمله يستكثره، ويمن به، ويعظمه، لينال رضى الناس. والتطوع في الخير الذي نعبر عنه بكلمة بذل فتوة ترى فضل الله على أهلها أن أهلهم لخدمة دينه والموت في سبيله.

ولا معنى لعبارة الحل الإسلامي إلا ببذل شامل. ببذل العصبة المؤمنة مالها ووقتها وجهدها وعرقها ونفوسها في سبيل الله، ثم يسري البذل في المجتمع ليذيب الفروق الطبقية، والظلم الاجتماعي، ويحول البطالة عملا، والكسل نشاطا، والتواكل همة، والتبعية استقلالا.

سيسألنا الناس، يسألنا الشعب، يوم نصل إلى الحكم: بماذا أتيتم؟ أية خدمة؟ أي تغيير؟ في حياتنا اليومية؟ في آمالنا؟ في كرامتنا؟ ما هو بديلكم عن الإدارة الرشوية؟ عن الاقتصاد الاستغلالي؟ عن البوادي السائبة؟ عن المدن الفاسدة؟ عن الأسواق الكاسدة؟ عن الأيدي العاطلة؟ عن التعليم الفاشل؟ عن الصحة الخربة؟ عن الشباب المخدر؟ عن الأمية والجهل الفاشيين؟ عن الخبز الذي نبتاعه بكرامتنا واستقلالنا من خارج؟ عن أموالنا التي يبذرها السفهاء؟ وتطول لائحة البؤس حتى كأنها بلا نهاية. شبكة أسئلة من ورائها غابات من المشاكل.

لو كانت الدعوة معارضة أبدية لكفى أن نربي خطباء يصدعون بكلمة الحق في المحافل، وكتابا يعلقون على فشل الآخرين في الجرائد.

لو كان الإسلام قضية ضائعة، يبرر أهلها ضياعهم ويسلون أنفسهم بعرض المبادئ السامية، لكفانا أن نحسن أساليب الخطاب للبكاء على ما ضاع.

لو كان الإسلام ماضيا لا يرجع لكفانا أن نختار من بيننا من يتقن ترجيع الحنين، والبكاء على الأطلال.

لكنها معارك: إيجاد شغل للعاطل، وخبز للجائع، وتغيير اجتماعي، وتوزيع عادل، وإدارة مجدية، وصناعة تقنية، وقوة تدفع العدو، واقتصاد يحررنا من التبعية.

إنتاج وتوزيع ومستوى معيشة. تدبير ما كان غيرنا يدبره من صغير الأمر وكبيره. مع هذا الفارق الضخم، وهو أنهم كانوا في هوي إلى أسفل العقبة والهوي سهل على الهمم الساقطة، بينما نحن يجب أن نصعد العقبة ونقتحمها. مخلفات تركوها. فساد على كل المستويات.

كيف تكنس القاذورات؟ كيف ينظف البيت؟ كيف يعاد ترتيبه؟ كيف توزع وظائفه؟ كيف تستصلح العناصر البشرية ذات الغناء والخبرة في خدمة الفتح الإسلامي؟

أموال ضاعت فكيف تعوض؟ من أين نقترض؟

لا بد أن يستثمر خيراتنا غيرنا لمدة ريثما نقدر نحن على الاستقلال، كيف علاقتنا بمن يستثمر؟

مهمات كالجبال، تحتاج لرجال سامقي الهمم، متوفري الخبرة، قادرين على العطاء بلا حساب.

بذل.

دعاة فعلة، متواضعون، على مستوى المهمات اليومية، بالصبر الدؤوب. وعلى مستوى المهمات المصيرية، بنفس الهمة، والفعل الخبير، والدقة والتواضع.

دولتكم يا جند الله لن تكون أعظم من استعدادكم للبذل، كما أن الزحف لبنائها لن يكون إلا سرابا إن لم يدفعكم لساحة الشهادة في سبيل الله حبكم لله تبذلون فيه مهجكم، طاعة له وتطوعا. قال الله عز وجل: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾.[1] خير له في الآخرة وخير للأمة منذ الدنيا.

شعب الخصلة

الشعبة السادسة والثلاثون: الزكاة والصدقة

من النفقة في سبيل الله واجب وهو الزكاة. وبعد الزكاة واجب ما دام في الأمة حاجة، ما دام فيها الفقير والمسكين، ما دامت الأمة غارمة يستدين بعضها من مصارف اليهود أموال بعضها التي أودعها سفهاء الجبر هناك.

الزكاة تؤخذ بسلطان الدولة. وتصرف لتسوية الفروق الشاسعة بين المالكين الأغنياء والمتسكعين المحرومين.

الزكاة نسبة من رأس المال معلوم قدرها في العين -أي النقد- وفي الأنعام وعروض التجارة. وشرطها الحول. وبشرط الحول يتصور متصور أن الأموال يحتفظ بها راكدة حتى يمر العام. والحال أن المسلمين بحاجة ماسة لترويج أموالهم أقصى ترويج لتنتج.

(1) سورة البقرة، 184.

شرط الحول فقه بالنسبة للفرد الذي يحسب حسابه ليؤدي حق الله في ماله. أما الفقه الضروري للأمة فهو فقه ترويج الأموال، وتحريكها، واستثمارها، مع اقتضاء حق الزكاة فيها. وهذا يطلب اجتهادا في زكاة الأموال المستثمرة في الصناعة بما يشجع رصد الأموال لتوفير وسائل الإنتاج وبناه، دون أن يسمح لها بالهروب من أداء ما عليها من حق.

هذا يطلب اجتهادا لتفتيت الملكية بما يكفل سد الثغرات الطبقية دون هدمها (أي الملكية).

الأمة في أزمة، في حالة استثنائية، مهددة من خارج بغزو العدو المحتل أراضينا ونفوسنا وعقولنا. أموال المسلمين في يد السفهاء يلعبون بها، وقد جعلها الله قيما للأمة يجب أن تقبض الأمة بسلطان دولة الإسلام على أيدي السفهاء، وتعمل على إعادة التوازن بين الأغنياء والفقراء.

المستكبرون المتسلطون على قيمنا يهربون الأموال، ويكنزونها، وينفقونها على الترف واللهو.

فغداة قيام الدولة الإسلامية ينبغي تخطيط اقتصاد الكفاية والقوة بما يشبه ما يسمى بلسان العصر «اقتصاد حرب». يجب تعبئة الأموال، فلا يسمح لطبقة أن تحتكرها، ولا أن تهربها أو تكنزها أو تنفقها على الترف بل يشجع الاستثمار المنتج.

نحن بحاجة إلى اقتصاد جهاد بدل اقتصاد البذخ المترهل. الزكاة بوصفها أخذا من رأس المال تعيد قسمة الأموال من أصولها. وقاعدة أخرى نبوية هي قاعدة بذل الفضول، تأخذ الأموال من أطرافها لتوزيع الثروة توزيعا عادلا.

روى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: «بينما نحن في سفر إذ جاء رجل على راحلة له. فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من كان معه فضل ظهر** (أي دابة زائدة على حاجته) **فليعد به** (أي فليعطه) **على من لا ظهر له. ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له**» فذكر من أصناف المال ما ذكره. حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل».

السفر كان سفر جهاد فوجب التوزيع العادل. وقد فهم الصحابي الجليل أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم ببذل الفضول بتلك اللهجة وفي تلك الظروف نزع لحق المالك، وظن الصحابي ترجيحا من جانبه لكون الأمر كان عزمة نبوية. فنحن أولى بهذا الظن ومصير الأمة في خطر.

الشعبة السابعة والثلاثون: الكرم والنفقة في سبيل الله

الزكاة حق الله، وبذل الفضول عزمة نبوية في ظروف خاصة. فهما نصيب الطاعة في إقامة العدل الاجتماعي.

وبعد الحق المفروض، والعزمة اللاحقة بالفرض، يأتي التطوع من صدقة يحب الله مؤتيها ويثيب عليها، ومن كرم يتحلى به المؤمن.

الصدقة التطوعية والإنفاق والكرم بذل تكملة فقط لواجب الزكاة وبذل الفضول. فالمجتمع الإسلامي صلبه العدل المفروض، ولحمته التطوع بالخيرات. قاعدة العدل الواجب عليها يقوم الهيكل الاجتماعي، ثم يكسى هذا الهيكل، ويجمل، وينتعش، وتدب فيه الحياة الأخوية، بالعطاء المحب.

لا تستطيع الدولة بسلطانها أن تعوض الناس عن الحنو الأخوي والتعاون بينهم، حتى ولو توفر لها من الأموال ما تسدد به نفقات ما يسمى بلغة العصر دولة الرخاء العام.

مال وزع بالقسطاس، هذا عدل. لكن الإنسان لا يعيش سعيدا بمقياس ما لديه من مال. لا تقدر الدولة أن تنكب على الحالات الشخصية، ولا أن تعطي مع الحوالة بسمة ومساعدة محبة رحيمة.

في الإسلام حق الزكاة تستخلصه الدولة، وفي الإسلام حق أخوي فرضه الإيمان، تقتضيه يد الحاجة من الإحسان الذي أمر الله به.

الشعبة الثامنة والثلاثون: إيتاء ذوي القربى واليتامى والمساكين

بعد توحيد الله وعبادته أمر الله بالإحسان، الأقرب فالأقرب. قال الله سبحانه: ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾.[1]

لا يحب الله المتكبر المستعلي على المسلمين، الشحيح بماله، إنما يحب من ينفق ليسد الخلة، ويلبي الحاجة، ويأسو الجرح، ويكفل اليتيم، ويرحم المسكين، ويحمل الكل، ويعين على نوائب الحق.

لا تنفصل الدعوة ووازعها عن الدولة وسلطانها في حياة المسلمين حين يستقيم لهم الأمر. كلاهما تكمل عمل صاحبتها. السياسة والخلق، الإدارة والتطوع، العقل والقلب.

بر الأقارب ابتداء بالوالدين واجب. ويعتبر الإسلام منع ذوي الرحم من بر المسلم من الفظائع. ويعتبر قطع ما أمر الله به أن يوصل من الموبقات. مال اليتيم له الحرمة القصوى. الأرملة، والبنت، والمعسر، وذو الكربة، والملهوف، فرص ليتقرب المحسنون ببرهم إلى الله. ثم هنالك العطاء على الإسلام وتأليف القلوب عليه.

كان الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى بعد أن عز الإسلام أن لا مجال لتأليف الناس بالعطاء. وفي عصرنا يتشوف المستضعفون من الشعب أول ما يتشوفون إلى عدل يقيم أودهم، وينتشلهم من بؤس الجهل والفقر والمرض. ولن يستمع المحرومون المستضعفون لكلمة الإسلام إن كان الإسلام لا يعطي خبزا وشغلا ومستشفى ومدرسة وكرامة.

الشعب لطول ما استغله المستكبرون، وافترسه صنائعهم فساق الإدارة، ومرتشو الحكم، ونهابو الأمة، عاد مجموعة من المشردين العاطلين

(1) سورة النساء، 36.

البؤساء. فلا بد لسيف العدل الإسلامي أن يفتح مجالا لترجع إلينا، مع العمل المفروض بالقرآن يعضده السيف وينفذ أمره، تلك الأخلاقية السامية، أخلاقية التراحم والمواساة والتكافل بين المسلمين، في موكب التوبة العامة والنهضة الإسلامية.

الشعبة التاسعة والثلاثون: إطعام الطعام

أولى الضروريات بالنسبة للفرد غذاؤه اليومي. وأولى الضروريات بالنسبة للأمة أن تنتج غذاءها في دارها فلا تحتاج أن يساومها بالشعير والقمح غذاء الشعب ولا بالمنتجات الرافهة من ينتجون حين نكتفي بالاستهلاك، ومن يملكون الخبرة والقدرة على العمل وإرادة العمل وتنظيمه حين لا نملك ولا نقدر ولا نريد.

تبذر أموال الأمة على شهوات طبقة المترفين المستكبرين والشعب المسلم في بؤس ويبنى عندنا اقتصاد هامشي، فلاحة وصناعة وتجارة لإرضاء الشهوات على حساب هذا البؤس.

يعاد عند قيام الدولة الإسلامية بناء الهياكل الاقتصادية لضمان الضروريات قبل الحاجيات حسب تعبير فقهائنا. ثم ينظر بعد هذين في التكميليات. يبنى اقتصاد ينتج للشعب ويخدم الشعب، يعطي الأمة استقلالها، ويهدف القوة لا التكاثر عند طبقة مترفة.

يبقى إطعام الطعام على صعيد الحياة اليومية بين المؤمنين سنة نبوية. ونستبدل بالموائد العادية في حياة الغافلين والراتعين، الحافلة بالأطايب من كسب يعلمه الله، سفرة الأخوة على القناعة والاكتفاء. فإن الاشتراك في الطعام، وبالآداب النبوية، مما يؤلف الله به القلوب.

وليكن إطعام الطعام وسائر أنواع البذل المذكورة في هذه الخصلة، عطاء من الدعوة ووسيلة لإبلاغ رسالتها. ليكن أول ما يراه المستضعفون من الجماعة برَّها الواصل واهتمامها الفاعل.

الشعبة الأربعون: قسمة المال

على الدولة الإسلامية أن تصنع ثروة لتوزعها التوزيع العادل.

نقرأ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه البررة، في حياته وبعد وفاته، أمثلة ناصعة للإيثار وقسمة المال. كانت أموال المسلمين تقسم عليهم من بيت مالهم بالأمانة العادلة. ثم يشيع المال الخاص من الأيدي الرحيمة التي لا تمسك ولا تعرف إمساكا على البائس الفقير.

هذه قصة واحدة من قسمتهم رضي الله عنهم. روى ابن سعد عن أم درة قالت: «أتيت عائشة بمائة ألف. ففرقتها وهي يومئذ صائمة. فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت»!

في عصر الأنانيات ما أحوجنا أن نتخلق بأخلاق من ينسى فطوره ويعطي بلا حساب!

الخصلة الخامسة

العلم

العلم تربية

نعوذ بالله من علم لا ينفع!

جاء في الأثر التعوذ بالله من علم لا ينفع. علم الحق النافع دنيا وأخرى هو ما جاءنا من الوحي في الكتاب والسنة. وكل العلوم الكونية الأرضية إنما تنفع إن استعملت لإبطال الباطل وإحقاق الحق. كما أن علم الحق يبقى في عين غيرنا نظريات وأساطير إن لم نتسلح بالعلوم الأرضية وحكمة الأمم كي نجسد ما نؤمن به من الحق على أرض الواقع.

علم الفقيه منا ينفع إن برز من قلب خاشع، وتمثل وعظا صادقا تتفتح له قلوب المؤمنين، أو تمثل فتوى على بينة، التزم بها هذا أو ذاك ممن يراقب الله من المسلمين ويرجو اليوم الآخر.

وإنما ينفع علم الفقيه الأمة يوم يتكامل نظرة شاملة عن الكون وخالقه، والإنسان ومصيره، والتاريخ وسنة الله فيه، والإسلام وحركته في الزمان والمكان، وواقع المسلمين وأسباب تخلفهم، وضرورة تجديد دين الأمة ومنهاجه، والعقبات الخارجية والداخلية، النفسية والاقتصادية والاجتماعية أمام هذا التجديد، والزحف الذي يوصل جند الله إلى الغلبة والنصرة وتنظيم الدولة الإسلامية وتوحيد المسلمين، وتأهيل الأمة لقيادة العالم وحمل الرسالة.

نحتاج لتصور إسلامي لكل هذا، تصور تكون روحه وباعثه ودليله العبودية لله تعالى، ويكون مدده ومادته ما يستنبطه العقل المؤمن المتخصص من كتاب الله وسنة رسوله وناموسه في الكون.

علم الحق شرع به نكون مؤمنين حين نحقق مقاصده.

ونواميس الله في الكون قدر على مقتضاه يسوس الله عز وجل مملكته، فبإتقان علوم تلك النواميس نكون قد أعددنا القوة التي أمرنا بإعدادها، فاستحققنا الخلافة في الأرض.

النقل والعقل والإرادة:

ما منا إلا من يقول في معرض التحدث والتساؤل عن العمل الإسلامي ومنهاجه، ينطق بهذه العبارة الصارمة: «كتاب الله وسنة رسوله».

لا مراء أن المحفوظ من حفظه الله من الشك في هذا. بيد أن الكتاب والسنة أصلان سماويان. فهما في منتهى الكمال إذا اعتبرناهما مجردين. فإذا نزلنا إلى الميدان، وشهدنا الناس في قابليات الفهم، وإرادة الجهاد، والإخلاص فيه، وجدنا أن تصور كل للكتاب والسنة يخالف تصور الآخرين. فكلما قيل جوابا عن تساؤلنا على عتبة العمل: «الكتاب والسنة»، قلنا: «الكتاب والسنة نقل» فبأي عقل وبأية إرادة نحن مقبلون على تطبيقهما؟.

علم هو بالجهل أشبه إن عمدنا إلى الكتاب والسنة نستنطقهما بذهنية لم تستكمل وسائل العلم، فهي تنظر إلى ذلك الماضي النير بحنين ومحبة، حتى إذا دعيت لمواجهة الحاضر وتخطيط مستقبل الإسلام، انكفأت عن كآبة الحاضر وشره، وانغلق فهم التاريخ عليها، فلعنت، واستعاذت بالله، وبررت بلعناتها الانزواء.

وعلم هو الشر حين تكون النصوص سلاحا لتكفير المسلمين وتضليلهم.

وعلم هو عين الانسلاخ من آيات الله حين يرضي عالم السوء الناس بما يسخط الله، يريد ما عند الناس فتزل به القدم، فلا ينتبه إلا وقد أصبح لعبة للشيطان.

العلم النافع:

ليس العلم النافع ما تكدست فيه النقول، وقل الفهم، وانتكست الإرادة. قال مالك رحمه الله: «ليس العلم بكثرة الرواية. إنما العلم نور يضعه الله في القلب». نور! وروى الإمام أحمد عن أبي جحيفة قال: «سألنا عليا رضي الله عنه هل عندكم (يعني آل البيت) من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء بعد القرآن؟ قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! إلا فهم يؤتيه الله عز وجل رجلا في القرآن» الحديث. فهم!

العلم فهم العقل الخاضع لجلال الله، ونور في قلب من أيده بالإرادة الجهادية.

1- في مسيرة جند الله فقه وفير نزل إلينا من تاريخنا العلمي الحافل. يجب ألا يكون الخلاف على اجتهاد سلفنا شغلنا، لكن الاستفادة من مناهجهم في الاجتهاد، نتمرس بها لنتجاوزها ونستقي من المعين الذي استقوا منه. فإلى تلك الرجولة ينبغي أن نهدف لا إلى الحومان حول ما قالت أجيال من سبقونا بالإيمان رحمهم الله.

ما كلنا يستطيع النظر في كتاب الله وسنة رسوله، فلا أقل من أن نغلق أبواب الخلاف العقيم. قال الإمام البنا رحمه الله في أصوله: «وكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم. وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع. ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلف فيه بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا» وقال: «لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماما من أئمة الدين. ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صدق من أرشده وكفاءته، وأن يستكمل نقصه العلمي، إن كان من أهل العلم، حتى يبلغ درجة النظر».

2- ما نزل إلينا من اجتهاد حافل لا يكاد يتجاوز الفقه العبادي الفردي والمعاملات الاجتماعية. عكف فقهاؤنا رحمهم الله على ذلك بعد أن عزلهم السلطان عن الحياة العامة، وأفردهم للفتوى في شؤون الناس اليومية.

جل ما عندنا من فقه سلفنا الصالح فقه فروع لا نستغني عنه.

لكن الذي نحن بحاجة إليه هو الفقه الكلي الذي يشمل كل العبادات الفردية، والمعاملات الجزئية، في نسق واحد يؤدي وظيفة إحياء الأمة وإعادتها إلى حضن الشريعة وصراط الله.

تقلصت الشريعة تحت الحكم العاض والجبري حتى أصبح اليوم مجالها لا يتعدى ما سموه بالأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث، أو ما بقي في المسجد من وعظ وتذكير، وفي ذمم الأفراد من صلاة وزكاة وحج.

العلم الكلي النافع الذي نحتاج إليه هو ذاك الذي يخط لنا ويعلمنا كيف ننفذ حكم الله في إقامة الدولة وتسييرها، في تنظيم المجتمع وإقامة العدل فيه، في تربية وتنظيم جماعة المؤمنين، في إدارة شؤون المسلمين إنتاجا وتوزيعا ومعالجة للمعايش، في إدارة الاقتصاد ووظائفه، في جعل أمور الأمة شورى بين رجالها من أهل الحل والعقد[1]، في تنظيم الاجتهاد لاستنباط أحكام الله من كتابه وسنة نبيه لهذا العصر ولهذه الشعوب الموزعة في الأرض، وبهذه الوسائل المتاحة، ولهذا الهدف الذي أصبح قبلة للإرادات الجهادية المتجددة.

3- واجب على كل مؤمن أن يأخذ من العلم بقدر ما يقيم به فرضه وسنته. ويتوسع في فقه الشريعة ما أمكنه.

(1) هذا المفهوم تناوله المؤلف رحمه الله في كثير من كتبه مسلطا عليه الضوء ومنتقدا نظرة الفقهاء له في ظل الاستبداد الذي جثم على صدر الأمة منذ الانكسار التاريخي، من ذلك قوله مثلا في كتاب العدل، ص611، ط1: «نَجد في تراثنا الفقهي مفهوما اجتهد في التمكين له الفقهاء في فترة ما بعد الانقضاض الأموي. هذا المفهوم هو "أهل الحل والعقد". وتُشَكِّلُ هذه العبارة التي لا سند لها من كتاب ولا سنة تسلُّطا مغناطيسيا على عقول المقلدين. تشكل استبدادا بخيال بعض الإسلاميين حتى يظنوا أنَّ "أهل الحل والعقد" بَندٌ من بنود العقيدة وركيزة ثابتة من ركائز الإسلام. ولا بد لنا من الخروج من طائلة هذا المفهوم الغامض لكيلا نُحيلَ الشورى على مجهول له من جهالته وغموضه سلطة الأغوال الفاتكة».

وبعد فرض العين هذا الذي يكون الحد الأدنى المشترك بين جند الله، ويدرس جماعة وبالتدريج، يتعين على ذوي الكفاءات والاستعداد التفرغ لكسب العلوم التخصصية. والقيام بها في حق الكفء فرض ثابت. فهذه العلوم التخصصية، ما كان منها تعمقا في علم الحق، وما كان منها مهارة وخبرة عمليين في شؤون الصناعة والتكنولوجيا، أو نظريا من علوم العصر، ضرورية لحياة الأمة، مفروض عليها أن تتخذها.

فمن العلوم العينية كتاب الله عز وجل تلاوة حفظا وفهما، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دراسة واتباعا، وإتقان لغة القرآن لمحاربة الهيمنة الثقافية الأجنبية واحتلالها عقول أبنائنا وميادين حياتنا. في أول عهد الوارد علينا نوجهه لكتب الفقه المبسطة حتى يأخذ منها نصيبه. وفي نفس الوقت نحضره ونحضر معه حلقات في المسجد لدرس القرآن والحديث والسيرة، وتنظم هذه الدروس بحيث يستفيد منها العامة على مستواهم، ويجد فيها جند الله مزيدا من العلم كل على درجته. القرآن بتفسير أو تفسيرين، ويتوسع العالم. البخاري ومسلم مباشرة بالشروح المعتبرة. وأثناء ذلك يتعلم جيل التجديد لغة القرآن ولغة السنة. فاللغة العربية، تلك الصافية المتينة لا لغة الجرائد، هي الآلة والوسيلة لفهم ما أنزل علينا بلسان عربي مبين. فلا بيان إلا بها، أي لا وضوح.

ومن علوم الكفاية اللغات الأجنبية، والعلوم التجريبية التقنية، وعلوم التنظيم والإدارة، وعلوم السياسة والاجتماع. ونجرد كل هذه العلوم مما علق بها من مباشرة الجاهليين لها. وما تنطوي عليه مما يسمونه بعلوم الإنسان، والإديولوجيات من فلسفة كافرة، وتصور مادي نطلع عليهما لندحضهما في نقاشنا للمغرورين المضللين من أبنائنا.

وفي مرحلة تابعة نطوع كل هذه العلوم ونحذقها، لتنهضم في جهازنا العلمي، وتنصهر في بوتقتنا، وتخدم أهدافنا.

المنهاج العلمي في النقد، والملاحظة، والتحليل، والتركيب، والاختبار، انضباط ضروري وشرط أساسي لتحويل عقليتنا التقليدية اللفظية إلى عقلية صانعة منظمة دقيقة.

هما ذهنيتان عندنا عقيمتان. الذهنية الرعوية، ذهنية شعب درج على الخنوع للحاكم. ثم الذهنية اللفظية التقليدية التي تملأ أركانها ألفاظ غير محدودة المعاني، لا تصورات واضحة وأفكار هادفة.

المنهاج النبوي يجمع لنا بين نور القلب الذي يصدق بالحق ويخضع له، وبين فهم العقل المنضبط بالعلمية، والتجربة، والدقة في الحكم. بهذا العقل فقط يمكن أن نبني، وبذلك القلب فقط يكون البناء إسلاميا على هدى من الله.

العلم تنظيما

وحدة التصور:

قال الله عز وجل لنبيه ولنا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.[1]

أول العلم التوحيد، يتلوه عبادة الله سبحانه. وحدة العقيدة تلزم وحدة المعبود. وهذه تلزم وحدة السلوك الإيماني، ووحدة الولاية، ووحدة الغاية والهدف.

عقيدتنا الموحدة تقتضي منا أن نسعى لتوحيد الأمة ابتداء من توحيد الجماعات القطرية. إذا كان أمر الله لنا واحدا، ومسؤوليتنا عن تنفيذه واحدة، وإرادتنا تنفيذه صادقة، فمآلنا أن نتوحد لنكون تلك الأمة المنعوتة بالخير، الشاهدة على الناس بالقسط. الذي يعوق التوحيد هو:

1- ما طرأ على الكتاب والسنة وتفرع عنهما من شروح واجتهادات القرون. فروع الاجتهاد الفقهي العبادي وهو أكثره، ومذاهب أصول الدين وأصول الفقه، تمثل كتلة أمام ناظرنا تحجب عنا الأصول. فلكل مذهب وفئة مخلفاتها من الاجتهاد.

2- اختلاف المؤمنين المعاصرين في درجة الفهم والقدرة على النظر. فلكل جماعة من المسلمين المجاهدين نظرتها للإسلام ومقاصده، والجهاد ووسائله، والزحف ومراحله.

(1) سورة محمد، 19.

3- ما يغشى هذه الإرادات البشرية من فتور يدعو لمسالمة الواقع، أو حماس مندفع يريد القفز إلى المستقبل قبل أن يوطد أقدامه في الحاضر، أو نفور وتنافس بين الأشخاص، أو حب للظهور والرئاسة وغلبة الخصم في الحجة.

هذه العوامل الثلاث مجتمعة متشابكة، يغذي بعضها بعضا ويعوضه. فاستصلاح اجتهاد فقهائنا الأقدمين في الفروع، وتوحيده، وإدماجه في اجتهاد مجدد كلي، ضرورة وواجب كفائي به نتجاوز الخلاف في النقل.

وقابلية التعلم بالانفتاح العقلي والثقة بمن لهم القدرة على النظر ضرورة وواجب في حق جند الله.

والإخلاص لله وحده في حق الجميع، ناظرين ومتعلمين، ضرورة وواجب، بدونه تخبث النفوس، ويحركها الشيطان والهوى.

وحدة اجتهاد. وحدة تصور. وحدة إرادة.

بدون هذا تكون سفرتنا إلى غير رشاد.

جند الله ينبغي أن يكون لهم نفس الفهم لمهماتهم، وهذا يقتضي أن يرجع الواحد إلى إخوته للتشاور في الأمور العارضة، في إطار مخطط للعمل، يعرف كل خطوطه العريضة ووسائله وأهدافه. وقد بيَّنَّا طريقة الحسم فيما فيه الشورى.

إذا شرعنا في عمل جماعي قبل أن نتفق على تصورنا للعمل من كل جوانبه، فأدنى خلاف يوقفنا، وسنختلف على كل شيء، ومن ثم سنعجز عن الاستمرار، ونقف، ونفشل، ونرتد إلى فرديتنا وغثائيتنا الأولى. نعوذ بالله من النكسات!

ذهنيات:

استعرضنا الذهنية التبسيطية، المركبة على نفسية راضية عن ذاتها، تشير إلى الغير بأصابع الاتهام، وتعيث فسادا بأفكار صبيانية ساذجة.

هذه الذهنية المبسطة واثقة عادة من نفسها، تنسب الخطأ لكل ما خالف نظرتها الضيقة، وتنخدع، وتتعصب.

فحين نحتاج لعقول نيرة شجاعة تكشف غامض الحاضر وترتاد إمكانات المستقبل وتشق الطريق للعمل، تعترضنا هذه الذهنية الملازمة لتلك النفسية فنسقط في الجدل العقيم، القاتل للإرادة، المثبط للعزائم.

استعرضنا الذهنية الذرية التي لا تنظر إلى ما في أمور الشريعة والحياة من ارتباط، لا تستطيع تصور الإشكالية المركبة من تداخل السياسة، والاقتصاد، والتربية، والاجتماع، والوضع الداخلي والخارجي، والظرف المكاني والزماني، وتطور الأحداث، ووجود التناحر على الهيمنة وتنازع البقاء بين أقوياء الأرض، وضرورة وحدة المسلمين، والاستناد لكتلة المستضعفين في الأرض، وعزائم الشريعة في كل هذا ورخصها، ومقاصدها ووسائلها، وقواعدها في حالة الرخاء وحالة الاضطرار. إلى آخر ما هنالك.

هذه الذهنية عاجزة عن تصور عمل إسلامي في نسق منتظم على منهاج يرتب الوسائل لتبلغ الأهداف، ويرتب المراحل والأولويات، ويترك في حسابه مكانا للمرونة عند الطارئ المفاجئ والضرورة الغالبة.

هذه الذهنية عاجزة عن تجسيد المنهاج في خطة وبرنامج صالحين للتطبيق.

بالذهنية الراضية عن ذاتها والذهنية الذرية المشتتة يمكن أن نتحرك، ونهيج ونحمس، ونهدم، لكن البناء يريد النظرة الموضوعية، الثابتة، الشاملة، الإرادية لا الحماسية.

قبل قيام الدولة الإسلامية نحتاج لعقول استوعبت المنهاج لتضع الخطة في عمومها، وتهيء في إبانه برنامج الحكم الصالح للتطبيق، المؤسس بنيانه على تقوى من الله. دراسات، وملفات، وبنى الاقتصاد، ومؤسسات الحكم تعاد صياغتها، وإحصاءات وتدبير معاش الشعب.

وبعد قيام الدولة الإسلامية يجد جند الله أن لهم رجالا بالحجم الكافي والنوعية الممتازة، لأخذ الزمام، وإحلال شريعة الله في كل المجالات محل القوانين الوضعية، ولتسيير دواليب الحكم في حركة متناسقة، منسجمة، مجدية، ناجحة.

الذهنية التي تتصور الدعوة معارضة أبدية ونقدا واتهاما تقف عند حدودها. لا تستطيع أن تعيش إلا وسط الفتنة التي من كشف عيوبها وآثامها تتغذى.

فإذا اقترحت على إخواننا ممن لهم هذا التصور أن يتخيلوا ما أمام الإسلاميين من أهوال الاضطهاد، وصعوبات الزحف، وأوحال وآثام غرق فيها المسلمون ولا بد من تشمير السواعد الطاهرة لرحضها وتطهيرها وكنسها، فزع واستعاذ بالله. ثم خنس إلى ما به يأنس من تزكية النفس واتهام المسلمين.

الحكم يلوث. ولا بد لجند الله يوما أن يدخلوا في صرب (كلمة فصيحة) الفساد ليرحضوه. ولا بد أن يتدرجوا في نفي مخلفات الفساد، وهذا يعني أنك يا حبيبي يا من تتصور الجهاد فسحة وإقامة الدولة الإسلامية نفحة قدسية ملائكية، ستتحمل إن شاء الله ريح النتانة ورشاشها على ثيابك البيضاء وأنت تنقل العفونات وتضمد الجراحات.

الاجتهاد الجماعي:

لكي يكون لجند الله تصور واحد للخط العام، واجتهاد واحد لما يطرأ، وشورى لها حد تنتهي إليه قبل أن تصبح جدلا، لا بد أن ينبري للاجتهاد جماعة من المؤمنين. إن مشاكل العصر، وتشعب مهماتنا، ومخلفات النقل، واختلاف الإرادة والعقل، لا ينهض لها مجتهد واحد ولا أفراد مجتهدون. لا بد من اجتهاد جماعي. لا بد من مجلس للاجتهاد. ويبقى للأمير الكلمة الأخيرة فيما شجر من خلاف بين المجتهدين، ليرجح حيث عجزوا عن توحيد النظرة. فإن الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الاجتهاد للحاكم. والأمير هو الحاكم الأول، وإنما يجتهد من دونه بتكليفه، ونيابة عنه، وسدا لواجهة هذا الفرض الكفائي -فرض الاجتهاد- الذي لا يقدر عليه الأفراد مع جسامة المهمات، وغموض المسالك، وثقل التحملات. روى الإمام أحمد والشيخان وأصحاب السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد**».

مقدمة سنن الإمام الدارمي تصور لنا أن الاجتهاد عند السلف الصالح كان فطريا. فلما تجدد في الأمة فجور تجددت لها أحكام كما قال الإمام عمر بن عبد العزيز. وأثل لنا سلفنا الصالح من علماء الأمة أصولا في الاجتهاد، فبنوا على الكتاب والسنة والإجماع، واختلفوا في القياس والمصالح المرسلة وعلّية الأحكام.

لا يصلح للاجتهاد الجماعي من يرون أن كل شيء في الشريعة تعبدي غير معلول. لأننا بطرد القياس نبقى عاجزين عن مواجهة الحاضر والمستقبل، فبذلك نكفر بشرع الله الصالح إلى يوم الدين. الجماعة المجتهدة إذن هي التي تتفق على الأصول الاجتهادية وتعلم أن للشريعة مقاصد، وأن التحرك نحو هذه المقاصد والوصول إليها تعبدي وعِلّيّ في نفس الوقت. نجتهد لإحلال شرع الله محل الشرائع الوضعية لأن الله أمر. فتلك عبادة. ونقيس فيما ليس فيه نص ولا إجماع لضرورة إدخال ما جد من تصرفات الناس، ومعاملاتهم، وعلاقاتهم، تحت حكم الله فتلك علية المصالح المرسلة. ثم نضع في حسابنا ضرورة التدرج في إحلال الحق محل الباطل، لأن الله قال: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.[1] نعوذ بالله أن نكون ممن ينتقصون من شرع الله حرفا بدعوى التخفيف على المسلمين! لا، الشريعة في صرامتها وكمالها. لكن التطبيق، والأمة ترجع إن شاء الله للإسلام من مكان بعيد، لا يمكن أن يكون إلا تدرجا.

ما كلف الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يطبق كل الشريعة دفعة واحدة وهو المؤيد المعصوم. إنما نزلت الشريعة تباعا، فانتقل الناس من جاهلية لإسلام. كذلك الرجعة من فتنة لإسلام. لا بد فيها من تدرج. تدرج للضرورة لا إنكارا أن هذا حرام وهذا مكروه، وهذا مندوب.

سألت أخا ذات يوم: «ما تفعل بهذه الأبناك الربوية وهذا الفساد في الأمة لو أصبحت غدا صاحب الأمر؟».

قال الأخ الصالح: «أوقف كل شيء وأدعو الله أن يفتح!» قلت: «إذن لا تدوم دولتك أكثر من ثلاثة أيام!، ثم إنك تكفر بسنن الله عز وجل الذي جعل من نواميس

(1) سورة الأنعام، 119.

الكون التدرج لا الطفرة، وأوجب عليك اتخاذ الأسباب الأرضية في جهادك، لا طلب الكرامة والمعجزة فيما يخرق نواميسه».

بعد هذا ومعه لا بد من اجتهاد جماعي.

روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن**». وعند ابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم: «**إن أمتي لن تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم**» صححه السيوطي. وفي الحديث مبدأ الأخذ برأي غالبية المجتمعين.

فذكر جماعة في الحديثين فمتى اجتمعت عصبة من العلماء على اجتهاد كان أقرب أن يكون اجتهادهم شرع الله. بسلطانين اثنين: أولهما سلطان أنهم حكام اجتهدوا، وبسلطان كون اجتهادهم جماعيا.

نعم الأمثل أن يجتمع أفذاذ علماء الأمة كلها من كل الأقطار لهذا الاجتهاد. لكن الاضطهاد، والاحتواء، والتخويف، وتسرب علماء السوء إلى المحافل المختلطة يعوق دون ذلك. فما كان اجتهادا رسميا في الفروع اجتمع عليه علماء المسلمين، ورضيه الحكام لأنه لا يصدم مشروعهم التسلطي، قبلناه. ثم يستقل كل قطر باجتهاده الخاص حتى يأذن الله بكسر السدود وتوحيد الأمة.

الاجتهاد الجماعي عند سلفنا الصالح نجد أمثلة له عند الإمام الدارمي في سننه.

روي عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء. فيقول أبو بكر: الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا. فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم. فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضاه».

الإمام الصديق رضي الله عنه لا يأنف أن يسأل. أمانة وقوة. فالخائن لا يتورع عن الزعم الظني، والضعيف، لجهله وطلبه حفظ حرمته ولو بالباطل، لا يعترف بالصواب إن جاء من غيره. ثم يسأل الإمام الصديق رؤوس الناس وخيارهم. لا يوسد الأمر إلى غير أهله. فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضاه. قياس وإجماع.

وروى الإمام الدارمي عن المسيب بن رافع: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أثر اجتمعوا لها وأجمعوا. فالحق فيما رأوا! فالحق فيما رأوا!».

وروي عن حميد قال: «قيل لعمر بن عبد العزيز: لو جمعت الناس على شيء! فقال: ما يسرني أنهم لم يختلفوا. قال: ثم كتب إلى الآفاق، أو إلى الأمصار، ليقضي كل قوم بما اجتمع عليه فقهاؤهم».

ترك الخليفة الراشد أمر الاجتهاد لكل مصر، ولم ير في الخلاف بأساً. كذلك نحن في أقطار التجزئة ما دمنا في مراحل الزحف قبل الوحدة.

شعب الخصلة

الشعبة الحادية والأربعون: طلب العلم وبذله

مصير الإنسان بعد الموت متوقف على استجابته لداعي الله أو إعراضه. فعلم الحق ضروري له ليعلم كيف يصل إلى السعادة الأبدية عند الله.

ومصير المجتمع الإسلامي وسط التدافع التاريخي متوقف على قدرته أن يخترع الوسائل الكفيلة بتوفير معاشه ووسائل الدفاع عن نفسه.

عندما ينتبه جند الله إلى خطورة التحديات التي تواجه جهادهم يجدونها دائرة حول ثلاث ثغرات في الكيان المسلم المبعثر المنحط حضاريا، المهزوم عسكريا:

1- الثغرة الأولى: غياب القوة الاجتماعية الوحيدة القادرة على إنقاذ الأمة عن ساحة الحكم. ألا وهي القوة الإسلامية الفتية التي انتظمت في بعض الأقطار، وهي في طريقها إلى الانتظام بإذن الله في أقطار أخرى. وعندما يكلل الله زحف المؤمنين فيصلون إلى الحكم تسد الثغرة الأولى بوجود الإرادة المؤمنة في مكان القيادة. هذه الإرادة المستنيرة بعلم الحق من كتاب الله وسنة رسوله. وعندئذ يستبدل شيئا فشيئا بقانون الوضع شرع الله، وفكر التقليد للجاهلية بعلم الإيمان، والفلسفات والإديولوجيات الأرضية بعلم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

2- الثغرة الثانية: فقر الأمة من الرجال المسلحين بالإرادة الإيمانية والعلوم التكنولوجية الكفيلة بخدمة تلك الإرادة وتنفيذ عزماتها حتى تتحول أماني الأمة من عالم الأحلام والشوق إلى عالم الواقع.

3- الثغرة الثالثة: غياب التماسك بين أجزاء الأمة التي تذهب طاقاتها ومواردها وحريتها في الحروب بين هذه الأقطار الفتنوية. منافسات واضطراب وعدم استقرار. وهذه الثغرة لا يسدها إلا العلم بالله الذي يأتي نتيجة عن تربية إيمانية تصوغ من المؤمنين المشتتين جسما عضويا واحدا. نتماسك عند رجوعنا إلى علم الحق لا الأنظمة الفكرية الجاهلية.

العلوم التي يتعين على الأمة أن تطلبها، وتبذلها لأجيالها، وتنشرها فيهم، هي تلك التي يحركها روح العلم بالله وبسنة رسوله. فالخير كله في الفقه في الدين، وما يأتي بعد الفقه في الدين فهو وسيلة لخدمة مقاصد الدين.

إنما الدين النصيحة، والنصيحة بذل للعلم. فتحدي الإنتاج والتوزيع، وتحدي القوة العسكرية والتكنولوجية، وتحدي الوحدة والتماسك والاستقرار، لن يجاب عنها إلا بوضوح النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم وإمامهم. لن يجاب عنها إلا بالعبودية لله. لا خير إلا في عالم ومتعلم يعملان بعملهما، فهما فقط يمكن أن يقيما الدين

بإقامة النصيحة على كل مراتبها. فإن لم يكن للمسلمين إمام فالعالم والمتعلم -أي رجل الدعوة- هم الأرجى أن يعلموا الأمة كيف تتحرك لتقيم منها إماما.

ليس فقه العبادات وحده هو فقه الدين، لكنه من أهم جوانبه إن تفرع عنه علم يغير المجتمع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي عن ابن عباس: «**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**».

إسلام قاعد في المسجد محوقل خير منه ألف مرة إسلام مجاهد. ففقه هذا الإسلام هو الفقه، والعبادة صلبه وروحه.

الشعبة الثانية والأربعون: التعليم والتعلم وآدابهما

تدهورت مدارسنا تدهورا شنيعا. مناهج تعليمنا وضعها الاستعمار، فهي لا تزال امتدادا له. بل أشد الاستعمار وأنكره فينا هو الاستعمار الثقافي.

رحلت بعد الاستقلال الصوري أعداد كانت جراثيم مجسدة على أرضنا، وحلت محلهم أعداد من الخبراء والأساتذة والعسكريين والمستشارين لحكام الجبر، هم أنكى فينا، لاستيلائهم المبرمج على عقولنا، وألسنتنا، ومراكز التوجيه في أجهزتنا. فهذه الجراثيم المعنوية أنكى فينا.

إدارتنا يسيرها من أبنائنا من هم النتاج الصرف للتربية الجاهلية. إعلامنا وثكنات الشيطان في السينما والمسارح والشارع يتكلم منها صوت الغواية والكفر والفساد. لغتنا محقورة مزدراة إلا عند الخطب الرسمية تمويها على الشعب.

التعليم عندنا حكر على الأغنياء والمحظوظين لدى الأوساط المستعمرة، العاتية فينا بمدارسها، ومراكزها الثقافية، ومكتباتها، وكتبها، وجرائدها، ومجلاتها، ومنحها الدراسية، وندواتها المميعة لأخلاقنا، الطامسة لديننا.

المحظوظون عند المستعمر الثقافي يعلمون أولادهم في مدارس هي المدارس، ويحصلون على شهادات هي الشهادات، وعلى تقنية تخولهم

الاندماج في الطبقة الحاكمة. أما فينا معشر المستضعفين، فأفيون الثقافة الجاهلية يفعل فعل المخدر الفكري على شكل نشاطات ومهرجانات، وفعل المحرض والمهيج على شكل إديولوجيات، وفعل المضلل على شكل إعلام موجه عالميا ومحليا ليفتت فينا العزائم، ويثبط النوايا، ويزيغ بالخطى.

بآداب إسلامية نعيد إن شاء الله للعلم حرمته، وللمدرسة والجامعة وظيفتهما، ولعملية التربية والتعليم هيبتهما، ولعلاقات التعليم بين عالم ومتعلم سلوك الإيمان والثقة والمحبة والصحبة. نطرد فسقة القراء من منابر التضليل، وشياطين الجاهلية من مراكز التأثير. ومن الإعلام نطرد صوت الميوعة والانحلال والكذب، ليسمع صوت الرجولة والجهاد.

نترك إن شاء الله الجدل، ونتيح الفرصة لمن له قابلية التعلم، ونشجعه لتستفيد الأمة من كفاءته. تعليم للشعب المستضعف لا للنخبة المترفة.

في مساجدنا إن شاء الله تحيى مجالس الإيمان والعلم والحكم. وفي بيوتنا وشوارعنا ترفع كلمة الحق أن لا إله إلا الله فقد جاء الحق وزهق الباطل.

الشعبة الثالثة والأربعون: تعلم القرآن وتعليمه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن عثمان: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

المؤمنون فرادى يتسابقون إلى هذا الخير. والحكومة الإسلامية تجمع الجهد، وتقنن هذا الشرع النبوي، فتجعل القرآن الكريم أول ما يدخل جوف الصبي. إن دخل جوفه النور فأحرى به أن ينشأ مهتديا. هذه الأمراض النفسية التي تصيب الأطفال والشباب والكهول ناشئة عن أوبئة النزغ الشيطاني. والقرآن، وهو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة، درع تقي المؤمنين من ذلك النزغ، وبلسم

يداوي جراح الفتنة السابقة، ويهيء المحل، وهو قلب الصبي وعقله، لتلقي بذرة الإيمان والرجولة.

هذه الميوعات في برامج التعليم وكتبه وأساليبه ومضمونه يجب أن تطرح ليخلفها القرآن، لفظه ومعانيه، وعظه وقصصه، أحكامه وشرائعه، عوالمه الدنيوية والأخروية، الأرضية والسماوية.

من محضن الصبيان، إلى مدارس الفتيان، إلى جامعات الرجال، يكون حفظ القرآن، والعمل بالقرآن، وتعليم القرآن، والاحتفال بالقرآن، صلب التربية والتعليم.

وبأمر الله في القرآن، وقد وعاه الفتى من صباه، تنبعث رغبة الأمة في اكتساب وامتلاك علوم الكون والاستقلال بها. وأين متعلمونا -حتى من نجا منهم من عملية التمييع والعرقلة واستقطاب الجاهلية لأذكيائنا- في تفاهتهم من رجال المسلمين وعلمائهم الذين كان أصل تكوينهم ومحوره القرآن، وكان منهم أفذاذ في علوم الكون أثلوا المجد العلمي للإنسانية؟

إن كان المسجد مركز إشعاع التعليم، والقرآن غذاء الصبي الأول، وزاده كل حياته فستنبعث فينا أجيال مصونة إن شاء الله، لن تستفزها المحرضات، ولن يغريها الكسب. بل تكتشف في سن مبكرة أن لا عيش إلا عيش الآخرة، وأن الجهاد في سبيل الله هو الخطة المثلى، والهدف والمشروع، الصالح للنفوس الكريمة. والقرآن الكريم تتشربه الشخصية الغضة الفطرية هو وحده يعطي النفوس كرامتها، ويهديها فطرتها.

جند الله يسمعون كلام الله فينفذون أمره، ويحفظونه ليناجوا به مولاهم، يتلذذون تلاوته يذكرون حبيبهم، يأنسون به في الليل والنهار، يحدو أشواقهم إلى الله، يقص عليهم نبأ الموكب النوراني موكب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يحثهم على صحبة المؤمنين على درب الجهاد.

الشعبة الرابعة والأربعون: الحديث الشريف واتباع السنة

السنة النبوية عندما نتخذها دليلا، ونموذجا للسلوك، ومرجعا لاستنباط فقه الحركة والجهاد، كفيلة أن ترفعنا إلى حيث نستطيع الإجابة عن كل التحديات.

والعلم حق العلم بعد كتاب الله هو السنة المطهرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمر: «**العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة**».

جاءنا من قصص من كان قبلنا آيات تتلى. فكان جيل القرآن، جيل الصحابة في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يسمعون كلام الله يذكر لهم نماذج الجهاد يستحثهم للنهوض. ونحن إن شاء الله نولي وجهنا القلبي والفكري نحو ذلك النموذج النبوي، فنقرأ في السيرة المطهرة آيات الرجولة والإيمان والجهاد التي تعادل بل تفوق جهاد ورجولة وإيمان من كان قبلنا.

تدرس السيرة النبوية في حلق المسجد وأسر الجماعة تدريسا يتوخى ضرب المثل، وإبراز الحكمة، وفقه الحركة، كما يتوخى إيقاظ العاطفة وتوجيه الإرادة.

وعند قيام الدولة الإسلامية إن شاء الله تطهر كتب الدراسة من أساطير الجاهلية ونماذجها وأسمائها، لتتغذى الشخصية الإسلامية منذ نعومة الأظفار بالمثال العالي لحزب الله كما وصفه القرآن، وجسدته العصبة المحمدية في إيمانها وأخلاقها وسلوكها وجهادها.

الشعبة الخامسة والأربعون: التعليم بالخطابة

الدعوة إلى الله نداء من قلب مؤمن، وعقل عالم، إلى سمع الناس وعاطفتهم. اللسان أداة هذا النداء، واللغة وسيلته، والفصاحة المقنعة المخلصة أسلوبه.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا عظيما، وكان يرشد أصحابه إلى أساليب الخطابة الإسلامية، ويصحح أخطاءهم. وكان له خطيب يجيب الوفود. فكانت مساجلات خطابية حفظتها السيرة بين ممثلي القبائل وخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة كل جمعة وخطب في المناسبات.

فيدرب جند الله على الخطابة بأصولها. ويوم تفتح للمؤمنين أجهزة الدولة يقدمون خطباءهم ليوجهوا الشعب، ويرشدوه، ويوقظوه، ويبعثوه للجهاد، ويحتفظوا بخطب الجمعة وخطب المناسبات على حماسه حتى يصهر من هذا الحماس إرادة جهادية ثابتة في السير.

دعني من الخطب الركيكة لفظا، الباردة شكلا، الفارغة مضمونا، التي ألفناها في مجتمع الفتنة!.

روى ابن سعد والبيهقي ومسلم بنحوه عن جابر قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب الناس احمرت عيناه، ورفع صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش: صبحكم مساكم! (أي كأنه ينذر الناس أن جيش العدو قد هجم) ثم يقول: **أحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، من مات وترك مالا فلأهله. ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي!**».

الشعبة السادسة والأربعون: التعليم بالمواعظ والقصص

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول أصحابه بالموعظة (أي يلقيها عليهم بين الحين والآخر ولا يواليها).

والموعظة تذكير بالله، وباليوم الآخر، وبما فرض الله على المؤمنين والمسلمين. والموعظة إذكاء للهمم، وتوجيه نحو السلوك الإيماني الحكيم.

فإذا تحولت الموعظة إلى تنويم للهمم، وتبرير للأمر الواقع، فقد نضبت شعبة مهمة من شعب الإيمان. وهذا ما نراه في المساجد على عهد الفتنة، حيث تتحول

الموعظة إلى مجالس للخلاف وتكفير المسلمين، أو إلى مهرجانات لمدح الحكام وتصويب أعمالهم.

على جند الله قبل القومة وأثناء الزحف أن يستشعروا خوف الله، ويلبسوا لباس التقوى، لتكون موعظتهم بعد قيام الدولة الإسلامية موعظة مؤثرة يتوجه بها رجال الدعوة، لينوروا النفوس والعقول، إلى جانب رجال الدولة القائمين بوازع السلطان على إعادة ترتيب شؤوننا التي خربتها ذمم لا ترقب في المسلمين وجه الله، ولا تأتمر بأمره ولا ترعى حرمه.

الخصلة السادسة

العمل

العمل تربية

من الفتنة إلى الإيمان:

كما أن التعلم لا يتم إلا بوجود معلم عالم وطالب لديه قابلية للتعلم من حيث الاستعداد العقلي والنفسي، فكذلك الجهاد لبناء الأمة على أسس إسلامية لا يتم إلا بوجود مجاهدين لديهم الكفاءة العملية الجهادية من حيث التربية والتنظيم، مع وجود قابلية في الشعب لقبول النظام الإسلامي في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

نرى كيف بعث الله عز وجل في هذه الأجيال الصاعدة حب الله ورسوله، والشوق إلى الإسلام وحياة الإسلام، استجابة للدعاة. ونرى أن الله عز وجل يثبط جهود حكام الفتنة وسدنتها فيفشلون على كل الواجهات. ونرى كيف تلتقي الدعوة الإسلامية المجسدة في هذا الشباب المتوثب للطهارة والجهاد بالسخط الشعبي على سدنة الفتنة. ومتى بلغت الصحوة الإسلامية درجة اليقظة والتجند الواسع، وبلغت السخطة الشعبية عرامتها، فقد توفر الشرطان الضروريان للقومة الإسلامية.

مهمتنا في انتظار نضج العامل الذاتي (أقصد رشاد وقوة جند الله المنظم) واكتمال الاستعداد لقبول الحل الإسلامي لدى الأمة أن نربي الجيل القادر على تغيير المنكر، وندخل ميدان العمل لنجلي للناس بمواقفنا الواضحة، وخطتنا للعمل، ومثال سلوكنا، ماذا تعني الحياة الإسلامية بالنسبة لمستقبل الأمة ومستقبل كل فرد وكل فئة.

في الميدان أحزاب سياسية تتصارع، ومصالح يتنازع عليها، وسلطان جبري يحاول الحفاظ على توازنه وتوازن هذه القوى الاجتماعية والسياسية المستعدة لتبني شعارات الإسلام لتضرب جند الله.

فنحن أثناء العمل الميداني اليومي في خضم من الأحداث، نقاوم الاضطهاد، ونتخفى، ويسعى الغرباء للقاء الغرباء وجمع الصف. هذه المقاومة والمصانعة مفروضان علينا لأن الجهاد لا يكون في فراغ، إنما يكون ضد واقع مرفوض، ومع عناصر من جنسنا، علينا أن نلتقطها من بين أنياب الفتنة، وفي ظروف متموجة تمتزج فيها عوامل الضغط علينا والمحاربة لنا من داخل وخارج.

الركب يتحرك إلى خير إن شاء الله لكن العمل الميداني إن لم يدخل في خطة محكمة لها وجهة مدروسة، وغاية معروفة، وأهداف مرحلية، وقسمة للمهام بين فئات جند الله، لن يؤدي لتأليف قوة التغيير المرجوة وإن انتهى إلى تكوين تكتل ذي حجم.

أعداؤنا وخصومنا -خاصة أصحاب الإديولوجيات- يتحدثون عن تكتيك واستراتيجية. وهي ألفاظ حربية. فهي حرب في نظرهم وعملهم، لها قواعد بواسطتها يميزون بين العمل الميداني الآني (التكتيك) وبين العمل المستمر الهادف (الاستراتيجية). وهو عندنا جهاد له قواعده المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، نحن مسؤولون أن نطبقها على أرض واقع ليس في قبضتنا، بل هو في قبضة غيرنا ممن لهم نيات غير نياتنا وخطط.

القاعدة الجامعة في عملنا أن يكون صالحا يرضاه الله سبحانه. وليكون كذلك أن يكون عملنا تحقيقا لإيمانا. ففي القرآن خطاب لنا نحن جند الله بيا أيها الذين آمنوا. فإذا ورد ذكر جند الله (وهم الذين آمنوا) في معرض المدح والتزكية والتبشير اقترن اسمهم بوصف صلاح الأعمال فقال القرآن: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

يتربى الذين آمنوا على الإيمان، ويدخلون في الولاية الإيمانية، فيستحقون أن يخاطبوا بالقرآن. حتى إذا فعلوا ما أمروا به على وجه الصلاح والصواب بشروا وزكوا ومدحوا.

في الميدان إقبال شديد على الإسلام من قبل هذه الأجيال الصاعدة العائدة إلى ربها، التي تكون بتكاثرها المبارك إن شاء الله مشكلة للحكام والسياسيين. فبالمؤازرة مع العمل الميداني التربوي نتنظم لنكون القوة الفعالة في التغيير، ولن نكون كذلك إلا إن كانت كل خطوة ميدانية تسير بنا على درب العمل الجهادي الكلي. لن نكون كذلك إلا إن تحولت كل شعبة من شعب الإيمان عملا في سلوكنا أفرادا وجماعة، يكون نموذجا مصغرا لحياة الأمة تحت ظل الإسلام. سلوكنا العملي يقول للناس بلسان الحال ماذا يعني الحل الإسلامي بالنسبة لمستقبل الأمة ومستقبل كل فرد وفئة. وبلسان المقال والدعوة والإعلام بكل وسائله نقول تصورنا لكل نواحي التغيير الذي نريده. ونهيئ هذا التغيير على مستوى الأرقام والإحصاء، والزمان والمكان، والموارد والإمكانيات استعدادا ليوم القومة وما بعدها، استعدادا لجهاد البناء.

يجب على الذين آمنوا أن يعملوا الصالحات الكفيلة بفلاحهم فرادى في الأخرى، وفلاح الأمة في مصيرها التاريخي.

أجيال مفتونة فاتنة لا تزال تمسك بسيف القمع وتبذر وتفسد. والله لا يصلح عمل المفسدين. وقد بدأت تتحلحل قواعدهم وتتخلخل، ويفقدون توازنهم الفكري ومواقفهم. لا أدل على ذلك من تسارعهم لرفع الشعارات الإسلامية ليموهوا بها. وجند الله يزحف. فعليه أن يحتل المواقع الميدانية بربح الرجال إلى صفه وبالتغلغل في الشعب. لكن عليه أيضا أن يوضح للناس أبعاد التغيير الإسلامي. يجب أن يتوحد تصورنا للعمل الصالح الذي أمرنا به في شموليته، فنقدم للناس عنه صورة ونخطط له. وإنما يكون جندا منتصرا جند له قيادة تعرف السير وبواعثه، والطريق ومداها وهدفها، ومراحلها وأخطارها.

القدرة على إنجاز المهمات:

الخطأ في العلم خطير على نتائج العمل.

والعمل بلا علم تخبط وجنون.

والعمل في الغموض اضطراب لا يسير إلى غاية صالحة.

من الناس من يفضل أن يعلم ماذا سيعمل قبل أن يبدأ في العمل. ومنهم من يكتفي بالظن فيبني عليه بناء لا يلبث أن ينهار.

ومن الناس من يسطر الخطة لينجزها، بينما تجد من يعد إنجازا مجموعة من الأعمال المبعثرة، يحسب أن حجمها وما تحدثه من ضوضاء هو العمل. وتجد آخرين يحسبون أن العلم المرقوم على الأوراق كاف لتنتقل تلك المبادئ النيرة إلى واقع ينزل من السماء ويتلقاه الناس بتلهف.

إنما -وهي حرف حصر- يكون عملا صالحا ما كان على الصراط المستقيم. والصراط المستقيم في كتاب الله تعالى مسطور، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم متمثل.كله صدق عازم، وجهد شاق، وبذل للمال والنفس في سبيل الله.

من الضروريات معرفة ما أمرنا الله به، ومعرفة كيف أنجز رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه ما أمروا به، ومعرفة طبيعة زماننا ومكاننا، وتكتلات أعداءنا، وأسلحتهم، وأحلافهم، وتحركاتهم، ومعرفة ما لدينا من قوة رجال وقوة وسائل، ومعرفة الفرص المتاحة لنا، وبركة الساعة وهي فضل الله بهذه اليقظة في مطلع هذا القرن. وبعد المعرفة الإنجاز.

ما كان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجال تأمل بل كانوا رجال عمل صالح. في عشر سنوات غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين غزوة. وبعث من السرايا ما يبلغ مع غزواته الأربعين أو الخمسين على خلاف في كل ذلك. عمل دائب، جهاد مستمر. جند الله يؤمر ويأتمر، يرحل أكثر مما يستقر، يبذل أكثر مما يغنم.

أمام جهادنا صعوبات تتمثل عقبات في الذهنيات، وعقبات في العادات، وعقبات في الأنانيات، الفردية منها والفئوية، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية.

والقدرة على إنجاز مهماتنا التاريخية تريد منا:

1- الوضوح في كل الخطوات: فلا نعمل في إطار مغلق على أنفسنا مهما كانت دواعي التستر. ولا نعمل في إطار مغلق عن الشعب، فإن الدعاية الداخلية والخارجية ضدنا تلفق علينا الأباطيل. يجب أن نعرف أننا مع الله ورسوله وبالتالي مع المستضعفين، نريد عدلا للناس كافة، وتقسيم أرزاق، وتقسيم أموال، بعد إنتاج أرزاق وأموال.

2- الإحسان: أي الدقة والإتقان فيما ننجزه من عمل. الدقة في أوصافه الإحسانية من حيث الإيمان. ومعيار هذا موافقته لأمر الله ورسوله. ثم الدقة في مواصفاته العملية ليكون ملائما للهدف المرجو منه دنيا وآخرة. يحب الله الإحسان، الإحسان بمعيار الصواب الديني ومعيار الصلاحية التقنية. فإن اكتفينا بصلاح النيات ولم نعط لأعمالنا ما يؤهلها لسد ثغرات العجز التكنولوجي، والإداري، والتنظيمي، والسياسي، والاقتصادي، فيليق بنا أن ننزوي في ركن هادئ من أركان التاريخ. ولئن كان الانزواء ممكنا في حق الأفراد، فإن الأمة تحت شقي الرحى، فإما تحيى بعز الإسلام، وإما يدكها العدو دكا لا سمح الله! وعلى إحسان المؤمن العامل الصالحات لكل مهماته، وإحسان جند الله في كل الميادين، يتوقف مصير الأمة هنا ومصير المؤمن والمؤمنة عند الله.

فعلى الإحسان نربي أجيالنا، وعليه ننظم صفوفنا.

3- المسؤولية: غيرنا يعتمد على الكذب على الله والناس، يكذب على الشعب يقدم له الوعود الخلابة، ويكذب لا يصدق في إنجاز ما تكفل به إن كان رئيسا، أو ما أمر به إن كان مرؤوسا. ونحن مسؤولون أمام الله عز وجل، نعرف ذلك ونؤمن به ونعمل على ضوئه. إن كان غيرنا ينفعل مع الأحداث، فيكون تصرفه رد فعل زمني، فنحن مسؤولون أن نصمد إلى الهدف الذي من أجل تحقيقه نتحرك.

لكي يصبح مشروعنا في التغيير عملا ناجحا يجب أن نصارح الشعب بحقائق الظلم الطبقي، وحقائق التخلف الحضاري والاقتصادي، وحقائق التبعية لشرق الجاهلية وغربها. ثم لا يكفي أن نفضح المسؤولين عن الفتنة ونشير بأصابع الاتهام لماضي الفساد وحاضره. بل علينا أن نصارح أنفسنا ونصارح الشعب بالثمن الواجب دفعه لإصلاح ما أفسدوه. فإنه إن هونا على الشعب ما ينتظره من صبر وبذل (تضحيات)، ووقفنا بلوائح وعودنا إلى جانب عارضي الزور من الأحزاب السياسية، نكون تجار كلام.

إنما يكون تصرفنا مسؤولا إن فضلنا الصدق على الكذب، والوضوح على الغموض، والتخطيط على الارتجال، وقلنا لأنفسنا وللناس إن بناء الإسلام جزاؤه الجنة بعد الموت، وإن جهاد بناء الإسلام لا بد فيه من عدل في قسمة التضحيات إلى جانب العدل في قسمة الأرزاق.

قالت الأحزاب السياسية وتقول للشعب: تريد ثراء ورفاهية؟ تعال صوت واهتف بمجدي أعطك!

نحن نقول للأمة: تريدين يا أمة رسول الله عز الدنيا وكرامة الآخرة؟ هلمي الأموال والأنفس في سبيل الله!

إنما تعفنت أوضاع الفتنة، وتتعفن إلى أن تنهار، لأن سدنتها يعملون لاكتساب الأمجاد الشخصية والثروات والجاه والمتاع. عباد لله غافلون أو ملحدون لا يرجون لقاء الله. هممٌ خسيسة تراقب الناس وتكذب على الناس.

ونحن يطلب إلينا إيماننا أن نتعامل مع الله، وأن نحاسب أنفسنا أمام الله. ومتى أسندنا ظهرنا إليه، وهو العزيز الحكيم، فهو معنا بلطفه وتأييده، وجلائل الأعمال التي تنتظرنا تهون. ولن نخشى باتخاذنا الموقف المسؤول أمام الشعب من إغلاق أبواب العمل أمامنا. فإن في هذه الأمة المباركة من كنوز الشهامة والرجولة والقدرة على البذل في سبيل الله ما نرجو أن يحقق الله به رجاءنا.

العمل تنظيما

الطاقات المهدرة:

يجب ألا يتحرك الركب في ميدان العمل قبل أن يتأكد من أن المنهاج محكم، وأنه لا خلل يخاف في الصف نتيجة لنقص في التربية، أو لتفكك في التنظيم، أو لغموض في الرؤية، أو لعجز عن الإنجاز والإتقان وتحمل المسؤولية.

تكون كارثة لا قدر الله إن تجمع المؤمنون ردا لفعل هذا الواقع المرفوض، ولم يكن لهم مشروع من ذات إيمانهم وشريعة ربهم. يمكن تصحيح الأخطاء العرضية التي لا يخلو منها عمل البشر إن كانت الأصول محفوظة، والمنهاج نبويا، دون أن تكون الكبوة سقطة نهائية. لكن إن بنينا على قواعد هشة من الحماس والغضب ضد الظلم المجردين عن الحافز الإيماني الذاتي فالجهود تذهب هدرا، ويطول بعدها شقاء الأمة بسوء تدبيرنا، تجتر مرارة خيبة أملها المعقود على الإسلام.

في الأمة كنوز من الرجولة والاستعداد للبذل في سبيل الله. طاقات علينا أن نتعلم كيف نعبئها للعمل الدائب الصابر من وراء الحماس والهيجان. خصومنا وأعداؤنا يعتمدون على التهييج والتزييف، وقد انكشف كذبهم. وسبيلنا لاكتساب الأنصار وبناء القوة الفاعلة ينبغي أن يكون عكس أساليبهم، فنخبر الواردين أن الذي ننتظره منهم عمل إرادي ينصب في اتجاه تاريخنا الإسلامي الجهادي.

الخطأ في التصور المنهاجي للعمل الإسلامي يوقف تحركنا في أول منعرج تمحص فيه قدرتنا على الرؤية الواضحة لاتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، وبالشكل المناسب. والخطأ في تعميق الرابطة الإيمانية بين جند الله، وفي شحد الإرادات بالشورى والمسؤولية وطاعة التنفيذ، يعرض عملنا للفشل عند أول مهمة تريد رجولة الموقف بدل الخطب الحماسية، والخبرة التقنية والإدارية بدل العواطف المجنحة، والتعاون المنظم المنسق المضبوط بدل القفزات العشوائية والمبادرات الفردية.

تضيع جهودنا لكل خطإ أساسي في النظرة، وتقويم الماضي والحاضر والمستقبل، ومهماتنا، ومراحل إنجازها، وظروف تطورها، كما تضيع لكل خطإ أساسي في إعداد القوة التربوية والتنظيمية والتنفيذية.

الأعمال عند الله عز وجل بالنيات، يثيب في الآخرة من حسنت نيته مهما كان خطؤه. لكنه عز وجل سن ناموسا في هذه الدنيا يقضي أن من لم يتخذ أسباب القوة يصرع في الحلبة مهما كانت نيته.

الأمة تنتظر ما يأتيها من خير عن طريق الإسلام بعد أن جربت أساليب التغريب، والظلم الطبقي، والهزائم العسكرية، والتبعية للجاهلية. فيجب أن نرسم للأمة خطا عاليا للجهاد، بحافز عال وعلم ناصع لما ينتظرنا من جهاد.

العمال تحت الفتنة ينتظرون أن يوفر الإسلام لهم أجوراً عالية، وأثماناً ثابتة، وشروطاً للعمل رفيقة.

العاطلون تحت الفتنة يريدون من الإسلام عملا. الجائعون يريدون خبزا. المحرومون يريدون إنصافا. الشباب يريدون تعليما ومستقبلا. الضاحون (وهم من لا سكن لهم) يريدون بيوتا. الفلاحون يريدون أرضا. الكل يطالب.

على جند الله يوم يصلون إلى الحكم أن يعيدوا بناء الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليتأتى لهم حل المشاكل الضخمة المتخلفة عن قرون الفتنة، وسنوات الاستعمار، وسنوات الاستقلال الصوري، وهو أشد علينا من استعمار العدو المكشوف المعروف بالأمس. في العالم أزمة عامة، وشره من جانب الجاهلية، وتكالب على الإسلام.

ولن يستطيع جند الله القيام بتلك المهام إلا بنصر الله وتأييده. ومن تأييده أن نفهم الأمة، قبل دخولنا معركة البناء، أن ماضي الفتنة وحاضرها، وأزمة العالم، وما في طريقنا من عقبات، لا يمكن تغييرها والتغلب عليها بعقلية المطالبة، عقلية الذي يبقى في الظل ويعيب على من يلهث ويلفظ أنفاسه تعبا تحت

الوهج. من تأييد الله أن تفهم الأمة أن الإسلام جهاد عام وتعبئة لكل الطاقات، وبعد الفهم تنزل الأمة لميدان العمل، مشمرة عن سواعد التطوع، بنية التقرب إلى الله، وبقيادة وتنظيم رجال يعيشون مع الأمة، وسطها ومن أجلها.

إذا فهمت الأمة واجبها، وقبلت الاضطلاع به، ووجدت قيادة منها لإنجازه، فسيكون الشباب أنفسهم هم الحل لأزمة تكاثر السكان، وتفشي الجهل، ونقص المتطوعين. الشباب المؤمن هم الحل لأزمة الشباب إن أصبح كل منهم يحمل بدل أن يبقى محمولا. العمال المؤمنون عندما يدفعهم الإيمان للإنتاج والإتقان والإخلاص هم القوة التي ستنتصف بحماية الشرع من استغلال رب العمل. الفلاحون المحرومون والعاطلون سيجدون في الحل الإسلامي واجب كل مسلم أن ينتج لينفع نفسه وأمته، ومع ذلك الواجب حق كل فلاح في الأرض التي يحييها، وحق كل عامل في حظه الوافي من نتاج عمله.

تغيير الهياكل إن لم يصحبه تغيير الإنسان ويسايره تضييع للجهد في دوامة التجارب الفاشلة.

ما عندنا من موارد طبيعية، وقدرات تقنية، ليس إلا طاقات ميتة، وستبقى ميتة إن لم نعد تربية وتوجيه وإحياء الطاقات الأخلاقية الإيمانية عند الرجال والنساء، وإن لم نعد تجميع وتنظيم القوى الاجتماعية التي شلها الظلم، وغنطستها الثقافة والحضارة الجاهليتان، وبددها سوء الإدارة وفسادها، وطغت عليها الأنانيات الطبقية والفردية، حتى أصبحنا أمة كالغثاء، مبعثرة لا تتماسك أمام رياح التاريخ العاتية.

ما العمل؟

إن مهندسا وبناء يحدثان نفسيهما بعمل جليل ولا يطرحان على نفسيهما هذا السؤال قبل أن يجدا نفسيهما أمام المادة المبعثرة، والأرض الملغومة، والسيول الجارفة، لرجلان أحمقان.

في زحفنا إلى النصر إن شاء الله، وقبل أن تفجأنا الأحداث مثلما فجأت العالم بقومة إخوتنا بإيران، نشرع في جهاد البناء من داخل الصف على الخطوط التالية:

1- إعادة الثقة لنفس الأمة: موضوع التغيير، وهو جسم الأمة كلها وجسوم الشعوب القطرية، نطلق عليه اسم «المجتمع المفتون» وهو اسم عام. علينا أن نحصي، ونضبط المعلومات والأرقام، وتطور الأحداث والعلاقات.

هذا يساعدنا على فهم الواقع، وفهم الواقع يمكننا من تخطيط المستقبل، ووضع خطة التغيير. وهذان إن وضحناهما لأنفسنا وللأمة ورسمنا لها ولأنفسنا خطوات العمل يساعداننا على أن نثق بأنفسنا، وتثق الأمة بكفاءتنا، لتحمل المسؤولية.

معرفة موضوع التغيير، وحجمه، وكمه، وكيفه، وتطوره، وقوى الصراع فيه ومن حوله، مقدمة وباب ليدخل جند الله بإرادته الإيمانية على المستقبل من باب العلم. وحول هذا الداخل بثبات من يعرف مواقع خطاه، وهو مستعد لبذل النفس والمال والجهد، تلتف الأمة وتستعيد ثقتها في القيادة وفي نفسها.

هذا الشرط النفسي ضروي. وبدونه تكون محاولة بطح الواقع على مشرحة تغيير الهياكل صناعة في حرفة تحنيط الجثث.

شعب يتفرج على حكام يمارسون بهلوانية الغوغائية، والدوران على محطات التهريج، شعب مقهور شامت متربص.

نريد أن يكون الشعب معنا يشارك، يناقش، ينتقد، يتعلم، يعلم، يجاهد إلى جانبنا. ولا يفعل ذلك إلا إذا وثق بأننا منه ومع المستضعفين بلا قيد ولا شرط، إلا قيد الشريعة وشرط الإيمان.

2- الصرامة والمستقبل: لا يكفي أن نعلم الأمة، قبل الحكم الإسلامي وأثناءه، أن ما بها من ويلات ليس الإسلام مسؤولا عنه، إنما يسأل عنه من عطلوا حكم الله ولعبوا بشعارات الإسلام. تأمل الأمة فينا أن نبدل بؤسها رخاء، والظلم الذي يمارس عليها عدلا، والذلة المضروبة عليها بهزيمة المغربين أمام النموذج

الجاهلي وهزيمة غيرهم بالهروب من ساحة الجهاد عزا. تأمل ذلك وأكثر، فلا ينبغي أن نصور الطريق سهلا ناعما، ولا أن نبرر صعوبات الطريق بطرح المسؤولية على من قبلنا. إنما ينبغي أن نضرب المثل بالتشمير، ليواجه الشعب معنا صرامة شروط المستقبل التي تتراءى مكفهرة في أفق الأزمة العالمية العامة، وأفق تدهور اقتصاد عالم المستضعفين، وأفق التضخم السكاني والنقدي، وأفق التبعية الغذائية، وأفق الصراع بين القوى الجاهلية على مواردنا الطبيعية ومواقعنا الاستراتيجية، وأفق تطاول الرأسمالية العالمية أكثر من أي وقت مضى، وأفق السباق إلى التسلح، وأفق لعبة استقطاب أنظمة الحكم المتخلفة، وإفقادها توازنها واستقرارها.

أمل الأمة مطالبة فسيحة على قدر ما هي فيه من ضيق. فلا يكاد الشعب يرى، وقد اعتاد الوعود الكاذبة، فيما يمكن أن يعترض المؤمنين من صعوبات غداة الإسلام إلا نوعا مما ألفه من حكام الجبر. لذلك نتعلم نحن ونعلم الشعب الحدود بين ما ينبغي وما يمكن، بين ما تصبو إليه العواطف وما تتيحه الوسائل المتوفرة.

إذا وضعنا أنفسنا مع الشعب، فسيضع الشعب نفسه وطاقاته معنا. إن كانت في قلب الشعب نواة صالحة فسيلتف حولها الشعب ويتعبأ. وإن كان النداء نداء إسلاميا، والسلوك في الطبيعة سلوكا إيمانيا، فسترى إن شاء الله الشعب بما فيه من مهاجرين ذوي السابقة، وأنصار ذوي الغناء، ومؤمنين ذوي الحظ من الله، وأعراب سمعوا النداء، فانعطفوا إليه، فتحمسوا، فتبعوا الصف على مثال ما ذكر الله في سورة التوبة. قال عز من قائل: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.[1]

(1) سورة التوبة، 120-121.

بهذه الذهنية ذهنية الواجب، وهذه الإرادة إرادة الجهاد، يسأل جند الله أنفسهم ماذا قدمنا من خدمة، ماذا صبرنا، ماذا ظمئنا ليروى الناس، وماذا جعنا ليشبع الناس، وماذا نصبنا ليرتاح الناس، وماذا أرغمنا أنف الأعداء، ليأمن الناس، وماذا أنفقنا ليستكفي الناس، وماذا قطعنا من أودية الفتنة عبورا للمجتمع الإسلامي والخلافة الإسلامية؟

عندما يكون سلوكنا هكذا، ونتصدر الأمة، ونحمل همها، ستتبعنا الأمة. وإن لا فلا.

3- صفحة تطوى: من هذه العبارات المجازية الدارجة في كلام الناس ما هو من قبيل السحر والكذب. يقولون: «طوينا الماضي» وكأنه صفحة بين أصبعين. فإذا كان وهم العامة وحماس الجماهير ينفتحان ليندس منهما وإليهما كذب الوعود الخلابة بعد كل انقلاب و«ثورة» و«تصحيح» في بلادنا البائسة المضطربة، فإن القومة الإسلامية يجب أن تقدم للعامة وللجماهير، وتترسخ في عقولنا، على أنها فاتحة عهد طويل من البذل (التضحيات) والعمل الدائب.

من ماضينا الفتنوي مخلفات ثقال، جروح مثخنة في نفوس الأمة وعقولها وأحوالها. وفي حاضرنا الجبري تعتيم بالحفلات والمؤتمرات المسماة إسلامية على بؤسنا، وتخلفنا، وقزامتنا، وأمراضنا، وهزائمنا. وفاضلو الأمة منهم محوقلون عاجزون، وآخرون يتسلون بتقديم مساعدات من فضول وقتهم ومالهم، يوهمون ضمائرهم بذلك أنهم أدوا حق الله عليهم. واقع يجب تغييره يوم تنتقل الدعوة من كونها رفضا للفتنة والجبر والجاهلية إلى قضية إيجابية لا نفر من البذل من أجل إنجاحها، ولا من الموت في سبيل تحقيقها.

تغيير الفتنة بالإسلام حكما، وتنظيم مجتمع، واقتصاد، ووحدة، وقوة، مهمة كبيرة. والله أكبر نداء الجهاد هو مفتاح الموقف. إن كان الله معنا فسنكون أكبر من تلك المهمة. فهو وحده عز وجل قادر أن يطوي حوبتنا وآلامنا، إنه يطوي السماء كطي السجل للكتاب سبحانه.

يكون الله معنا إن أطعناه، ويكون نداء الجهاد عنوان حق وشعار صدق إن قاتلنا –وأقصد الجهاد بكل أبعاده وصوره بما فيه المقاتلة بالسلاح إن جهر العدو بكفره وقاتلناه بالسلاح– في سبيله مع المستضعفين كما أمرنا. قال جل ذكره: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً﴾.[1]

استعادة الثقة إلى نفوس الشعب بنا، ومعايشته ومقاسمته همومه وآلامه، خطوتان لتعبئة الشعب حولنا، وحشده لتبني قضيتنا. ثم استثمار كل هذا للعملية الأساسية في البناء، ألا وهي تربية الشعب حتى يعنى بشأنه، حتى يرشد، حتى يتأهل لمسك زمام أمره والمشاركة إلى جنبنا في الجهاد.

مهمة تغيير ما بنا لا حل لها إن لم نغير ما بأنفسنا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[2] فكما خذلنا حين تنكبنا شريعته ينصرنا إن رجعنا إليه. والرجوع إلى الله إنما يكون عن دعوة داع وتربية مرب. وإرجاع الأمة بكاملها إلى الله تعالى قضيتنا. فقبل أن نصل إلى الحكم تبذل الدعوة جهدها لتغيير وجهة سفينتنا الموحولة في المياه الفتنوية العكرة. وعندما يلتقي وازع القرآن بوازع السلطان يتاح للأمة أن تعيد ترتيب السفينة وأجهزتها من داخل، وأن توجهها الاتجاه الصحيح وأن ترحض المياه العكرة، وتنزح الأوحال.

السفينة من داخلها خراب: خراب ضمائر، أجهزة مرصودة لخدمة مصالح المستكبرين الذين احتوشوا المال، وتسلطوا على الحكم، وانتهكوا الأعراض، وأباحوا ما حرم الله، ومالؤوا أعداء الإسلام على الأمة، وتفاوضوا معه لبيع حرية الأمة وخيراتها وأرضها وكرامتها.

الوجهة يجب أن تقلب رأسا على عقب: من محالفة الجاهلية والإعجاب بها وتقليدها والتذلل لها إلى الله ورسوله والمؤمنين. من ماركس وروسيا، من

(1) سورة النساء، 75.
(2) سورة الرعد، 11.

الليبرالية وأمريكا، إلى الله ورسوله والمؤمنين. من ولاية الطاغوت إلى ولاية الله ورسوله والمؤمنين.

أوحال الفتنة المتراكمة في طريقنا، والمترسبة في نفوسنا، خلفها فينا ومن حولنا قرون تعود الشعب فيها أن يعتبر نفسه رعية كالغنم يجز صوفها، تظلم وتهان، تسخر، تسكت، تتجرع المرارة بابتسام، تركع أمام الطاغوت، لا تنبس بكلمة أمام المستكبرين، لا تأمن على حياتها، تجهل ولا تعلم، تفتقر ولا تواسى، تمرض ولا تعالج.

في رفق الإسلام سعة، وفي باب التوبة انفتاح ليرجع أعداء الشعب المسؤولون أمس الفتنة عن توحيل الشعب وظلمه إلى الله في غد الإسلام. جسم الأمة مريض، لكن آثرنا أن نعبر إلى ما نريد بقصة سفينة يعاد ترتيبها، وتصحح وجهتها، وترحض مياهها، لكي لا نتحدث عن العملية الجراحية، وعن العنف الذي لا تنفك عنه ثورة الثائرين، وتريد قومتنا أن تتجنبه.

استعادة الثقة، والنزول إلى الشعب، وتربية الشعب. مع المستضعفين قتالا في سبيل الله نريد بناء الدولة الإسلامية، والخلافة الموحدة، والمجتمع الإسلامي، والحضارة الأخوية اللائقة بخير أمة أخرجت للناس.

أمر ضخم، مشروع كبير. والله أكبر!

نعمل نحن المؤمنين، أمرنا شورى بيننا!

نعمل في طاعة الله ورسوله، وهذا يقضي أن يكون لنا أولو أمر منا نطيعهم ونعصي من عصى الله ورسوله.

على هذا الفهم، وبهذه النية، ولهذا المشروع، نربي أنفسنا، ونربي الشعب. ننظم أنفسنا ونعبئ الشعب حتى يعنى الشعب بمشاكله الجزئية على كل المستويات، وحتى يشارك في الجهاد العام.

بدل أن يسير المؤمنون بعد القومة على خطى من سبق بفتنة، لا نكل إلى الأجهزة الإدارية الصماء التي عششت فيها عادات المحسوبية، والرشوة، وبيع الخدمات، واحتقار المسلمين، مهمة بناء الأمة قبل أن نغير هياكل الإدارة ومنهاجها ومن أبى الصلاح من رجالها.

في كل قرية ومجلس بلدي ومدينة وجهة وإقليم، ننادي المؤمنين رجال الدعوة والدولة ومعهم الشعب الواثق الباذل المعبأ، ليتخذوا المبادرات، وينفذوا، ويراقبوا.

لا نجعلها ديمقراطية «إسلامية»، ولا اشتراكية «إسلامية»، ولا ما شابه هذا الخلط. ولا نقلد، بل نخترع لزماننا، وبوسائلنا، ولغايتنا وأهدافنا، الصورة المناسبة لنظام الحكم الإسلامي الخالد.

لا نجعلها رأسمالية نلبسها اسما إسلاميا، ولا نغتر بأن التأميم العام والبيروقراطية هي الحل. بل نبحث في سعة إسلامنا الصيغة الكفيلة بإنشاء اقتصاد نتحكم فيه، ونسخره لإقامة التكافل الأخوي بيننا، والكفاية، والأمن، والقوة. هذه أهداف واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، بما في ذلك نزع ملكية الأثرين، بعد إعادة مظالم الفتنة برد الحقوق إلى أهلها.

لا نجعله تعليما لخدمة الفئة المترفة وتخدير الشعب بتعليم صوري وإعلام مسل مفسد، بل نقيم القرآن في قلوبنا وضمائرنا نورا يبدد حلك الفتنة. وإنها لساحة وحلة قاتمة ساحة التعليم التي احتلتها جيوش المرتزقة من دعاة الإلحاد والفكر الجاهلي!

وكم من ساحة غيرها تنتظر المكنسة الإسلامية!

ولن يأتي الحكم بما أنزل الله مع طلوع الفجر يوم القومة الإسلامية! يمضي زمان للكنس، واستصلاح العناصر التائبة، ومواجهة اضطرابات لا بد منها عند كل تحول. ثم زمان لصياغة منهاج للحكم والبناء الإسلاميين،

بالجدية والصرامة الأخلاقية والفكرية اللازمين. ثم ترجمة الإرادة الإسلامية إلى مشروعات مخططة متناسقة. ثم تدوين وتقنين الأحكام الشرعية الكفيلة بتحقيق مقاصد تلك المشروعات. ثم النزول من القرار السياسي والاجتهاد والتنظيم التقنينيين إلى توزيع المهام على الإدارة وأهل الخبرة التكنولوجية في ميادين التنفيذ.

وكل هذا لا يمكن وضعه وإحياؤه ولو كنا في ذرى الإيمان والقدرة على الإنجاز، بين عشية وضحاها. لا سيما والأرض محتلة بما سبق، لا سيما والعملية الجراحية التي تبتر من جسم الأمة بقتل الرجال حسا أو معنى لا تناسب الإسلام. لا سيما وإعادة تركيب الهياكل مع تعقيد العصر تطلب زمانا، والمؤمنون يومئذ في ضغط المشاكل اليومية، تطلب رجالا، وأين الكفاءات والرجال؟ لا سيما والحرب على الإسلام قائمة من خارج، والدس عليه لن يفتر من داخل. لا سيما والضغط السكاني يتزايد. لا سيما والعصر عصر سرعة وتحول وأزمات. والله أكبر!

الإصرار على السير لن يعوزنا إن شاء الله فزودنا التقوى. ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.[1]

والصبر على الجهاد لن يعوزنا إن شاء الله فألهمناه. ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.[2]

الله أكبر! و﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾.[3] شاهت الوجوه! وانكسرت التضامنات ضد الإسلام! ومضى عهد الجبر إن شاء الله! وتطوى الصفحة بإذن الله، فعلا لا تعبير مجاز.

(1) سورة البقرة، 197.
(2) سورة آل عمران، 120.
(3) سورة الرعد، 11.

شعب الخصلة

الشعبة السابعة والأربعون: التكسب

مما نرثه عن الفتنة، وهو من أشد الأوبئة الاجتماعية فتكا، أنفة الناس عن الأعمال اليدوية والكسب الكاد. وبناء الإسلام يريد قلوبا حية بالإيمان، وعقولا راسخة في العلم، وسواعد خبيرة صانعة. يخلف لنا الماضي الفتنوي شخصيات مزيفة، أنتجها الترف الطبقي، والتعليم النظري المستعلي على المهمات المباشرة العملية.

فتحت ظل الإسلام يكرم العامل، وتكرم الأطر المسماة وسطى، وتشجع المهارات المهنية واليدوية. ويكون العمل والكسب القيمة الأولى في الاقتصاد، يحرر العمل من طغيان رأس المال.

نقابات العمال والحرفيين والفلاحين والشغالين ينبغي أن يدخلها الإسلام. أعني إسلام الأخوة ونبذ الطبقية، والوقوف مع المستضعفين، وإنصافهم من الأغنياء. فما يريد الله عز وجل أن يكون المال دولة بين الأغنياء، لا سيما إذا كان الأغنياء كسالى لا يحسنون استثمار أموالهم فيما ينفع الأمة.

يجب أن يتحول هذا الحديث النبوي إلى وسام يعلق على صدر العاملين والمحترفين، ليصبح الفلاحون والشغالون في طليعة المكرمين تحت دولة الإسلام. تكريما تشريفيا وإنصافيا. نقسم لهم من الرزق على قدر جلالة هذا الوسام. روى الطبراني والبيهقي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله يحب العبد المحترف**». هذا يعطيهم في أعيننا الصدارة، لا نقلد اليساريين. هذا يعطي الصدارة في مجتمعنا للمسلم المحترف، إن كان عبدا لله، مؤمنا به سائرا مع ركب المؤمنين، لا كل كادح مكابد.

العمال تحت الإسلام -وكل مجاهد في خير الأمة عامل- جنبا إلى جنب مع التاجر المبرور. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الإمام أحمد والبزار

عن رافع بن خديج، وقد سئل: أي الكسب أطيب؟ قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**».

لا يكون في الإسلام طبقة ضد طبقة، أقصد إسلام التجديد لا إسلام الفتنة. فرجل الصناعة والتجارة وأصحاب المشاريع بررة إن وفوا بحق الله وأنصفوا العامل والصانع. لا بد للدولة الإسلامية أن تغير الهياكل الموروثة بما يتلاءم مع البر الاجتماعي. وبعد تغيير الهياكل وأثناءه ينبري عامل الدعوة والتربية ليبث في النفوس الإيمان، وفي العزائم الإرادة، لتطبيق لوازم البر كما أمر الله تعالى حيث قال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[1]

كل طفيلي لا ينفع ماله المسلمين فليس من البر في شيء.

وكل كانز كذلك! وكل مستغن لا يؤتي بعد الصلاة والزكاة ماله إيثارا على نفسه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فليس من البر في شيء. لا سيما والأمة كالأيتام في مأدبة اللئام والفقر فاحش، والحاجة ضاغطة!

لا تعايش تحت الإسلام بين الفقر المدقع والغنى الفاحش. وما تقريب الشقة بالأمر الهين. والله أكبر!

الشعبة الثامنة والأربعون: طلب الحلال

ما كل تكسب يقبله الإسلام. ومعالجة المركب الاقتصادي الاجتماعي، مركب ماضي الاقتصاد التابع، واستغلال المستضعفين، لا يجوز أن تذهب بنا خارج حدود الله، حدود الحلال والحرام.

(1) سورة البقرة، 177.

التحول من النظام الرأسمالي أو الاشتراكي الذي نجده أمامنا إلى النظام الإسلامي يأتي نتيجة لمعاناة طويلة لإخراج اقتصادنا من قبضة رأس المال المحلي والعالمي المبني على الربا وأكل أموال الناس بالباطل.

وسنجد أنفسنا مضطرين اضطرارا حيويا، ما دامت أموال المسلمين في الدول القطرية الغنية في أيدي السفهاء يبذرونها، للاستدانة من الأموال العالمية. كما سنجد أنفسنا في فترة الانتقال مضطرين للتدرج في إحلال المضاربة الإسلامية محل الاقتراض الربوي، والمصرف الإسلامي محل البنك الربوي.

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[2] ففترة الانتقال بمثابة زمن الغبش قبل طلوع الشمس، يختلط فيه الظلام بالضياء، ويختلط فيها حلال نطلبه بحرام نحن مضطرون لأكله كما يأكل الجائع اليائس الميتة ولحم الخنزير.

سنضطر لنتعامل مع الأبناك العالمية وهي في قبضة اليهود. وقد مات النبي صلى عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في عشرين أو ثلاثين صاعا من شعير أو طعام كما روى ذلك الإمام أحمد والبخاري وغيرهما.

الأموال في بلادنا المفتونة مرصودة لخدمة المستكبرين وحلفائهم من غيرنا. الإقطاع في البوادي، والاحتكار في المدن. طبقة مستكبرة تكون شبكة مسيطرة على الاقتصاد والسياسة والإدارة، مستأثرة من دون الشعب بالجاه والسلطان، مسخرة طاقات الدولة لمصالحها ومصالح أبنائها.

هذه الطبقة ستهرب الأموال وتقاوم العدل الإسلامي. فما ظلمته في ماضيها القاتم من حقوق الأمة حرام نستخلصه منها بترغيب الدعوة وسلطان الدولة معا. هذه عقبة مالية كأداء تضاف إلى العقبات النفسية والتقنية والإدارية. فيكون المجموع جبلا من المشاكل لا يمكن نسفه بمجرد إصدار فتوى أن هذا حلال وهذا حرام. لا بد من إرساء قواعد الدولة الإسلامية على أرض الإرادة الصامدة

(2) سورة الأنعام، 119.

لجند الله، ثم ننصب آليات التقنين الشرعي، وآليات السلطة الإدارية والاقتصادية الإسلامية، حتى نتمكن إن شاء الله من أمرنا، ونتحرك في وجهة البناء الإسلامي بحركيتنا إلى غايتنا وأهدافنا، بوسائل ملوثة في بدء الطريق، ثم نصفيها ونطهرها إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

حكام الباطل ينفقون أموال المسلمين بالباطل، يسرقون ويرتشون، يدفعون للمهرج والمغنية الفاسقين أضعاف ما يعطون للمعلم. مسارح وسينمات لعرض البلاء. ميزانية ضخمة لتلفزيون العهارة. وكل هذا يؤثل ثروات، ويوسع شبكة الفساد، ويخلف في النفوس عادات، وعلى أرض الواقع كتلا بشرية تقاوم الإصلاح، وقوى اقتصادية لها وزن الكابوس على صدر الشعب. وكل هذا الفساد المجسد المحارب للخير بالظفر والناب يرثه المسلمون غداة القومة.

عاطلون من أين يطعمهم الحكم الإسلامي غداة الإسلام وقد خرب من قبلنا يومئذ اقتصادنا؟ تصنيع وتنمية وإصلاح زراعي ضرورية لنقف على أرجلنا، فمن أين المال، وأنى لنا الصفاء الرقراق في الوسائل، يا من تحلم أن السماء تمطر ذهبا؟

الحلال في توفية الكيل والميزان، والعصر عصر غش ودعاية وإشهار كاذب. الحلال ألا يكون المال دولة بين الأغنياء وأنظمتنا تحت نير الطاغوت طبقية. الحلال أن تقوم فينا صناعة وتجارة يسهر عليها رجال نشطون صادقون ينصفون شركاءهم وعمالهم، فأين الذمم الصادقة، والخبرات، والقدرة على الإنشاء والتسيير، بينما الحرب الاقتصادية بين الرأسماليين العالميين معلنة، والهجمة الاقتصادية على بلاد المستضعفين ضارية، وعادات الاستهلاك والترف والكسل والمراوغة في العنصر البشري عندنا فاشية؟

الغبش بين عهد الحرام الفتنوي والحلال الإسلامي في فترة الانتقال ليس من قبيل منطقة الشبهات التي بين الحلال البين والحرام البين. في حق الفرد يتعين ورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، ورع اتقاء الشبهات. لكن اقتصاد أمة آلة تطحن، وعجلات تدور بسرعة، ولا يمكن وقفها لننطلق من الصفر.

﴿ولاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[1]

هذا أمر الله تعالى للمؤمنين، فزمان الفتنة كان تطبيق الأمر متعلقا بذمم الأفراد، بورع الأفراد. أما عند القومة وبعدها، فالمخاطبون هم جند الله المسؤولون عن تسيير السفينة الموحولة من مستنقع الباطل إلى حيث الصفاء والصدق والإخاء. والمخاضة من هناك إلى هنا كدرة. فريق من أموال المسلمين، بل كل أموال المسلمين كانت في أيدي حكام يأكلون بالإثم ويسرفون، فما استنقذناه من تلك الأموال واسترجعناه سيبقى زمانا يحمل وصمة ذلك العهد الكريه، ويريح ريحه النتن، قبل أن تزكيه الأيدي المتوضئة. ما يظن الذي ينتظر طي الصفحة بين عشية وضحاها إلا كما يظن المتحدي الساخر الذي ألقى الرجل في النهر وقال له: إياك أن تبتل بالماء!

الشعبة التاسعة والأربعون: العدل

أول السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل. وفي حديث لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى مسلم، وعفيف متعفف ذو عيال**».

وروى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة، وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين صباحا**».

إذا جاء الحق زهق الباطل، إذا أقيمت حدود الله بحقها، وكان القائمون عليها مقسطين موفقين حلت بركة السماء على المسلمين.

العدل الاجتماعي طلبة كل المستضعفين وطلبتنا. والعدل القضائي شرط فيه مشروط. وما سمي الحكم الجبري جبريا إلا لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، فيظلم

(1) سورة البقرة، 188.

الظلم الأكبر، وهو الاشتراك مع الله عز وجل في حاكميته. ومن هذا الظلم يتفرع ظلم القضاء، وفساد المحاكم، وتفشي الرشوة، والإدلاء بالأموال في الباطل.

هما عدلان متلازمان: عدل الحكم وعدل القسمة، وفي الشريعة السمحة سعة لإنصاف المستضعفين، وإقامة توازن إسلامي في الاقتصاد إن كان الحاكم مقسطا وموفقا. فجند الله يوم يلون السلطان موفقون إن شاء الله بتأييد من عند مولاهم، وعليهم بذل الجهد ليؤسسوا مراقبة صارمة تمكن من تطبيق حكم الله.

ما نراه في أنظمتنا من ركود وموت اقتصاديين، أو ازدهار مزيف كازدهار خضراء الدمن، وما نراه من ازدياد فقر المستضعفين وازدياد ثراء المترفين، إنما أتى من كون جهاز الحكم في أيديهم. والقضاء تحت الفتنة تابع للجبر لا لله، فتعطل مصالح المستضعفين، وتسن قوانين اقتصادية لا ترعى مصلحة البلاد والشعب، ويحكم لمن له مال يرشو به، وجاه ترجى عائدته.

العدل الاجتماعي تحت الإسلام يأتي مع الشريعة الإلهية إن أعيد تركيب أجهزة الدولة، ومنها القضاء والإدارة، بما يتعين من امتحان الرجال ومراقبتهم الصارمة، حتى يتصدر أمور المسلمين مؤمنون يخشون الله ويرجون حظهم في ظل الله وجنته وبركته ولا يرون في المراقبة الصارمة إلا تطبيقا لقوله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.[1]

العدل الاجتماعي والاقتصادي والقضائي ينافي المحسوبية، ينافي إرضاء الناس بما يسخط الله، ينافي الظلم وهو ظلمات يوم القيامة، ينافي التدخلات لخرق الحقوق وهي شيء آخر غير قضاء الحوائج. العدل أن تكون الإدارة والقضاء في خدمة العجوز المسكينة البدوية كما يكونان في خدمة المتعلم والغني والحاكم. العدل أن توضع إمكانيات الدولة تحت تصرف الشعب، فتبنى دور بسيطة صحية بدل أن تبنى للمترفين والموظفين القصور. وتحفر آبار لأهل البادية، بدل أن ينفق على شراء أفلام الخلاعة. وتستصلح الأرض للفلاح الصغير بدل أن تغدق

(1) سورة التوبة، 105.

القروض والتسهيلات على المالك المستكبر الذي يطرد الفلاحين من أرضهم، يعضده في إثمه ابن عمه الحاكم، وصديقه رئيس مائة شركة. وتبنى مدارس يعلم فيها القرآن والإيمان والخبرة، يسيرها ويدرس فيها حملة رسالة الإيمان والأخوة، لا تلامذة الجاهلية ودعاة الإلحاد والاستكبار على الله ورسوله والمستضعفين.

العدل أن ينصب ميزان القرآن بالقسط، فيوفى المحتاج والفقير حقهما، وتهذب فضول أموال الغني. وعدل الشريعة بعدل القاضي والحاكم، إن كان الحاكم والقاضي أخوين للمسكين والمحتاج لا حليفين للمستكبر والإقطاعي.

الشعبة الخمسون: إماطة الأذى عن الطريق

هذه هي الشعبة الثالثة التي وردت في الحديث النبوي عن شعب الإيمان.

تلك الحركة البسيطة التي يقوم بها الفرد حين يسلك الطريق، فيجد شوكة أو حجرا أو أذى فيزيلها بنية تجنيب المسلمين المارين إذايتها، مما يقرب إلى الله عز وجل. هنا يجل العمل على بساطته بجلال النية.

عندما تسري في الأمة روح الاهتمام بالمسلمين، فتطرد روح الأنانية، يتوسع مفهوم إماطة الأذى عن الطريق، ليكون منهاج تعاون بين المسلمين، عد الحركات الجزئية الفردية، ومد الإخلاص في النية والجهد.

في مجتمعاتنا الفتنوية، مجتمعات الكراهية، تسود الفردية الأثرة، يسود حساب المصلحة، يسود الرياء، يسود سوء الظن، تسود اللامبالاة. وفي المجتمع الإسلامي الأخوي ينبغي أن تسود أضدادها، يوم تسود الثقة، ويعرف الشعب أن حكامه منه، يحملون همه.

في مجتمع الكراهية يتأفف الموظف أجير الدولة، كما يتأفف العامل، والصانع، والكبير، والصغير، والرجل، والمرأة، الكل يحس أنه وقع عليه الأذى وقل النصير. ظلم أسود يحط على الناس بكلكله. فمتى جاء العدل بشرائطه نشط المسلمون إن شاء الله، وجاءت رحمة الأخوة الرابطة، وانبرى كلٌّ ييسِّر على

المعسر، ويقضي الحاجة، ويمهد الصعوبات، ويساعد في المهمات، وينحني على فراش المريض، ويأسو آلام العيش، يصلح ولا يفسد، يهتم بأمر المسلمين اهتمامه بأمره وأكثر، نيته المخلصة ومراقبته لله تمنعانه عن تبذير أموال المسلمين، وتخريب الممتلكات العامة، وخيانة الأمانة. كل ذلك يعلم أن إماطة الأذى عن طريق إخوته صدقة، وأن أجره على الله، أول ما يأتيه منه هنا عربون على صورة مجتمع الأخوة، وما عند الله خير وأبقى.

الشعبة الحادية والخمسون: التواصي بالحق والصبر

هل من سبيل إلى فطام الناس عن الباطل وحملهم على الحق بوازع القرآن وحده؟ وكيف يفطم الناس، ومن يفطمهم بتعاون وازع القرآن والسلطان معا؟

يتيح فشل الحكام الجبريين، وظلمهم، واستياء الأمة المستفحل منهم، فرصة نادرة ليبرز أهل الحق إلى الساحة، فهل يعجز جند الله كما عجز من سبقهم، أم يثبتون على محك التجربة قدرتهم على إحقاق الحق بعد إبطال الباطل؟

الجواب عن هذه الأسئلة بتطبيق الشرط الثالث للنجاح وتجنب الخسر كما جاء في سورة العصر التي كان الصحابة يختمون بها مجالسهم ليتذكر كل منهم واجبه، وهو شرط التواصي بالحق والتواصي بالصبر. الواعظون بالقرآن وأصحاب السلطان قلة عددية، وسيبقون قلة حتى عندما تكون الدعوة منظمة، وجند الله مجندا، والدولة متماسكة صارمة، سليمة في أجهزتها، كفئة برجالها. فلا تستطيع الدعوة ولا الدولة أن تحضرا في كل مكان، وتراقبا كل حركة، وتفرضا السلوك المرغوب في كل المجالات. وإنما تستقيم أمور الأمة على ما يراد لها إذا شاركت الأمة في تحريك حياتها ومراقبة شؤونها، الرجال والنساء، الكبير والصغير، الأمير والمأمور، كل يقمع السلوك المكروه المنكر، ويقوم ويسند جانب الحق.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركن من أركان الإيمان. وهو فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حتى ولو أدى بهما ذلك للهلكة. يقول أبو بكر بن

العربي في «أحكام القرآن» عند قول الله عز وجل: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾[1] «قال بعض علمائنا: هذا دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن أدى إلى قتل الآمر به». وقال: «المسلم البالغ القادر يلزمه تغيير المنكر. والآيات في ذلك كثيرة، والأخبار متظاهرة. وهي فائدة الرسالة وخلافة النبوة». وقال: «وليس من شرطه أن يكون عدلا عند أهل السنة. وقالت المبتدعة: لا يغير المنكر إلا عدل. وهذا ساقط. فإن العدالة محصورة في قليل من الخلق. والنهي عن المنكر عام في جميع الناس».

ما نرجوه من تعبئة عامة في الشعب بقيادة العدول جند الله، وما نريده من يقظة عامة يشارك الشعب بمقتضاها في إبطال الباطل وإحقاق الحق والصبر على المشقات والتضحيات، يجب أن يكون سمة جند الله فيما بينهم قبل الوصول إلى الحكم وبعده.

ألفت الأمة جو الركود والكسل الفكري والعملي، فلا تستقل بفكر ولا بمبادرة، ولا تحدث نفسها بالانتصار للحق والمشاركة في البناء. لا بد من تغيير الذهنية الرعوية التي توهم الناس بما ألفوه من قمع مزمن أن لا علاج لما هم فيه. لا بد من إعادة الصحة إلى النفوس والعقول المصابة بداء القعود، وإعادة ترتيبها ثم تعبئتها للمشاركة في الجهاد.

إلى جانب نظام الحسبة التابع للدولة، وإلى جانب وظائف الدعوة، يجب أن يشارك الشعب المسلم في مراقبة الإدارة والأخلاق العامة، وتقويم ما اعوج، وإصلاح ما فسد.

ولا يعني هذا أن تكون الفوضى، خاصة إذا شارك عامة الناس، وهم غير العدول في تعبير علمائنا، وهم الجماهير في لسان العصر. كلمة تعبئة تعني تصفيف الصفوف استعدادا للمعركة. فقبل القومة يتعين على جند الله أن يتعلموا التشاور في الأمر قبل العزم، ثم الصبر على التعاون والتواصي بالحق أثناء تنفيذ مهمات

(1) سورة آل عمران، 21.

التربية والتنظيم والزحف. وبعد القومة في مراحل البناء يعبئ جند الله أمداد الشعب لتعمل بنظام وخطة. فإن الارتجال في الفكر والعمل، والغليان بعد الفتور، وما يتبع ذلك من تسلسل الاضطراب، أمراض ساخنة يقابلها الأمراض الباردة كاحتكار الفكر والمبادرة، ومنع نقد الحكام، وتنشئة الناس على تأليه السلطان.

ما نقلناه عن الإمام ابن العربي من وجوب اشتراك العامة في النهي عن المنكر يلتقي بكلمة للإمام علي رضي الله عنه. نوردها لنسكت من يزعمون بالكذب أنهم مع الجماهير إذ نقولها بصدق. كتب الإمام علي إلى محمد بن أبي بكر عامله على مصر: «فإن سخط العامة يذهب برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، (أرأيت الوعي الطبقي كما يقولون!) وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، هم العامة من الأمة، فليكن صغوك (أي سماعك) لهم، وميلك معهم».

مرضا الهيجان والخمول يماشيان جو الغموض والكذب وكبت حرية الناس. فإذا صدق الحاكم والعالم، إذا صَدق الأمّةَ رجالُ الدعوة ورجال الدولة، وصارحوها بأمورها، فتحوا أبواب المشاركة، فنرجو أن يعقب الأجيال الخاملة المنهزمة المظلومة أجيال حية مثل الجيل الذي خاطبهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال الصديق بعد مبايعته، يخطب في جند الله: «أيها الناس! (أرأيت كيف خاطب عامة الناس، كيف كان جماهيريا كما يقولون!) إني قد وليت عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني. وإن أسأت فقوموني. الصدق أمانة. والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله. والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني

ما أطعت الله ورسوله. فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله».

نكتب إن شاء الله في نظام الدولة الإسلامية في فصول أخرى. لكن نركز من هاهنا على أن نجاح العمل الإسلامي في المراحل كلها، لا سيما في مرحلة البناء بعد القومة، رهن بقيام الأمة عامة من مواقع الذل التي ضربها الله بها لما تركت الجهاد، وإنكارها، ومقاومتها للفاحشة أن تشيع، وهو بلاء من الله. الصدق أمانة، والكذب خيانة، كما قال الصديق الحبيب. فإن لم نصدق الأمة في الحديث، ولم نصدق معها على الميدان في الصبر ومقاسمة الهموم والجهود والبذل، لم يكن جند الله قادرين على إحياء عامة الأمة لتشارك، وتهتم، وتفهم، وتشمر، وتنفذ. سنكون بدون وضوح النيات، وصدق العزائم، ومشاركة الشعب، عاجزين عن أي تغيير، ونسقط في ورطة التجارب المتسلسلة الفاشلة.

شعارات غيرنا التهييجية: ديمقراطية، جماهيرية، نقد، نقد ذاتي، حرية... ألفاظ جديدة تتقعقع في أسماع الناس ولا نرى لها مثالا مجسدا يشبه ولو من بعيد البعيد الذي كان قائما يوم خطب الصديق، والذي سيقوم إن شاء الله على منهاج النبوة إن وفينا حقه.

الشعبة الثانية والخمسون: تأييد الله عباده المجاهدين بالغيب

نقرأ في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أخبارا عن المعجزات، فهل كانت المعجزات آيات كونية أقنعت العقول بصدق الرسالة فقط، أم كانت من العوامل التي أيدت الإيمان في القلوب؟ هل هي ظواهر انتهت بموت المصطفى المؤيد صلى الله عليه وسلم، أم هي لوازم لجهاد الصادقين، وشعبة من شعب الإيمان، ماضية إلى يوم القيامة تتجدد كلما تجددت شروط ظهورها؟

لا نطيل الكلام في أن الكرامة ثابتة لأولياء الله، إنما نريد أن نعرف أن الكرامة الثابتة للولي الفرد تثبت أيضا للجماعة المجاهدة. فإن غالب معجزات رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقعت في الغزوات، والمؤمنون في جهاد وصبر ومعاناة. فكانت المعجزات خطابا إلهيا لتلك القلوب المتوكلة على ربها أنها على الحق.

وكلما برز المؤمنون إلى ساحة الجهاد، ولجأوا إلى الله تعالى، واضطروا إليه، جاء النصر الغيبي. واقرأ ما كتبه الإخوان المسلمون من كرامة الله لهم وهم في السجن والعذاب. وتابع خبر الكرامات الباهرة التي أيد الله تبارك وتعالى بها جهاد المؤمنين في أفغانستان ضد الروس.

عند الإمام مسلم، في كتاب الزهد والرقائق عند ذكر معجزة الشجرتين اللتين تحولتا من مكانهما لتسترا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أبا اليسر راوي الحديث قال: «سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قوت كل رجل منا، في كل يوم، تمرة. فكان يمصها ثم يصرها في ثوبه. وكنا نختبط بقسينا ونأكل (أي نسقط أوراق الشجر). حتى قرحت أشداقنا».

عند هذه الشدة وأمثالها يظهر التأييد الغيبي، قال جابر رضي الله عنه في سياق الحديث عن غزوة بواط هذه التي تحدث عنها أيضا أبو اليسر: «فأتينا العسكر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا جابر، ناد بوضوء**» فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ ألا وضوء؟ قال: قلت يا رسول الله! ما وجدت في الركب من قطرة».

عندما تقرحت الأشداق، وظمأت الأنفس المجاهدة، ظهرت المعجزات، ونبع الماء من بين الأصابع الشريفة حتى روي جند الله.

روى مسلم في هذه الغزوة قال: «وشكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع فقال: «**عسى الله أن يطعمكم**» فأتينا سيف البحر. فزخر البحر زخرة. فألقى دابة. فأورينا على شقها النار. فأطبخنا واشتوينا وأكلنا حتى شبعنا».

معجزات جاءت في الشدة ليؤيد الله جهاد المؤمنين، ويربط على قلوبهم، ليعلموا أن لهم ربا ينصرهم لما نصروه. وكذلك نحن عندما نعدد المهمات الشاقة أمامنا، لا نفزع لضخامتها. فعون الله مضمون إن شاء الله ووفينا ما عاهدنا الله عليه. والله أكبر!

الشعبة الثالثة والخمسون: البركة في أرزاقهم

كما نحتاج إلى تأييد الله العام لنا في جهادنا نحتاج إلى تأييد خاص في ميدان الأرزاق. كان الصحابة رضي الله عنهم يشاهدون الملائكة تقاتل معهم فيزدادون قوة، ونحن قتالنا لا ينحصر في ميادين الجلاد لنخرج أعداء الله الصهاينة وغيرهم من بلاد الإسلام، بل يتوسع في ميادين التعليم والتصنيع والتنمية. نحن بحاجة إلى معجزة اقتصادية. وستكون لنا تلك الكرامة إن شاء الله ووفقنا لإعداد القوة ما استطعنا، لا نعطل الأسباب.

روى البزار حديث الخلافة على منهاج النبوة الذي ذكرناه أول هذه الفصول مع زيادة مبشرة نرجو الله عز وجل أن يجعلنا أهلا لها. فقد نقل الإمام الشاطبي أن البزار روى بسند حسن صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن أول دينكم نبوة ورحمة. وتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم يكون ملكا عاضا، فيكون فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعه الله جل جلاله. ثم يكون ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله جل جلاله. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي، ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض** (ينتشر ويتمكن)، **يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض. لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدرارا، ولا تدع الأرض من نباتها وبركتها شيئا إلا أخرجته**».

وشرط هذه الكرامة الإيمان والتقوى. قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.[1]

انظر كيف حلت نقمة الله المجسدة في أموال البترول على حكام الجبر، يملأون أبناك اليهود بها، يغذون ثعابين الصهيونية. وكيف عم الرخاء الزائف شعوبنا المضللة التي تحولت إلى مجتمع مستهلك رخو. يضيف الجبريون إلى هزائمهم العسكرية جريمة إفساد الأمة بإلهائها عن الحق، وإغراق أسواقها ببضائع

(1) سورة الأعراف، 96.

اللهو والفساد والعبث. غثاء! وإنما تأتي البركة من السماء والأرض يوم تنبري الأمة بقيادة طليعتها من جند الله للجهاد في سبيل الله، تنكر العبث والاسترخاء، وتغير منكر التبعية للجاهلية، ومنكر الاستبداد الجبري ومنكر المناهج الضالة، تعمل بسنة النبي على منهاج النبوة، حكما واجتماعا، واقتصادا وثقافة، وتعليما وصناعة، وفلاحة وسلوكا عاما.

إنما تحل البركة على المؤمنين المتقين، وبساحة القوم المنذرين سوء العاقبة، الذين أهانوا الأمة وقتلوا فيها الرجولة.

الخصلة السابعة

السمت الحسن

عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، رواه الإمام أحمد ومالك وأبو داود بنحوه. وروى الضياء عن أنس هذا اللفظ: «**السمت الحسن جزء من خمسة وسبعين جزءا من النبوة**» وصححه السيوطي.

فهذه الخصلة واللتان تليانها منشقات من هذا الحديث. السمت معناه لغة القصد والطريق القويم والهيئة الحسنة.

السمت الحسن تربية

الزيال:

زايل بمعنى فارق. مصدره زيال ومزايلة. يعبر الكتاب الإسلاميون عن التميز الواجب عن الجاهلية وبيئة الفتنة بكلمتي تميز أو مفاصلة. ونفضل لفظ الزيال الذي ورد في الحديث بهذه الصيغة. وهو لفظ قرآني أيضا. والسمت الحسن زيال قصد الجاهلية وهيئاتها.

نقل ابن القيم في «زاد المعاد» في حديث طويل صححه عن عبد الله بن الإمام أحمد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لقيط بن عامر على «إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال الشرك، وأن لا يشرك بالله شيئا».

شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الأعرابي زيال الشرك عند انتقاله من جاهلية لإسلام. والمسلمون عند تجديدهم الإيمان مطالبون بزيال الفتنة والتميز عنها أفرادا وجماعة، سلوكا وأخلاقا، سياسة واقتصادا ونظاما.

كل منا له ماض نشأ فيه بين أحضان بيئة ملوثة، وكل منا يعاني في حاضره من أوضار الفتنة، إن لم يخض فيها مكرها أصابه من غبارها.

وتصيب بعضنا رحمة الله فيتوبَ. قد تكون توبته على يد دعاة حرفيين، وقد تنزل به من ضربات الأعداء أو من مس الشيطان ونكسات الإيمان ما يدفعه للتشدد الغالي والتطرف في فهم واجبه، فإذا به يكفر المسلمين، وينعزل عن المجتمع المسلم على كل حال، ليسكن المغارات، ويؤسس مجتمعا متحجرا.

ليس هذا هو الزيال المرجو. فإن أسلوب تكفير المسلمين كان أول مروق عن الإسلام بين من سماهم المسلمون خوارج. أولئك خرجوا عن المسلمين وكان للمسلمين إمام منهم، وخوارجنا من كل الأصناف يكفرون العامة والحكام، والصالح والطالح، ويجمعون كل أولئك في قرن مع دعاة الإسلام وبناته.

يقرأ بعض الشباب الغض كتب بعض علمائنا من أمثال المودودي وسيد قطب رحمهما الله، فيجدون كلمة «الجاهلية» تطلق على مجتمعات الفتنة التي نعيش فيها، فلا يأخذون من المعنيين الاثنين لهذه الكلمة إلا ما يسبق إلى أوهامهم، فيعتقدون أن علماءنا كفروا الأمة. فمن ذاك الباب يدخل عليهم التطرف. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما شتم رجلا وعيره بلون أمه: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**». فما قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبا ذر كفر، إنما قصد أن ما في طبعه من شذوذ وما على لسانه من حدة صفتان أحرى بهما أن يتنزه عنهما المؤمن.

ونحن نفضل استعمال كلمة «فتنة» لوصف مجتمعاتنا، فهي كلمة نبوية، وفي كتب الحديث فصول خصصت لذكر ما حدث به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن نشوء فتن واضطرابات في الأمة. ما ذكر أنها تخرج الأمة عن إسلامها. إنما هي أمراض، بعضها أخطر من بعض، والزيال الواجب لها ليس في الانسحاب والاستعداد لنسفها، لكن في معالجة الفتنة لنقضي على الفتنة لا على الناس.

بعض الشباب يقرأون كتبا حرفية هجومية على المسلمين. وقد يكون منهم من هو في أحضان التربية الجهادية، حتى إذا قرأ في كتيبات تدعو لها بعض الجهات، وتشجعها، وتجند لكتابتها وإذاعتها بعض فقهاء الوقت ومحدثيه، أن الشرك والبدعة السائدين في المسلمين أولى بالقتال من فتن الحكم الجبري وأصوله، انقلب يقاتل أباه وأمه والمسلمين. يبسط لسانه ويده، ويشير بأصبع الاتهام والريبة للمسلمين يتحول معول تخريب في عملية تآمرية عميدها الشيطان، ووزراؤه فيها أعداء الإسلام.

ليس هذا الزيال الذي نريد.

دعاة لا قضاة:

يرحم الله الأستاذ حسنا الهضيبي، فقد قاسى من تطرف بعض الشباب الذي قرأ فلم يهضم، وعرضت عليه التربية فلم يصدق، ومارس العمل المنظم فوجد الالتزام المسؤول ثقيلا والنقد الهدام مريحا. وكتب الأستاذ رحمه الله كتابه بهذا العنوان «دعاة لا قضاة» يشكو بين السطور. فذاك درس لنا من أهم الدروس.

إن منصة القاضي والمتهم للناس رئاسة قلما يتمنع عليها الضعفاء. لا سيما إن نزغ الشيطان في نفوسهم أنهم وحدهم بخير، وأن الناس سواهم هلكى. فعند ذاك تتحول كل حركة من غيرهم شركا وبدعة، ويصبحون هم الخصم والحكم. وتغتر الدهماء من العامة بكل عليم اللسان وتتألف كتائب الهدم. روى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم**».

إن واجبنا أن نجلوا للناس بمثال سلوكنا وبتعليمنا وفكرنا وخطتنا أن هذا الإسلام رحمة، وأن ما فيه أمتنا أفرادا وجماعة بلاء لا يمس جوهر عقيدتها رغم ردة أفراد وانحراف فئات وبدعة العامة.

أمتنا في صراع حياة أو موت مع الجاهلية التي تغزونا من خارج بتعاون مع ممثليها وأبنائها الروحيين من بني جلدتنا من الملحدين والمنافقين والماديين.

الأمة المسلمة مجموعة بشرية تتألف من أفراد يتفاوتون إيمانا. يتراوحون من النفاق إلى الإسلام الموروث إلى الإيمان المتطلع إلى الصلاح والإحسان، والمهمة أن تتألف من هذه الأفراد كتلة متماسكة مسؤولة عن إقامة دين الله في الأرض. ما المهمة، ولا يكفي، أن نحارب شرك الأفراد وبدع المبتدعين. وما بذهنية التكفير يمكن أن نربي جيلا نموذجا يمثل الإسلام في عقيدته وأخلاقه، في عبادته وجهاده.

بين المسلمين والجاهليين صراع وجود، صراع حضارة، صراع نماذج. نحن ننظر إلى نموذجنا الخالد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجهادهم نريد أن نجدده. والجاهليون يقنعون أبناءنا، حين ألجأتنا ظروف الاستعمار، واغترار بعضنا بثقافتهم، واضطرارنا لاستيراد أساتذة منهم، أو بعث أبنائنا إلى أرضهم، أن تراثنا تخلف، وأن فكرنا جهل، وأن ديننا إفك. والمكفرون يدعون أنهم حماة الشريعة والسنة، يحاربون المؤمنين ويوالون الطاغوت. فعندهم، نعوذ بالله، أن حكام البعث الملحدين أهون خطرا على الإسلام من عجوز تعبد الأضرحة، أو عالم من صالحي الأمة يخالفهم في المذهب الفقهي.

ولنحن أحوج إلى من يمد الجسور بين المسلمين في هذا العهد المبارك الذي يمد فيه عقلاء إخوتنا الشيعة بعد قومة إيران المباركة إن شاء الله يد الأخوة إلى سواد الأمة.[1]

في الأمة خرافات وبدع وأمراض وشرك لا بد من تطهيرها. وجند الله حين يتألف، وحين يزحف، وحين يتولى الحكم، مسؤول أن يعطي المثال، ويفرض النموذج السلوكي، ويربي عليه. والتطهير والتربية عمليتان تطلبان الوقت، وتطلبان الرفق. إن كنا نظن أن تفصيل الأمة بسيف قاطع، يميز في الحين الأجزاء الصالحة والفاسدة بعضها عن بعض هو العلاج، فما نحن هناك.

---

(1) في بعض الكتب التي تلت «المنهاج النبوي» بَيَّـنَ المؤلف رحمه الله موقفه من الثورة الإيرانية بشكل أوضح، من ذلك مثلا ما جاء في كتابه «الإحسان»، الجزء الأول، في ثنايا مبحثي «بين التشدد والاعتدال» و«مراجعة وتوبة» من الفصل الأول «الرجال».

الأمة جسم حي متداخلة أفراده، متشابكة وشائجه ومصالحه، مختلفة ذهنياته واستعداداته، متنافرة أحزابه وطوائفه.

التميز الطبقي أساس فلسفي وعملي لثورة الجاهليين، يمكنهم بواسطة «دكتاتورية البرولتاريا» من تصفية طبقة، وإحلال طبقة أخرى محلها.

أما قومة الإسلام فلا يكفي فيها القضاء على الفارق الطبقي، إنما يتعين أن ينبعث المستضعفون من تحت الفتنة، كما انبعث المستضعفون مع الرسل عليهم السلام من تحت الجاهلية، ليثبتوا بصمودهم في وجه المستكبرين، وسطهم مزاحمة ومدافعة وجهادا، حتى يملكوا النصر وإمامة الأمة. بالأسلوب النبوي والمنهاج النبوي. ثم يبسط المؤمنون نفوذهم المعنوي على مراحل الدعوة، ونفوذهم السلطوي بعد قيام الدولة الإسلامية، فيؤثروا في البيئة الفتنوية على كل مستوياتها، بالتدرج والسير الرتيب. إن كان العدل الإسلامي -عدل القضاء وعدل الأرزاق- هو أول المهمات وأظهرها لعين المراقب، فإن التغيير الجذري للأمة هو هدف القومة.

ويبدأ هذا التغيير الشامل من أنفس الدعاة. عليهم أن يضبطوا كل تصرفاتهم وحركاتهم بضابطي الكتاب والسنة. الجد في حمل أنفسنا على الاستقامة لا التوجه إلى المسلمين بالتكفير. الوقار لا الجمود. البشر لا الاكفهرار. الأدب لا الإسفاف والتبذل. التريث لا العجلة. التعلم والصبر عليه لا ترديد العبارات.

في مظهر المؤمنين ومخبرهم ينبغي أن يقع تحول. في اللباس ولهجة الخطاب. زيالنا عن عادات الكفار في العاديات والفكر والأسلوب معا. لا نلبس لباسهم إلا لضرورة التدرج في طرح التقليد. بعضنا يتسامح في هذا وأمثاله من حلق اللحية أو نصفها، ومن الأكل بالشوكات وما شابه من جزئيات المظهر والسلوك. إن مسخ التقليد درجات بعضها أخسر من بعض. فلا نعمد إلى الجزئيات من ذلك نتخذها ميادين لمعارك جانبية. لكننا بعد التخلص من أسباب المسخ في الجذور لا بد أن نستأصل فروعه وكل مظاهره، سيما ما خالف منها السنة. ما زيال فكرهم

بأولى من زيال عاداتهم، وإنما السمت الحسن أن نقصد بهمتنا وإيماننا وأعمالنا الصالحة مقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونظهر بمظهره، ونقلده في جليل الأمر وعاديه.

هذا الاتباع لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في سلوكه الخاص والعام، باستثناء خصوصياته صلى الله عليه وسلم، في حياته اليومية والرسالية، في سلمه وحربه، في حله وترحاله، في تقلله وبساطته، هو الضامن الوحيد لقلع جذور الفتنة من بيننا.

وليس الحرص الشديد على هذه المتابعة النورانية هو التنطع. إنما التنطع أن يعمد بعض الناس إلى جزئيات من الشريعة يؤولها بفهمه، ويسخر فهمه لتغليب شهوته في الظهور، ليفتن المسلمين والمؤمنين.

السمت الحسن تنظيما

بشر المنافقين

روى أبو داود والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». فلا يتم الزيال بمفارقة الشرك والنفاق حتى نزايل النموذج الكافر فلا نتشبه به في فكره ولا خلقه ولا عاداته. ذلك أن العزة لله جميعا، فمن طلب العزة في غير جانبه، والتمس باقتفاء سبيل الكافرين عضدا، فقد ذل لغير من أمر بالذلة لهم. قال الله تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ**﴾.[1]

عباد الله حقا لا يستعبدهم استعلاء الجاهليين فيقلدوهم. وقد ابتليت الأمة بهذا الاستعمار الذي تطور من احتلال فعلي إلى احتلال عم فكرنا وعقيدتنا وأساليب حياتنا. ولا بد من طرد النموذج الجاهلي مع استخلاص ما هو قسمة مشتركة بين البشرية كالعلوم الكونية والصناعية التقنية. نقدر على ذلك فقط إن رضينا بالله

(1) سورة المائدة، 54.

ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا. عندئذ يهون في أعيننا ما نراه من تفوق مادي لحضارة الجاهلية ويظهر لنا جليا ما وراء تفوقهم الحضاري المادي من بؤس الإنسان البعيد عن الله المتنكر لدين الله ومن حقارته في ميزان الحق.

ما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور، بهذه النظرة إلى الدنيا يميز المؤمنون ما هو عابر مما هو خير وأبقى. ثم يقرأ المؤمنون قول الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.[2] وما في معناها من الآيات، فيدركوا عظم ما ترك لهم من حرية ومسؤولية لينافسوا الكفار، ويجاهدوهم، ويغالبوهم بوسائل الدنيا المسخرة لنا جميعا. وفرق بين تقليد الغالب لسلطان غلبته، وبين استخلاص ما معه من سلاح لقهره والاستعلاء عليه.

فاجأ الغرب الجاهلي مجتمعاتنا الراقدة على موروث فتنوي بقوته العسكرية، وقوته التنظيمية والصناعية، وبهرجة حضارته. فخيل لأجيالنا التي عاشت الاستعمار وما بعده أن ما عند الغالب الغازي هو الحق، وأن الحياة تطور وتقدم، وأن ما مضى من تاريخنا وتاريخ البشرية مراحل طفولية، كل ما فيهما من قيم يليق أن يطرح لنتبنى الفلسفة التقدمية والقيم المادية التي تملأ سمع الدنيا وبصرها.

مالت القلوب لتعظيم الكافرين، وتسرب إلى العقول واحتلها فكرهم، وإلى مجالات حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية واليومية معاييرهم وتقويمهم.

وعلى سطح حياتنا، طافية على لسان حكام الجبر، شعارات الإسلام، منافقة تكتب في الدساتير الوضعية، وتعلن في المواسم. ولولا أن سواد الأمة بقي في قرارة نفسه يؤمن بالله ورسوله ودينه حقا لكان النفاق عم. ولولا هذه الأجيال الصاعدة

(2) سورة الملك، 2.

المبشرة بتجديد الدين، الراجعة من مسار «التقدمية»، تلك التقدمية التي تعني ضياع شخصيتنا، وتفضي إلى ذوباننا في الجاهلية، لكان النموذج الجاهلي منتصرا.

نعم إنه نفاق أجيال، وموالاة الكفار بالإعجاب بحضارتهم، والميل إليهم. وما يصيبنا وسط الذين ظلموا من عذاب إنما هو من انهزامهم أمام الكفر، ثم انخداعهم به، ثم ميلهم إليه. قال الله عز وجل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلهِ جَمِيعاً﴾.[1]

وقد مضى إن شاء الله عهد كان ذراري المسلمين فيه يعتز بعضهم بتقليد الغربي، والرطانة بلغته، والظهور إلى جنبه كالند، ومشاركته في فكره «التقدمي»، والانتصار والترويج له بيننا.

أقول مضى بلفظ الماضي استبشارا. وإلا فالنموذج الجاهلي ضارب أطنابه لا يزال بين الفئة المغربة من ذرارينا. ولئن كان من «موضات» الجاهلية الحديث عن ذاتية وأصالة القوميات، والألوان، واللغات، فما هي إلا نكبة من نكبات التغريب. لأن تلك العبارات إنما تعني إنكار الدين والرجوع إلى وثنية العصبية للعرق واللون واللغة والقومية.

يريد بعض ذرارينا المغربين التميز بقوميتهم وقبيلتهم وعجمتهم، ولا يشعرون أن هذا التميز التعصبي لا يخرجهم عن دائرة الحضارة والثقافة الغربيين. وبالعكس يفصل بينهم وبين إخوانهم المسلمين الموحدين بالإيمان، عاليا فوق هذه القاذورات العصبية.

...فأعضوه...

إن تجديد الدين يبعث الله له على رأس كل مائة سنة رجالا ليسددوا سير الأمة على الصراط السوي، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض،

(1) سورة النساء، 138-139.

وصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وقد كان في سير القطار الإسلامي ميلان وانحراف على مدى قرون الفتنة. لكن هذا القطار زاغ تماما عن سكته، وانحرف بنصف دائرة عن وجهته، بدفع الصدمة الاحتلالية، وجر الاستعمار المتطور المتشكل، وقيادة حكام الجبر المغربين من بني جلدتنا.

فمهمة التجديد في مطلع هذا القرن المبارك الموعود أن نعيد القطار إلى سكته ووجهته، لا أن نتقدم على درب التقليد والتبعية والتخاذل أمام الحضارة الدوابية الآخذة في الأفول على مستوى الإنسان، وإن كانت لا يزال لها وميض من صناعتها المتفوقة، وقدرتها على التنظيم، وأسلحتها الجهنمية.

تقدمية نريد. لكن أي تقدمية؟

النموذج المتسلط في المدارس، والكليات، والإعلام، والشارع، والأسواق، في بلادنا الإسلامية بدأ يتلقى التكذيب العملي من جانب المؤمنين. في إيران كان رفض الحضارة الشيطانية ساطعا. وفي غير إيران أخذت تظهر بوادر الهجوم الإسلامي على الدوابية الغازية. وأخذ الإسلام المتجدد ينزل إلى الشارع كما فعل في إيران ليطلب الطهارة انتقالا من الرجس، والتقدم الذي يرفع الإنسان ويكرمه استنكارا للتقدمية التي تصنفه خادما تابعا لهيمنة أمريكا، وإديولوجية روسيا، وقمع الجاهلية وسلاحها.

لا تقدم لنا يرجى من تخلفنا الحضاري، ولا نهضة لنا من كبوتنا التاريخية، ما دمنا نسير قطار الأمة على سكة الجاهلية، وبوقودها الفكري، وسياستها المتوجهة إلى استعباد عقولنا ونفوسنا وطاقاتنا وأرضنا لها. إنما نتقدم ونتعلم ونتحرر إن خرجنا من جاذبيتهم، وولينا ظهرنا لنموذجهم واتجاههم.

حضارتهم في خراب من داخلها، وخفافيش الفكر فينا لا يزالون مأخذوين ببريقها الكاذب. تكفينا نظرة على نسختنا الكئيبة من أصلهم. الأسرة والبيت كيف يريدها الإسلام وكيف هي فينا؟ التعليم؟ الخلاعة؟ الزنا والانحلال؟ الخمور

والمخدرات؟ اللهو وانتهاب اللذات؟ التهافت الفكري؟ ونزيد إلى أمراضهم هذه التي استوردناها، ونستوردها بأثمان باهظة في الأموال والأنفس والثمرات، أمراضنا المحلية المتولدة المتفاعلة مع أمراضهم: العجز عن الاستقلال بالفكر، جهل ما ينبغي أن يفعل والتخطبط والعشوائية، أحزاب متناحرة غوغائية، حكام ظالمون، استبداد، تفرنج يؤدي المستضعفون ثمنه وتختال قردة التقليد في حلله الرجس. تخلف عام. إدارة مرتشية. قضاء مرتش. فوضى قانونية. قمع بوليسي. والقائمة طويلة.

إن حياة الناس وسط الفتنة، أوقاتهم اليومية والأسبوعية والموسمية، علاقاتهم، عاداتهم، نظامهم في العمل والبيت والشارع، ثقافتهم، مدارسهم، جرائدهم، كتبهم، إعلامهم، يسودها النموذج الجاهلي الفاسد. حركتهم تسير على سكة غير سكتنا. العاطفة والفكر والجسم مرهونة مشدودة مستعبدة بسلوك منكر أصبح معروفا. فرضته العادة. فرضه سلطان الغلبة على ميدان المعركة الحضارية. صرعنا! هزمنا!

فلا بد أن يزحف جند الله إلى مواقع العدو ويملؤوا حياة الأمة في كل الميادين بالسلوك الإيماني، لا بد أن يغيروا السكة والاتجاه. وتبشر فتوة هذا الشباب الطاهر الصاعد والحمد لله بقومة تقيمنا من صرعتنا التاريخية. وتعود إن شاء الله الهزيمة على الجاهلية التي نراها منذ قومة إيران والجهاد الفذ المنتصر بإذن الله في أفغانستان[1] في موقف الحيرة والدفاع والكيد الثعلبي الخسيس، وقد كانت علينا قبل ذلك أسدا كاسرا.

هذا الزحف الجهادي الذي به نسترجع كرامتنا وحريتنا من أسر النموذج الجاهلي لن يقوده دعاة السمت السيء سمت القومية والقبلية والتفرد بالانتماء واللهجة والتربة والجهة.

---

(1) كثيرا ما كان المؤلف رحمه الله يعلق على ما آل إليه الوضع في أفغانستان عند مراجعة كتبه وإعدادها للطبع، من ذلك قوله في كتاب «الإحسان» الجزء الأول هامش 2 صفحة 42 من الطبعة الأولى: «ذلك يوم كان في أفغانستان مجاهدون رحمهم الله. وقبل المجازر القبلية الجاهلية بين الفصائل الأفغانية. ملاحظة بتاريخ محرم 1418».

كل فلول الأحزاب السياسية والحركات القومية والأصالية مفتوحة لهم الأذرع ليسيروا في خط الإسلام، بعلم الإسلام وحافز الإيمان، مع الشعب المسلم والطليعة المجاهدة. نستقبلهم بالترحاب من باب التوبة.

ونريد أن يعرف الكل أن هذا التميز القومي الذي قلدنا فيه الجاهلية، وهذا التميز الفلكلوري الذي تقلصت إليه القومية في دول الجاهلية، لا مكان لهما في الإسلام، إسلام الوحدة الذي لا يعترف بفروق الجنس واللغة والانتماء الوطني المحلي والترابي، ولا بالحدود الفتنوية التي قسمت دار الإسلام إلى ما نرى من شظايا. لا يعترف، بل يقاتل أشد القتال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود: «**ليس منا من دعا إلى عصبية. وليس منا من قاتل على عصبية. وليس منا من مات على عصبية**». وروى ابن كثير أن جابر بن عبد الله قال: «كنا في غزاة، فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار. فقال الأنصاري: يا للأنصار! فقال المهاجر: يا للمهاجرين! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **دعوها! إنها منتنة!**».

وروى البخاري في الأدب والإمام أحمد وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا**». أي قولوا له لتجزروه عن العصبية هذه القولة البليغة التي تصيب الأعرابي في صميم شعوره وتؤلمه. ويقول الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه مؤكدا الحديث الشريف: «من اعتز بالقبائل فأعضوه، أو أمصوه!» أي قولوا له: يا عاض كذا! أو يا ماص كذا!

وروى البخاري في صلح الحديبية أن عروة بن مسعود لما كان يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيما قال له: «هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى (أي إن انهزمتم) فإني والله لا أرى وجوها، وإني لأرى أشوابا (أي أخلاطا) من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك» فذكر العربي المشرك ما يعرفه من عصبية الجاهلية، ووصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم أخلاط من قبائل شتى، وذكر ما ألفه من أن الجنود المنتصرة إنما هي جنود تربطها

العصبية القبلية والحمية الجاهلية. لذلك انبرى له أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال له: «يا ماص بظر اللات! أنحن نفر عنه؟» فعيره بتلك الكلمة الجارحة، ولم يذكر أباه ولا أمه بل ذكر معبودته اللات. وذلك أنكى فيه.

كذلك نحن في تحركنا المبارك بإذن الله، نتميز عن الأحزاب السياسية، والحركات القومية، والجهوية القبلية، وسائر الانتماءات المفرقة، ونزايلها. وإن اضطررنا إلى الدخول في مرحلة ما في تنافس ديمقراطي تحت مظلتهم، فإنما نفعل ليفتضح أمام الشعب تهافتهم وأنانيتهم واستكبارهم. ليعلم المسلمون بالتجربة أن حزب الله وحده القادر بتأييد الله على سَوْق الخير للأمة، وعلى تحريرها من التيار الذي يجرفها إلى المصير المكروه.

ثم لا نفتأ ندعو المغربين من ذرارينا إلى كلمة سواء بيننا وبينهم، أن نتوب جميعا إلى الله، ونتوحد على نصرة دينه وقضيته، وهي قضية الأمة المباركة التي تعاني نكسة تاريخية، وقضية المستضعفين في الأرض جميعا، وقضية الإنسان الذي خلقه الله ليكرم فأهانته حضارة المادية، واستبعدته وأبعدته عن الله.

يليق بجند الله أن يكتبوا في لافتات أمام أبوابهم للواردين: «أيها الداخل الوافد، كن عمر بن الخطاب وقد أنت المسيرة».

هؤلاء الشباب والكهول التابعون لنموذج الغرب والشرق الجاهليين، أسرى ثقافته ونمط حياته، رهائن الغزو الفكري والحضاري، ما هم إلا وقود بشري يحترق في أفران القاطرة التي تجر قطارنا بسرعة انتحارية إلى الهاوية التي تسير إليها الجاهلية.

يحسبون أنهم يقودون السياسة والاقتصاد والفكر في بلادنا، وما هم إلا إمعات مسكينة.

يحسبون أنهم مهندسو القاطرة وقادتها وموجهوها. وإنما هم وقودها يحترقون في الدنيا في لهيب الإديولوجية الثورية المحمومة، أو في جحيم المتاع الدوابي،

أو في نار الحركة المجنونة لجمع المال والجاه وخدمة أسيادهم ممن يبتغون عندهم العزة.

نقول للوقود البشري في أتون الجاهلية: هلم إلينا، فبالإسلام فقط يمكن أن نصنع قاطرة توصلنا إلى الله في الدار الآخرة، وإلى الكرامة والعزة والحرية والتقدم الحضاري في الدنيا. بالإيمان فقط يمكن أن نحول وجهة قطارنا، ونقطع حبال الجاهلية، وننطلق إلى مستقبل العزة. ﴿**وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.[1]

قد يتعين هدم الباطل قلعة قلعة، وفك القاطرة مسمارا مسمارا. وقد يتم الهدم والفك دفعة واحدة، لأن البناء متهر والمسامير صدئة، ما يمسك كل ذلك إلا الجاهلية التي تسند أنظمتنا التابعة. لكن إعادة البناء تطلب أن نجمع كل جهودنا، وأبناؤنا يوم يرجعون من امبريالية أمريكا، وفلسفة ماركس، وثورية لينين، إلى الله ورسوله هم الطاقة التي نرجو الله أن يسخرها لتبني وتقود.

وعلماؤنا يوم يرجعون إلى الله ورسوله، يأتمرون بآيات الجهاد، ويكفون عن تبرير الأمر الواقع، هم المحضن الذي ننتظر أن تأوي إلى دفء إيمانه الفلول الوافدة إلى الإسلام.

شعب الخصلة

الشعبة الرابعة والخمسون: الطهارة والنظافة

روى الإمام مسلم والترمذي عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض. والصلاة نور. والصدقة برهان. والصبر ضياء. والقرآن حجة لك أو عليك. كل الناس يغدو: فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**».

(1) سورة المنافقون، 8.

طهارة الظاهر تزكية للجسم ليقف أمام الله عز وجل وقفة المصلي المتلقي فيض الإيمان. فهي تطهير الوعاء من ظاهره، لذلك كانت نصف الإيمان. والنصف الآخر تطهير الوعاء من داخله، وهو القلب، بذكر الله، والصلاة، والصدقة، والصبر، وسائر القربات ولا طهارة ترجى للقلب دون الطهارة الشرعية من الخبث والحدث بشرائطها.

المؤمن الفرد والمجتمع الإسلامي المتجدد ينبغي أن تشيع فيه معاني الطهر والنظافة ظاهرا وباطنا. فالنظافة في العاديات طهارة يثاب عليها إن كانت النية إماطة الأذى عن المسلمين. نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد، وعن اللاعنين (أي المتسببين في اللعنة) وهما التخلي (أي التبرز) في طريق المسلمين وظلهم. فها هو أصل إيماني لمحاربة تلوث البيئة وهي آفة من آفات العصر. في بيئات الجاهليين تلوث مزدوج، تلوث الأخلاق والفكر والنفس، مع تلوث البيئة الطبيعية بآثار الصناعات والتعمير. ونحن إذ نشكو من التلوث الأول مثل ما بهم، نحتاج إلى صناعة وتعمير نظيفين.

على قدر اعتناء جند الله بالمخبر إذ يجاهدون لتطهير الأمة من الظلم وهو كفر، ومن الحكم بالباطل، ومن البدع والفسق والإلحاد وسائر الرجس، يجب أن يعتنوا بمظهر الجسوم وسائر مرافق الحياة، ويطهروا مجتمعاتنا من كل الخبائث.

من القربات إلى الله إسباغ الوضوء بعد إتقان طهارة الخبث، وصلاة ركعتين بعده، وغسل الجمعة، وخصال الفطرة وهي قص الشارب، وإعفاء اللحية (ولا حاجة للجدل في كيفية القص والإعفاء، ولا حاجة لتعزير من يحلق لحيته بنية التستر عن المجرمين في المجتمعات التي تضطهد الإسلام)، واستنشاق الماء، وانتقاصه (أي الاستنجاء)، وقص الأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط (في فترات متقاربة)، والسواك الدائم، والختان. ومن سنن الإسلام النظافة بكل معانيها والتطيب سيما يوم الجمعة والعناية بالشعر بلا مبالغة والخضاب بالحناء والكتم.

والمؤمن الطاهر يتوضأ للنوم لتستغرق الطهارة كل حالاته.

وللحمام آداب وحدود. طلب المؤمنات ألا يغشينه إلا اضطرارا عند بعض الفقهاء كما شد عليهن ألا يتطيبن للخروج. والتبرج وأسبابه من وشم ووصل وما شابه من أصباغ آفة عظمى، وتلوث جاهر، على جند الله أن يطهروا منه البيئة مع سائر الخبث.

الشعبة الخامسة والخمسون: آداب اللباس

أول ما يميز المؤمن من الكافر على مستوى الشعور بذاته وجسمه هو أن للمؤمن عورة، بمعنى أن لجسمه كرامة، وليست للكافر عند نفسه ولا عند الله، فهو نجس كله. وعلى المؤمنين مراعاة الستر بدقة، خاصة المؤمنات أثناء خروجهن من الإباحية إلى الالتزام بشرع الله تعالى. لا بد من الرياضات البدنية للشباب الطاهر. وشرطاها الإسلاميان من حيث المظهر ألا تكشف فيها عورة ولا يضرب فيها وجه.

أمر الله المؤمنات أن يدنين عليهن من جلابيبهن، ونهاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اللباس الواصف لما تحته، ومن الواصف عند الرجال هذه البنطلونات التي عم بها البلاء. هي أنسب للتشمير والكد. لكنها تصف وتعرقل حركات الصلاة.

وما لدينا من سراويل فضفاضة تصلح للتشمير إن هذبت، دون أن يشينها المحظور الشرعي الذي يشين البنطلون.

ويستحب للمؤمنين البياض، والعمامة، وترك الترفه في اللباس، والصدقة بالجديد والبالي من ثيابهم، وحمد الله والثناء عليه إذا كساهم ثوبا جديدا.

نهي المؤمنون والمؤمنات عن لباس الخيلاء والتكبر، وعن جر الثوب تكبرا. وعن لباس الحرير والذهب للرجال. ونهي نهيا مشددا عن تشبه النساء بالرجال والعكس.

من حديث لمسلم والترمذي: «**إن الله جميل يحب الجمال**» فعلى المؤمنين والمؤمنات أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد، وأن يكونوا شامة بين الناس. فإن

المظهر الجميل النظيف من مكملات الدعوة. ولا نتشبه بالقوم الكافرين، بل نرفع شعارات الإسلام ابتداء من ظاهرنا. فقد روى أبو داود والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». والتشبه في اللباس أول الهزيمة الحضارية. فليكن تغيير زي الفتنة بالزي الإسلامي أول انتصار على موضاتهم، وتكلفهم، وتبرجهم، وتفاهاتهم، مثل رباط الرقبة وما شابه.

وأخرى مهمة وهي البساطة في اللباس. فليس التجمل أن ينفق المؤمن والمؤمنة الأموال على لباسهم. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، وقد كان يلبس ما تيسر، ويرتدي الإنبجانية وهي أغلظ وأخشن ما عندهم يومئذ.

ينبغي الاقتصاد وتوفير المال للجهاد. وعلى المؤمنات أن يطرحن حلي الذهب والفضة، ويحاربن في صفوف النساء عادة تكديس الأحمرين (الذهب والحرير) وعادة التنافس في ذلك. فقد روى ابن حبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أُرِيت أني دخلت الجنة، فإذا أعالي أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين. وإذا ليس فيها أحد أقل من الأغنياء والنساء. فقيل لي: أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون ويمحصون. وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير**».

إذا ألهى المرأة التبرج وأسبابه، ضغطت على الزوج أن يبيع ذمته ليشتري مثل ما عند الجارة، وفشا الفساد. والتنافس الاجتماعي في هذا وأمثاله من أهم أبواب الرذيلة والرشوة والخراب. ليوفر المؤمنون والمؤمنات لكسوة الشعب العاطل في المدن والبوادي وطعامه.

الشعبة السادسة والخمسون: السمت الحسن والبشر

في الحديث «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا**».[1] والمؤمن المتجدد المجدد نسمة طيبة تسعى بين قوم يقيسون قيمة الناس بما في يدهم من متاع وقوة، وبما عليهم

(1) رواه مسلم في باب الزكاة، ورواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

من ثياب، وبما على لسانهم من كلم. ولا يمكن أن ننقل الناس فجأة من سلطان معاييرهم الظاهرية إلى تقويم الإيمان بحقائق التقوى والخلق وحدها. فالبشرية لحمة واحدة، توحدها المروءات، وتؤثر عليها المظاهر. فليتعرف الناس على طيب الإيمان والمؤمنين نبسط لهم جسرا من الحفاظ على السمت الحسن، الذي تقبل عليه العين، ثم نتدرج بهم إلى سماع الحق واستطابته. لأنهم إن رأوا منا رثاثة الزي ازدرونا، فتفوتنا فرصة اللقاء والحوار.

روى الطبراني برجال الصحيح أن ابن عمر رضي الله عنهما سأله رجل: «ما ألبس من الثياب؟ قال مالا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبك به الحكماء».

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثوب يلقى به الوفود. وكان يتجمل لها ويستعد. لكنه لا يقبل أن يستعلي أحد على المسلمين بالباطل. فقد جاءه وفد النصارى من نجران، فوضعوا ثياب السفر، ولبسوا حللا يجرونها من الحبرة (وهي ثياب فاخرة)، وخواتيم الذهب. فلم يرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام نهارا طويلا، ولم يكلمهم، حتى طرحوا ذلك اللباس وتلك الخواتيم.

نتميز بالزي والعمامة واللحية، من قدر منا على ذلك ولم يكن الإسلام مضطهدا، فليس هذا ثوب الشهرة الذي نهينا عنه. إنما ثوب الشهرة ثوب الاستكبار. أما إظهار المرء إسلامه في زمان الغربة فجهاد.

ومن طيب المؤمن وحسن سمته الوجه الباسم المقبل على مخاطبه، والوجه الطلق الباش تلقى به أخاك صدقة، آصرة مهمة من أواصر الصحبة والجماعة والأخوة.

البشر والاستبشار والكلمة الطيبة. الكلام الواضح الهادئ الوقور. الإقبال على السائل وحسن الاستماع. الانبساط للناس. التبشير لا التنفير.

هذه الآداب نزرعها ونتعلمها ونعلمها جند الله. فإن الدعوة أول شيء وجه باش، وكلمة طيبة، وشخص نظيف، جذاب بلطفه، وبيان فكرته.

الشعبة السابعة والخمسون: الحياء

الحياء شعبة الإيمان التي تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم تتراوح بين أعلى الشعب وأدناها. فهي واسعة عامة. هي الروح السارية في القربات العبادية، والعلاقات البشرية، والأواصر الإيمانية. حياء من الله ومن الناس، ووجدان سام يرفع المؤمن على الدنايا والنقائص.

يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد بسند صحيح والترمذي وابن حبان: «**الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء** (الكلام الفاحش والهيئة المزرية) **من الجفاء، والجفاء في النار**». الحياء هنا الموجب للإيمان والجنة جاء مرادفا للانبساط للناس والتأدب معهم. ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاشا ولا لعانا، ولا ينبغي أن يكون في المؤمن شيء من ذلك.

وفي مجتمعاتنا، مجتمعات الكراهية، جفاء كثير، وغلظة واستكبار. الموظف لا يعتبر الواقف أمامه من عامة المسلمين إلا خشاشا من خشاش الأرض، والحاكم الصغير يركع أمام رؤسائه، ليصب بعدها نقمة كرامته المهانة على الموظف. وهكذا يتسلسل الجفاء. وفي مجتمع الأخوة تحت ظل الإسلام يجب أن يعاد للأمة كرامتها مع إعادة العدل والإيمان المعبر عن نفسه حياء عاما، أي لطفا للمستضعفين، وتكبرا على الجبارين، حتى يفيئوا إلى ظل الأخوة والمساواة.

نحن سواسية أمام الله عز وجل، فلا نحصل على الحياء حق الحياء إلا بالوحدة على أسس التقوى، ونبذ التفاخر والتظالم، وأسبابهما من زينة الحياة الدنيا.

روى الطبراني والترمذي بنحوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر والناس حوله: «**أيها الناس! استحيوا من الله حق الحياء! فقال رجل: يا رسول! إنا لنستحيي من الله تعالى! فقال: من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة**

إلا وأجله بين عينيه، وليحفظ البطن وما وعى، والرأس وما حوى، وليذكر الموت والبلى، وليترك زينة الدنيا».

أرأيت عموم الحياء بين الله والناس، وبين الناس بعضهم مع بعض. إنه إقلاع عن الدنيا وزينتها، وأسباب التفاخر والتدابر، وجفاء العلاقات. المؤمن الحيي أجله بين عينيه، فهو مهتم ألا يأكل أموال الناس بالباطل (البطن وما وعى)، مهتم بفكره ألا يتيه، وبحواسه وشهواته ألا تزيغ به (الرأس وما حوى)، مهتم بمصيره في الدار الآخرة فهو يتزود زاد التقوى من دنياه.

من آداب الإيمان وحيائه رحمة الكبير بالصغير، وتوقير الصغير للكبير.

ولعلو مرتبة هذه الشعبة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها النصيب الأوفر ولأصحابه.

روى الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها» زاد في رواية «وإذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه».

نموذج عال لرقة الشمائل، ولين الجانب، ولطف المعشر، وشفافية الوجدان. هذا هو الوجه الموالي للمؤمنين ومن يرجى أن يلبي الدعوة. هو وجه الرحمة العامة التي كانت بين المؤمنين تفيض عليهم من تلك الروح المطهرة. ولولا تلك الرقة والرحمة ما استطاعوا أن يشتدوا على الكفار اشتدادا لا يتنكر للعاطفة الإنسانية على المغلوب والتائب والمظلوم. لولاها لكانوا إذن جبابرة جفاة.

الشعبة الثامنة والخمسون: آداب المعاشرة

من الأجهزة الضرورية في علاقات البشر في هذا العصر، عصر الجفاء، ما يسمونه «العلاقات العامة». رجال ونساء متخصصون في تلطيف اللقاء بين البشر، في الشركات والمنظمات والدول. ولوعي الجاهلية بفائدة هذه الملطفات أعطوها هذه الأهمية.

وجند الله يجب أن يعطوا أحسنهم سمتا، وألطفهم معشرا وحياء، مهمة الاتصال في المهمات والظروف الحساسة. لكن عليهم جميعا أن يتخلقوا بالآداب الإسلامية العامة ويحرصوا عليها، فهي التعبير العملي اليومي عن السمت النبوي، وهم دعاة ينبغي أن يدخلوا على مجتمعات الفتنة والجفاء والكراهية، ونواديها، ومجالسها، وفي اللقاءات الاجتماعية والفردية، وفي بيت المؤمن والمؤمنة مع الأبوين والأقارب والجيران، وفي المدارس، والمعاهد، والكليات، والإدارات، والشارع، كما تدخل النسمة اللطيفة الطيبة المنعشة في الجو العطن الراكد الثقيل العفن.

إن النفوذ السياسي الضروري لنا إنما يتكون من مجموع النفوذ الإيماني الأخلاقي الفكري الأدبي الذي يتاح لنا وسط الشعب. يجب أن نحرز على النصر الأخلاقي الأدبي إعدادا للنصر التام. ما نراه من التفاف المستفيدين حول الأنظمة الفاسدة، واتباع العامة وخضوعهم، واستقالة من يرجى في ظروف أخرى خيرهم عن واجبهم، إنما هو ضعف أمام السلطان القائم. أما قلوب الشعب فمعنا، ويجب أن نعاشر الشعب بصدق حاملي الرسالة، وأدب يعلمنا إياه الإسلام، لنتخذه عنوانا عما في قلوبنا من رحمة للعالمين، وراثة نبوية.

تنشأ بيننا، مما تنتجه مدارس الفتنة وإعلامها وشارعها وأوبئتها، أجيال عنيفة تحمل الحقد وتغذي نيات البطش. البؤس الذي زرعه حكام الجبر في الشعب، والازدراء، والظلم، تثمر جحافل من الشباب العاطل، المتوحش، المخدر. شباب اغتصبت منه إنسانيته، لم يرب على مروءة ولا خلق ولا دين. وشائج العشرة بين أفراده وعصاباته تتكون من علاقات العنف، والبذاءة في السلوك والقول، وفي الاستبداد من جانب الأقوياء، يقابلها من جانب الأصغر سنا والأضعفين الاستكانة للقوة العضلية، والسفاهة الخلقية والقولية، وعدم الاعتراف إلا بقانون العنف. وتتسلسل هذه العلاقات بين الأجيال صورة لما هو عليه الأمر في المجتمع الكبير المفتون.

ويجيء أدب المعاشرة الإسلامية. فهل يكون جند الله نعاجا وسط الذئاب؟ أم يمكن للقومة الإسلامية أن تتم بغير غضب جماهيري مدمر؟

ليس الأمر في الأدب الإسلامي مشكلا في أصوله وأهدافه، إنما المشكل في كيفية إحلال معانيه وعاداته وسلوكه محل العنف والكراهية والجفاء. الحل الإسلامي يريد علاجا شموليا متزامنا لكل آفات الفتنة ومخلفاتها، وتوجيها هادما للباطل بناء للحق لطاقات الرفض والغضب. سوء أدب الناس وجفاؤهم وكراهيتهم لبعضهم ظواهر لأمراض نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية. فلا يمكن أن نأتي بآداب المعاشرة الإسلامية طلاء وصبغة من خارج، نبسطها على واجهة الواقع المتفسخ النتن من داخل. لا! حتى يكون الأدب كالطيب، تولد من ريحانة طيبة المنبت، صحيحة النشأة.

العلاج الشمولي الجذري للفتنة ينبغي أن يستهدف أولا -ولا نمل نكررها- العدل في الأرزاق. الناس بلا بيوت صحيحة تؤويهم، وحياة زوجية آمنة على رزقها، أرانب متكاثرة، وأفاعي عنيفة سامة. أطفالنا وشبابنا قطيع مهمل، ضاقت مدارس الفتنة عنه، أو لفظته وفشلت في تربيته وتعليمه، أو طردته. إنسانية طرحناها مع قطعان القطط فتوحشت. مستضعفون ضحية كانوا يكونون زهرة الأمة لو وجدوا عناية وكرامة يستحقها شباب كل أمة تريد الحياة والعزة. المدارس والمعاهد والكليات معتقلات في النهار تعج بالنشء المهمل في البيت لشغل الأبوين-إن لم يكن الأبناء يتامى النكبات ولقطاء الإجرام- بمصائب العيش، المهمل أمام النماذج السامة المعروضة في وسائل الإعلام والشارع، المهمل في المدرسة لتردي وضعية المدير والأستاذ والمعلم المادية والمعنوية والخلقية.

طلب وقار الإسلام، وحشمة الإسلام، وحياء الإسلام، وأدب الإسلام، من شعوب تغلي فيها الفتنة غليانا، حلم ناعم غائب عن الواقع.

كيف نطبق آداب الاستئذان، وحرمة الناس في بيوتهم، وبعضنا يسكن قصورا ويملك عمارات، وبعضنا أكداس في أعشاش البادية وهوامش البؤس في المدينة؟

كيف نطبق آداب الاتصال بالناس، وآداب الزيارة، وحرمة اختلاء الرجال بالنساء، وقد ساد التحرر من كل خلق، وسادت العادة الجاهلية، واختلط الحابل بالنابل في البيوت، قصورها وأعشاشها، على السواء، وفي الشوارع والحافلات، وفي الإدارات، وفشا الزنا والاستهتار بكل مروءة؟

كيف نفشي السلام لتسود بيننا المحبة وقد أصبحت كلمة السلام عليكم عنوانا على التخلف عند قوم استعجمت ألسنتهم وأدمغتهم وقست قلوبهم؟

إفشاء السلام الذي أمرنا به لا ينتهي عند طرح الكلمة المباركة، بل يستدعي إحلال السلام محل الحرب بين الطبقات، بين سكان المدن وسكان البادية، بين العاطل ومن له قدرة على استثمار المال وتشغيل المسلمين، بين الطبقة الحاكمة المستكبرة المحتلة لمناصب الجاه والمال وبين الأجيال المتكاثرة الصاعدة المحرومة، بين الرجال المستكبرين لسوء تربيتهم على النساء، النساء المتقوقعات في تفاهات التنافس على الأحمرين والكيد الضعيف. بين من لا يجد قوت نفسه وصبيته وبين من يكدس الأرصدة في بنوك الجاهلية يستعد للهرب كما يفعل اللص. بين الإقطاعي صاحب الرصيد الضخم في البنوك وبين المشدود إلى الأرض والمشرد فيها مع رصيده من الأمراض الفتاكة والفقر المدقع والجهل القاتل. الحديث عن الأدب بلا عدل كمن يعرض جمال غروب الشمس على محتضر بالسرطان. رحم الله عالم الأمة الإمام عليا إذ يقول: «كاد الفقر أن يكون كفرا».

ما دام جند الله في مراحل الدعوة فهم نسمة لطيفة تدخل على جو الكراهية تنعش ما استطاعت من آمال، وتهذب ما استطاعت من أخلاق وعلاقات. وحين يؤول إليهم الأمر إن شاء الله -ولا نشك لحظة في موعود الله ورسوله- يفرضون بسلطان النموذج المتفوق، والمثال القائم، آداب الإسلام كما يفرضون بسلطان الدولة العدل والبذل الأخوي.

وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماضية في مرحلتين، يجب على جند الله أن يتحلوا بها في تفاصيلها ودقائقها. فإن وحدة السلوك إنما تتم بتماسك الجماعة النورانية ظاهرا وباطنا.

يطبق جند الله آداب الاستئذان، والسلام، والمصافحة، والمعانقة، والمباششة، وآداب المجلس والمشورة. يتعلمون كيف يحترمون من أمامهم، وكيف يعطونه حقه من وقتهم ووجههم وأذنهم.

ويتعلمون، بمزج الأدب مع الناس بالأدب والحضور مع الله سبحانه، أن لا تجذبهم سطوح العلاقات البشرية إلى المجاملات والنفاق. فيذكرون الله في كل مجلس لكيلا يكون عليهم ترة (أي نقمة يوم القيامة)، ويختمونه بدعاء كفارة المجلس. ويلتزمون الوقار واحترام المواعد بكل دقة، دون تنطع ولا عبوس ولا انقباض ولا تكلف ولا تزمت، برأنا الله منها، فإن في ديننا فسحة! والملاطفة والمداعبة البريئة من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم. وإنشاد الشعر الإسلامي المحمس للجهاد سنة نبوية والنشيد من هذا النوع في مثل المناسبات الاجتماعية، حيث نجالس عامة الناس، مما ينوع المجلس، ويحارب عادات الجاهلية من الزمر والغناء الشيطانيين.

من الآداب المؤكدة المحافظة على علاقات الصحبة والجماعة البناءة بأداء الحقوق الخمسة لأهلها: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس. وحقوق أخر: نصيحة المستنصح، وقرض المستقرض، وإعانة الناس على البر.

ويحافظ المؤمن والمؤمنة في المجلس ومع كل الناس على الهيئة الحسنة في الجلسة، وما يحدث من طارئ كالتثاؤب والجشاء.

تلين القول إلا لمن غلظ عليك بالباطل، وتشكر المحسن، وتعتذر عن أقل إخلال. تكرم اليد اليمنى وتستعملها فيما أمرت به. فإن من علامات الغفلة أن يستهين المرء بهذا وأمثاله.

للحضر آداب وللسفر مثلها. وللرجال آداب وللنساء مثلها، ولليقظة آداب وللنوم مثلها.

واتصال المؤمنين بالمؤمنات لواجب الدعوة والتعليم والتربية والتوجيه يجب أن تراعى فيه الآداب الشرعية بدقة وصرامة.

زفرة تضيق بها صدورنا وشكوى وحزن نبثهما إلى الله ربنا، مما تعانيه المسلمات في مجتمعات الكراهية والعنف. يا من تصرخون على المسكينات في شوارع الفتنة وسوق العهارة! ما هن إلا الضحيات أسفل السلم في أنظمة قائمة كلها على علاقات العنف. ترمى فتياتنا إلى الشارع لطلب اللقمة، فلا يجدن إلا غصة الخبز بإدام الدموع. من آواهن؟ من كساهن؟ من أطعمهن؟ من فعل بهن هذا ثم رأى فظاعة ما يحز في أنفسنا حز المدى فله أن يصرخ عليهن وحدهن.

فيا أيها المسكين -مسكين العلم- الذي تهدد الساقطات بويلات جهنم وتستعدي عليهن جلاوزة الفتنة! هلا نظرت أصل البلاء في تهتك المتبرجات المغربات المترفات وما في ركابهن من أفلام الخلاعة والفاحشة! هلا لمت المستكبرين الذين قتلوا مروءة الأمة باستنزاف أموالها واستحياء نسائها؟

من ربى المرأة؟ من عصمها من تيار الفساد الجاهلي؟

من كساها وآواها وأطعمها؟

من حماها من ذئاب الحظيرة؟ من ربى الرجل؟

ذاك الذي يفعل كل هذا يحق له أن يصرخ ويطبق شرع الله في حد الزانية. أما والحكم بالظلم والكفر والفسق سار من قمة رأس المجتمع إلى أخمص قدمه، فما الصراخ إلا تلهية وبخور يعتم ما هنالك وراء شاشة الشارع.

أمام المؤمنات من كتائب جند الله مهمة ضخمة لإنقاذ المرأة من حمأة الرذيلة، وأمام دولة الإسلام مهمة التمهيد للعدل ونصرة الحق لذلك.

بما أن المرأة في مجتمعات الفتنة هي مستضعفة المستضعفين، وبما أن بصلاحها يصلح البيت وتصلح الأجيال، فينبغي أن تكون تربيتها وكفالتها وحمايتها أولى الأولويات الاجتماعية في برامج الدعوة والدولة.

الشعبة التاسعة والخمسون: الجمعة والعيدان

إن للناس مواسم في زمانهم وأفراحا يدخلون بها على أنفسهم المسرة، ويجددون الصلة، ويلهون عن آلام الحياة.

في التجمعات المنظمة يتولد جو مناسب للإيحاء الجماعي والتأثير النفسي. فإن كان التجمع شيطانيا كانت معاني الإغراء والإغواء ونهب اللذات طابعه. وإن كان سياسيا حماسيا تأتى معه إقناع جماعي بسلوك مؤثر في الأحداث. وإن كان ثقافيا أمكن معه بث الأفكار وتعميمها والدعاية لها.

وتجمعات الإسلام نوارنية جهادية تربوية علمية، تهيء جوا مناسبا لتسري في جماعة المسلمين معاني الإيمان، وتتثبت فيها خطى السائر إلى الله، بمشهد إخوته السائرين معه على الطريق المحتفلين معه بالله ورسوله ودينه.

كم من ناشئ وكهل رجل وامرأة، يكون حضوره لتجمع إسلامي نقطة تحول في حياته، تحول من عدم مبالاة إلى طرح ضرورة الاختيار، من غفلة لذكر، من ضياع لهدى.

ليكون التجمع تجمعا إسلاميا يجب أن يقطع دابر كل المظاهرات والحفلات والمواسم التي أهل لغير الله بها، يجب تركيز اجتماعاتنا حول المسجد والمصلى، حول الجمعة والعيدين وصلاة الجماعة وصلاة الخسوفين. وما كان من تجمعات نضطر لعقدها خارج المسجد يجب أن تتجللها حرمة المسجد ومعانيه.

تجمعاتنا يجب أن تفخم فيها الكلمة، ويعظم فيها اسم الله، ويذكر فيها دينه، وتستنهض فيها الهمم، ويعلم فيها الجهاد واليقظة.

اغتسال الجمعة ولباسها تعظيم وتفخيم، التبكير إليها، المشي إلى المساجد وإكثار الخطى في الغلس، الجلوس حيث انتهى بك المجلس لا تتخطى رقاب الناس، الإنصات للإمام، تحري ساعة الاستجابة.

تجمعاتنا -لا سيما في الجمعة والعيدين- ينبغي أن يظهر فيها اعتزازنا بإسلامنا، وسمته، وزينته، وكثرته، وقوته، وهيبته. لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث للشيخين وغيرهما أن نخرج لصلاة العيدين حتى النساء الحيض والعواتق وذوات الخدور. قالت أم عطية: «يا رسول الله! إحدانا لا يكون لها جلباب (فلا تستطيع الخروج). قال صلى الله عليه وسلم: «**لتلبسها أختها من جلبابها**». في هذا يجب التنافس.

نساؤنا وأبناؤنا وبناتنا يخرجون معنا لنحتفل بمواسم الخير في المصليات، نعظم ونفخم، ونفرح ونظهر زينتنا. وكما يحشد حكام الجبر أجهزتهم لتنظيم مواسم البدعة والشيطان، نجند نحن إن شاء الله كل قوى ووسائل الدعوة والدولة، لنعرض على بعضنا وحدتنا وتعلقنا بالله عز وجل وبحرمه، ونعرض عليه سبحانه أننا امتثلنا لأمره ما استطعنا، نسأله بذلك أن يدفع عنا، ويرحم حوبتنا، ويرفع عزنا. ثم نخرج للجهاد، كلنا عزم وقوة.

التجمل للعيدين سنة، واللهو المباح الخفيف الذي لا يتنافى مع ذكر الله سنة، والأضحية سنة. وكان الإمام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أكثر الناس لحما في بيته في كل أيام السنة، لكنه رضي الله عنه كان لا يذبح يوم عيد الأضحى لما رأى الناس يتنافسون في ذلك، فخشي إن هو تابعهم أن يزداد التنافس، ويتكلف الفقير. أو يظن أنها فريضة.

وإنها لكارثة أن تتحول قربة من القرب عادة بتنافس أهل البيوت عليها. وهنا لا بد من جهاد لفصل ما بين السنة والعادة، في هذا وأمثاله.

الشعبة الستون: عمارة المساجد

محضن الرجال، ومدرسة العلماء، ومحراب المتبتلين، ودائرة قيادة الجهاد، ومجلس الشورى والإيمان المسجد. ومنذ برهن المسجد عن حيويته حين صدر عنه وخرج منه المؤمنون المجاهدون في إيران، وزلزلوا دعائم الطاغوت

والاستكبار، اشتدت الوطأة على عمار المساجد، وطرأ على دول الجبر اهتمام ملح بالمساجد والصلاة وخطبة الجمعة. ونشأت عند رواد الفتنة حساسية إسلامية، يبادرون إلى الحج والصلاة على التلفزيون والتأكيد على إسلامهم.

إسلام رسمي احتل المساجد، وأممها، وعمرها بالخطب الرسمية، والوعظ الرسمي الناعس، ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين.

نركز معركتنا في الطلاب بحقنا في مساجد الله. لا حق لأحد أن يمنعنا من ذكر الله فيها. لا حق لهم أن يخربوا روح المسجد ورسالة المسجد مع تزويقه وتأثيثه.

إنهم يتخذون عمارة جدران المساجد وسيلة للدعاية أنهم متقون. ويتخذون من بين أثاثها خطباء ووعاظا وقراء إمعات محترفين. فاسترجاع حقنا في عمارة المسجد من أوليّات معاركنا.

وأثناء هذا وبعده تعاد للمسجد الحياة الإيمانية، والسنة والعلم. ويعاد له مكانه كالمركز الأول في حياة المجتمع الإيمانية والسياسية والتوجيهية.

لا نستطيع في هذا العصر، عصر الاكتظاظ السكاني، والمزاحمة الإعلامية في الفضاء، وعلى الأمواج، وعبر القارات، وعن طريق الكواكب الصناعية أن نوقف عجلة السرعة ودولاب الحركة لندعو الناس جميعا إلى هدوء المسجد وروحانيته. فنحمل عبر الأثير وشاشة الإعلام، إلى الناس في بيوتهم دعوة الإسلام، وبشرى التجديد. لكن يبقى المسجد هو المركز الحي.

الوعظ في البيوت والمقاهي والكتب والمجلات مباشرة أو بالوسائل الجماهيرية ينبغي أن ينقل الناس خطوة خطوة، عقليا وعاطفيا وحركيا، من معاقل الفتنة والعادة إلى المسجد.

في المسجد يلتقي المستجيبون بروحانية المسجد، بنورانية بيت الله. في هدأة الإيمان وصحوة القلب وخمود الهوى والشيطان.

يحيى المسجد بحلقات العلم ومجالس الإيمان يلتقي فيه الدعاة بالشعب، ويلتئم فيه الشمل، وتنطلق منه اليقظة، ويعقد فيه لواء الجهاد بأنواعه.

وتعاد عمارة المسجد إلى بساطة البناء، مع جمال الهيئة، ودون هذه الزخرفة المنتفشة المبذرة. وحول المسجد، متصلة به حسا ومعنى، تقام مرافق الدعوة من مكتبة، وحجر للضيف، وقاعات للرياضة والنظافة والاستحمام. يعاد للمسجد دفء الحياة، وحرارة الحركة، من برودة الهجران، وجمود العادة.

يعمر المسجد بالتلاوة والعلم، ويطهر لذكر الله، ويجمر ويعتنى به، وينزه عن اللغو واللغط، ويحتفل لدخوله بالزينة السنية، والنظافة والطهارة وطيب الريح. يمشى إليه في ظلم الليل وضحوة النهار. يعمره الرجال والنساء، والشباب، ويكون دخول الطفل إليه أول ما يعقل مناسبة يحتفل بها ويشوق إليها.

تراعى آداب المسجد وسنن الصلاة فيه. فيختار المؤذن ندي الصوت، والإمام العالم المتقي، وتسوى الصفوف وترص.

نحن بحاجة إلى تعميم المساجد على كل بقعة في أرضنا. فإن من المسلمين في الحواضر والمدن من لم يتلقوا ولا أجدادهم من التربية الإسلامية إلا رذاذا. وقد يكون آباؤهم وأمهاتهم من هذه الأجيال المسخ المتنكرة للدين. فيكون تعميم المساجد أسبق من تعميم المدارس، بل موازيا له. وجهاد التعليم والتربية الموجهين للكبار والصغار أعم من المدارس المخصصة للناشئة. فيكون تكامل بين رسالة المسجد ورسالة المدرسة وتعاون.

وعندما تلتقي الدعوة والدولة تكون المساجد العنصر الجامع في شبكة مؤسسات الدعوة. إن شاء الله تعالى.

الخصلة الثامنة

التؤدة

التؤدة تربية

كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس علم وحلم. ومربو الشعب لا يقدرون على مجالسة الشعب وتعليمه وتوجيهه إن لم يتمكنوا في خصلة التؤدة. وهي من خصال النبوة كما سبق ذكر ذلك في الحديث الشريف.

التؤدة لغة الرزانة، والتريث، وما في معناهما من أخلاق الحلم، والصبر، والتحمل، والأناة، وضبط النفس، وطول النفس، وأهلية تحمل المسؤوليات، والاستمرار في الجهاد.

ذهنية القطيع:

قال الله تعالى في فرعون: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ**﴾.[1] فما كان لفرعون أن يتبعه قومه، ويضلوا بتضليله، لولا خفة قومه واستعدادهم القطيعي لاتباع القوي الغني. كان نداء فرعون الذي استخف به قومه كما قصه الله علينا: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾.[2]

نادى فيهم حاسة الخضوع للقوة (ملك مصر)، ونادى حاسة إكبار الغني المستكبر (وهذه الأنهار، ونهر النيل هو ثروة مصر)، ونادى فيهم إجلال صاحب السلطان فصيح اللسان، بتحقير نبي الله، ووصفه بالمهانة في نسبه، والعي في لسانه ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾.

---

(1) سورة الزخرف، 54.
(2) سورة الزخرف، 51-52.

وقال الله تعالى لنبيه الكريم ولنا: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾.[1]

وهنا خفة الفكر، وتحوله، وسطحيته باتباع الظن والخرص.

كان قوم فرعون قطيعا بشريا يسيره المستكبرون الأقوياء الأغنياء الفصحاء بالكذب والظن والدعاية الرسمية. وأكثر أهل الأرض كذلك ليست لهم عقيدة تشدهم إلى الحق، ولا علم يقيهم موارد الهلكة، ولا هدى ولا كتاب منير. والمسلمون اليوم في عامتهم تسودهم الذهنية الرعوية ذهنية القطيع.

فمن يحاول تغيير المجتمعات المفتونة لا بد له أن يتقدم إلى الميدان وله من القدرة على مواجهة الواقع المكروه، ومن قوة ضبط النفس، وقوة الصبر والتحمل، وقوة الصمود والثبات على خط الجهاد مهما كانت القوى المعادية متألبة. إنما يستطيع أن يربي جيل الإنقاذ رجال لا تستخفهم نداءات الباطل، ولا يلعب بهم الهوى، ولا يتحركون على الظن والهواجس.

قولوا لا إله إلا الله تفلحوا:

نريد لجند الله أن يتقدموا صفا واحدا منضبطين صابرين، وأن يكون كل منهم قد تحلى بخصلة التؤدة ودرب عليها حتى تمكن. نريد أن يقف كل منهم حيث هو، وحيثما تنقل، موقف الداعية الذي لا يثنيه عن غايته وأهدافه تنكر الناس لدعوته وإذايتهم له. ذلك هو الموحد المتوكل على ربه، الواثق به كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى البيهقي عن جامع بن شداد قال: «حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله قال: إني لقائم بسوق المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة له، وهو يقول: **يا أيها الناس! قولوا لا إله إلا الله تفلحوا!** ورجل يتبعه يرميه بالحجارة ويقول: يا أيها الناس! لا تصدقوه فإنه كذاب! فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا رجل من بني هاشم يزعم أنه

(1) سورة الأنعام، 116.

رسول الله. قال: قلت: من هذا الذي يفعل به هذا؟ قالوا: هذا عمه عبد العزى (أبو لهب).

كان الإسلام يومئذ في بدايته غريبا، وهو اليوم غريب كما بدأ. رحم الله الشيخ محمدا عبده حيث زاد ما معناه: وكما ظهر من غربته الأولى يظهر من غربته الآن. الناس اليوم أشد إنكارا على من يدعوهم لتحكيم شريعة الله في جميع شؤونهم. خيل إليهم النداء الفرعوني أنما هم عليه حكام الجبر هو الإسلام، فكل من يدعو لتجديد الدين يصفونه بالمهانة، والعي، والتخلف الفكري، إلى جانب الأذى والاضطهاد والفتك. تقود الفرعونية الجديدة الحملة على الإسلام، ويحدو النداء الفرعوني ذهنية القطيع يستخف الناس.

ومن أنكى الأذى يلحق الدعاة أذى إخوانهم ممن يكفرون ويضللون ذات اليمين وذات الشمال، فيؤيدون بذلك الحملات الفرعونية. رجال مسلمون غالبهم يريد الخير، وتستخفهم رعونات دعوى الصلاح من دون الناس، تظهر في رؤوسهم، فلا يضبطون أهواءهم، فيطلقون شرتهم على جند الله. وهي قطيعية من صنف آخر، مألوف في تاريخ الخوارج والتطرف والتزمت بالعصبية والجهل.

يقول الإمام البنا رحمه الله في أصوله: «وكل بدعة في الدين لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو النقصان منه، ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها».

فمن الأذى المتألب على جند الله أذى من يخرب الأصل ليبنى في زعمه الفرع، ومن يتسبب في الإخلال بالفريضة ليقيم في زعمه السنة، ومن يحارب البدعة في زعمه بوسائل تؤدي إلى شر منها. خفة تحتاج منا لصبر طويل.

لا إله إلا الله الأصل فلو قلناها بحقها لأفلحنا. والمؤمن عضو الجماعة ونقيبها ومرشدها من يتحمل مسؤوليات الدعوة، فلا يندفع مع متحمسة الدعوة ليشعل الفتنة مع دعاة الإلحاد، ولا مع مشاغبي الحزبية، ولا مع مكفري المسلمين. يقول الإمام البنا رضي الله عنه في أصوله: «لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل

بمقتضاهما وأدى الفرائض، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة، أو كذب صحيح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر».

ما ضل قوم...

المسيرة طويلة، والعقبة كأداء، والاقتحام يطلب قوة الإيمان، وشدة المراس، والثبات على الصراط المستقيم.

هناك عوامل ثلاثة رئيسية تتضافر على زعزعة السير والتشكيك والتثبيط.

1- ميراث الفتنة وخلافات الأجيال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث حسن رواه الإمام أحمد والترمذي والحاكم: «**ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**». يا ليت لنا إيمانا فطريا نقول لا إله إلا الله فترفعنا إلى أعلى شعبة ونفلح. لكن هناك هذه المخلفات من الخلافات. ومعالجتها تريد صبرا وسعة صدر وارتفاع أفق.

2- طبيعة الشباب وهم صفوة جند الله وعماد المستقبل. قد تخيب آمال بعض الشباب الطاهر لاكتشاف حدود مرب قليل البضاعة من العلم، أو للاطلاع على نقص في الأخلاق والإيمان فيمن كانوا يعظمونهم من الدعاة، أو لمجرد ملل يعتريهم، أو فترة من الشرة الأولى والحماس المشتعل عند البدايات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي بسند صحيح: «**إن لكل شيء شرة** (الشرة الحماس والاندفاع)، **ولكل شرة فترة. فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه**». أي إن استمر بعد الحماس الأول بخطى ثابتة فارجوا فلاحه. أما إن كان يطلب الظهور والرئاسة فلا تعدوه من الرجال. فترة العنفوان مهب للرياح والأهوية من داخل وخارج. وتنبغي العناية بالأشبال، وحوطهم من الآفات، حتى يشتد عودهم، وتكتمل رجولتهم. وما ريح الخلافات في التربية والتنظيم وتعدد الحركات إلا واحد من عوامل الاستخفاف.

3 – طبيعة العمل الإسلامي وسط الفتنة. إنها نادرة تلك الشخصيات القوية التي تثبت في الميدان، وتتألف، وتكون جماعة صامدة تجذب بتآلفها العناصر الأقل قدرة وتثبت العزائم بمثال ثباتها. لا سيما والأذى من كل جانب موجه إلى من يريد أن يغير منكر الظلم، ويفطم الناس عن مألوفهم، ويناديهم لتحمل المسؤوليات، وإنجاز المهمات، بدل النداء المستخف الذي يغنيهم نشيد الاستقرار، ليناموا ويخضعوا، ويعدهم الغرور ويمنيهم.

فليكن هدف تربيتنا إخراج رجال ونساء يضربون لغيرهم المثل بالثبات على الخطوب.

إننا نعيش في آخر عهد الضلالات الفتنوية إن شاء الله تعالى. لكننا لا نزال في خضمها. وأكثر ما يستفحل لهب الشمعة قبيل انطفائها، وأكثر ما تشتد الجاهلية على الإسلام قبيل بزوغ شمس الهداية والنصر. الجدل، وعوامل الاستخفاف، والضربات المتتالية من العدو والأخ. فصبر جميل والله المستعان.

التؤدة تنظيما

تمني المؤمنين:

جلس عمر رضي الله عنه مع أصحابه فقالوا: ليتمن كل منا أمنية. فتمنى القوم على قدر همتهم واهتماماتهم، أما عمر فتمنى لو كان له ملء البيت الذي كانوا فيه من رجال أمثال أبي عبيدة. وما تسع حجرة لا شك متواضعة من أعداد الرجال؟!

ذلك أن عمر يعرف قدر الرجال وندرة الصنف العالي منهم، وكان همه بناء أمة. فشعر، وهو المسؤول الأول، بقيمة فحول مثل أبي عبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

إن جند الله جماعة، وكل واحد منهم، لا سيما إن كانت فئات متعددة ومتنافسة على العناصر تتسابق إلى تكثير السواد، تدفعه الرغبة في حشد الأعداد وملء الصف، إلى إضافة كل غث وسمين إلى قائمة الأسماء.

وهي من أخطر المزالق أن تتضخم الأعداد على حساب النوعية. ما دام المؤمنون مضطهدين، ففي الأذى والخطر المحدق ما يرغب الناس عن مشاركة المؤمنين جهادهم. أما يوم تنكشف الحوبة، وينتصر جند الله، فتكثر العروض، وتتزاحم الناس على العضوية. وقد رأينا أحزابا سياسية خربتها الوصولية تخريبا، زاد نكاده المُنصبُّ في نكادها الأصلي.

ومع وجود الاضطهاد تجد من الناس من يتحمل كل أذى مقابل أن يظهر، ويرأس، ويشار إليه بالأصابع.

من أخطر الآفات التربوية والتنظيمية شرة الوارد المندفع، ونشوة الحركي الذي يبدد جهده في فورات ثم يخمد.

نذكر موجزة بعض صفات الجواد الذي يعدو بكل قوة وسرعة إن كانت الحلبة مفتوحة، لكنه لا يأنف من حمل الأثقال، وجر العربة في الأوحال والأحجار.

1- التدرج في الخطوات: فلا ننتظر من الثمرات، ولا نقبل منها، دعوى أن تصير زبيبا قبل أن تتحصرم. ولا ننتظر من التنظيم أن يحمل عبء الدولة قبل أن تشتد أركانه، ويحصل على التجربة الكافية، ويعد الأطر اللازمة، والبرامج المدروسة. فمما يستخف التنظيمات الثورية شعورها بحجم عددي، يخيل إليها معه أنها قادرة على خرق السدود وتشييد الأحلام. فتدخل في مغامرة تغرقها وتغرق الشعب معها.

كان الإمام البنا رحمه الله يفصل ثلاثة مراحل للدعوة: مرحلة الدعاية والتعريف، ثم مرحلة التربية واختيار الرجال وتنظيمهم، ثم مرحلة التنفيذ. هذا جيد. ومعه أن المراحل متداخلة ضرورة ومتلاحقة، لا نفهم هذا التفصيل على أن العمل يقف حتى ننتهي من التعريف.

2- التدرج في التربية: التربية معالجة لمادة إنسانية، وشخصية لها ماض، وبيئة اجتماعية، واستعدادات. هذه المعالجة تريد من النقيب المربي حلما كثيرا، وصبرا

ومداراة، وتنويعا في أساليب التأثير، ومخالطة المؤمنين في بيوتهم وأعمالهم، وفي الرحلات والسياحات. وكما تتأخر الشجرة الكريمة الثمار في الإنتاج (الأعشاب الضارة تتكاثر بسرعة وشجرة الزيتون لا تثمر إلا بعد سنوات وعناية خاصة)، نصبر على ذوي الاستعداد الطيب السنين حتى ينضجوا، وشر هذا النبات الإنساني ما امتاز بالشرة والحماس والحركة الفارغين من اللب، وهو الصبر مع المؤمنين، والثبات على الحق. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾.[1] إشارة إلى أن الخصلة العظمى التي أهلت رسل الله للإمامة هي الصبر. ثم قال جل من قائل: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.[2] فَقَرن بالصبر الثبات على الحق.

3- متابعة الأعمال والقرارات: هناك خيار بين المبادرات الحماسية التي تريد أن تطوي المراحل وتقفز فوق الواقع وبين العمل المتدرج الصبور. خيار بين الحل العنيف عندما يتوهم المتحمسون العجلون أن تغيير الواقع ممكن بفرض إرادة متسلطة من خارج، وبين الحل المتئد الذي يعمد إلى النفوس فيعالجها بالتبشير والتخويف، بوازع القرآن، ووازع السلطان، حتى تقتنع وتشارك. خيار بين اللمسات العجلى هنا وهناك، وبين العمل المنهاجي المستوعب لكل جوانب المشكلات.

يجب أن يتدرب جند الله على تحمل المسؤولية، بحيث لا يروغ أحدهم عن مهمته، ولا يمل قبل إتمامها، ولا يواجه ما صعب منها بالغضب واتهام الغير، ولا يظن أنه يحقق عملا نافعا خارج التعاون مع فريق عمله ومع الشعب، ولا يميل إلى الحلول السهلة والجانبية والجزئية. وكل هذا يقتضي، قبل قيام الدولة وبعده، وفي كل أعمال الدعوة والإدارة والجهاد، متابعة ومراقبة ومحاسبة. وكل قرار اتخذ، أو عمل خطط، يعين المسؤولون عنه، وتحدد مواصفات الإنجاز وحدوده في الزمان والمكان والمقدار والكيف. فما نجاح أي مشروع أو خطة إلا بحصيلة من الإنجازات المسؤولة.

(1) سورة السجدة، 24.
(2) نفس السورة ونفس الآية.

4- امتحان الصبر: قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.[1]

إقامة الصلاة الإقامة المطلوبة عبء ثقيل ومسؤولية كبيرة. هذا الصبر على الصلاة يجب أن يصبح خلقا ويتفرع عنه الصبر فيما يتبع الصلاة من البر، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.[2]

فتوج البر وختمه بالصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

جند الله مدعوون للجهاد والدخول في معارك مع واقع موبوء مدلهم مظلم. والصبر هو النور كما جاء في حديث مسلم.

لو كان الجهاد مجالس أخوية، وزيارات ومحبة، وورعا فرديا، لما احتجنا إلى تنظيم كتائب. لكن الأمر بذل للنفس والنفيس، إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين. الأمر وفاء بعهد ثقيل مع الله عز وجل أن تموت لتحيى الأمة، أن تسهر وتتعب لتستريح الأمة، أن تظمأ وتضحى وتجوع لتروى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتسكن وتشبع. الأمر بأساء وضراء وبأس ودم وموت. فمن أراد وجه الله لا بد له أن يوطد النفس على ما تكره في هذه الدنيا.

يمتحن جند الله فرادى وجماعة ليعرف بالتجربة وبرهان الصدق من يستطيع أن يحمل ثقل الأمة وأعباء الجهاد ويستمر حتى النهاية. فإن العناصر المراوغة، والملولة، والعاجزة عن التعاون مع الناس في إنجاز المهام الدقيقة، والمعقدة،

(1) سورة البقرة، 45-46.

(2) سورة البقرة، 177.

والطويلة، تدخل الفشل على الصف كله. وكما يعجم العود لتعلم صلابته قبل أن يتخذ قوسا، كما تحلل قطعة الفولاذ ليعلم انسجامها وتماسك عنصرها قبل أن تصنع جزءا من آلة قوية دقيقة، يختبر الواردون في الميدان.

وتكون مسيرة الجهاد امتحانا دائما لقابلية الصبر والوفاء بشروط البر. فالمطلوب من المجاهد أن يخصص كل ماله وجهده ونفسه ووقته لله عز وجل، في تعاون كامل مع إخوته، وتحت إمرة التنظيم، وتحت التهديد من خارج، وتحت وطأة النازغ النفسي والشيطاني.

الأمير والمأمور سواء في الامتحان. الكل ينزل للميدان، في المساجد والقرى، والمستشفيات والأسواق، والشوارع والمدارس، مع الشعب. مع ذوي العاهات المحرومين المهجورين، مع تجريدات وجهاد التعليم، مع العجزة والمرضى، مع ضحايا البؤس حيث كانوا. الصبر على إصلاح ما أفسدته الفتنة هو البر، مع الصبر على الصلاة.

وعلى جند الله أن يتهيأوا للامتحان الذي سيلجونه يوم تقوم الدولة الإسلامية، إنه امتحان ضبط الأمور، وتسيير الأجهزة، وتوفير الإنتاج، وإحسان توزيع الثروات، والتعامل مع واقع متحرك معاد للإسلام.

فإذا كانت الجماعة مركبة من عناصر تميل للراحة، وتستعجل النتائج، وتتجنب التعب، وتخاف من الموت، وتعجز عن الإنجاز الدقيق الطويل النفس، فالفشل محقق.

5- ضبط النفس عند المشورة: من الناس من لا قابلية في فطرته للصبر والدؤوب على العمل والتعاون مع الغير. ومنهم من يحتاج أن يتدرب على كل ذلك ويفيد فيه التدريب.

من أهم ما يحتاجه جند الله من أخلاق الخير وشعب الإيمان الصبر مع المؤمنين، والالتحام في الصف، والصبر على النصيحة والكلمة الصادقة. الوارد أول عهده بالدعوة، لا سيما إن تقدمت به السن وتحجرت في نفسه العادة، لا يعرف

غالبا الصبر مع الجماعة، والتعاون معها، ولا يتحمل أن ينتقد فكره وسلوكه، ولا يملك ضبط نفسه ليسمع رأي غيره، ويشارك في مشورة منظمة.

ومجالس المشورة مناسبات لامتحان الصبر والتدريب عليه. والمشورة اشتراك في النقاش والدراسة والاستنتاج والاقتراح واتخاذ القرار. ليست إملاء من جانب واحد. بركة الشورى إنما تأتي من هذه المشاركة بتأييد من الله عز وجل للعمل الجماعي. فلا بد أن يتعلم المؤمنون الصبر مع إخوتهم، والصبر على النصيحة، والرأي المخالف، والتوجيه الصادق. ويمكن استعمال ذوي الطبع المتفجر والفردي وعديمي الاستقرار في هوامش التنظيم إن كانت لهم مزايا تنفيذية؟ ولا يعول على تنظيم تقوده طباع متسلطة فردية.

لا يعني الصبر مع الجماعة والصبر على النصيحة ونظام المشورة، التبعية البليدة، فقد وصفنا ذهنية القطيع وآفاتها وضرورة قلعها. وينتظر من جند الله أن تكون لهم فرادى وجماعة من قوة الشخصية ومضاء العزيمة ونفاذ الرأي ما به يحققون ذلك. ولا تتنافى قوة الشخصية الفردية مع الصبر في الصف ولا مع الطاعة. إنما تتضاعف قوة التنفيذ إن اجتمعت قوة الشخصية مع الروح الجماعية والطاعة لأولي الأمر.

6- الثبات في الميدان، تحمل ومدافعة: لنتصور تيار الفتنة نهرا جارفا إلى الهاوية، ومهمتنا تطهير النهر وتغيير وجهته إلى فسحات الخير.

فلا يكون تحملنا لأذى الأعداء قبولا للتيار ووجهته، بل نسبح في اتجاه معاكس له ولا نسترخي بدعوى الصبر على القضاء والقدر. نؤمن بالقدر ونرضى به، ولا نرضى بالمقدور فهو سيء، وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا.

إذا سكتونا لا نسكت، وإذا قمعونا لا نتلبث في تأمل الجراح، وإذا هددونا ننذر، وإذا دفعونا ندفع. هذا في غير الظروف القاهرة التي تدعو الحكمة فيها للتخفي.

إن دفعنا واحتجاجنا وتشهيرنا بمن يضطهدوننا جزء مهم من الجهاد ونشر الدعوة.

عند الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدا. فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ﴾ الآية.

وروى الدارقطني وابن بكار عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان يطوف بالبيت ويده في يد أبي بكر، وفي الحجر عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وأمية بن خلف. فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسمعوه بعض ما يكره ثلاث مرات. فلما كان في الشوط الرابع ناهضوه. وأراد أبو جهل أن يأخذ بمجامع ثوبه، فدفعته ودفع أبو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة».

﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْض﴾.[1] فعلى جند الله أن يدفعوا عن أنفسهم ولا يستكينوا. وأن يتعلموا قواعد اللعبة السياسية، وأصول الدفع النبوي معا، ليستغلوا مثول تلك القواعد في الأذهان وواقع الفتنة، فيحتالوا لنسفها بجهاد مؤصل على الحق يزهق الباطل. إن الباطل كان زهوقا.

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، رغم الصبر على الأذى ورغم التدرج ورغم الصلاة عند الكعبة وفيها ثلاثمائة وستون صنما لم يمسها المسلمون قبل الفتح بأذى، ساكتا. ولا كان أصحابه القادرين على الدفع والاحتجاج سكوتا خانعين.

هذا أبو بكر رضي الله عنه يجهر باحتجاجه: «**أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟**».

كان المسلمون يومها مستضعفين قليلين، وكان الشرك في عنفوانه. ومع ذلك جهر جند الله بكلمة الحق، وواجهوا التهديد والأذى بالدفع والاحتجاج والإنذار في أحرج المواقف وأشدها.

(1) سورة البقرة، 251.

روى أبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاص قال: «ما رأيت قريشا أرادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يوما. أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس، وهو يصلي عند المقام. فقام إليه عقبة، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وجب لركبته (سقط على ركبته). وتصايح الناس، وأقبل أبو بكر يشتد (يجري) حتى أخذ بضبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه (أعانه على القيام) وهو يقول: «**أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟**» ثم انصرفوا عنه. فلما قضى صلاته مر بهم فقال: «**والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح!** فقال له أبو جهل: يا محمد! ما كنت جهولا! فقال: **أنت منهم!**» ومثل هذه الرواية عند ابن إسحاق. هذا الإنذار الواضح، والتحدي القوي، أسوة لنا كما هو أسوة لنا تحدي إبراهيم والذين معه. قال الله عز وجل: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**﴾.[1]

ما سكتوا بأبي وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه!

ما تخفوا وما فضلوا الطريق السهل والمهادنة والمراوغة. بل دفعوا الثمن، واعتمدوا على الله الذي وعد رسوله النصر. ما خرج أولئك الأسود من أجحار الثعالب وجمعيات المهادنة!

7- فطام أمة: قد تنهار قواعد أنظمة الفتنة دفعة واحدة، وقد يتعين هدمها قلعة قلعة. لكن البناء لا يتم إلا بإعداد الخطة وإنجازها في كلياتها وتفاصيلها، بروح المسؤولية، بإعادة تربية أجيال أنشئت على الطاعة العمياء واللامبالاة والتبعية الرعوية.

تزول الجبال عن قاعدتها ولا تزول الناس عن عادتها!

ما دام جند الله في مرحلة الدعوة يتاح لهم أن يتميزوا وأن يشكلوا جسما خارج المجتمع. لا سيما إن كانوا مضطهدين وأغلقت دونهم أبواب العمل. يمكنهم أن

(1) سورة الممتحنة، 4.

يحافظوا على طهارة الصف، فلا يقبلوا إلا من تمت هجرته وتطهر فكره وعقيدته وأخلاقه من رواسب الفتنة. لكن عندما تفتح لهم الأبواب، ويتعين أن يدخلوا في المجتمع ليؤثروا، ويغيروا، ويحولوا، يتعرضون لعدوى الوسط، وتسرب الفتنة إلى داخل الصف، مجسدة في العناصر الوصولية، أو الرخص التي يترخصها الملتمسون للاستراحة بعد عناء السفر.

لسنا بحمد الله الهادي من أهل التزمت والتشدد، بل نعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نوغل في هذا الدين برفق. بيد أننا نخشى أن يدفع تعب الطريق وضرورة التدرج جند الله إلى الاسترخاء أمام مهمات البناء.

الجند الذين يلتفتون إلى أنفسهم بالرثاء وطلب الرخصة لا يقدرون على كسب المعارك. والجند الذين لم ينفطموا عن مغريات المجتمع لا يستطيعون أن يفطموا هذا المجتمع عما ألفه من لهو وعبث، وكسل وإهمال للمسؤولية، وتفكير رديء، وأخلاق منحلة.

نرى في تاريخ البشر أن موجات الثورة والإصلاح سرعان ما تنكسر على صخرة الطبيعة البشرية. فبعد ذهاب وجوه وأفكار ونمط عيش، يحتل الأرض والسلطان وجوه أخرى لا تلبث أن تتلون بالبيئة الموروثة. وكأن هذه النفس البشرية حرباء لونها لون ما تقع عليه. والمطلوب من جند الله أن يحلوا المعروف محل المنكر بعد أن يكنسوا المنكر دون هوادة ولا ردة. ولئن كان التدرج لازما، فالصبر على تيار الردة ألزم منه. فكل تقدم يحرزه جند الله في طرد الفتنة من مواقعها يجب أن يوطدوا وجودهم فيه ولا يتراجعوا عنه. بهذا المنهاج يكون التقدم مطردا والقواعد صلبة.

لا نستطيع من أول يوم وسنة ومدة أن نحذف المنكر حذفا بجرة قلم، وغضبة مضرية، ولا أن نحل المعروف محله بحماس وقرار سريع. لكن كل نصر أحرزناه نثبته ونبني عليه. كل حد من حدود الله طبقناه نقف عنده ولا نرجع. ونكون نحن في أنفسنا عبر كل المراحل أهل العزائم وإن اضطررنا إلى الترخيص للناس. أم الصبيان آخر من يأكل، ورب البيت أول من يهب ويتصدى للمكاره.

إذا كان لا بد من تدرج في الفطام عن الفتنة والتعويد على طعام الإيمان فليكن. لكن النكسة تقتل.

شعب الخصلة

الشعبة الحادية والستون: الصوم

رابع أركان الإسلام، والضابط المتمم لضوابط الشهادتين والصلاة والزكاة. فتوحيد الله عز وجل، والإقرار له بالعبودية، خروج عن سلطان الهوى المتأله، الصلاة تحقيق لهذه العبودية بالخضوع لكيفياتها وأوقاتها، والزكاة تحرر من غريزة التملك، والصيام امتلاك للشهوة. فمن كملت له السيطرة على نفسه بحبسها في إطار الإسلام، وصبرها على تكاليف الإيمان، فقد تأهل للجهاد. والحج خامس أركان الإسلام وهو أحد وجوه الجهاد.

للصوم زيادة على أثره التربوي فضل في رفع الروحانية وتصفيتها، فهو إمساك الجسم والنفس عن مبتغاهما. وتزكية نية القربة إلى الله، فتكتسب الروحانية شفافية. إن هذه النفوس أقرب ما تكون للالتئام والتحاب والتعاون إن تهذبت من كدورات الشهوات، وسمت عن الماديات. في رمضان تسود روحانية خاصة لولا تحويل الناس لياليه مناسبات للتخمة والعبث. فعلى جند الله أن يحافظوا للشهر المبارك بوظيفته، ويستمروا السنة كلها إن استطاعوا على ذلك المستوى من الشفافية، مستعينين بصوم الاثنين والخميس، والأيام البيض، ويوم عرفة لغير الحاج، ويوم عاشوراء، والستة من الشوال، ويكثروا الصيام في شعبان والمحرم. وعليهم أن يغنموا يوما في الأسبوع في الأسر للإفطار المشترك رجاء أن يجمع الله شملهم عنده في مقعد الصدق، يفرحون عنده كما يفرحون بالفطر جماعة. فإن «**للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه**» كما جاء في الصحيح.

وليراقب المؤمنون أنفسهم، فمن لم تظهر نتائج الصيام في سلوكه، فليعلم أنه إنما جاع وعطش، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري

وأصحاب السنن عن أبي هريرة: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه**».

الشعبة الثانية والستون: القيام في حدود الله

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله عز وجل يغار، وغيرته أن يأتي المؤمن ما حرم الله**». قال المؤمن، ولم يقل المسلم. فالمؤمن بإتيانه ما حرم الله جحد نعمة الإيمان فاستحق أن يغار الله من سلوكه.

رحمة الله واسعة للمؤمن والمسلم، إن فعلا فاحشة وسوءا بجهالة ثم تابا وأصلحا. بل يرقى المؤمن إلى درجة التقوى إن ذكره ذنبه بربه، فتاب وأناب. قال الله الغفور الودود: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[1]

الهفوة والفلتة إن أعقبت ندامة وتوبة تذكير من الله، يخلف للعبد منة من مننه سبحانه، وهي المغفرة. لكن الإصرار والجرأة على الله مما يطرد العبد من باب الله. نعوذ بالله.

هذا في حق الذمم الفردية. ويستعان على حفظ حدود الله بالوعظ والتذكير والتخويف من عذاب الله وغضبه. ويرقى المؤمن في معاني علاقته مع الله عز وجل، بل الله يرقيه، إلى أن يصبح الحياء من الله هو وازعه، والحفاظ أن يلقى الله وثوبه ملوث حافزه لأن يتورع ويصلح.

أما في حق الأمة، فإقامة حدود الله تعني الانتقال من حالة الفتنة والحكم الطاغوتي إلى حالة المجتمع الإسلامي الخاضع لجلال الله وأحكامه. وهي نقلة بعيدة عسير إقلاعها وانطلاقها وسيرها. فالقوانين الوضعية هي أساس الحكم تحت السلطان الجبري، ويصحبها تحكيم نزوات الحكام، وآراء من لا يعترفون لله عز وجل بربوبية، وتقنين يرعى مصالح طبقة مترفة ومصالح مواليها من الكفار.

(1) سورة آل عمران، 135.

تركوا لأحكام الدين بقعة متقلصة سموها «الأحوال الشخصية» وسط قارات القانون التجاري والجنائي والاقتصادي والإداري والاجتماعي. وبقي في الشعب شعور ما بالاحترام لأحكام الله في العلاقات الشخصية من زواج وطلاق وميراث، مع كثير من العادات والأعراف وفساد الزور والرشوة. كل ذلك مختلط كما يليق بالإهمال الذي أهملوا الدين والتربية وتقويم الانحراف وقمع الجناة. أما خارج نطاق «الأحوال الشخصية». فقد ألفت الناس الانحلال والتحرر الأخلاقي من كل وازع غير الخوف من عقاب الإدارة، وهو عقاب يتفاداه من يدفع ويتشفع.

قضت على روح الأمة تشريعات الرأسمالية والاشتراكية وتوجيهاتهما. وعلى الدولة الإسلامية أن تعيد إلى الأمة صرامة التشريع والتوجيه الإسلاميين. حدود الله التي خرقوها وطرحوها أرضا يجب أن تقام سدا في وجه الفساد، وإطارا لعملية إحياء الأمة في جميع مرافقها.

لكي يبارك الله عمل المؤمنين، يجب أن تعني حدود الله في الحياة العامة العدل في القضاء وفي القسمة. لا خمر ولا زنا ولا قمار، هذا نعم الشعار! لكن كيف السبيل إلى ذلك مع البطالة، وسوء التربية، وفشو الخلاعة، بما ترسب من دعايات، ونماذج الشر، وعادات الجاهلية؟ لا ربا ولا ظلم ولا احتكار، نعم الشعار! لكن كيف السبيل والنظامان السائدان فينا وفي العالم قائمان على كل ذلك؟

لن يرتفع واقع الحكم بغير ما أنزل الله بمجرد إعلاننا أن هذا وهذا حرام، ولن يعافى مريضنا من أدوائه بوصف الحلال الطيب الشافي. إذا أردنا أن ننتقل من مرض الرأسمالية والشيوعية والجاهلية المركب إلى عافية الإسلام دون القضاء على البنية الضعيفة لمجتمعاتنا واقتصادنا، ودون التمادي في حمأة الفتنة، ودون القفز الحماسي العشوائي يلزم:

1- الاجتهاد: لتغيير بنى المجتمع كله ونقله من سلطان القانون الوضعي إلى سلطان الشريعة الغراء. اجتهاد مخطط، مبرمج، جماعي، يغطي حاجات التقنين، أي صياغة أحكام الشرع صياغة قابلة للتطبيق العيني، ويغطي حاجات

التنظيم، أي تحكيم الشريعة المقننة في جزئيات الواقع وفروعه. ولا يكفي ولا يفيد أن يجتهد الفقيه المطلع على الأحكام، العارف بأصول الشريعة، بل لا بد أن يشرك في اجتهاده رجل الاقتصاد الذي يحدد الأهداف، ويعرف بضرورات العصر، وصرامة المنافسة الاقتصادية في العالم، والأحجام، والآليات الأساسية المطلوبة للإنتاج، وحاجة الأمة للمال، ومصادر التمويل المتاحة، واضطرار الأمة للاقتراض من الخارج، وشروط توفير الأموال واستثمارها. ولا بد أن يشرك معه رجل الدعوة، إن لم تجتمع في الدعاة أنفسهم كفاءات الفقه وشروط الاجتهاد، ليذكره بأهداف العدل، وقسمة المال، ومحاربة الطبقية. ولا بد أن يشرك معه رجل الإدارة والحكم ليطلعه على الواقع، وعلى إمكانيات التطبيق، وفراغات التشريع التي يدخل منها التزوير، والخيانة، والسرقة، وعلى دروس التجربة، وتقنيات الصياغة، والتخصيص والضبط.

اجتهاد جماعي هادف، يأخذ بعين الاعتبار مقاصد الشريعة، وعلة التشريع الإلهي النبوي، وضرورات العصر وإمكانياته. والعجلة أثناء ذلك تدور بسرعة، والضرورات تلح من كل جانب. فهذا باب عظيم من جهاد التغيير.

2- التدرج: ويأخذ هذا الجهاد سنوات وسنوات. كيف يمكن أن تتحول الأوضاع المتراكبة المتداخلة من فتنة لإسلام والباطل ضارب أطنابه في قواعد المجتمع، ضارب جذوره في النفوس، والمعاملات، والمصالح، والعلاقات، والأذهان، والعادات؟

لا يمكن إيقاف العجلة ريثما يعاد ترتيب الآلة الاجتماعية الاقتصادية الإدارية والنظام القانوني في دولة ما جزء لا يتجزأ من نظامها الكلي. فلا بد إذا من وضع سلم أسبقيات، وتفريع القوانين الشرعية من أصول شرعية هي اليوم في ضمائرنا مطلب ملح، ويجب أن يمكن لها في أرض الواقع لتحتل المراكز غدا، بعد معركة الزحف، وخلال صراع الحق الهاجم مع فلول الباطل الذي لن يجلو عن مواقعه بيسر.

تدرج من الأصول للفروع، ومن الأهم للمهم. تدرج في الزمان، وتوقيت، وأسبقيات، وضرورات تطرأ. وتشبه عملية التحول والتغيير القانونية كل عمليات التحويل الإسلامي في أنها لا تتم في الفراغ والهدوء، بل تشق طريقها، وتفرض نفسها، وسط غمار عام من العواطف المتأججة الناصرة والمعارضة، ومن الآراء المختلفة أو المتآلفة، ومن المصالح المرجوة والمهددة. لا تزعم لي أن إرادتك وفي يدك السيف ستنفذ، إذا كان تنفيذها متوقفا على إرادة شعب طالما ركد، وإرادة إدارة طالما فسدت، وإرادة عدو يملك أن يجوعك ويملي عليك شروطه لطول ما مكنه حكام الجبر من مقوماتنا، وألقو إليه بزمامنا.

لا أغبى ولا أكذب ولا أكثر تعرضا أن يخذله قدر الله عز وجل من حكام ورثوا ميراثا فاسدا ثقيلا عميقا، فوعدوا الشعب بالنعيم والاستقرار والقوة بمجرد أن يتولوا الحكم ويغيروا القوانين. يعدون حصادا وفيرا بلا حرث.

وما ينبغي لحزب الله أن يجاري الأحزاب السياسية في عادتها التهريجية، عادة نبذ الوعود الخلابة (الخلابة بكسر الخاء حرام في الإسلام وهي الغش والتدليس والغبن)، ورفع الشعارات المدوية. إنما نصدق الأمة ونخبرها بصدق أن ثمن إقامة الإسلام صبر طويل، وعمل دائب، ومشاركة في الهم، وضم الصفوف، وربط البطون، والانفطام المرير عن الأنانيات والذهنيات والعادات. لن نخدر الأمة إن شاء الله بالخطب الغوغائية، بل نوجه إليها نداء الجهاد وندبها إلى ساحة البذل والصبر.

لا نقصد بالتدرج الذي يهون في عينك المهمات، ويدحرجك شيئا فشيئا إلى النعاس والإهمال، وقبول الفشل، والاعتراف بالعجز. نقصد تدرج الجهاد اليقظ الدائم المهتم.

3- إعداد الإطار القضائي والإداري والسلطوي اللازم لتطبيق الشريعة القادر على ذلك بنظامه، المؤهل له بنوعية رجاله، إيمانا وغيرة على محارم الله،

وإيثارا لما عند الله، ومنعة أمام المغريات وما ألفه الناس إبان الفتنة من تدخلات ومحسوبيات وشفاعات.

التركة المخلفة تركة إفلاس مهما كان النظام السابق للحكم الإسلامي، رأسماليا جبريا كنظام الشاه أو جبريا رأسماليا اشتراكيا يمينيا يساريا (من يمين الجاهلية ويسارها) كبعض ما تراه من هذه الأنظمة المتعاقبة علينا.

يلزمنا رجال مؤمنون لتصفية الإفلاس الاجتماعي الاقتصادي الخلقي العام. ويلزمنا أنظمة قضائية وإدارية وسلطوية لا تكون مرصودة لإصلاح حال المستكبرين، ولا شرطة لقمع المسلمين، ولا مكتبية تضيع في مساربها قضية العدل النافذ.

4- رد المظالم: المرحلة الأولى في التصفية هي مرحلة رد المظالم. فلا يجوز شرعا ولا يصح سياسة واقتصادا أن ينسى ما اقترفه المجرمون ونهبه اللصوص. كما لا يتناسب مع رفق الإسلام ورحمة الإيمان أن يفتتح الحكم الإسلامي بحمامات دم، فالإسلام يجب ما قبله من جاهلية جبا تاما. ونقيس قياس علة جزئيا فنقول: إن التجديد يجب ما قبله من فتنة إلا ما كان من مظالم يمكن ردها لأصحابها. فلو ألغينا هذا القياس، واعتمدنا أن الناس كانوا مسلمين حين سلبت الأعراض، وانتهكت الحرمات، وانتهبت الأموال، وضيعت الحقوق، وأن تعطيلهم لحكم الله مسؤولية عامة، لوجب أن نستغرق عشرات السنين في نبش الفتنة، ولفتحنا بابا لا ينسد من المحن العامة، لأن المجتمع كله كان منغمسا في الفساد.

أجرى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عملية سماها التاريخ ردا للمظالم. وكانت عبارة عن رد ما اغتصب من أموال في عهد الملكية العاضة قبله. ولعله ما يحسن بنا أن نطمح لأكثر من ذلك ولا أن نرضى بأقل منه. وكما بدأ الإمام عمر بن عبد العزيز بنفسه وأهله، يجب أن تكون حالة جند الله المالية والسلوكية شفافة في عين الشعب. كيف لا وقد قتل الظلمة قبلنا الثقة لطول ما كذبوا!

5- أجهزة اسلامية: يجب أن يوكل أمر تنفيذ شرع الله إلى أجهزة تختلف بنية وأسلوبا عن الأجهزة الموروثة. فمن ناحية البنية يقسم القضاء إلى:

أ- المظالم: وهو نظام إسلامي يعطي لقاضي المظالم صلاحيات واسعة في الفصل في القضايا المترتبة عن الخصومات بين عامة الشعب وأجهزة الحكم والإدارة، والنظر في الحق العام، والتقنين، ومراقبة الحكام. صلاحيات واسعة، وتنفيذ سريع كما هو الشأن في القضاء الإسلامي بأنواعه، وهو قضاء لا يعتمد على المسطرة التي يعتبرها القضاء الوضعي ضمانة كافية للإنصاف، بقدر ما يعتمد على ذمة القاضي والمتخاصمين. قضاء المظالم هذا يعم مجالات القضاء الإداري، والنيابة العامة، والغرفة الدستوررية، كما يعرف ذلك اصطلاح العصر. إن إعادة هيكلة القضاء الإسلامي مهمة إدارية تغير وجه التنظيم، وإن تخصيص صنف الرجال المؤمنين الصالحين مهمة تربوية تعطي الهياكل الإسلامية مضمونا إسلاميا، وما يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية والنظام على ما هو عليه تحت الفتنة، ولا برجال تصورهم للإسلام والتزامهم بحكم الله وصدقهم مع الله على مستوى ما نعهده في عموم موظفي الفتنة.

ب-الحسبة: وهي نظام إسلامي للقضاء السريع، من شأنه تقويم الأحوال قبل أن تعوج، وضرب الحديد قبل أن يبرد. صلاحية الحسبة مراقبة السلوك العام، بما في ذلك المساجد والمدارس والشارع. ومراقبة الأسواق والمعاملات. إنها صلاحيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمر الله. فالحسبة هي صلب هذا الواجب الديني، يساعدها على القيام به الشعب بكامله. يقابل نظام الحسبة جزئيا في أنظمة العصر نظام الشرطة القضائية، وشرطة الأخلاق، والشرطة الأمنية، والاقتصادية، ومحاكم محاربة الرشوة. صلاحيات الحسبة ضبط المخالفات، وإصدار الأحكام، وتنفيذها الآني. إنها صلاحيات يمكن أن تفتح باب الإرهاب السلطوي إن كان القائمون عليها ممن لا يعيشون في أعماقهم حقائق الإيمان. فلا توكل إلا للأقوياء الأمناء ممن لا يطغيه السلطان.

ج- القضاء العام: من تجاري وجنائي وغيره. فالقضاء الإسلامي في خصومات الناس، وجناياتهم، وأنكحتهم، وطلاقهم، لم يكن يعرف تخصيص قاض لهذا الصنف من الخصومات وآخر لغيره. ويمكن التخصيص إذ لا مانع شرعيا منه. لكن مسطرة استئناف الأحكام، وإجراء المداولات، والمرافعات، وكيفية الاستعانة بوسائل الإثبات غير الشرعية، وبالمحامين، ونتائج المختبرات، أمور طارئة علينا يجب النظر فيها. فالأساس النبوي للمرافعات «**أن البينة على من ادعى واليمين على من أنكر**». تعطي هذه القاعدة للتحري الظاهر، والإثبات المنطقي، حقهما. وتترك لذمة المؤمن، وخوفه من الله ومن عقاب الآخرة، الشطر الآخر من القضية. وهذا لا يعرفه القضاء الوضعي المؤسس كبقية أنظمة الجاهلية على الفلسفة المادية التي لا تحسب إلا حساب المنطق الصوري، والمنفعة الدنيوية، وتنكر الآخرة. وكل القانون الوضعي ومسطرته مبنيان على ذلك.

6- إيقاظ الشعب: وتربيته ليشارك في تنفيذ الشريعة. فمهما كان قاضي المظالم نزيها شجاعا في الحق، لا يمكنه إنصاف المظلوم إن بقي موقف المظلومين موقف الرعية المستخذية، لا تشكو، ولا تجسر على الشكوى، ولا تضغط من كل الجوانب، ولا تهب هبة المسؤولية في وجه الظلم. والحسبة بدون المشاركة العامة مراقبة سطحية معزولة عن خبايا الأمور. والقضاء العام القائم على عدالة الشاهد واعتراف الناس بالحقوق وإسراعهم لنجدة المظلوم يبقى في هواء الظن ودورية الأوراق بدون تلك المشاركة.

ليكون قضاؤنا حيا ينبغي أن تنضج في النفوس معاني الإيمان، وتنبثق فيها حياة الإيمان. وليكون عدل القاضي الإسلامي راحة من الظلم المألوف، يجب أن يعرف كل ذي حق حقه، ويحرص عليه، ويعينه الرأي العام على طلبه واستخلاصه. في بيئة خامدة لا يفيد تحريك ظواهر الأشياء. وفي مجتمع طالما قبل استعلاء المستكبر، ولصوصية الحاكم، وغش التعامل، والزور والرشوة، لا يفيد القانون الشرعي، والنظام الإسلامي، والقاضي الفقيه العدل، حتى تسري

في كل طبقات الأمة روح جديدة، وإرادة جديدة، وذهنية جديدة، وموقف سياسي وعملي تجاه المسؤوليات العامة والخاصة.

7- التميز عن الجاهلية والاعتزاز بشرع الله. الحملة على الإسلام بوصفه تعصبا وتواكلا وعنفا مزمنة. وكلما نبض في الإسلام نابض، كهذه القومة المباركة إن شاء الله في إيران، استعرت الحملة، ونعت الإسلام الذي يقطع يد السارق ويرجم الزاني بالوحشية. وإنه ليربطنا بالواقع الدولي روابط قانونية عالمية في حقل حقوق الإنسان، والشرطة الدولية، والتجارة، والتعاون، والسياسة، والتمويل، والاقتصاد، وما إلى ذلك. أكثر من في الأرض يحكمون بقوانين وضعية، ويحكمون المنطق الأرضي في فهم شريعة الإسلام، ثم لا يكتفون بالنقد بل يضغطون بكل وسائلهم، وهي كثيرة فعالة، ليسود نموذجهم وقانونهم. وعلينا ألا نخشى الناس في الله، وألا نتنازل عن قلامة ظفر من شرع الله تحت الإرهاب الحسي والمعنوي الموجه للإسلام، وعندما تتحرر أقطار الإسلام، وتقيم شرع الله داخلها، يجب أن تجاهد في المحافل الدولية، والمفاوضات، وبكل الوسائل، ليسود شرع الله على شرائع الناس.

نعم، الحق الذي أنزل على محمد صلى الله عليه سلم هو قطع يد السارق، وجلد الشارب والزاني، ورجم الزاني والزانية المحصنين، وكل ما أوحى الله عز وجل به إلى نبيه من الأحكام. وقضاؤنا قضاء أصيل له أصوله وطرق تنفيذه. وهو قضاء صارم وسريع لا يقبل تباطؤ المسطرة النابليونية. قضاء متميز، لا يعتمد لحن المحامي بحجة، بل ينهى عنه. ولا يقبل الشفاعة في حدود الله كما يقبل قانونهم نقض الأحكام وإبطال رئيس الدولة لها. قضاء يضمن الحرية الفردية، دون أن يمس بحق الجماعة. يضمن الأمن المعاشي والسياسي والتعليمي والصحي والسكني بقوة السلطان. يضمن التقدم الاجتماعي والتعاملي ويقر العدل بين الناس بشموليته (مظالم+ حسبة+ قضاء عام) كما يضمنها ويقرها بسرعة تنفيذه وصرامته.

وما تميز شريعة الإسلام، وضمانها للحرية والأمن والتقدم وخير الدنيا والآخرة، إلا من مصدرها الإلهي. ما حدود الله التي يحكم القضاء بمقتضاها في ظواهر الحياة الدنيا إلا جزء متكامل مع حدود الله التي يجب أن تحكم القلوب والعقول، والنيات والتعامل مع الله عز وجل، ويرعاها المؤمن والمؤمنة، استعدادا للقاء الله، وابتغاء مرضاته وجنته في الدار والآخرة. ولا ينفك حكم الشريعة ظاهرا وباطنا عن أي جزئية من الحياة الفردية والاجتماعية. ميدان تطبيقها في التربية والتنظيم، في الحكم والقضاء، في التعليم والصحة، في الجيش والشرطة، في الإدارة والاقتصاد. أرض الله مسرحها، ودار الإسلام معقلها الذي اقتحم، فواجبنا الدفاع عنه، وحصنها الذي هدم فواجبنا إعادة بنائه.

لن نتحدث هنا عن فصل السلط وضرورة استقلال القضاء. ولنا إن شاء الله نظرة في الموضوع في غير هذه الفصول. ثم نترك فقهنا الدستوري يخطو نحو الملاءمة مع خطوات القومة. نتركه يتطور بتطور مسؤولياتنا في الحكم، ويرشد على محك التجربة. فإن صور القومة، ومراحل الانتقال إلى الحكم الإسلامي، قد تختلف من قطر لقطر. فالمجال واسع، والتنظير المسبق في هذا المجال لا يكفي.

الشعبة الثالثة والستون: حقن الدماء والعفو عن المسلمين

مزالق ثلاثة يجب أن يتفادى جند الله الهوي فيها:

1- في مرحلة إعداد القوة نتجنب أساليب الاغتيال السياسي لسببين: أولهما أننا أمرنا ألا نقتل المسلمين زمان الفتن. والثاني، وهو سياسي، أن القضايا الغريبة عن الشعب، العاجزة عن الانتصار بالإقناع والتمكن في المجتمع، هي وحدها التي تلجئ إلى أساليب الإرهاب والاغتيال. لا يعني هذا أن نستكين إذا هوجمنا، بل ندفع عن أنفسنا، ونفرض هيبتنا في الساحة.

2- أثناء القومة ننزل مع الشعب إلى الشارع، نقوض الباطل إن لم تفتح لنا أبواب المنافسة السياسية لنصل إلى الحكم عن طريق ممارسة الشعب حقه في

اختيار حكامه. وقد أعطت قومة المسلمين في إيران النموذج، حيث واجه الشعب الأعزل قوى الطاغوت ومدافعه ودباباته بالصدور العارية، حتى انتصر الحق وزهق الباطل.

3- بعد القومة وأثناء التصفية ورد المظالم، لا يفتح جند الله باب إراقة الدماء، بل يعالجون ماضي الفتنة بما ينبغي من العفو الشامل، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة وسرح أهلها حين قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء!**». فستر بذلك العفو الكريم كل الأذى والمكر والويلات التي ذاقها النبي صلى الله عليه وسلم وذاقها أصحابه على يد كفار قريش أثناء مقام المسلمين في مكة، وكل الحروب والدماء بعد ذلك. ناهيك بعفوه صلى الله عليه وسلم عن قاتل حمزة سيد الشهداء. يجب الإسلام ما قبله إلا مظالم يمكن ردها من الأموال المبتزة، والأراضي المغصوبة، والمناصب المحتلة بالمحسوبية، والقضايا المحكومة بالرشوة. وليس من العنف ولا منافيا للعفو أن يطرد من الساحة العامة سدنة الفساد من سياسيين، وموظفين، ومهرجين. وباب التوبة مفتوح على كل حال.

ضابط الكف عن الاغتيال، وتجنب سفك الدماء أثناء القومة وبعدها، لما أمر الله ورسوله بحقن دماء المسلمين. وقد بدأنا نرى والحمد لله أن من كانوا بالأمس يجهرون باستخفافهم بالدين، أخذوا يؤكدون أنهم مسلمون، وينفون بقوة أنهم يمتون إلى الإلحاد بصلة. يا مرحبا! ولئن كان الخلاف على فهم الإسلام والاشتراكية هو العائق قبل الآن عن لقاء المسلمين وتعاونهم، فما يستحقه منا كل من يرضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا هو الجلوس للتفاهم وليس العنف. الآن ينتصر الإسلام. فوجه الإسلام جذاب، ومرحبا بكل تائب!

ديننا يأمر بحقن الدماء، ويجعل سفكها بغير حق من الموبقات، ويتوعد بالخلود في النار من قتل مؤمنا متعمدا، ويغلظ النكير على قتل المعاهد، وعلى الانتحار، وعلى المشاركة في قتل المسلمين والرضى به، وعلى المشاركة في

الظلم والتعذيب، وعلى جلد المسلمين، وعلى قتل من قال لا إله إلا الله. ويأمر ديننا بالشدة على من يوقد نعرات العصبية، ويسعى في الأرض فسادا، ويأمر بتوفير كرامة السجين وعدم إذايته، وينهى عن ضرب الوجه في الحدود احتراما لإنسانية المحدود. ويأمر بستر عورات المسلمين وعثراتهم، وبدرء الحدود بالشبهات حقنا للدماء. ويحبب إلينا أن نعفو عمن ظلمنا.

كل هذه الأوامر يجب أن تكون أخلاقا فردية وشعورا وعقيدة. كما يجب أن تترجم قانونا يطبق تحت ظل الإسلام.

الكف عن دماء المسلمين بكل وسيلة أثناء الفتن دين ندين لله به. روى ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «دخلت على عثمان يوم الدار (يوم حاصره البغاة ليقتلوه). فقلت: يا أمير المؤمنين: طاب المضرب! (لغة في الضرب). فقال: يا أبا هريرة! أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي؟! قلت: لا! قال: فوالله إنك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا! فرجعت ولم أقاتل».

هذا كله خوفا من الوعيد الشديد الوارد في الحديث الصحيح الذي رواه الأئمة أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما عن أبي بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار! قيل يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه**».

يجب أن يكون الورع في الدماء خصلة جماعية يوم يكون الحكم لله ولرسوله وللمؤمنين. وهو لله وحده قضاء وقدرا. نسأله أن يجنبنا المزالق.

الشعبة الرابعة والستون: حفظ اللسان والأسرار

يطرح السؤال بإلحاح: هل يكون عملنا سرا أو جهرا؟ خاصة تحت وطأة الاضطهاد. وفي الإسلام فسحة لتشكيل أسلوب العمل تتراوح بين الرخصة لمن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان أن يقول كلمة يتقي بها بطش العدو، وبين الموقف

النبوي موقف المدافعة، والصبر على الأذى، والإنذار الشديد. ولكل جماعة قطرية أن تقدر الأسلوب المطلوب في الظرف المناسب للمرحلة وطبيعة العمل.

وفي كل الحالات لا بد أن يكون لجند الله أسرار تصان صيانة تامة. وتحت الحكم الإسلامي يؤخذ عهد خاص على من يتولى الأمور العامة أن يصون أسرار المسلمين، فنحن في مواجهة، وأرضنا محتلة، والعدو متسرب إلى مجتمعاتنا تسربا منكرا.

يربى جند الله، ويربى الشعب، على النفور من النميمة، والغيبة، والبهتان، والزور، نفورهم من أكل الميتة. ويربون على صيانة أعراض المسلمين، وعلى الدفاع عنها، وعلى نبذ عادات السباب واللعن والفحش، وعلى التعفف عن استعمال الكلمات الجارحة حتى في حق الحيوان، وعلى عدم التناجي بين اثنين دون الجليس. وعلى حفظ أسرار من استشارك أو اطلعت على عورة له لا تمس مصلحة المسلمين. وينهى الشرع الشريف عن التجسس على المسلمين. وهذا لا ينافي استطلاع أحوال العدو في كل مراحل الجهاد، خاصة بعد قيام الدولة الإسلامية، ليعرف المسلمون ما يحاك ضدهم. وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عيون على العدو، وأسلوب لطيف في كشف أمورهم، وتعمية أمور المسلمين عنهم.

الشعبة الخامسة والستون: الصمت والتفكر

روى الشيخان والنسائي عن أبي موسى قال: يا رسول الله! أي المسلمين أفضل؟ قال: «**من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

امتلاك المؤمن لسانه من أهم الدلائل على ضبطه نفسه. فلا تجد الثرثار إلا عنصرا منحلا، عاجزا عن الصبر في المهمات. وفضيلة الصمت لا تنفك عن فضيلة التفكر. الثرثرة سطحية والصمت عمق. الإسراع إلى الكلام خفة، والتفكر وتقليب الرأي رزانة.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، وأمر به. وحذر المسلمين من حصائد الألسنة التي تكب الناس على مناخرهم في النار. وهذا يضع لنا أدبا للحد من لغط المجالس، والتنازع على الظهور في ميدان الخطب والصخب. زلة اللسان خطيئة، والصمت أول العبادة كما جاء في الحديث، لا سيما إن كان مع الصمت ذكر الله، وتدبير الرأي في أمور المسلمين وإنضاجه.

عادة الصمت والتفكر تتيح للمؤمن أن يشارك مشاركة نافعة في مجالس الشورى، يسمع ولا يستأثر بالكلمة والرأي، وتتيح له بعث حياة القلب بمناجاة الله عز وجل في باطنه، ومحاسبة نفسه، وتوجيه نظرها إلى الآخرة.

روى الإمام مالك وابن سعد وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما، وخرجت معه حتى دخل حائطا، فسمعته يقول، وبيني وبينه الجدار وهو في جوف الحائط: «أمير المؤمنين! والله لتتقين الله، أو ليعذبنك الله!».

الشعبة السادسة والستون: الصبر وتحمل الأذى

الطباع الضيقة لا تتسع للهمة العلية ولا لجلائل الأعمال. وإنما تكون الرجال رجالا بسعة الصدر والحيلة، وارتفاع النظرة، وسمو الفكرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد: «**ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**».

وأول الصبر القدرة على كظم الغيظ، وطرد الشيطان حين ينفخ في مناخير المرء يستحثه على الغضب للنفس. أما الغضب لله فهو المطلوب. ثم الصبر على البلايا والأقدار، والرضى التام بها مع اتخاذ الأسباب، وتجنب التعرض للآفات والتهاون في الحذر، ثم الصبر على موت الأولاد والأقارب والإخوة. والمؤمن يسأل الله العافية على كل حال، لكنه لا يطلب الهينة اللينة: الاستخذاء والكسل.

الشعبة السابعة والستون: الرفق والأناة والحلم ورحمة الخلق

روى الشيخان عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**». سواء أمرنا الخاص والأمر العام للمسلمين.

وفي رواية لمسلم: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه**» وفي رواية أخرى له: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**». وفي الحديث الأخير تقابل بين الرفق والعنف.

أمرنا في الدين بالتيسير والتبشير، فهذا رفق يقابله عنف فقيه يكفر المسلمين، وداع لا يفتح أبواب التوبة، ومشتاق لحكم الإسلام يتصوره ويصوره وجها حانقا، وسيفا مصلتا، وقلوبا لا ترحم.

يكون من صلب التربية والتعليم النظر في أمثلة حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأناته، وصبره، وتحمله، وشفقته على الخلق، ليكون ذلك لنا نموذجا يحتذى. فإننا لن نسع الناس، ولن ينفتح لنا الناس، إن تقدمنا إليهم بالوجه العابس والتشديد والتعسير. وفي السيرة المطهرة أمثلة رفيعة لرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الناس دينهم، وتدرجه بهم، وحلمه على ذوي الطباع الخشنة وقليلي الفقه. إن حلمه صلى الله عليه وسلم ورفقه حتى بالمنافقين يعطينا نموذج السلوك في فترة الانتقال حين يتعين علينا أن نحبب الإسلام لأقوام ألفوا التحرر من كل ضابط خلقي.

نزلت الشريعة الإسلامية بتدرج، وخرج المسلمون من جاهلية لإسلام بتدرج، وتميزوا عن المجتمع الجاهلي بتدرج، وبعد الهجرة أقاموا مجتمعا ودولة إسلاميين بتدرج، وحتى قطع حبال الجاهلية حصل بتدرج. انظر كيف احتفظ المسلمون، ومنهم عمر، بأزواجهم المشركات حتى صلح الحديبية حين نزل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.[1]

(1) سورة الممتحنة، 10.

رفق، حلم، أناة.

شريعة الله نزلت، ديننا كمل، نعمة الله علينا تمت والحمد لله، فلا نقول، مثل ما يقوله بعض أدعياء الإسلام من أننا في المرحلة المكية لا يجب علينا صلاة ولا صيام. لا ولسنا والحمد لله ممن يترخص في فرض ولا سنة ولا فضيلة من فضائل الإسلام وفرائضه وسننه. إنما نقصد أن سيادة السلوك الإيماني على المجتمع في كل مستوياته لن يتم ضربة لازب. ليس التحويل الإسلامي مسرحا يرفع معه ديكور ليوضع ديكور، ويخرج المجرمون ليدخل الأتقياء البررة.

كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا مؤيدا معصوما، وكانت مزايلة الجاهلية وهي ظلام بين، والخروج إلى الإسلام وهو نور ساطع، بنزول الوحي وحضور المصطفى القائم بالقسط، أمرا فاصلا له حدود واضحة. أما التجديد من فتنة وهي غبش معتم غامض، إلى إسلام يختلف الناس في فهمه، ويتفاوتون في إدراك ما يعنيه بالنسبة للفرد والمجتمع والسياسة والاقتصاد والحياة اليومية، فأمر شاق يطلب رفقا وتدرجا، إن آثرنا البناء على الكسر، والسير الثابت على القفز، لا سيما وقد انقطع الوحي، وانتفت العصمة، وعظم الخطب من كل جانب.

على أن جند الله ينبغي أن يمثلوا الكتاب والسنة، إن لم يكن سلوكا مكتملا فتطلعا. ينبغي أن يذكروا الأمة بحياة الصحابة، إن لم يكن كليا فمحاذاة.

الشعبة الثامنة والستون: التواضع

ذم الله المستكبرين، ووصف لنا مصيرهم في جهنم، وإفسادهم في الأرض، ومعاداتهم لأولياء الله من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

كان لكل قرية مترفوها الفاسقون دعاة الباطل. أما اليوم وقد أصبح العالم بمثابة قرية واحدة، فقد توحدت طبقة المستكبرين، ووحدت خطتها لحرب دعوات تحرير الإنسان وتكريمه، وإنصاف المحروم، ونصرة المظلوم.

والتحليل الماركسي المبني على جدلية الصراع الطبقي، المتحرك في نظرهم حسب تطور نظام الإنتاج، لا يعطي النظرة الشمولية لقضية الاستكبار في الأرض، لأنه لا يأخذ بعين الاعتبار إلا الجانب المادي لحياة المجتمعات البشرية، ولا يهتدي لعامل الأخلاق والدين ولقاء المصالح الطبقية المادية بكل ما ينسي الإنسان كرامته الفطرية، وحقه الإلهي في الحرية والعدل والأمن، ويحرمه منها.

لا حاجة لنا في نبش الإديولوجيات وقد ماتت وأقبرت وفات عصرها. لكن نلح إلحاحا أن يكون من ضمن تربية جند الله توسيع النظرة إلى حركة العالم التاريخية، وبعث الهمة إلى رفع الإسلام في مستواه الحق، هو مستوى الرسالة الشاملة الخالدة للإنسان من ربه عز وجل بواسطة رسوله صلى الله عليه وسلم. ليفهم جند الله أنهم محررو الإنسانية المستضعفة من الاستكبار وأعوانه ومصائبه، سواء منها الاقتصادية والسياسية والثقافية والتكفيرية، والتفقير وسيلة ونتيجة للتكفير.

فمع الإسلام التواضع والعدل، ومع الكفر الاستكبار والظلم، بالإسلام وحده يمكن القضاء على الأنانية المستكبرة التي صنعت النظام الرأسمالي الكئيب. بالإيمان بالله وتزكية النفس بذكر الله يمكن أن تحارب الأنانية وتتهذب وتستسلم لحكم الله، لا بالنظام الاشتراكي الشيوعي الذي يحلم بذهاب الأنانية المستكبرة المستأثرة المستغلة من الإنسان نتيجة تغيير الهياكل، وإخضاع الاقتصاد لتوجيه الدولة.

لنكون على مستوى الإسلام يجب أن يتحلى جند الله بفضيلة التواضع. قد يجد الوارد مشقة كبيرة للنزول من علياء ماضيه المزيفة إلى أرض الأخوة الإيمانية. وقد يجد جند الله جماعة صعوبة للاندماج في الشعب المستضعف، المحروم، الساكن في الأعشاش، والفقر، والجهل، والمرض. هناك وهنا يتعين الرفق ريثما يصل جند الله إلى الحكم فيعملوا على تذويب الفوارق، ليرتفع الشعب إلى درجة كريمة، وينزل المستكبرون من بهرج الترف والتبذير، واحتقار المسلمين والتسلط عليهم.

يحارب في صف جند الله خلق الكبر والعجب، وبقايا الاعتزاز بغير الإسلام. على أن التصنع، أي افتعال خلق التواضع، نفاق إن لم يدخل في محاولة صادقة لتهذيب النفس الغليظة. وبذكر الله تطمئن هذه القلوب. ومعنى الطمأنينة النزول من الكبرياء فالأرض المطمئنة لغة هي الأرض المستوية السهلة.

فكل من تشم منه رائحة الاستكبار بوجه من الوجوه فليس بعد منا. نجعل ذلك ناقضا لأهلية العضوية في الجماعة. وبعد القومة نجعله ناقضا لأهلية تولي أمور المسلمين.

ليس من التكبر والاستكبار احتفاظ الوارد ببيت وفراش وحاجيات. وإن كان كثير من المسلمين لا يتوفر على مثل ذلك، فلا ننتظر أن يقوم ضحايا التفقير والتجهيل والمرض بمثل ما يندب إليه جند الله من مهمات. ولا بد للجندي من غذاء وكساء وسكن وسلاح ووسائل.

نعم، التبذير والاستمرار في عادات الترف، أو ظهور ذلك على الوارد، أمارات النفاق. نطلب إلى الوارد أن يلزم حد الحاجيات، ويبذل، وينزل من عاداته وأنانيته. بتكريم لا بإهانة. بترغيب لا بقسر. بتذكير بأن وجه الله لا ينال إلا بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. وهم عامة المؤمنين في مجالسهم، وحياتهم اليومية، وسرايا جهادهم وسياحتهم، في قراهم ومدنهم، في مساجدهم وبيوتهم.

رفع مستوى معيشة المسلمين يجب أن يقترن بدمج الطبقات الاجتماعية المخلفة عن الفتنة، بتذويب الشحوم المرضية ليصرف على علاج المرضى المجهلين المفقرين.

الخصلة التاسعة
الاقتصاد

الاقتصاد تربية

من شعبة التواضع، ورفع مستوى معيشة الشعب، وتذويب الفوارق ومحاربة عواملها، ندخل إلى خصلة الاقتصاد.

قال الراغب الأصفهاني: «القصد استقامة الطريق، يقال قصدت قصده أي نحوت نحوه، ومنه الاقتصاد» وقال: «وأقصد السهم أصاب».

الاقتصاد الوارد في الحديث النبوي وفي القرآن يعني التوسط المحمود بين طرفي الإفراط والتفريط، كالتوسط في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾.[1] بيد أن هذا التوسط المحمود لا يعني قبول أنصاف الحلول في الجهاد لبلوغ القصد وهو رضى الله والشهادة في سبيله، ولا يعني الالتواء، بل يعني التماس الهدف والغاية من أقرب طريق وبالوسائل الأقرب مباشرة.

قعود ومثالية:

استعرضنا في الخصلة الثامنة (التؤدة) شعب الإيمان الحاثة على ضبط النفس والتريث والصبر. وينبغي ألا تتحول فضائل الرزانة في العمل، والتأني في التدبير، إلى قعود واستكانة، وتبرير للجمود بأنه تريث وحكمة. فهذه الخصلة التاسعة تقيم الوزن، وتلفت إلى القصد ليعلم المؤمن وجماعة المؤمنين بالتذكير بالله وفريضة الجهاد في سبيله أن المؤمن وجماعة المؤمنين ركب قاصدون إلى غاية، ما تنبغي لهم الراحة الموهنة، وما خلقوا لها.

---

(1) سورة الإسراء، 29.

والذي نشكو منه في غثائيتنا ونكستنا الحضارية وانخناسنا عن واجب الجهاد ليس التأني الحازم والاقتصاد بين طرفين مذمومين، بل التطرف في الركود والقعود أو في الحركية الرعناء. قوم ألفوا راحة العافية الخانعة (وهي بلاء لا عافية) يعيشون في خمول الهزيمة، وقوم مثاليون إما تدفعهم مثاليتهم للاستعجال فيقفزون قفزات تؤول إلى الفشل والنكسة، إلى خيبة الأمل والريبة في الله والناس، وإما تنطوي مثاليتهم على نفسها، يعيشون مع ماضي الإسلام المجيد، دون أن يكون ذلك النموذج حافزا للهمم ومادة حياة.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**» والله أعلم أذكر الثالث أم لا. قال: «**ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا**».

سمانة تثقل وتقعد عن الجهاد، وخفة وطيش ومسارعة للكلام! توسع في المأكل والمشرب تعوق عن السير إلى الله بالسير إلى الجهاد وتحمل الأعباء. وخفة المتسرع ليشهد قبل أن يدعى لذلك لا يستقيم معها سير ولا يبلغ بها قصد.

بين الفقر والترف:

نشأت العصبة المحمدية الأولى على الكفاف والمواساة. كان الطريق إلى الله معبدا، ولم يكن عائق الفقر بالعقبة التي لا يسهل اقتحامها لتأصل جهاد الإنفاق في سبيل الله والإيثار والأخوة في النفوس. ولم يكن إغراء زينة الدنيا بالقوي لغياب وسائلها، وخاصة لقوة العزائم ورفعة الهمم. كان اقتحام العقبات الخارجية شاقا: زيال الشرك، الهجرة، النصرة، النفقة، القتال، الموت، المرابطة المستمرة. لكن العوائق النفسية كانت قد مسحت، فطابت النيات وزكت القلوب. لا تحاسد، ولا تنافس، ولا خلة تهدد بالفقر المميت، ولا تفاوت في مستوى المعيشة يؤجج الأحقاد.

في مجتمعاتنا المفتونة تتزاحم المغريات والمثبطات. الحضارة المادية صنعت صنيعها، وغزت العقول والنفوس والأسواق، وقتلت روح الأخوة، وفصلت

الأمة طبقات. إسراف وتبذير من جانب، وفقر وجهل ومرض من جانب آخر. فكيف تستطيع أمة قواعدها الشعبية مجمدة بمثبطات الجهل والفقر والمرض، أن تحدد هدفا عاما، أو تستطيع التحرك نحو تحقيقه؟ أم كيف تستطيع ذلك والمحرومون يسري بينهم روح الحقد الطبقي، ينفخه اليساريون (من يسار الجاهلية)؟ ولولا مقاومة العقيدة الإسلامية في الشعب لدعوة الإلحاد الكامنة تحت المطالبات اليسارية لعمت المطالبة بالعدل على أسلوب الصراع الطبقي، ولغطت الإيمان وأغرقته.

فطن دعاة اليسار إلى خطأهم حين كانوا يعلنون عن نواياهم في إقامة الدولة العلمانية، فنراهم اليوم يدعون بحماس وقوة إلى «الإسلام الثوري» ليربحوا الرأي العام.

ماذا يقول الإسلاميون في الموضوع؟ أم ماذا يخططون ويحققون أثناء الإعداد والحكم؟

لا يكفي أن نؤكد أن الإسلام هو العدل، وهو الحضارة، بل لا بد أن نشرح أن بين الطرفين الذميمين في حياتنا، طرفي الفقر والترف، تتمثل الجادة، يتمثل الصراط المستقيم اجتماعيا واقتصاديا، المؤدي بالأمة إلى أهدافها، وبالفرد إلى غايته. ولا بد أن نخطط للقضاء على ما يخالف الاقتصاد، بالمعنى القرآني، بإقامة اقتصاد، بمعنى العصر، عادل قوي.

نجد في الأثر المنسوب إلى الإمام علي كرم الله وجهه: «كاد الفقر أن يكون كفرا». وقد رواه في الحلية مرفوعا.

هذا هو الطرف الأول المذموم.

أما الطرف الثاني فنجده في حديث الشيخين أن رسول الله صلى عليه وسلم حين قدم أبو عبيدة بمال من البحرين قال لأصحابه: «**فأبشروا وأملوا ما يسركم! فوالله ما الفقر أخشى عليكم! ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت**

على من كان قبلكم، فتنافسوها (أي فتتنافسوها) **كما تنافسوها** (فعل ماض)، **وتهلككم كما أهلكتهم**».

الهلكة هي ما نحن فيه من انبساط الدنيا واستئثار سفهاء الأمة بأرزاقها، ونشوء طبقة من السفهاء عبر الأقطار الفتنوية، تلعب بالمال والسلطان، وسواد الأمة في الفقر الكافر.

نرجع إلى الراغب الأصفهاني، قال رحمه الله: «والاقتصاد على ضربين(...) حتى قال: يكنى به عما يتردد بين محمود ومذموم، كالواقع بين العدل والجور».

لا نريد أن نقلد المنطق الجدلي من حيث تبناه اليسار الجاهلي. ولا نريد أن نخوض في الفكر السطحي الذي يقسم الإسلاميين إلى يسار ويمين. ولا نريد أن نعتمد على علمائنا كالراغب لنؤسس جدلية إسلامية.

لكن الإلحاح على أن التناقض بين الفقر والترف، بين المترفين والرعية المحرومة، بين الملإ المتجبر والدعاة المضطهدين، بين المستكبرين والمستضعفين واقع ثابت في عالم الله، وفي كتاب الله الموحى به، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

وما دمنا لا نفهم هذا بالوضوح الكافي، ولا نلح عليه في خطابنا الإلحاح الكافي، ونتعفف عنه مخافة أن يتهمونا باليسارية وتقليد الجدلية، أو نضمر (هذه أدهى وأمر) مهادنة الرأسمالية والاستغلال والإثراء الحرام، فإن الإسلام الذي ندعو إليه سيبقى غامضا في أعين الشعب. وبذلك يغلبنا في الساحة من يخاطب الناس بلغة الخبز، والأجر، والإنصاف، حين نخطب نحن بالإيمان المجرد الذي يصوره أعداؤنا غيبية ومثالية، وتعصبا دينيا، وخنوعا تحت الأقدار، وحرمانا للمرأة، وخدمة للطاغوت.

الفقر أخو الكفر، والبطون الجائعة، والأجسام المريضة، والعقول الخاوية، لن تسمع أي نداء قبلا من نداء العدل.

«ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم».

السير إلى الله:

كان السير القاصد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين منسجما. المؤمن يبغي الجنة ورضى ربه ووجهه، فيجد من يصبر معهم، ومن يساعدونه على زاد السفر، ومن يصحبونه إلى الله، في الحياة اليومية بتيسير الطعام والحاجيات وتبادل المصالح، وفي ساحة الجهاد بالتراص أمام العدو، والتحريض المتبادل على الوفاء لله بالعهد.

ثم بسطت الدنيا، وتوسعت دار الإسلام، ونزل على الأمة بلاء الملك العاض ثم الجبري، وبلاء العصبيات، وبلاء الطبقية. فانعزل العباد والصالحون عن المجتمع، فرادى وفئات، كل يلتمس الطريق إلى الله خارج دوائر الفتنة.

وهي طريق تهوي إليها أفئدة المثاليين من هذه الأجيال الشابة المؤمنة التي بارك الله زماننا بها. شباب يكفرون المسلمين، ظاهرة تجسد روغان الضعفاء نفسيا عن خوض غمار الفتنة لإنقاذ الأمة، السطحيين معرفة، العاجزين عن فهم ما يراد من المؤمن القوي من جهاد داخل الأسوار، العنيفين طبعا، المائلين لتطرف يجمع بين الهروب عن مواجهة الواقع، وبين الجرأة على تكفير المسلمين والفتك بهم. انتقال بين طرفي النقيض لا يمكن معه الاقتصاد المطلوب.

إنها عاطفية عقيمة تزين لبعضنا أن يسلي نفسه باجترار البلاء النازل بالأمة في عزلة من يتمنى أن تكنس قاذورات البيت دون أن يستعد لخدمة الكنس التي تعرضك أن يصيبك من غبارها ونجاساتها.

إنه واقع كثيف ثخين. الطريق وسطه شقا واقتحاما. وطبيعة المعركة أنها صراع بين متناقضات. وأهمها تناقض الفقر والترف، تناقض الظلم المهين.

الاقتصاد تنظيما

القاعدة المادية:

إن العوامل الاقتصادية التي يؤكد على أهميتها في تاريخ البشر أصحاب التحليل المادي ذات مكانة خطيرة فعلا. ومن يدعو لإيمان مجرد، وجهاد لا يجعل من مقدماته وشروطه إعداد القوة المادية، إنما يسيء إلى الدعوة، ثم لن ينال من أمره غاية لإعراضه عن نواميس الله في الكون. قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾،[1] هاتان الكلمتان «رباط الخيل» تضعاننا أمام المشكل المادي الاقتصادي. الكلمتان تفيدان إنتاج الخيل ورباطها: زراعة، علف، تربية مواش، سلاح، تنظيم لكل ذلك.

إن كان الماديون من رأسماليين واشتراكيين شيوعيين يعتبرون القاعدة الاقتصادية للكيان البشري الاجتماعي هي المبدأ والغاية، فإن الله عز وجل لفت نظرنا إلى الأسباب المادية لنتخذ منها وسائل لغايتنا الإحسانية، وأهدافنا الإيمانية لنتجاوز هَمَّ المادة وضروراتها، ونتخذها مصعدا لنرقى إلى تحقيق كرامتنا.

قال الله عز وجل يخاطب الإنسان: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.[2] جوع وطعام، ونداء للإنسان أن يرتقي من حضيض أنانيته بالعطاء ورحمة المقهور. وهو ضمنيا واستنباطا نداء للأمة المسلمة أن تقتحم عقبة الاقتصاد ليؤتى حقه كل ذي حق، وليسود الرخاء فتسود معه الأخوة والإيمان. ولئن كان الفقر شقيق الكفر وبئس ضجيع الفرد، فإنه لكذلك في حق أمة تئن تحت وطأة الحاجة المادية، والتخلف الحضاري، والضعف الناتج عنهما.

(1) سورة الأنفال، 60.
(2) سورة البلد، 11-16.

كيف نشق طريقنا:

مسيرتنا الاقتصادية واتخاذنا الوسائل المادية لجهاد الدعوة في مرحلة التربية والتنظيم والزحف. ثم لجهاد البناء والقوة في مرحلة الحكم، لا تنفك عن مسيرتنا العامة. بل هذه لا معنى لها ولا إمكان بدون تلك، كما أن الإنسان لا وجود له ولا يتصور إلا بوجود جسمه. وعلى قوة جسمه تتوقف قدرته على التحرك والتأثير والسعي والانتصار.

لن نستطيع قبل قيام الدولة الإسلامية أن نغير من أشكال ومبادئ وأهداف الاقتصاد الفتنوي. فنحاول أن نجمع من أموال المؤمنين مادة الجهاد، ونستثمر، ونجتهد أن نبقى مستقلين، لا نمد اليد لمتصدق ليس منا، فنفقد حريتنا ونحيد عن وجهتنا.

ونركز إعدادا لقوة الغد على تهييء برامجنا لتطوير الاقتصاد الإسلامي، ومحاربة التخلف، وحل معضلات التنمية. البرامج تعني رصد الأحداث، ومعرفة دخائل الاقتصاد العالمي، وحركيته، وأزمته، وآليات الاستغلال الجهنمي الذي تذهب أموالنا وخيراتنا ومروءتنا ضحيته. ثم إعداد البديل على صورة تخطيط مدروس، وإعداد جند الله في الاقتصاد من خبرائنا، وعلمائنا، وإحصائيينا المقتنعين بالخطة الإسلامية، الراغبين في اعتمادها، القادرين على إنجاح التجربة.

تأخر المسلمون عن الركب الحضاري ماديا وعلميا وخلقيا. ولئن كانت بشائر التجدد الإسلامي تؤذن بتقدمها الآتي بإذن الله، المعاصر لتدهور الحضارة الغبية المتآكلة من أخلاقها وثقتها بنفسها، وهما مقدمتان للانهيار، فإن المستقبل على ما يبدو للناظر مليء بالتحديات الخطيرة.

كيف نشق طريقنا مع المشاكل السياسية التي اتخذت صبغة عالمية بصراع العملاقين الجاهليين؟ مشاكل الفقر والجهل والمرض أيضا عالمية، لنا منها النصيب الأوفر مع شعوب العالم المستضعف. الصراع العالمي يدور حول

الأرض ذات القيمة الاستراتيجية، ودار الإسلام، بتوسطها وحزامها حول الكرة، ذات أهمية قصوى. ويدور حول خيرات الأرض، وخيراتنا وإمكانياتنا -خاصة النفط وأمواله- محط الأطماع، ومعدن الفتنة، ووسيلة البقاء إن أحسنا استعماله، وقدرنا على استعماله، في القتال المصيري بين قوى العالم.

عالمية المشاكل ترفع فهمنا، ويجب أن ترفع، إلى مستوى إدراك أن الصراع كوني بين الحق والباطل، بين مستكبري العالم ومستضعفيه. يتزاحم الجاهليون في مخاطبتهم ودًّا أن يوهموا صف المستضعفين أن الأمر صراع بين شرق الجاهلية وغربها، دفاعا عن الحرية من هذا الجانب، ودفاعا عن المحرومين من ذاك، يوهمون أن العالم شرق ضد غرب، وشمال يريد الحوار مع جنوب. وفي أسواق السياسة، والاقتصاد، والسلام، والدبلوماسية، والحرب، والانقلابات، والأحلاف، والاضطرابات، تطحن رحى الجاهلية الشعوب المستضعفة شيئا فشيئا. تدفع الجاهلية المستكبرة الشعوب المستضعفة إلى الإفلاس المالي، والعجز الاقتصادي، فندفع نحن ثمن إفلاسهم الحضاري، وفساد آلتهم الجهنمية التي تتصرف سيدة في قيم الأرض المادية والمعنوية. ندفعه من أرضنا التي احتلت في فلسطين وأفغانستان وغيرهما. ندفعه من أموالنا في ديون المراباة اليهودية، ندفعه من سيادتنا ودمنا لنحصل طعام قوتنا وبضائع تهتك سفهائنا، وعلى سلاح نستعمله في حرب بعضنا نيابة عن السيد الجاهلي. ندفعه من أبنائنا الذين أغراهم النموذج الجاهلي، وصرع عقولهم ونفوسهم الغزو الحضاري، فهم في الداخل عقيمون لا ينتجون، وخيرتهم من علمائنا واختصاصيينا وعباقرتنا يلجأون إلى دار الكفر فيما يسمى «هجرة الأدمغة» لما لم يجدوا في بلادهم اعترافا بالكفاءة وقدرة على استعمالها.

في مستوى عالمية الصراع نحن، وينبغي أن نخطط أوسع من القطرية الموروثة، فإننا في حدود أقطار الفتنة لن نستطيع شق الطريق إلى البقاء، وفي ميدان الاقتصاد وتهييء المستقبل الإسلامي لا مناص لنا من التعامل مع الدول العربية والإسلامية مهما كان نظامها الحالي. فأموال المسلمين حق مشاع لهم جميعا عبر أقطار

التجزئة التي لا يعترف الإسلام بها. واستخلاص هذه الأموال من الأيدي العابثة، والأبناك الصهيونية، لاستثمارها فيما ينفع المسلمين واجب وضرورة، ريثما تتحرر دار الإسلام، وتستطيع الضرب على يد السفهاء الذين يلعبون بالأموال التي جعلها الله لنا قيما.

مسؤولياتنا:

تتضخم الأزمة العالمية وتتفاقم الأحوال في بلاد المسلمين. بعضها يرفل في الحرير، بل يرقص ويفجر على وتيرة لندن، وبعضها ينخر فيه البؤس الأسود.

تتضخم أعداد المواليد المباركة إن شاء الله في بلادنا، فتنشأ أعدادا مهجورة لا تقدر أنظمة الجبر على إطعامها، وتعليمها، وتربيتها، وتشغيلها، فتسبب ضغطا يسرع بالأنظمة الفاشلة إلى الهاوية. نحن المسؤولون عنها غدا تحت ظل الدولة الإسلامية، وفي سياق واقع عالمي ثلث سكانه يعانون جوعا، ويحتكر الغرب مادة إطعامهم، ويساوم بالطعام، ويرهب بالحصار الغذائي ليكسب مغانم سياسية واقتصادية.

مسؤوليتنا أن نستعمل استعمالا رشيدا العامل البشري المتوفر كما، والعامل المالي السيء التوزيع، المتسرب إلى أبناك صهيون يغذي اقتصادهم، وعامل المادة الخام المتنوعة تنوعا لا بأس به في ديارنا، وعامل الأرض الصالحة للفلاحة وهي كثيرة والحمد لله. باركنا الله.

مسؤوليتنا أن ندخل روحا جديدة في هذه الأجيال التي تكون تحت الفساد الجبري عبئا لا يطاق، لأنها تمثل في نفسيتها، وذهنيتها، وموقفها أمام الحياة، الفشل والانهزام ومسخ الشخصية. ما أصاب النفسية الإنسانية من خراب معنوي شامل بتخريب الجاهلية يتجسد في أجيالنا الضحية. أجيال تولد كالأرانب في حظائر البؤس الاجتماعي، وتعطاها أسماء وأرقام في مدارس التجهيل وشوارع الفتنة، وتعرض للقنبلة الإعلامية، والإغراء الانحلالي، ثم تدفع إلى الشارع.

لا تخطيط يهيئ الإنسان لمهمات الخبرة، ولا تربية تنشئه على معاني الإيمان، ولا تنظيم اقتصاديا يضعه على عتبة المسؤولية الإنتاجية والكرامة الاجتماعية.

مسؤوليتنا أن يصبح الشباب دواء لمشكلة الشباب.

أن ينقدهم الإسلام فينقدوا الأمة. نصر الله الإسلام، وحفظ القرآن، وقطع دابر المجرمين.

أن ينصفهم الإسلام فينتصفوا من عدو الأمة.

أن يجندهم الإسلام فيجاهدوا في سبيل الله.

مسؤوليتنا عن العامل المالي أن نلتمس له طريقا من كل القنوات المتاحة، وبالرفق المطلوب، ليعود إلى شرايين اقتصاد الأمة، يجري فيها فيغذيها راجعا من أبناك عدونا. ولا بد أن تتعامل الدولة الإسلامية المجددة مع حكومات الجبر الباقية في ديار المسلمين في لحظات تدعو لسعة الحيلة أكثر مما تدعو للتشنج.

مسؤوليتنا عن مادتنا الخام أن نتظافر مع مستضعفي الأرض لنساوم المستكبرين على عدل عالمي.

مسؤوليتنا عن الأرض أن نوليها العناية الأولى لنحدث إصلاحا فلاحيا يكفل لنا الاستقلال الغذائي، وهو الشرط الضروري لبقائنا وحريتنا.

مسؤوليتنا أن نجند الشباب لمعركة العلم، وأن نسترجع أدمغتنا من بلاد الجاهلية، ونحبك شبكة علمية نجمع فيها الخبرات المتاحة، لنبدأ عملية تأثيل التكنولوجيا في بلادنا، وتوطينها، وتغذيتها، وإشاعتها، وتصنيعها.

مسؤوليتنا أن نجد حلا، أن نخترعه اختراعا، لمشاكل التخلف الاقتصادي. فطالما جربنا، بل جرب على ظهر الأمة وعلى حساب حياتها، النموذجان الرأسمالي والاشتراكي، ولم يأت أحد منهما إلا بنتائج بعضها أشد فشلا من بعض. وما أفاد أن ننعت اشتراكياتنا نعوتا قومية وإقليمية. ما خصصت تلك النعوت إلا ما يمتاز به حكام الجبر فينا من طول اللسان وقصر الباع عما فيه خير الأمة.

لا القفز من فوق مراحل التنمية والتصنيع التي مرت بها شعوب أوروبا، ولا الثورية الاشتراكية المتخبطة، قادران على انتزاعنا من دائرة التخلف المغلقة. إنما نستطيع الخلاص والانطلاق يوم نحكم شريعة الله في كل أمرنا، فيكون القانون الإلهي المتحكم في الصلاة والسلوك الإيماني هو نفسه الموجه للاقتصاد وآليات التوزيع، وتبقى تقنيات الإنتاج، نستمد حكمتها من عالم الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

لن ننتزع من حلقة التخلف المفرغة، ودوامته التي تطيش بنا فتلتقمنا الأطماع العالمية، إلا بالتكتل الإسلامي المهيئ، بعد التحرر، والمهيئ للتحرر، وحدة إسلامية تؤهلنا لقيادة المستضعفين، وتقديم البديل عن الحضارة الآفلة المعانية لآلام الاحتضار العنيف: حضارة الاستكبار الغربي.

لن نخرج من تلك الدوامة لنصعد إلى سماء الكفاية والقوة، إلا حين تسري فينا روح الإيمان والبذل، روح التضحية والتشمير والجهاد. مستقبلنا مؤكد الانتصار تحت لواء الجهاد، فالنصر موعود الله لمن آمن وعمل صالحا.

قواعد إسلامية:

لم يواجه جيل من أجيال المسلمين تحديات في حجم وضرورة ما نواجه. احتلال الأرض كان هينا حين كانت الأسلحة متقاربة، ووسائل الإنتاج متشابهة، والعامل الحاسم هو قوة الحافز والعدد والتنظيم. أما الآن فأرضنا محتلة، ولا سلاح معنا مما ننتج ونملك التصرف فيه، ولا اقتصاد، ولا حافز ولا قدرة على التنظيم. أعداد غثائية ولا حافز ولا قدرة ولا قيادة. أعداد ولا سلاح، أعداد تهزمهم بقيادة الجبر شرذمة صهيون. في عقر دارنا التحدي وعلى رأس أمرنا. ومن حولنا وفي نفوسنا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

(1) سورة االأنفال، 53.

تحدي الأمن الغذائي، تحدي كفاية السلاح، تحدي الكفاءة الاقتصادية، تحدي النفط (هو شريان الحياة في الاقتصاد العالمي وهو لنا نهر تتسرب منه مروءتنا وقيمنا، ووثاقٌ يربطنا برباط العبودية لمستكبري العالم ومرابيه).

تحدي الفرقة والعداوة بين حكام الجبر. لعبة العالم تتقدم، ونحن الحجرة النكراء في الرقعة.

نحن الريشة السفيهة في مهب رياح التاريخ.

لا وزن، ولا رزانة، ولا تماسك.

صدقت يا سيدي يا أبا القاسم! **غثاء كغثاء السيل.** أعداد تخاف الموت وتحرص على الحياة، أي حياة.

وتغيير ما بأنفسنا تربية وتنظيما وزحفا هو وسيلة التغيير من غثاء لقوة. ومن جملة التربية والتنظيم والزحف التربية الاقتصادية، والتنظيم الاقتصادي، والزحف الاقتصادي.

وعلى قواعد الإسلام نبني هنا كما بنينا من قبل إن شاء الله.

أصول:

تربية المؤمن السائر إلى الله تعتبر أصولا ثلاثة في علاقته بالمال ومتاع الدنيا:

1- أن يملك الدنيا ولا تملكه.

2- أن يتسبب لكسب معاشه ومعاش عائلته حيث أقامه الله، ويجد لينفع بنشاطه الاقتصادي أمته.

3- أن يكسب من حل وينفق في حل، لا يحتكر ولا يبذر ولا يكنز.

هذه الأصول الثلاثة هي نفسها التي تعتبر في اقتصاد إسلامي يكون للأمة قيمة، ويكون لها به قيام، تحقيقا لقول الله عز وجل: **﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾**.[1] في قراءة ورش «قيما» وفي قراءة حفص «قياما».

(1) سورة النساء، 5.

مشاكل الملكية والإنتاج والتوزيع تطرح في الإسلام بهمٍّ مزدوج:

أ- همّ بلوغ الفرد إلى كماله الإنساني الروحي في نهاية رحلته في هذه الدار. ولا بد له في هذه الرحلة من زاد مادي، وسعي لكسبه، وتصرف حكيم في إنفاقه، لكيلا يصبح هم الزاد عائقا عن التقدم في الطريق إلى الله.

ب- هم قيام الأمة، واستقلالها الاقتصادي، وأمنها وقوتها.

حيازة المال:

فساد الفرد وفساد المجتمع ينشآن عن طغيان الأنانية الفردية وجشعها. ومن وراء الفلسفة اللبرالية والإديولوجية الاشتراكية -وهما يعالجان المشكل الاقتصادي في غياب تام عن عقدة العقد وهي الجشع الفردي- تستقر المباءة النفسية التي تنبثق عنها الأمراض الاجتماعية الاقتصادية السياسية، من ظلم، واحتكار، ولمّ، وتكاثر، وتفاخر، واستغلال، وتبذير، وطبقية، واستعباد للإنسان بجعله قنا للمالكين، وعبدا للآلة، وعجلة في ناعورة الإنتاج، وعنصرا مكملا لآلية الاستهلاك.

الرأسمالية وصفت بكل النعوت الرديئة التي تستحق، وبقيت تهمة أخرى لا يستطيع تبصرها وتوجيهها إليها إلا الإسلام، من منظور ما فعلته وتفعله بالإنسان، من تحويله إلى وسيلة وهو درة الكون، ومن تحريفه عن غايته الروحية الأخروية إلى أهداف الامتلاك الدنيوي والمتعة، ومن تضليله عن صراط الله وإغراقه في المادية.

ما زعمته المذاهب الاشتراكية ووعدت به من تحرير الإنسان من وباء الرأسمالية بقي أحلاما على صعيد الإنجاز الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى كون الاشتراكية لا تتجاوز دائرة المادية الدوابية، ولا تفكر في تجاوزها.

إذا كانت حيازة وسائل الإنتاج والاستبداد بها من طرف طبقة، هما وسيلتا الرأسمالية لاستغلال العامل، ونهب الثروات الاجتماعية، واستقطابها، فإن

نفس الاستغلال والنهب يتحقق لبيروقراطية الاشتراكيات. هنا وهناك، على خلاف الاستغلال والنهب يتحقق لبروقراطية الاشتراكيات. هنا وهناك على اختلاف الفلسفات، تمتد من أعماق النفس البشرية توجهات للامتلاك والاحتكار والاستغلال.

ما العلاج في نقل الملكية من الأفراد للدولة ما دام المتحكم في أجهزة الدولة هو المتحكم في الملكية العامة. وما دام الظلم والعدوان نابعين من أعماق النفس البشرية التي لا يكفي تغيير البنيات السياسية الاقتصادية لتطهيرها وضبطها.

النظام الاقتصادي الذي يستطيع أن يفك العقدة التملكية النفسية في الإنسان هو وحده يمكن أن يتجاوز الرأسمالية وأدواءها، والاشتراكيات، وهي الوجه الآخر للرأسمالية. وليس إلا الإسلام.

حيازة المال في الإسلام تصرف مؤقت. بهذا يخاطب الله الإنسان، وعلى مقتضاه يجب أن تعمل شريعة الله في التطبيقات الاقتصادية للأمة.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1] وقال عز من قائل: ﴿وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾[2] الآيات في هذا المعنى كثيرة، تضيف المال إلى الله، وتشير إلى أننا مستخلفون فيه لا غير.

ثم تشرح آيات أخرى تكليف المستخلِف (بكسر اللام) للمستخلَف (بفتحها) أن يراعي في تصرفه أحكاما ثابتة، وفي هذه الآيات تنسب الأموال إلينا. قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[3] فنسب اقتراف الأموال (أي حيازتها) إلينا، وساق ذكرها في وصف ظروفنا الاجتماعية،

(1) سورة الحديد، 7.
(2) سورة النور، 33.
(3) سورة التوبة، 24.

والبيتية، لينبهنا إلى ضرورة محبة الله تعالى أكثر من محبة غيره، ومن جملة ذلك الغير المال المكتسب.

فتح الله لعباده أبواب الامتلاك ليمتحنهم.

متى استقر هذا في نفسية الفرد، وأصبح له عقيدة، وتعلقت همته بالله فملك الدنيا ولم تملكه، استطاع اقتحام عقبة المال.

ومتى تمكن الإيمان بأن الأمر امتحان، وأصبح السلوك الاجتماعي تجاه الملكية والتصرف الاقتصادي فيها خاضعا للشريعة الإسلامية التي تساعد بوازع السلطان الحقيقة القرآنية ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[4] أمكن تجاوز الرأسمالية وأوبئتها، والاشتراكية ووعودها الكاذبة.

هناك استخلاف عام:

بمقتضاه جعل الله الأمة خليفة على الأموال. قال تعالى: ﴿وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ﴾[5] فنسبها إلينا جميعا. فأي سفيه في حجر كافله لا يستحق التصرف في مال ورثه. وأي سفيه بسفه تبذير أموال الأمة، وإن كان كبير السن عاقلا حاذقا بميزان القضاء العادي، له نصيب من الآية يجتهد علماء الأمة لاستنباط أحكام منها.

يتناول الاستخلاف العام أحوالا عامة كسفه المالك، بالمعنى الموسع للكلمة، وموت المالك لا وارث له، كما يتناول مواد معينة كالماء والكلإ والنار، كما يتناول حقوقا مفروضة كالزكاة والركاز، كما يتناول الأرض المفتوحة عنوة، لينقل الملكية من حيازة الأفراد إلى حيازة الجماعة.

فبهذا يفتح باب تحديد الملكية مراعاة للفائدة العامة، ومقتضيات تنظيم الإنتاج، وباب تأميم المصالح الكبرى، وباب التضامن والتكافل، وباب الإصلاح الزراعي مفتوحة.

---

(4) سورة التغابن، 15.

(5) سورة النساء، 5.

وهناك الاستخلاف الخاص:

الذي يثبت للأفراد حق الملكية ويحددها بضوابط شرعية. بحيث يحل الله البيع ويحرم الربا، ويأذن في الإرث ويحدده، ويندبنا للكسب الحلال، والكد على العيال، ونفع الناس. ويحرم علينا ثمن الخمر، وتجارتها، والقمار، وأكل أموال الناس بالباطل، والربا.

لا مجال للمقارنة بين النظام الإسلامي الشمولي، والاقتصاد جزء منه، وبين سائر الأنظمة البشرية. فعندهم تحكم الفلسفة والأفكار البشرية بلا حدود، فتكون النتيجة التردي في متاهات الجاهلية. وعندنا يحكم شرع الله. ولكل تصرفاتنا حدود معروفة، وأحكام منزلة. فهذا ضمان صيانتنا. أقول عندنا وأقصد مستقبل الخلافة على المنهاج النبوي المقبلة بإذن الله.

إذا كان تدخل الدولة لتوجيه الاقتصاد وتنظيم الملكية مزية مثلما تدعو الاشتراكيات، فإن الإسلام بأحكامه المفصلة في فقهنا الماضي لا بد أن تتوسع في فقه مستقبل لا يحتاج إلى حافز من وراء ذاته. أحكام الإسلام في الأموال صالحة لقيادة الاقتصاد وتطويره، لكي يشتق قوانينه لتوجيه الاقتصاد وتنظيم الملكية والإنتاج والتوزيع.

إذا كانت الرأسمالية الجاهلية تمتاز بقانونها الغابي، قانون الاقتصاد المسمى حرا، فإن فضائل الاقتصاد الإسلامي واضحة في المبادئ. وما نراه من ترد في أوضاعنا العامة والاقتصادية إنما مرده إلى أننا تحكمنا قوانين الرأسمالية ولا يحكمنا الإسلام.

هناك في اقتصاد الاشتراكيات، وهنا حيث تسود الرأسمالية، وفي كل بقاع الأرض حيث تتصارع المصالح، لا تجد رحمة ولا تجد إنسانية. نفس الجشع البشري ونفس استكبار وأثرة الأقوياء الأغنياء الحاكمين.

إن دين الإسلام دين الله. يخول المستضعفين الحافز النفسي، والقوة الاجتماعية السياسية لمناهضة المستكبرين المستبدين بملكية الأموال والأرض

والوسائل، ولإقامة العدل في الأرض. وما نراه من استشهاد المستكبرين بالقرآن ليبرروا الظلم والتسلط والترف، ما هو إلا تدجيل باسم الدين.

الإنتاج:

روى الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسلة فليغرسها**». الفسلة أو الفسيلة هي الغرسة من النخل. الحديث يحث على التسبب فيما ينفع الناس حتى لا يشغلنا عنه شاغل مهما عظم. والأحاديث النبوية في باب الحث على العمل اليدوي، والاحتراف، والتجارة المبرورة، والزراعة، كثيرة. وكلها تفصل أمر الله لنا سبحانه إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾،[1] وأمره عز وجل لنا بعمارة الأرض بما يخدم مقاصد الإسلام، حين سرد لنا القرى الكافرة التي عمرت الأرض عمران طغيان وزينة وتكاثر، فأعمتهم وفرة ما لديهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة عن طاعة الله، وإقامة العدل، وتصديق النبيين، وإنصاف المستضعفين. مشاكل الإنتاج، وهو قوام العمران الذي أمرنا به إذ هو قاعدته المادية، في بلاد التخلف الاقتصادي تكشف عن الضرورات الملحة التالية:

1- ألا يكون احترام الملكية الخاصة، وهي الأصل في الاقتصاد الإسلامي، مانعا من تعبئة كل طاقات الأمة لإنتاج الكفاية والقوة. بحيث لا يسمح للمالكين التصرف السفيه الذي ينافي المصلحة العامة، ولا يسمح بكنز الأموال، ولا بتعطيلها. ولا يسمح للمالكين بالعيش الطفيلي على مردود أموال منحاة عن الدورة الاقتصادية للأمة.

2- تحرير القوة العاملة من قبضة رأس المال، واعتبار العمل القيمة الأسبق في الاقتصاد.

3- تشجيع المبادرة الفردية بما لا يتنافى مع الخطة العامة لاقتصاد الأمة.

(1) سورة البقرة، 267.

4- تشجيع التعاون، وإنشاء شركات إسلامية صناعية، لإخراج الأموال من ميادين التملك العقاري والاستثمارات غير المنتجة.

5- تأميم القرض والمصارف، وتحويلهما إلى مؤسسات لا ربوية تنشط عملية الإنتاج.

6- تأميم وسائل الإنتاج الأساسية المتصلة بالمصالح العامة، توسيعا لمفهوم اشتراك الناس في الماء والكلإ والنار، وقياسا عليه.

7- وضع خطة تنموية بواسطتها تتدخل الدولة في توجيه عملية الإنتاج، وتشجيعه، وتنظيمه، دون أن يصبح التدخل عرقلة للمبادرات النافعة، ولا تعقيدا مكتبيا.

8- إتاحة فرص الشغل لكل قادر على العمل، باعتماد التقنيات والأساليب التي تشغل الناس أكثر مما تشغل الآلات الميكانيكية. هذا في حدود ضرورات التصنيع. فإنه لا يمكن الإنتاج الثقيل، والفني، والسلاحي، إلا بصناعة تقنية ممكننة. وعلينا السعي لمسابقة ومنافسة الدول المصنعة التي تعيش ثورة الإلكترون، التي تطور الصناعة، وأطر الاقتصاد، وظروف المنافسة العالمية، بما يتلاءم والنظام «الأوطوماطي» والبرمجة الإعلامية. نحن مسبوقون سبقا فظيعا في مجالات التكنولوجيا والخبرات الاقتصادية، نحن المسلمين في مؤخرة ركب الدول المستضعفة. ولا نعني بكوننا مسبوقين أن ننهج سبيل الحضارة المادية التي تقود العالم والإنسانية للإفلاس. نعني ونريد أن ترتفع همتنا بعد التصنيع، مع تجنب أخطاء غيرنا، أن نخترع نمطا إنسانيا للإنتاج والاستهلاك، يحقق لنا القوة والكفاية، دون أن يحول الإنسان دابة اقتصادية، ودون أن يبذر خيرات الأرض، ويفسد الماء والأرض والسماء.

9- تدريب الخبرات والمهارات الضرورية، واستعادة الأدمغة المهاجرة من أبنائنا الأذكياء.

10- تهييء سوق واسعة لمنتجات المسلمين. وذلك بإحداث قوة شرائية لدى الفئات الفقيرة، وردع الأغنياء المترفين عن إنفاق أموال المسلمين في شراء بضائع غيرنا.

11- إصلاح زراعي يطبق القاعدة الإسلامية: «من أحيا أرضا مواتا فهي له». وبالنظر إلى المقاصد الإسلامية يمكن اعتبار المتهاونين في حراثة الأرض، والمتغيبين عنها، والرافضين لتوجيه الدولة الإسلامية، معطلين للأرض، يستحقون أن تنزع منهم. وبهذا الاعتبار نلتمس أحكاما واستدلالات لإعادة توزيع الأرض، بجمع الملكيات الصغيرة، وتفتيت الكبيرة، بما يناسب تنشيط الإنتاج، ويرفع إنتاجية العمل.

12- توسيع السوق للمنتوجات الإسلامية بالإسراع لتكتل اقتصادي بين الأقطار الإسلامية، بقطع النظر عن أنظمة الحكم فيها. فإن التكامل الاقتصادي، والتضامن بين الدول القائمة في بلاد الإسلام، ضرورة تاريخية ملحة، لا يتحمل تشييدها انتظار الانسجام في فهم الإسلام. وعلى الدولة الإسلامية المجددة أن تعي هذا وتترك للدعوة شؤون الدفاع عن الحق والعدل، شؤون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. علاقات الدولة الإسلامية المجددة بغيرها من الدول تقتضي موقفا دقيقا لا يمس الحق، ولا يتخطى الضرورات العملية الآنية.

13- تهييء تكنولوجية وتخطيط ونمط إنتاج واستهلاك لمستقبل الإسلام، حتى نتحرر من النموذج الجاهلي. ففي مرحلة الانتقال توجه ثروات الأمة لتحصيل التنمية، والاكتفاء الذاتي، والأمن الغذائي، والقوة الاقتصادية والعسكرية. وفي هذه المرحلة لا نملك إلا أن نستعمل التكنولوجيا المتاحة في السوق، وأساليب التخطيط، وأنماط الإنتاج، التي جربت وتجرب في البلدان النامية.

ولا بد أن نتعلم ونتتلمذ. وفي مرحلة لاحقة، حين تشتد قواعدنا إن شاء الله، ونستقل بالعلم والخبرة، لا بد أن نقيم اقتصادا منسجما كما وكيفا مع مقاصد الشريعة، هادفا لخدمة أهداف الشريعة، صالحا لتقديم الزاد المادي النظيف

الطيب للمؤمن المقبل على ربه، يخاطبه ربه بما خاطب به رسله الكرام: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾[1] وبما خاطب به جملة المؤمنين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.[2]

التوزيع:

مشاكل التوزيع العادل لا يمكن حلها بمجرد إجراءات سلطوية. لا بد من هذه الإجراءات، والشريعة الإسلامية القائمة على التوحيد والعدل كفيلة بإعطائها الفعالية الكبرى. لكن تربية المؤمن المنتج، النافع، الذي يبذل ولا يظلم، الذي لا يلهيه التكاثر المادي عن ذكر الله، ولا يدفعه الحرص والجشع إلى الاحتكار، واللم، والمنع، والسرقة، والغش، والرشوة، والربا، هي وحدها الضامنة للقضاء على جذور الظلم. لا يمكن أن يقوم اقتصاد إسلامي في مجتمع غير إسلامي. لا يمكن أن تنفك عملية الإنتاج والتوزيع عن العملية الشمولية، عملية تجديد الدين والإيمان.

في مراحل الدعوة، وتهييء القومة، والدولة الإسلامية، يكون من صلب تربية جند الله، ومن صميم الدعوة، الإلحاح بقوة على جانب العدل في الإسلام. ذلك أن شمولية الإسلام كما يفهمه الدعاة ليست مما يعلمه العامة بالضرورة ولا مما يسلمه أعداؤنا. وأن جانب العدل الاجتماعي الذي يجعله اليسار الحزبي مناط حركتهم لا يعلم العامة أنه جزء لا يتجزأ من الدعوة، ولا يسلم أعداؤنا بذلك، نظرا لطول ما انتهبت الأموال، واحتوشتها طبقات المستكبرين باسم الإسلام تحت الحكم الفتنوي منذ انتهاء عهد الخلافة الأولى وقيام الملك العاض ثم الجبري. فلا بد من الإلحاح على أن العدل وإنصاف المحرومين وحماية المستضعفين أهداف لنا غالية.

نحن صائرون بحمد الله ومشيئته إلى الخلافة الثانية الموعودة، وإلى بنائها سائرون. وبالعدل والميزان الشرعي استقرارها. بالتوزيع العادل للأرزاق

(1) سورة المؤمنون، 51.
(2) سورة البقرة، 172.

نمكن إن شاء الله القاعدة المادية الاجتماعية لها. وعلى نجاحنا في توطيد الدعائم الاقتصادية، والقضاء على الطبقية ودواعيها وأمراضها، يتوقف استمرار الخلافة وبقاؤها.

نضع هنا ملاحظات نتبين من خلالها شروط العدل الاجتماعي وإطاره، داخل بلاد الإسلام وخارجها، قبل أن نتعرض للإجراءات الشرعية التي تحقق الكفاية والعدل والاقتصاد الصحي القوي.

الملاحظة الأولى:

لا يمكن توزيع الثروة دون إنتاجها أولا. هذه بديهية من الضروريات. نشير إليها نقدا للذهنية التبسيطية التي لا تتناول موضوع العدل الاجتماعي من منطلق المسؤولية. ما دمنا دعوة معارضة للحكم الجبري، يمكننا أن ننتقد هذا الحكم الذي لا يوفر الأرزاق. ولا يحسن توزيعها. لكننا يوم نصبح بإذن الله وفي يدنا زمام الدولة، نقف وجها لوجه أمام مسؤوليات الإنتاج والتوزيع في ظروف تكون يومئذ على أسوء الأحوال بعد فشل التجارب التي تخرب كياننا.

ضرورة إنتاج ثروات قابلة للتوزيع يحتم علينا التعامل مع البر والفاجر، والاقتراض من الأسواق العالمية، وخوض معارك الحرب العالمية الاقتصادية، والتكتل مع العرب والمسلمين، وسائر المستضعفين في الأرض، لحماية مواردنا الطبيعية، ومدافعة الهيمنة التي تفرضها على الاقتصاد العالمي الرأسمالية الكبرى المحتكرة للطعام تستعمله سلاحا، المحتكرة لأسواق التمويل.

إذا وضعنا هذه الضرورات في إطار الأزمة العالمية التي تستفحل ولا يرى لها غاية ولا حل، ظهر لنا أن عملية الإنتاج السابقة طبعا وشرعا لعملية التوزيع العادل قضية عسيرة. ويعني هذا أن لا نكذب على الأمة كما يفعل غيرنا، فنعدها بالرفاهية العاجلة. وإنما ننجح بمقدار ما نقنع الناس بمشاركتنا في البذل والصبر، والتشمير لكسب ثروة تنقذنا من العوز، والتبعية، والتخلف الاقتصادي.

إنما ننجح في إقامة الدولة الإسلامية، واستقرارها، واستمرارها، بمقدار نجاحنا في تعبئة الجهود لحيازة النصر في معركة الإنتاج. مادة هذه التعبئة وجانبها الملموس هو الجهاد الاقتصادي، جهاد البناء اليومي، جهاد الإنتاج.

إن تجار السياسة يركزون على التوزيع، ويخاطبون الشعب بالوعود الخلابة. ونحن يجب أن نخاطب الأمة بلغة الجهاد. ولن يسمع الشعب بعد فشل خطاب الكذب إلا لغة الجهاد التي لا تعمي الحقائق، لكن تكشف صعوبات الواقع، وتحدد الأهداف، وتخط المسيرة الشاقة لبلوغها.

نعم لا سبيل لإسماع كلمة الحق ولغة الجهاد ما دامت الملايين المملينة من دولارات النفط تستعمل لإلانة مروءة الأمة، وتمييع أفكارها وأخلاقها، وقتل شهامتها، وإذابة كيانها في المتعة، والشهوات، والتفرج الإعلامي على أخلع خلاعات العالم.

ولا سبيل للتشمير الجهادي ودماء الأمة تسيل في الحروب الطائفية القومية وأموالها تسيل إلى صناديق الصهيونية العالمية في المصارف، وأدمغتها تسيل إلى معاهد البحث والعلم والصناعة في بلاد الجاهلية تغذيها.

وهنا يلتحم جهاد البناء المطلوب، بجهاد التوحيد المرجو، بجهاد التحرير الضروري، بجهاد التربية والتنظيم الأساسي. تلتقي الضرورات على مطلب شمولي هو التغيير الجذري لأسس الفتنة ودعائمها، وكل جوانبها.

الملاحظة الثانية:

في بلاد الإسلام توزيع سيئ للثروات. داخل كل قطر طبقات تؤول في الجملة إلى وجود طبقة مترفة، تحتكر صفوة الأموال، ووسائل الإنتاج، ومقاليد السلطة مستعلية على طبقة في أسفل السلم الاجتماعي، بئيسة، محرومة، مجهلة، مريضة.

هذا واقع وليس من بنات فكر الإديولوجيات اليسارية التي تحتاج لتكسب نظرياتها ارتقاء أن تتتلمذ للقرآن.

القرآن الكريم يصف المستكبرين والمستضعفين بخصائص كل طبقة، خصائصها المادية (احتكار الثروات إلى جانب الفقر)، والنفسية (الاستكبار من جانب وموقف الضعيف التابع من جانب)، والاجتماعية السياسية (ملأ يتحكم وعامة تعاني)، والدينية (طبقة مترفة تحارب رسل الله والمؤمنين وتكفر بالله واليوم الآخر دفاعا عن مكتسباتها ومكانتها ورئاستها ومتعتها).

الطبقات المترفة في أقطار الإسلام هي أخت الطبقات المترفة خارجها. كلها تتعاون وتتآمر وتستغل نفس الأفكار، ونفس المواقف، ونفس الأهداف، ونفس النيات.

فينبغي لحزب الله أن يصطف إلى جانب المستضعفين داخل الأقطار الإسلامية وخارجها. وينبغي أن نوجه دعوتنا لمستضعفي الأرض ليدخلوا في دين الله أفواجا بعد أن نبرهن لهم بتضامننا وبرنا وعطائنا أن دين الله هو العدل، وأن أعداء الإسلام هم نفس أعداء الشعوب المغلوبة على أمرها.

الملاحظة الثالثة:

النموذج الجاهلي للاستهلاك نموذج قائم على التظالم الطبقي من وجه، وعلى الإسراف والتبذير من وجه آخر.

نهضت الفلسفات الاشتراكية لنقد الرأسمالية من كونها نظاما لا ينتهي إلا للظلم الطبقي. وفشلت الاشتراكيات في إقامة نظام اقتصادي لا يحمل جراثيم الطبقية في طياته. وعلى المسلمين أن يبرهنوا عمليا بوازعي القرآن والسلطان أن النظام الإسلامي قادر أن يقضي على الطبقية.

والآن تنهض فلسفات لا تزال في المهد لتنتقد الحضارة المادية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي من كونها تبدد طاقات الكرة الأرضية، وتبذر خيراتها، وتفسد البر والبحر والجو وحياة الإنسان. تفسدها جميعا بدخان المعامل، ورواسب المنتوجات الكيماوية، وبالإشعاع والأسلحة الذرية. وعلى المسلمين

أن يخترعوا نمطا للعيش على الكرة الأرضية لا يسمح بتبديد الطاقة، ولا بتبذير الأموال وإتلاف الطبيعة. عليهم أن يطلقوا نموذج الجاهلية تطليقا.

ألخص هذه الملاحظات الثلاث في جمل ثلاث:

- ليكون التوزيع العادل ممكنا لا بد من جهاد اقتصادي.
- المسلمون في السوق العالمية مع المستضعفين طبعا وشرعا.
- العدل الإسلامي توازن في القسمة واتزان في عمارة الأرض.

الشرع والاقتصاد:

الاقتصاد الإسلامي يجب أن يوضع في سياق إسلامي شامل. فإن جاز لنا بحكم الاضطرار أن نستعير تقنيات غيرنا وأساليبهم في الإنتاج ريثما نطور أساليب وتكنولوجيات من عندنا مناسبة لمقاصدنا، فلا يجوز أن نقلد غيرنا في أصول التوزيع والقسمة.

وهذه هي الخطوط العامة للإجراء الشرعي في توزيع الثروة:

1 - احترام الملكية الفردية، بشرط ألا يظهر سفه على المالك يدفعه ليبدد الأموال التي استخلفه الله فيها وجعلها للأمة قيما وقياما. وكل ملكية خاصة تعارض مصلحة المسلمين العامة فلا حرمة لها. ويرحم الله عمر فقد ترك لنا سنة، وهي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا أن نعض بالنواجد على سنة خلفائه الراشدين. رأى عمر التفاوت الطارئ على المسلمين في زمانه، فخاف أن يتفاقم، فقال قبل موته: «لئن عشت إلى قابل لآخذن من أموال أغنيائكم ولأردنها على فقرائكم». وما خصص رحمه الله مالا دون مال. ففي عزمته هذه رضي الله عنه باب مفتوح لنا نحو عدل اجتماعي شامل. باب لنزع الملكية الظالمة وإعادة تنظيمها.

2 - احترام الإرث وفرائضه كما حددها كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد الأئمة. والإرث من أهم وسائل توزيع الملكية ومنع تركزها. نجد في كتاب الله تعالى منفذا

لتوزيع الأموال الموروثة في الوصية المشروعة بالثلث، المندوب إليها في آيات الإنفاق، وفي قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾.[1] فالوصية للوالدين والأقربين وكافة فقراء المسلمين تترك للمتطوع بماله من بعده ابتغاء مرضات الله. أما رزق من حضر القسمة من الأصناف الثلاثة فأمر موجه للأمة. وللإمام أن يجتهد مع علماء المسلمين للاستدلال بالآية على وجوب هذا الرزق، خاصة في الثروات الواسعة التي تفيض عن حاجات الورثة، بكيفية لا يضر رزق الأصناف المذكورة منها بوظائف الادخار والاستثمار والإنتاج. فإن توزيع الثروات على المحتاجين المضطرين، وتخصيص ما يصلهم من خير للنفقات الاستهلاكية، قد يعوق الاستثمار الضروري لإنتاج ثروات مستقبلة تسد حاجات الأمة الدائمة.

3- تنظيم جمع الزكوات وتوزيعها، بأن تكلف الدولة جهازا من العاملين عليها مستقلا، يقوم بجبايتها، وإنفاقها في مصارفها المذكورة في القرآن.

وتلحق بالزكوات الصدقات التطوعية، ليمول نظام أمن اجتماعي يضمن حاجات الفقراء والمساكين والعاملين على الزكاة، وليمول نظام لتشجيع الدعوة وتأليف الجماعة بتأليف القلوب. ويمكن أن يدفع سهم المؤلفة قلوبهم لجماعة المسلمين المنظمة تضعه مواضعه. ومن أموال الزكاة يخصص سهم الرقاب لينفق في مناط حكمه وهو فك أسرى المسلمين. ويا ما أكثرهم في أنحاء العالم، إنهم هذه الأقليات المضطهدة في أنحاء العالم.

ويخصص من مال الزكاة سهم للغارمين، يمكن أن يوسع مناط الحكم في مصرفه ليسد ما لا بد أن يقع من خلل أثناء الفترة الانتقالية في نظام المصارف الإسلامية التي لا تتعامل بالربا، ويمكن أن تتعرض لخسارات لقلة التجربة. وما دامت هذه المصارف ملكا عاما للأمة فديونها تدفع من سهم الغارمين لأن الأمة تصبح كلها مدينة مستحقة. من الممكن الاستدلال باستحقاق الغارمين، وتعميم

(1) سورة النساء، 8.

مفهوم الغرم، وتعلقه بذمة الأمة في هذه العصور التي تبني اقتصادها على أسس جماعية تتدخل فيها الدولة تدخلا شديدا، أن يخصص من هذا السهم لدفع جزء من ديون الدولة الإسلامية.

ويخصص سهم في «سبيل الله» للدعوة والجهاد بكل أنواعه كما نفصلها إن شاء الله في الخصلة العاشرة.

ونحتاج إلى اجتهاد مجدد في ميدان صرف الزكاة لتحقيق مناط الأحكام فيها. وقد تبدلت أنماط العيش، وعلاقات الناس، وتزحلقت المفاهيم غير ما كانت عليه في القرون الفائتة التي لا يفيدنا كثيرا اجتهاد علمائها.

فما كان من أصول ثابتة بالقرآن كالأصناف الثمانية الذين توزع عليهم الزكاة ما لنا حق إلا في تحديد من يستحق، وتصنيف الأصناف. وما كان من أصول نبوية مثل قسم زكوات كل جهة في محتاجي تلك الجهة، فلا تنقل الزكوات إلى جهة غيرها حتى يحصل الاكتفاء المحلي، نفرع عنها اجتهاداتنا، لنعرف حد الاكتفاء المطلوب، في إطار توزيع عادل بين كل المسلمين، عبر الجهات والأقطار. إنه استفحلت الفوارق بين المسلمين استفحالا شنيعا، وغاب عنا أن دار الإسلام بلد كل المسلمين، وثروة أرض الإسلام ملك لكل المسلمين. مكنت التجزئة القطرية، وهي أمر واقع لا يعترف به في دين الله، في أذهاننا أن مسلمي بنغلاديش الفقراء قومية ودولة لا صلة لها بمسلمي الخليج الإسلامي الأغنياء وقوميتهم ودولهم إلا هذه الوشيجة الأدبية المعنوية التي تسمى إسلاما بالمعنى الجزئي الضئيل، المبعد عن السياسة والاجتماع والاقتصاد والجهاد والوحدة، للإسلام.

كلا! وإن أموال النفط وسائر الثروات الطبيعية في بلاد المسلمين ملك عام للأمة ملك لها أصولا وزكاة. ملك لها أرضا ومعادن ومياهاً ونفطا وكلأً. والمطلب العادل لفقراء المسلمين ومساكينهم وعامليهم العاطلين عن جمع الزكاة وصرفها، العاطلين عن كل عمل، هو القسمة العادلة لخيرات الله وطيبات رزقه. هذه القسمة مطلب عادل لقلوب المسلمين التي لم تؤلف على الإسلام

لأن المسلمين ترددوا إلى البؤس والطبقية فهي تهفو إلى الإثراء خارج شرع الله. مطلب عادل للرقاب المسلمة المستعبدة في سوق النخاسة الداخلية والخارجية، سوق الاستبداد الداخلي والتبعية للجاهلية. مطلب عادل لهذه الأمة التي يعيش سوادها الأعظم في الجوع والفقر والمرض والجهل، ويعيش مترفوها هنا وهناك على مستوى البذخ الجاهلي، بل هم يقودون الترف العالمي، ويمولونه، ويضربون المثل للتبذير والسفه والفسق. رقاب في ذل الحاجة موهوقة، ورقاب باعت نفسها للشيطان، ولشبكة الأبناك والمواخير، وسلع الترف الجاهلية الصهيونية. رقاب يا من يحرر!

المطلب العام العادل للأمة جمعاء ولكل مسلم ومسلمة أن تصبح أموال المسلمين في يد المسلمين تصرف لمصلحة المسلمين. ولكي يتحقق هذا لا بد من جهاد. لا بد للمستضعفين المؤمنين أن يفيقوا من الأحلام المعسولة ويبرزوا للساحة، ليمسكوا حقهم الذي تحتوشه دونهم أنظمة الجبر، تحميها دبابات روسيا، وطائرات أمريكا، ومخابرات صهيون... أموالنا تنفق على اللهو والقمار والزنى ومحاربة الله ورسوله والإفساد في الأرض والمجاهدون في سبيل الله في أفغانستان وفلسطين والفلبين وإرتريا وسائر بقاع الأرض يواجهون العدو الجاهلي والصهيوني، حليف مترفينا الأشقياء، بالأيدي العزلاء، والسلاح الكليل.

سبيلان! سبيل الله سبيل بذل المال والأنفس ابتغاء مرضات الله، وسبيل الشيطان ينفق فيه على التهتك، والجرأة على الله، ومحاربة دين الله، وتوهين قيم المسلمين، واللعب بكيانهم ومستقبلهم، وإنه لبلاء من الله وتمحيص.

4- التقلل ومحاربة التبذير. أصبحنا شعوبا مستهلكة بحساب الإجمال، وإن كانت الأغلبية العددية من المسلمين تعيش في ما يسميه لسان العصر بالفقر المطلق. ناهيك ببنغلاديش! بحساب الإجمال نعيش فوق مستوانا بكثير. نستهلك طعاما لا ننتجه، ويباع لنا بالثمن الغالي من النقد ومن استقلال إرادتنا. بناياتنا الرسمية، وأجهزتنا الخاصة المنزلية، والعامة من سيارات الدولة الفخمة، وأثاثها

الرفيه، ونفقاتها، تقدم للرائي واجهة متألقة ببهرجها، تخفي ما وراء الترف البادي في الرسميات والخصوصيات الغنية من بؤس الشعوب.

تطاول في البنيان والمتاع. طاقات تذهب سدى. أخلاق تنحل، وعزائم تنهار. بطون سمينة، وأخرى إلى جانبها جائعة غرثى. نفقات على المعصية والإثم، وحقوق الله ضائعة.

نهانا الله عن السرف والتبذير، وجعل المبذرين إخوان الشياطين.

ومدح الله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾[1] ووصفهم بأنهم عباد الرحمن.

فمهمة الدولة الإسلامية المجددة أن تعادل توزيع الثروات بين المسلمين لتصل إلى الاعتدال الذي به يكون القوام بين الإسراف المذموم وبين التقتير الذي ما أمرنا الله به بغير ضرورة.

إذا كان الله عز وجل لا يحب المسرفين فرادى فلن يحب دولة تزعم أنها إسلامية ثم لا تسلك سبيل عباد الرحمن، ولا تهيء لهم المجال الاقتصادي الكفيل بالمسلك المعتدل بين السرف والتقتير.

نقصد بالتقلل أن ننبذ عادات الاستهلاك الجاهلية، وننبذ النموذج الجاهلي المبني على الطموح المادي التمتعي، الهادف إلى نمو اقتصادي متصاعد بلا حدود. وهذا معناه تبذير خيرات الأرض، وإفسادها، والسعي في خرابها. وكل ذلك منهي عنه شرعا.

عقلاء القوم يحنون إلى اقتصاد على قدر الإنسان بعد أن أدركوا خطورة إفساد التربة والماء والجو، وبعد أن أصبحوا يعانون من المنافسة الاقتصادية، بل الحرب الاقتصادية بين الدول المصنعة بعضها في وجه بعض، وبينها وبين الدول في طريق التصنيع. أدركوا بعد فشل النموذج الاشتراكي في تلافي أخطاء الرأسمالية، وبعد

(1) سورة الفرقان، 67.

اضطرارهم إلى الحماية الجمركية، ومع ما يقاسون من التضخم المالي، والبطالة، واضطراب النظام النقدي العالمي، أن النظام الرأسمالي وصل إلى غايته. فهم يبحثون عن بديل.

وعلينا نحن المسلمين أن نستوحي شرع الله، ونستلهم حكمته، ونستمطر بركته، ونشمر لجهاد العلم، والتكنولوجيا، والإنتاج، والتدبير، بعد جهاد القومة، ومع جهاد البناء، لنعمر الأرض العمارة الصالحة.

قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً**﴾[2] وقد بلغ ترف الحضارة الجاهلية المادية وأذنابها فينا أقصى دركات الفسق، وأعتى طغيان الظلم. فآن أن يستبدل بهم الله عز وجل عباده الصالحين.

5- إن الله تعالى شرع للمسلم أن يشبع حاجاته في المأكل الكافي، والملبس النظيف الواقي، والمسكن المؤوي. كل ذلك في غير كلفة ولا تزيد على الحاجة.

شرع الله للمسلم أن يتمتع بنعم الله وزينته التي أخرج لعباده. لكنه حرم عليه أن يبيت شبعان وجاره جائع. فمن شكر نعم الله وطيباته أن يقسم الخير الفائض على المحتاجين. ومن كفرها صرفها في الترف المطغي وفي المحرمات.

وعلى الدولة الإسلامية، زيادة على تربية الدعوة، أن تحمل الناس على القسمة العادلة المتزنة، بحيث لا يرصد النظام الاقتصادي لخدمة طبقة من دون الناس، ولإشباع عادات الاستهلاك قبل حاجات المحتاجين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله**» رواه الإمام أحمد.

فإذا نقلنا الحديث الشريف من الحالات الفردية، التي تتعلق فيها مسؤولية المعصية بأهل العرصة، إلى الحالة العامة والتكوين العام لمجتمعاتنا وأنظمة علاقاتنا داخل الأقطار الفتنوية وفيما بينها، فإن ذمة الدولة الإسلامية لا تبرأ

(2) سورة الإسراء، 16.

من المعصية الشديدة إن لم توفر الظروف التي لا تسمح أن يبيت هذا متخما وهذا جائعا.

رتب علماؤنا درجات الإشباع ثلاث مراتب:

أ- الضروريات، وهي الحد الأدنى الذي لا يمكن العيش المادي إلا به من طعام وكسوة ومسكن.

ب- الحاجيات، وهي ما فوق الضرورة من أسباب توسع المعاش.

ج- الكماليات، وهي الطيبات التي يمكن الاستغناء عنها.

والتقلل المطلوب لأمة مقبلة على الجهاد من أجل الاستقلال والوحدة والكفاية والقوة يلزم أن يتجسد في مجتمع يكفل الضروريات لكل المسلمين، ويجعل وسائل إرضاء حاجيات العيش الكريم مكافأة للجهد والنشاط والإنتاج. لكن من الضروري ضبط الجهاز الاقتصادي لكيلا تستمر عادات الترف، ثم لكي يتمتع المسلمون كلهم بالأمن المعاشي على مستوى كريم لا مقتر قاس، ولا مترهل متنعم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد وأبو نعيم: «**إياي والتنعم، فإن عباد الله ليسوا متنعمين**» وقد رأينا كيف وصف القرآن المجيد عباد الرحمن بالتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير، فالتقى في خطابنا كتاب الله بسنة رسوله يفسر بعضهما بعضا. والحمد لله رب العالمين.

شعب الخصلة

الشعبة التاسعة والستون: حفظ المال

يشكك أعداء الإسلام والمضللون وأنصار الإديولوجيات في كفاءة الإسلام وقدرة شريعته على إقامة توازن اجتماعي اقتصادي وحفظ هذا التوازن. وحجتهم في هجومهم هذا هي ما نقرأ في تاريخ المسلمين من تظالم وإقطاعية (أستعمل مثل هذه الألفاظ بدلالتها الوقتية العامة) وطبقية. فالإسلام عندهم مجموع الأحداث

التاريخية في أجيال المسلمين وبلادهم. وينبغي ألا نلتمس العذر لعوامل الظلم وفاعليه في تاريخنا، فهو موقف جدير بالضعيف المدافع عما لا يقبل الدفاع.

الإسلام عندنا دين الله الخالد. مثل أعلى نطمح للقرب من تحقيقه كل القرب الممكن. وقد تجسد في تاريخنا النموذج الأقرب للكمال في مجتمع الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع خلفائه الراشدين من بعده. التاريخ بدءا من السيرة المطهرة حافل بذكر ذلك العدل الناصع. وما طرأ من تظالم إنما هو ترد تاريخي مرده إلى ابتعاد المسلمين عن النموذج، وتحريفهم للنص الشرعي، من جراء فساد نيات الحكام، ومن جراء المرونة المرضية لبعض أعوانهم من المترجمين عن الشريعة.

الخلافة المرجوة الموعودة على المنهاج النبوي أمامها تحد ضخم أن تغير واقع الظلم وإضاعة الأموال، وفساد البنى الاقتصادية والاجتماعية، وتبعية الأمة، وتسرب طاقاتها البشرية والمالية والمادية إلى أعدائها.

لا يمنحنا الإسلام قوة الاحتجاج والصراخ على الظلم فقط، إنما يمنحنا تربية تنشأ على حب العدل واعتقاد أنه من صميم الدين، ويمنحنا تشريعا إلهيا من خصائصه، إن طبق التطبيق الكامل، أن يضمن استقامة الاقتصاد والمجتمع على دعائم الإنصاف والتكامل، والأمن والقوة.

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين**».

والأحاديث في حرمة مال المسلم كثيرة، تشكل إطارا لصون المصالح المعقولة للملكية الخاصة ما دامت هذه المصالح لا تتناقض مع المصالح العامة. يقول المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه**» قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم.

على أن استحقاق الملكية الخاصة للحرمة ينتفي عندما تتحول الملكية الخاصة إلى وسيلة لاحتواش الأموال واستقطابها حتى تصبح دُولة بين الأغنياء. وذلك ما نهى الله عز وجل عنه في كتابه، فلا مكان للنظام الرأسمالي في الإسلام، هذا النظام الذي يعيش بروح التكاثر الربوي، ويتنفس هواء حرية المنافسة التي بمقتضاها تخنق حقوق العمال، ويتوسع باستئثار طبقة المترفين بينما تضيق المعايش على عامة الشعب.

عن الربا يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾.[1]

ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه البزار بسند صحيح: «**الربا بضع وسبعون بابا. والشرك مثل ذلك**».

ولا شك أن اقتصاديات أمتنا تحت الفتنة قد أنشب فيها التَّرابي الداخلي والخارجي أظفار النهب من كل حدب وصوب، ودخل عليها فساده من كل الأبواب البضعة والسبعين. فحفظ مال المسلمين فرادى وحفظ أموالهم أمة يوجب أن تستخلص هذه الأموال من بين مخالب السيطرة الرأسمالية العالمية والمحلية. يوجب أن تتولى الدولة الإسلامية وحدها من دون الخواص إدارة الأموال في مصارف تضع الائتمان المالي في خدمة الكفاءات والنشاطات التي تبني كيان الأمة، تنتج الحاجيات لعامة المسلمين لا وسائل الترف، تهدف الخدمة العامة لا الربح الفردي، تملك بكفاءتها الإدارية والمهنية والتكنولوجية وبإنتاجيتها أن تحرر سوق المسلمين من نفوذ الرأسمالية العالمية، وأن تنافس سلع الجاهليين في الأسواق العالمية. ولا بد في المراحل التحريرية التجديدية من تضامن اقتصادي بين الدول المسلم شعوبها على ما يكون من أنظمة حكم.

والقضاء على احتكار الرأسمالية العالمية وهيمنة الشركات المتعددة الجنسية يوجب قطع الصلات بين الرأسماليين المحليين ومن هم له زبناء وخدمة من القوى الاقتصادية الخارجية غير المسلمة.

(1) سورة البقرة، 278-279.

وعندما يسود بين أفراد الأمة السلوك الاقتصادي (بالمعنى الإسلامي للكلمة) على مستوى الحاجة والاكتفاء، ويقوم رأس المال الإسلامي بوظائفه الاجتماعية وهي تحقيق العدل وتهييء الشغل لكل عاطل، يمكن إنصاف كل ذي حق بإعطائه حقه كاملا، ويمكن استثمار مال المسلمين فيما يبني الأمة ويوحدها ويعزها.

إننا معشر الأمة المحمدية أمرنا بأداء الحقوق، ونهينا عن إضاعة المال. أمرنا بالإنفاق في سبيل الله، وحبب إلينا الشارع التنافس والتسارع في الخيرات. نهينا عن تبذير الأموال وإيتائها السفهاء. زجرنا عن التكاثر والتطاول في زينة الدنيا. أمرنا أن نكتسب الحلال، وننميه، ونحافظ عليه، لنصرفه في مصارفه الشرعية، لنؤتي الزكاة ونتصدق ونبذل الفضول، وكلها قربات يرضاها الله لنا.

بهذا يتميز اقتصاد المسلمين عن اقتصاديات غيرهم. يتميز بأن ما ييسر الله من رزق يأتينا، بعد الجد والعمل والتدبير، منة من الله تذكرنا فضله. ثم إن هذا الرزق الحسي المادي أداة ووسيلة نحن مخاطبون أن نستعملها لنبلغ غايتنا، وهي رضى الله عنا عن طريق توزيعه بيننا التوزيع الشرعي العادل، وعن طريق تعبئة وسائلنا المادية لنتخذ أسباب الكفاية والقوة، والمنعة والقدرة على حمل رسالتنا إلى العالم، وتبليغها، والدفاع عنها.

المستكبرون في الأرض يستأثرون بخيرات الأرض دون المستضعفين. وفي ضمير الإنسانية نداء وترقب لعدل ينصف المحرومين المعذبين الجائعين. إنه نداء شريف يجب على المسلمين بعد التحرير وأثنائه أن يرفعوه ويلبوه. ذلك لكيلا يكون «حفظ المال»، وهو شعبة من شعب الإيمان، ذريعة للخزن والاحتكار والكنز، وهي محرمة في الإسلام.

يجب أن يجتث الظلم الطبقي مع الظلم بكل معانيه من أصله. وعلينا أن نقرأ كتاب الله عز وجل ونجدد إيماننا لتكون القراءة صادقة تدفعنا للتنفيذ. وأمر الله في قرآنه وسنة نبيه في ميدان الاقتصاد يتلخص في كلمة واحدة: العدل.

إن من لا يرجون لله وقارا من اليساريين لا يترددون أن يجعلوا منهاجهم وبرنامجهم كلمة «العدل». ولا يعدو أن يكون هذا شعارا ومطية إلى الحكم.

ويسمع النداء ويصدقه المحرومون، وتلتف الجماهير حول المنادين. وهكذا تأكلنا الشيوعية لأننا لا نحسن أن نعطي للعدل حجمه الإسلامي الأساسي في فكرنا وكلمتنا، ومنهاجنا وبرنامجنا.

ولنحن أولى أن نتصدر مطالبة المستضعفين لأنا أمرنا بذلك. ولنحن أولى أن نجعل العدل برنامجا لنا ونحن نؤمن مع الإمام علي كرم الله وجهه أن «كاد الفقر أن يكون كفرا».

نحن أولى أن نعدل في حكمنا، ونجهر بنيتنا أن نعدل أثناء زحفنا، لأننا نؤمن بالله ورسوله، وما أمر الله بواجب مثلما أمر بالعدل. وعلى العدل قامت السماوات والأرض. وعليه لا على غيره تقوم الخلافة الإسلامية الموعودة إن شاء الله تعالى.

بكل وضوح، وبكل ثقة: إنه لا معنى للقومة الإسلامية، بل لا معنى للإسلام وهو دين العدل ومقاومة الاستكبار ونصرة المستضعفين، إن لم يحل عقدة البشرية المزمنة: الظلم.

الشعبة السبعون: الزهد والتقلل

في الأفق الفسيح المنير، أفق العدل الاجتماعي والكفاية والقوة، أفق التحرر الغذائي والاقتصادي والسلاحي بالنسبة للأمة ككل، تكتب كلمتا الزهد والتقلل كتابة غير ما نألف. يكون الزهد في الدنيا في نفس المؤمن والمؤمنة خلقا. حرية نفسية، وتعاليا عاطفيا عن اللصوق بالمادة وتأليهها. ويلزم لنحقق الزهد خلقا وتعاليا نفسيا وسنة نبوية أن تكون الأموال ووسائل التوسع في العيش متوفرة لنا. لأن الإنسان لا يزهد فيما ليس عنده وفي متناول يده، ولا يعد زاهدا إن كان العجز عن الكسب والتملك لكسل فردي أو كساد أو انهيار اقتصادي هو مانعه من التملك والتوسع.

الزهد فضيلة فردية إيمانية، لكنها تتضارب مع فضيلة أعلى منها وهي الجهاد بالمال في سبيل الله.

فالزاهد، إن فهمنا الزهد انزواء وهروبا وفقرا مرادا مقصودا لذاته، مؤمن ضعيف، عاجز عن نفع ذوي الحقوق عليه من عائل وجار وأمة. وجند الله المنتظرون بحاجة ماسة أثناء الزحف وخلاله وقبله وبعده للاستقلال المالي. فالمال عصب الجهاد في كل عصر ومصر. وجماعة من المتزهدين الدراويش لن تغني شيئا ولا في تحريك أذن واقع منيخ بكلكه على المسلمين، جالب عليهم بخيله ورجله، بعتوه العسكري وهمينته الاقتصادية، بأنظمته التابعة للجاهلية، الجاثمة على صدورنا.

تجتمع فضيلتا الإنفاق في سبيل الله والزهد في الدنيا في شخص المؤمن، في أشخاص المؤمنين، الدائبين على الكسب، وحفظ المال، واستثماره، ليدفعوه في وجوهه الشرعية -خاصة الجهاد- بنفس سخية. يد تكسب بتعب وحساب وحرص، ويد تنفق في سبيل الله بغير حساب. إن انفردت يد الانفاق بالعمل فمن أين تنفق؟ وإن انكمشت يد الزهادة في خمول الكسل وذل التسول فأين المؤمن القوي؟

الزهد فضيلة فردية يقابلها فضيلة جماعية اجتماعية هي التقلل.

بين كفة الاستهلاك بالنسبة للمستكبرين وما في الكفة الأخرى، كفة المستضعفين الشائلة، من جوع وبؤس، لا بد للمسلمين من توازن.

التقشف كلمة جافة جافية، ثم لا تؤدي معنى خلقيا إيمانيا. وهي من قاموس الحكام عندما يريدون أن يعطوا لبؤس الشعوب اسما، ولسياستهم المالية رسما.

توازن الاقتصاد والسلوك الاقتصادي الإسلاميين في زهد جماعي هو التقلل. وهو أن نسد الضروريات والحاجيات لكل أفراد الأمة أولا بأول، ثم لا نعطي الكماليات في إنتاجنا واستهلاكنا إلا كما يعطي متنفس للمضطر من مريض يحتاج لترفيه وعلاج، ومتعلم يلتمس تخصصا، وعجزة يحتاجون لعناية خاصة، وطفولة ينبغي أن تحب الإسلام وهي في مهد عنايته.

اقتصاد تقلل، إنتاج واستهلاك ملائمان.

وإلا فإن المبذرين إخوان الشياطين. وما اقتصاد الغرب والشرق الجاهليين إلا اقتصاد شيطاني لأنه قائم على نية التبذير، منجز بتكنولوجية تبذير، وبنظام ونمط صناعي التبذير روحهما.

مع فارق أن تبذير الرأسمالية واقتصادها السوقي معلن معترف به، أهلك واستهلك المواد الأولية المدخرة في الأرض، وأفسد الهواء والماء، وسمم جو الكرة الأرضية ورحابها، بينما تبذير الاقتصاد الشيوعي، تبذير البروقراطية التي لا تبالي ما أتلفت من مال ورجال، لا تحتاج أن تحسب كما يحسب الآخرون مردودية العمل ومردودية عوامل الإنتاج، وإنتاجية العمليات الاقتصادية. التبذير البروقراطي يحتشم ويتخفى وراء العقلانية المعلنة في الطروس، طروس الإديولوجية لا ملفات الإنجاز.

كل أولئك إخوان الشياطين. لأنهم مبذرون، إلى جانب حيثيات أخرى أهمها ظلم الإنسان، والاعتداء على كرامته، وصده عن سبيل الله. ونحن المسلمين نتحمل تبعات ذلك كله، ونرزح تحت تبذيرهم الذي لا يترك لنا فتاتا، وظلمهم وصدهم حتى لا نجد متنفسا.

والتفت يا جند الله حولك تجد الشيطان اتخذ له إخوانا كثراً بين ظهرانينا. مبذرو أموال المسلمين، سفهاؤنا الذين سكتنا حين ابتزوا أموالنا، غلمتنا الذين باعوا أرضنا وخيراتنا لأمريكا ولأعداء الإسلام وليهود صهيون، هم صنيعة الجاهلية الشيطانية بيننا.

فلكيلا نرتد غدا بعد التحرير إن شاء الله إلى ما نحن عليه اليوم، يجب أن توضع أمانة أموالنا في أيد لا تخون، وأن تسند إدارتها لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة. هم وحدهم أهل أن يستصغروا الدنيا كلها بجانب الآخرة، وأن يستهينوا بالمصاعب في طريق إحياء اقتصاد الأمة التماسا للجزاء الأوفى عند الله. هم وحدهم يستطيعون أن يجهزوا الأمة بجهاز اقتصادي يكفل لها الحياة العزيزة القوية.

وانظر يا جند الله كيف احتلت مراتعَ الاستهلاك والمتاع طبقتا المترفين المستكبرين بديار الجاهلية شرقا وغربا. هناك طبقة الماركسين اللينيين في قصورهم ونفوذهم واستحواذهم على شعوب دربوها على خدمتهم كما تدرب الحيوانات. وهناك في الغرب الغربي المترفون المعلنون، يلعبون القمار ويقمرون سفهاءنا المبذرين قمرا منكرا في الكازنوهات، فساد، تبذير. والله لا يحب المفسدين ولا إخوان الشياطين.

إن اجتمع المال والسلطان في يد رجل لا يزهد في الدنيا لأنه لا يؤمن بالآخرة، فإن آمن فباللسان فذلك خرابه وخراب الأمة. وإن وسد أمر تدبير معاش الأمة لفئة لا تحمل هم الأمة لأنها لا تعرف هم لقاء الله فهو خراب الأمة.

زهد وتقلل. لا يأتي هذا إن كانت ترعى ذئاب عاوية، وثعالب متلونة، في أموال الأمة، تحملها على التقشف لتختلي هي بالافتراس، وانتجاع اللذات، والفتك في مواخير أوروبا هناك وهنا.

حذار يا جند الله أن يتسلل بعد التحرير إلى سدة الحكم والتوجيه ذئاب وثعالب، وإن كانت تلبس قبل توفر فرص النهب والفتك مسوح الزهد والمسكنة.

والمؤمن كغيره معرض لمغريات السلطان والمال، وهما متلازمان أبدا.

يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من حديث رواه البزار بسند حسن: «**ما ذئبان ضاريان في حظيرة، يأكلان ويفسدان، بأضر فيها من حب الشرف وحب المال في دين المرء المسلم!**».

من كان حب المال والشرف -ومنه السلطان- يحجبان عن همته حب الله ورسوله، وطاعة الله ورسوله، فلا يصلح أن يؤتمن على أموال المسلمين ونفوذهم. لهذا أمرنا في الكتاب ألا نؤتي السفهاء أموالنا، وأمرنا في السنة ألا نعطي السلطان لمن يطلبه.

لماذا تتهاوى اقتصاديات المسلمين في وضعهم الحالي؟

1- لغياب منهاج اقتصادي واضح، فينتج التردد في رسم الأهداف والخطة والمراحل والتنفيذ.

2- لتبعية اقتصادياتنا للرفقاء الشرقيين أو للمصالح الرأسمالية. فمخططو الجاهلية هم يفكرون ويأمرون.

3- لتمكن سفهائنا على رأس الأنظمة الفاسدة من أموالنا، يتطاولون في البنيان ويُهرِّبون.

4- لاضطرار الذئاب والثعالب إلى حام يحمي مناصبهم، فهم له أولياء، لا همَّ لهم إلا نفوسهم أن تستعلي وتستمر وتزداد انتفاخا. وللأمة تقدم إنجازات للفخفخة والترف، يتمتع بها- وبئس المتاع - الصنائع والأحباب والأذناب، بينما يموت الشعب جهلا ومرضا، وجوعا وغيابا عما يُكاد، ويُراد به.

5- جماع الأمر كله. وملخص النقط الأربع، تهافت طبقة مستكبرة على المال والسلطان، واستبدادها بهما على ظهر الأمة، وبمساعدة الجاهلية.

فطلبتنا غداة القومة الإسلامية رجال يخافون الله ليقودوا سفينة الأمة إلى النجاة. دواء اقتصاد المسلمين لن يتم بوصفات اقتصادية وسياسية صرفة، بهيكلة جديدة، بتغيير أحلاف، بطرد شرذمة السفهاء، بفك التآمر مع أعدائنا.

لا بد لنا من العلاج الحاسم كما لا بد لنا من التغيير الجذري.

والعلاج الحاسم هو الإيمان بالله ربا وترقب لقائه، ومراقبة اطلاعه على حركاتنا، ثم تنفيذ أوامره بدقة، بإخلاص، بزهد في الفانية الدنيا.

دين وأخلاق.

إيمان وصدق.

والاعتبارات التقنية الاقتصادية السياسية أسباب تطوع لخدمة الإرادة الإيمانية.

حاجتنا الأولى الملحة والأخيرة: رجال يصدقون ما عاهدوا الله عليه، لا تغريهم المغريات.

الشعبة الحادية والسبعون: الخوف من غرور الدنيا

حاجتنا إلى رجال محصنين بالإيمان، مسلحين بالعلم، يستبدلهم الله بسفهائنا. السفيه لغة الخفيف، وشرعا القاصر العاجز عن تدبير المال وضبطه.

المؤمن لا تستهويه الأهواء، لا تستخفه، لا تغره، لثباته على الصراط المستقيم، لرزانته.

المؤمن بالله واليوم الآخر لا تغره الحياة الدنيا. فإن الله أمره وأوصاه. قال عز من قائل: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ**﴾.[1] آية من سورة فاطر. ومثلها في سورة لقمان.

فامتثال هذا الأمر، وتطبيق هذه الوصية، شعبة مهمة من شعب الإيمان. وإن أخوف ما يخاف على جند الله حين تبسط لهم الدنيا السلطان والمال وما يواكبهما من مغريات، أن تتبدد هممهم، ويرتد طرفهم من المطمح الأعلى، دوام الشوق إلى الله، والصبر على مشاق الطريق إليه، إلى السفاسف والتردي في التكاثر والتنافس.

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته الأخيرة بعد أن صلى على شهداء أحد، فقال كالمودع للأحياء والأموات: «**إني بين أيديكم فرط** (الذي يتقدم المسافرين فيهيئ لهم المنزل). **وأنا عليكم شهيد. وإن موعدكم الحوض. وإني لأنظر إليه من مقامي هذا. وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا. ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها**» رواه البخاري عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وروى الشيخان عن أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر وجلسوا حوله فقال: «**إن مما أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**».

وفي الباب وصايا نبوية كثيرة. لا يخاف على جند الله حين البلاء بالمحن مثلما يخشى عليهم من البلاء بالسراء والنعماء والتمكن من مقاليد السلطان والمال. لهذا تتكرر وصايا المربي الإلهي صلى الله عليه وسلم. فبعد ثلاث وعشرين

(1) سورة فاطر، 5.

سنة من الفطام عن الدنيا جاء نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجا. وبعز الإسلام يتمكن جند الله في الأرض، فينصح الناصح الرباني صلى الله عليه وسلم ويحذر، وهو ينظر بنور الله، من تغرير الحياة الدنيا بأهلها، ومن همزات الغَرور الشيطان الرجيم الذي يتخذ السلطان والمال طعما ليسول للنفس البشرية الانطلاق خارج قيود الشرع. لا ييأس الغَرور من النفوس البشرية ولو تزكت وتربت، ولو كانت في صحبة الرسول الكريم على الله، تلقت نور الهداية.

وقد انفتحت الدنيا على المسلمين، وهجم الغَرور، وأجلب على المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام الصحابة الأجلة وصمدوا. ثم فسد الحكم بتحوله من معاني الخلافة الراشدة إلى واقع الملك العاض. وتكاثر سواد الأمة، فغلب عدد الأعراب (بالمعنى القرآني الذي لا يميز الناس بلغاتهم وأجناسهم بل بدرجة إيمانهم) على نوعية الإيمان، وغلب سلوك الاغترار على سلوك الخوف. غلبت الدنيا في ضمائر الناس على الآخرة.

قال سعيد بن جبير التابعي الجليل، وهو ضحية الفتنة، قتله الحجاج، في تفسير آية فاطر: «الغرة في الحياة الدنيا أن يغتر بها، وتشغله عن الآخرة أن يمهد لها ويعمل لها. كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: يا ليتني قدمت لحياتي! والغرة بالله أن يكون العبد في معصية الله، ويتمنى على الله المغفرة».

إن المؤمنين معرَّضون كغيرهم من البشر لفتنة الدنيا ونزغ الشيطان. ولئن كانت أنظمة الحكم الجاهلية «المتقدمة» تعتمد تقسيم السُّلط، وتنصيب مؤسسات المراقبة وأجهزتها، لكي تقمع الميل البشري لاستغلال السلطان واحتواش الأموال دون أن تعتمد أي اعتبار خلقي، فإن نظام الحكم الإسلامي ينبغي أن يجعل مؤسسات الضبط والمراقبة، الحسبةَ والمظالمَ والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر العامين الواجبين على كل مسلم ومسلمة، مكملاتٍ ومساعدات للوازع الإيماني في قلوب المؤمنين. وكل شخص يندب لتولي زمام مهمة من مهمات الدعوة قبل التحرير وبعده، ولمهمات الدولة الإسلامية بعد قيامها، ينبغي أن ينظر أين همته، ما تعلقه بالله وخشيته، كيف يمهد لآخرته. هل يغتر بالله

فيرخص لنفسه الآثام ويقول: «إن الله غفور رحيم». هل فيه أهلية ليكون من الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

الغرة في الحياة الدنيا والغرة بالله منفذان منهما يدخل على الفرد عدوه الأول الشيطان. وعلى الأمة يدخل من ذينك المنفذين فساد الرشوة، والظلم، والمحسوبية، وهتك الحرمات، والاستخفاف بالمسؤولية. من هاتين الثغرتين يهجم العدو على الفرد فيخرب دينه، وعلى الأمة، عبر الضمائر الخربة، فيشتت شملها.

إن كل همِّ الحركات السياسية في هذا العالم المعاصر الذي تغلبت فيه الحضارة والثقافة الجاهليتان التحليل السياسي المبني على وزن القوى الخارجية -أعني الخارجية عن النفس البشرية- في تفاعلها. والنصيب من الاهتمام الذي يعطيه علم السياسة لتحركات النفس البشرية يقف عند رصد التحركات الجماهيرية العفوية والمنظمة، المتظاهرة بسلام أو الصاخبة المخربة. لا ترى عين الملاحظ السياسي إلا فوران الغضب البشري. أما ما عند الإنسان المؤمن من إمكانيات إيمانية ترفع عاطفته من حضيض التفاعل المحسوب (السياسي) إلى مجالات الصدق، وترفع غضبه من مستوى النقمة على الناس إلى قمة الغضب لله، وترفع تضامنه من الأحلاف الأرضية إلى نصرة المستضعفين فلا خبر للتحليل السياسي بها، لذلك لا يفهم الجاهليون ما يجري في أفغانستان ولا في إيران من حياة متجددة للإيمان تتمثل في نهضة شعب طلق الدنيا وغرتها ينشد الآخرة. نبذ الحياة وزينتها بطلب الشهادة في سبيل الله.

لا يكُنْ محور تربيتنا الجولان الفكري السياسي في التحليلات، مع إعطاء هذه ما تستحقه. بل يكون المحور هو الطريق العابر من الدنيا إلى الآخرة، وخط الطموح الذي يطوي الدنيا طيا، ويركز همة المؤمن على أرض الآخرة، رافعة طرفها لسماء المجد الأبدي، سماء الشوق إلى الله عز وجل.

إننا إنْ نحلل مجتمعاتنا استعدادا لإصلاحها دون أن نحلل أنفسنا لمعرفتها وإصلاحها كمن ينفخ في غير ضرم. كيف تصلح المجتمع والدنيا وزينتها حشو فكرك وقلبك؟

قل لي هل تخاف الله؟ هل ترجوه؟ حقا حقا؟

قل لي: هل تسمع قول الله تعالى: ﴿وَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.[1] هل تعمل عليه؟ هل قرأت رسالة ربنا إلينا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بيننا وتكاثر؟ هل طويت الدنيا من همك إلا كما أمرت؟ هل تحدث نفسك بالموت في سبيل الله وتستعد لذلك كل لحظة؟ هل تبكي على الله فراراً من الغرور إليه؟ هل تداعب فؤادك الأماني الخادعة اللذيذة، أم ينفر كيانك كله مما لا يرضي الله تعالى؟ هل أنت ذاكر ربك عاكف على بابه، أم أنت غافل مغرور؟

متى فرغت من ترويض نفسك على المكروه طبعا، المحبوب شرعا، من الأفكار والسلوك، والعواطف والحركة، فقد قاربت أن تفلت من فلك الحياة الدنيا ومصائد الشيطان.

متى وطدت النفس على اقتحام العقبة، وظننت ظنا قويا أن الموت في سبيل الله أحب إليك من الحياة على هون السعي البائس وراء معيشة الخزي، فقد قربت أن تكون من جند الله.

الغرة بالدنيا والغرة بالله في رفقة الشيطان والهوى هما رأس الموبقات النفسية والموبقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. تحليلنا الإسلامي يضع العوامل الخارجية مواضعها على نسق ما يعرفه البشر جميعا من قوانين التصرف البشري، على صعيد السياسة والاجتماع والاقتصاد، والسلم والحرب، والخير والشر. لكن تحليلنا يزيد على ذلك ويمتاز بهذا النداء السماوي للإنسان أن يرفع بصره أعلى من الأفق الأرضي، أبعد من المسيرة في الدنيا، وراء الموت.

تحليلنا يزيد ويمتاز على التحليل البشري المشترك بإيقاظ همة الإنسان المؤمن إلى حقائق وجوده وحقائق مصيره بعد رحلة العمر.

(1) سورة التوبة، 38.

فليحذر جند الله أن يسقطوا في مهواة الفراغ من الذكر، وكارثة الإعراض عن الآخرة، وفخ الغرور بالدنيا، ومصيبة الغرة بالله.

هواء في هواء!

1- التحليل السياسي لفهم الواقع، ومسار الأمور، وما في العصر من قلقلة عامة ومكايد للإسلام، وما يبيته لنا الأعداء في الداخل والخارج، ضرورة.

2- فقه الشريعة لمعرفة الأحكام التي نُكرِه الواقع يوم النصر على الخضوع لها، ضرورة.

3- تحليل مجتماعتنا لتشخيص أمراضنا، وإعداد النظرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنظيمية الكفيل تطبيقها بعلاج الأمة، ضرورة.

4- لكن كل ذلك هواء في هواء، ونفخ في الرماد، إن كان جند الله جندا مزورا. إن لم يكن كل جندي في الصف قد باع نفسه وماله لله عز وجل نية وعقدا، فهو يجاهد ليموت في سبيل الله أو يؤدي أمانته التي نهض لأدائها. خواء أجوف إن لم يكن كل جندي من جند الله قد وضع قدميه جميعا في الآخرة نية، ورفع همته فوق سفساف المغريات.

مقدمة الجهاد وشرطه، قوامه وروحه، تربية رجال ونساء في الطليعة والقيادة كفوا عن اعتبار الدنيا، وهاجروا إلى الله عز وجل هجرة كلية، لا يلتفتون.

الخصلة العاشرة
الجهاد

نصيبك من الدنيا:

تقرأ يا ولي الله في هذا المنهاج صفحات عن الاقتصاد، وأحب ألا تنسى أن من معاني الاقتصاد التماسُ القصد وأن قصدك الله تعالى.

قال عز من قائل حكاية عن قول قوم قارون لقارون: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.[1]

وأربأ بك يا ولي الله أن تفهم النصيب من الدنيا ذلك الفهم العامي، فهم الغرة بالله، الذي يزين لبعض الناس أن يبرروا توسعهم في الدنيا، بل توغلهم فيها واستسلامهم، بأن ذلك نصيب من الدنيا يندب القرآن الكريم الناس أن لا ينسوه.

هذا قارون غني مترف يدعوه قومه للإيمان وبذل بعض ماله لله. لكنهم لا يريدون إزعاجه عن الدنيا، وهو ابن من أبنائها، إزعاجا يكره إليه الإيمان والبذل في سبيل الله، فلوحوا له بنصيبه من الدنيا.

ولكل مسلم حق في الدنيا: ما به يصلح شأنه، وما به يؤدي الحقوق المشروعة، وما به يمهد لآخرته، فإن الدنيا مطية المؤمن إلى الآخرة كما جاء في الأثر.

أما جند الله فنصيبهم من الدنيا، بعد الكفاية الكريمة على مستوى الاقتصاد بكل معاني الكلمة، أن يحيوا كل يوم من أيام حياتهم جادين في السعي ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، في جهاد يتوتر فيه كيانهم، قلبا وفكرا وحركة، نحو الله عز وجل. نعوذ بالله من الجهة التي تتوهم في كلمة «نحو». وإنما الجهة في حقنا. نصيب جند

(1) سورة القصص، 77.

الله أن يحيوا كل لحظة بكامل الحضور مع الله -الكمال الممكن للطبيعة البشرية المفطورة على الغفلة- وبكامل العناية بالزمان وأهميته، والمكان وقاعدته، والواقع وضغوطه.

أن نبتغي فيما آتانا الله من عمر وأرض ووسائل وجه الله والدار الآخرة يعني أن نجمع، في غير تناقض ولا تزاحم، بين الاشتغال بالله تعالى ومرضاته، وبين الاشتغال النشيط في بذل الجهد، في تنسيق الجهود، في جمعها، في تعبئتها، في توجيهها، في الجهاد على كل المستويات والواجهات. وهذا يتنافى تماما مع الانزواء بحجة الإعراض عن الدنيا. ينافي الهروب من المعركة والرخاوة في الكسل. ينافي الرهبانية والتبخر في عالم الأماني. في الأثر: «رهبانية أمتي الجهاد».

الجهاد تربية وزحفا

عود على بدء:

في رحلتنا عبر الخصال العشر التي رتبنا تحتها شعب الإيمان البضع والسبعين ننتهي هنا إلى خصلة الجهاد، وهي منزلة النتيجة للتخلق بشعب الإيمان.

غاية التربية أن نهيئ الجندي المجاهد في سبيل الله.

وغاية التنظيم أن يعبأ جند الله ليكون قوة مجاهدة. وغاية التربية والتنظيم نصر دين الله.

فكيف نستصحب تلك الخصال التسعة السابقة للجهاد لتكون كالروافد الدائمة المغذية لنهر الإيمان؟

كيف تتجمع شعب الإيمان لتكون طاقة واحدة تحفز المؤمن للجهاد، وتمكن جند الله من الفاعلية المتعلقة بالأسباب وإعداد القوة، كما تؤهلهم للتوفيق المكفول الموعود به من الله عز وجل؟

كيف تتجسد فضائل الإيمان، الحسية منها والمعنوية، الظاهرة والباطنة، في مواقف جهادية مؤثرة في الواقع، مغيرة للتاريخ؟

لا نريد مراجعة الخصال التسع لنبصر كيف تؤيد إحداها الأخريات، وكيف تهيئ السابقة منها اللاحقة، وكيف تبدأ رحلة الوارد على الجماعة من المودة واللقاء الرحيم ثم تصعد على مراقي الذكر ثم الصدق ثم العلم ثم العمل ثم السمت ثم التؤدة ثم الاقتصاد إلى ذرى الجهاد.

إنما نريد أن نؤكد بمثال من وحي النبوءة أن إحكام الخطى الأولى شرط للاستقامة على الطريق، وأن النتائج لا تكون أفضل من المقدمات، وأن المنهاج التربوي التنظيمي الجهادي كل متماسك، وأن «من صحت بدايته أشرقت نهايته» فردا وجماعة كما يقول بعض علمائنا.

روى الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يأتي على الناس زمان يغزو فئام** (جماعة) **من الناس. فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى عليه وسلم؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم. ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم! فيفتح لهم**».

وروى الشيخان واللفظ لمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**».

في الحديث الأول يقترن الفتح ببركة صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتتوارثه الأجيال ببركة رؤية من رأى من رأى وصحب. إنه تسلسل صحبة عبر الأجيال، تسلسل تخلق بالاتباع، يتسلسل معه موعود الله لمن سار على المنهاج

النبوي الذي أوله الصحبة، صحبة مؤمنين لهم اتصال بالله عز وجل عبودية، وبرسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعا ومحبة وأخذا عن السلف الصالح، بالتربية المتسلسلة.

وفي الحديث الثاني انقطاع عن الخيرية في جيل ذهب منه الصدق، وهو الشرط الأساسي في التربية، لما أصبح قوم من المسلمين يكذبون في الشهادة ويحلفون على الزور.

انقطاع الخير بانعدام الصدق، واستمرار الفتح بتسلسل سند الصحبة والاتباع على المنهاج النبوي.

إن بحثنا عن المنهاج النبوي يستجيب لحاجة في نفس المؤمن الذي يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بما يرضى الله تعالى.

ولحاجة في نفس هذه الأجيال المؤمنة المتوثبة للجهاد، المترقبة للفتح، المنتظرة موعود الله تعالى.

فإن وفقنا الله عز وجل ليتحول المنهاج طريقا مسلوكا مجسما في تربية وتنظيم، وحافظنا على شروط التربية والتنظيم، ومنها خصلتا الصحبة في الله والصدق مع الله كان الفتح الفردي، فتح معرفة الله تعالى في حق المؤمن السالك، وكان الفتح للأمة، فتح النصر الذي وعدت به العصبة المؤمنة المجاهدة.

وإن أخللنا واختل بين أيدينا نظام المنهاج، لا سمح الله، كان الانقطاع، وكانت القطيعة.

والأمران متلازمان: فلاح المؤمن في طريقه إلى الله تعالى، وفلاح جند الله في إحراز النصر وإقامة دين الله في الأرض.

هل فينا اليوم وهل يكون فينا غدا من رأى من رأى... من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أربعة عشر قرنا وعشرات الأجيال؟ هل فينا من له سند صحبة متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعيين الرجال؟

لا إنكار أن من المحدثين علماء الأمة المحافظين على دينها وسنة نبيها من لا يزالون يحرصون على تلقي الحديث بالسند المتصل والإجازة المعروفة في مناهجنا الإسلامية. وهذا خير وبركة، فإن ثبت اتصال سند الرواية فقد ثبت معه الرؤية المتسلسلة. وإن كانت رؤية كل جيل لمن سبقه رؤية محبة وتعظيم واتباع كما كانت رؤية الصحابة للمتبوع الأعظم صلى الله عليه وسلم فتلك البركة العظيمة.

لا إنكار أيضا أن سند الصالحين من هذه الأمة، المتصل بالصحبة والتربية والتسليك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت متسلسل. وما هذه الفروع التي أثمرت الأولياء والمجاهدين طيلة هذه القرون إلا أغصان من تلك الدوحة الشماء من أهل الله تعالى.

ودعني من الخصام المزمن بين رجال السندين، سند الرواية وسند التربية، فلا حاجة لجند الله أن يضيعوا العمر في النزاع في شؤون الأمة التي قد خلت، لها ما كسبت ولنا ما نكسب.

فإن كان سند الحديث يسلسل إلينا أوامر ووصايا نبوية ويحفظ الدين من الزيادات البدعية والأباطيل، فإن سند التربية والتسليك يهيئ تربة القلوب التي تسمع فتعي، فتنهض للتنفيذ.

وجزى الله عنا وعن المسلمين واحدا من علمائنا الأجلاء حين يكتب لهذه الأجيال عن: «تربيتنا الروحية»[1]. وجزى الله غيره من علمائنا ومصلحينا وأئمتنا، وعلى رأسهم في هذا الزمان الإمام البنا، إذ يؤكد كل جيل منهم أن ما سمي بالحقيقة الصوفية هو لب التربية، وزناد الإيمان، ومعقل الأخلاق.

فإن تكن مجرد رؤية جيل لمن قبله رؤية طبيعية سطحية طفا الإيمان على ظهر الأمة، ثم تعرض للانسكاب في فضاء الغفلات، وتتحول الأمة كما غثائيا.

(1) الشيخ سعيد حوى.

وإن كانت رؤية تعلم وتلق للعلم، بصدق العلماء، وأمانتهم، واتباعهم، أعطتنا هذه الرؤية أجيالا من المهاجرين إلى الله، المناصرين لسنة رسول الله. وهم أساسا أهل الحديث.

فإن كانت رؤية محبة، وتشرب قلبي، وصحبة تربية، واتباع، وارتفاع همة لمعرفة الله تعالى، والعبودية الخالصة له، أعطتنا هذه الصحبة أجيالا من المهاجرين إلى الله ورسوله، الحريصين على تطبيق أمر الله وسنة رسوله.

وما صمد تحت فتنة القرون حتى أوصلوا إلينا الإيمان غضا في القلوب، في قنوات حية، يصب بعضها في بعض على مر الأجيال، إلا من سموهم الصوفية.

وما حمل إلينا العلم مصونا ناصعا إلا رجال السند خدمة كتاب الله وسنة رسوله.

فمن قصر باعه عن جمع الطائفتين في عين التعظيم والمحبة فمن أين له الاستطالة على المؤمنين لقصوره؟

ومن ضاق عطنه عن تعلم علم هؤلاء، والتخلق بأخلاق هؤلاء، فلا ينسب الضيق الذي في نفسه إلى غيره.

ومن كذب أن لله أولياء يصطفيهم في كل عصر، ويهبهم من فضله، ويفتح لهم، ويزكيهم، ويقربهم، فحظه من ذلك التكذيب الحرمان.

ومن لم يساور نفسه الشوق إلى الله، ولم يهتد ليقف على باب الله، يقرع بذلة العبد، يستمطر الرحمة، ويستفتح ليقربه الله، ويجعله من أوليائه، فليبك على نفسه. والله!

ومن عميت عليه الطرق فغاص في أرض الغفلات من عامة المسلمين، أو استغرق كل همته في «الثقافة الإسلامية»، والتعليق على أخبار العالم من المؤمنين المجاهدين دون أن يكون ذكر الله، والتزلف إليه، والتعبد والعكوف على بابه، والحضور الدائم بين يديه شغل ليله ونهاره، فيخاف على قلبيهما. ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[1]

(1) سورة الحج، 46.

الصوفي المنزوي عن العالم -المستقيل من ثم عن مسؤوليته الجهادية- يصقل قلبه بالذكر، ويزكي نفسه بالعبادة والتخلق، فيعطيه الله تعالى على قدر همته، وعلى قدر قدم الصدق الذي له عنده.

والعالم العامل يحافظ على عقائد الأمة، وينشر العلم، ويقاتل عن دين الله، فيثيبه الله الكريم على قدر صدقه.

وحامل العلم من هذه القيعان التي وصفها الحديث إنما هو وعاء نكل أمره إلى الله حين يزكي الظلمة والجبارين والمستكبرين.

فإن كان صوفي الزاوية يتلقى التربية بالسند وينشد فتح البصيرة وكمال ذاته.

وإن كان العالم العامل يتلقى العلم ينشد كمال علمه وإيمانه.

ذاك يصقل القلب وهذا يسلح العقل.

فنحن نبحث عن المنهاج النبوي المتصل سندا علما وعملا، تربية وتوفيقا، نبحث عن المنهاج النبوي الكفيل بالفتحين، فتح بصيرة المؤمن السالك، وفتح النصر. سلوكان متلازمان كما كان سلوك الصحابة الأبرار.

حديثا الشيخين يشيران إلى التسلسل في الأمرين: تسلسل الرؤية وتسلسل الولاء ومعاني الولاء في قوله صلى الله عليه وسلم: «**القرن الذين يلوني**» متعددة تشمل المحبة، والاتباع، والنصرة، والتتابع.

والحديث الثاني ينبئ عن انقطاع الخير حين ينتفي الصدق.

فهل يمكن وصل السلسة، هل يمكن ربط ما من شأنه أن ينقطع إذا اختل الشرط؟

حديث الخلافة على منهاج النبوة يسد الخلل، ويصل آخر الأمة بالأول. نورده للمرة الثالثة لأن عليه تحوم أفكارنا.

روى الإمام أحمد بالسند الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على**

منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون الخلافة على منهاج النبوة».

أرأيت أن ذلك الانقطاع في الولاء حين يجيء قوم «تسبق شهادتهم يمينهم» لا يستمر! أرأيت أن بعد دولة المنافقين حاملي شعارات الزور خلافة على منهاج النبوة! فالحمد لله الذي يعيد لنا أمرنا كما بدأ. والحمد لله الذي نرجوه سبحانه أن يفتح لنا كما فتح لأوليائه.

الجهادان الأكبر والأصغر:

هدف التربية الإيمانية أن تخرج رجالا مجاهدين ونساء يشمرون عن أذيال الفضول، والمغريات، وغرور الدنيا، والشيطان، والهوى، ويكشفون عن ساق الجد، ويغشون حلبة الأهوال، ويرقون مراقي الكمال.

المجاهد جهاد الدعوة، وزحف القومة، وتدبير الدولة، من استكمل أسباب القوة في دينه، والأمانة على مهمته. قال حجة الإسلام الغزالي في «الإحياء»: «وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا، ولا يستفزه الطمع، ولا تأخذه في الله لومة لائم. وهم الذين سقط الخلق من أعينهم (يعني أنهم لايخافون الخلق ولا يراءون)، وزهدوا في الدنيا، وتبرموا بها، وبمخالطة الخلق (يعني المخالطة الملهية عن الله)، وقهروا أنفسهم، وملكوها، وقمعوا الشيطان فأيس منهم. فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق، ولا يسكنهم إلا الحق».

من وصفهم هكذا، من يملكون أنفسهم ولا تملكهم، يستطيعون وحدهم أن يتجردوا نفسيا عن واقع الفتنة، وأن يؤلفوا كيانا جماعيا مؤمنا يؤثر في الواقع المكروه ولا يتأثرون به. ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ﴾.[1]

(1) سورة المائدة، 54.

وقبل تغيير المجتمع تغيير ما بأنفس الطليعة المجاهدة. ردع النفس المؤتمرة بأمر هواها حتى تقبل حكم الله، وتطيع شريعة الله، وتقلع عن السفساف لتتابع الروح في أشواقها إلى الله، وتطلعها لقرباه.

جهاد أكبر.

ثم الجهاد الأصغر، جهاد ما هو خارج الذات المؤمنة من منكر أصبح حقيقة منكرا عندها لا تحبه بل تكرهه، لا تساكنه في سلوكها بل تقمعه، ثم تلاحقه خارجها لا بقانون الغضب الطبعي لكن غيرة على دين الله.

إنه لا يتأتى أن يكون الناس سواسية في قابلياتهم لتملك النفس، وارتفاع المطمح، ونزاهة الوازع. في جماهير الناس قابليات للحقد والغضب الطبيعيين أكثر مما فيها من استعداد للتخلق بتلك الأخلاق السامية التي أحرزها من جاهدوا أنفسهم حتى أعطت المقادة من أمثال الغزالي.

وما من محيص أن يمتزج في القومة الإسلامية حوافز الغضب على الظلم مع حوافز الغضب لله. وإنما تكون قومة لا ثورة إن كان قادة الحركة ممن يقاربون القوة والأمانة، بمعنى قوة الإيمان وامتلاك النفس أن لا تجمح بنا فنفقد المبادرة الإرادية الموزونة بكتاب الله وسنته، ليبرز التصرف الغضبي المحطم. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق الأمين في وصف القوي أشد ما يكون امتحان قوته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ليس الشديد بالصرعة. إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**». رواه الإمام أحمد والشيخان عن أبي هريرة.

الثورة والقومة:

يتحدث المسلمون في كتب تاريخهم عن نوعين من التحركات:

1- الثوار هم الخارجون على السلطان بغير حق. وكلمة ثورة، ولها اليوم في الآذان وقع التعظيم وهيبة القداسة، تصور غليان الغضب والعنف المحطم والهيجان.

2- القائمون وهم المنابذُون للحكم الجائر من أهل العدل والحق. ولا يزال تاريخ الإسلام حافلا بالقائمين من آل البيت، يهلل علماء الأمة ويكبرون لظهورهم، آخرهم حتى الآن الإمام الخميني. ونرجو أن يتيح الله للأمة قيادات من أمثالهم حتى ظهور الإمام المهدي رضي الله عنه، وهو منهم. ومع القائمين كان يقاتل العلماء، وعلى رأسهم الإمام أبو حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله. وما محنة الإمام أحمد بالتي تنسى ولا بالتي تقف معانيها عند الدفاع عن العقيدة دون إدانة الجور العام الذي يبيح للحاكم أن يفرض عقيدة محرفة كعقيدة خلق القرآن.

الإمام الحسين بن علي عليهما السلام كان أول القائمين، ثم زيد، ومحمد النفس الزكية، وإبراهيم، وما لا يكاد يحصى من أئمة آل البيت.

في إيران يسمي إخوتنا الشيعة أنصار آل البيت عليهم السلام قومتهم ثورة. لسان العصر وهيبة الكلمة. وما غضبة الإمام الخميني ورجال الدعوة إلا امتداد للنبضات التاريخية المتجددة مع كل قائم بالحق. لا نشك أن آيات الله في إيران غضبوا لله. لكن يمتزج هذا الغضب السامي في صفوف الشعب مع الغضب الآخر، الغضب ضد الظلم.

والامتزاج بين العاطفتين طبيعي ومشروع. فإن الله جلت عظمته يسائلنا آمرا: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾.[1]

وينهانا العزيز العليم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ﴾.[2]

قتال في سبيل الله. عاطفة سامية، همة متجردة لله. حافز سام هو المناسب لأمثال الإمام علي كرم الله وجهه وبارك جنده، وهو الذي وجد نفسه في مصاف

(1) سورة النساء، 75.
(2) سورة الممتحنة، 1.

القتال وجها لوجه مع عدو في الجاهلية، فيمسك ولي الله سيفه مليا، ثم يثني على المشرك فيقتله، فلما سأله جاره في الصف عن وقفته أجاب أنه تريث حتى يصحح النية كيلا تكون ضربته انتقاما من عدو شخصي.

ثم قتال في سبيل المستضعفين، غضبا على من ظلموهم، وأخرجوهم من ديارهم. قومة لله صافية لأن الله أهل أن نبذل في سبيله أنفسنا حيث أمرنا. وغضبة على أهل القرية الظالمين، على الملإ المستكبرين. في مستوى عال من الإحسان والإيمان مؤمنون يعطون الله الثمن، ثمن الجنة ورضاه، وفي مستوى آخر مستضعفون ينتصرون، والأمر واحد. والموتة واحدة. والصف واحد. وفي الحوافز تفاوت.

وفي الآيات الأخرى من سورة الممتحنة يشير الله تعالى إلى مستويين اثنين في الشعور بالعداء. فالمشركون أعداء الله، تجب عداوتهم من هذه الحيثية. وهم أيضا أعداؤنا، من حيثية أدنى هي أنهم كفروا بما جاءنا من الحق. وهم أعداؤنا بعد ذلك، وأدنى من ذلك، لأنهم أخرجونا وأخرجوا الرسول.

فالعداء في الله المجرد من مقام الإحسان. والعداء في الله من أجل أنهم كفروا من مقام الإيمان. وتنبه لمزجة الغضب الأرضي اللطيفة في قوله: ﴿بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ ولم يقل بما جاء من الحق. والعداء لأنهم أخرجونا وأخرجوا الرسول حربا لإيماننا يتضمن نصيبا أكبر من المواجهة الأرضية، وهو مستوى عامة الشعب المسلم المستضعف الذي يعتز بذاتيته الإسلامية وينتظر من الطليعة المجاهدة أن تقدح زناد القومة فيه.

لا مناص من أن تضاف إلى حيثيات القومة اعتبارات تفصيلية للاستضعاف. ينبغي أن لا نكون من البلادة بحيث ننتظر قومة مجردة للحافز السامي وحده، ولا أن نكون من السطحية بحيث نترك الحوافز الدنيا تقود المعركة. المحسنون المتجردون لله قلة عددا، والعضل اللازم للقومة غذاؤه الغضب الطبعي. فليكن جهاد المحسنين، وطليعة المؤمنين، أن يحقنوا العضل الشعبي بجرعات إيمانية.

وبلقاء الحافزين، وبقيادة الاعتبار الإحساني، وهيمنته، وجدارته وقدرته على ضرب المثال، نرتقي بالحركة عن مستوى الغضب الجماهيري إلى مستوى القومة لله.

الإمام حسين بن علي عليهما السلام هو النموذج لولا أن «الجماهير» خانته. وفي خيانتهم درس. وما ربط إخوتنا الشيعة لقومتهم بالإمام حسين، واستشهاد الإمام حسين، إلا الزبدة الصالحة التي تمخضت عنها قرون الفتنة، ثمرة نضجت طويلا في ضمائر أنصار آل البيت.

الإمام حسين بن علي عليهما السلام إمام الأمة كلها، وقومته نموذج لها جميعا. ولئن جنى الروافض الخبثاء في إزرائهم بالإمامين أبي بكر وعمر، فما ذنب الأمة أن تجتر تلك المحن الغابرة، وتفوت على نفسها فرص التقارب والوحدة والقوة؟

هناك غضبة مضرية قومية. ينفخ فيها شياطين النصارى، وشياطين النصيرية، وشياطين البعث، وشياطين النفاق، يريدون أن يفقد العرب هويتهم الإسلامية ليتاح للأقليات المرتدة عن دينها أن تقود العرب، لا قدر الله، ليركعوا أمام الغرب الجاهلي. وهناك غضبة يسارية قومية اشتراكية شيوعية شعوبية تريد أن تربط العرب بذنابي الشرق الجاهلي.

يجب أن لا تكون القومة رد فعل غير منضبط. لكن الاعتبارات التفصيلية لغضب المستضعفين يجب أن تحتل مكانها في فكرنا وشعاراتنا وتخطيطنا لتعبئة الأمة.

مستضعفون نحن في ديننا. وعن هذا يتفرع الاستضعاف الاستعماري الاقتصادي، الثقافي، الحضاري، العسكري، الاحتلالي. والمستكبرون هم صهيون والغرب والشرق الجاهليان. وحلفاؤهم من بيننا من حكام الجبر، ودهاقنة الرأسمالية وسماسرة الأعداء.

لغة الخبز اليومي والأجور، والصحة، والسكن، والمدرسة، والكرامة، تفصل كل هذا لرجل الشعب، المستضعف القاعدي تفسر له لِمَ يجب أن يغضب، وكيف، ومتى، ومع من.

تكون الحركة ثورة طائشة تهدم، لا قومة لله تبني، إن غلب الغضب على الحكام الظلمة وأعوانهم الغضب الآخر السامي.

لا بد من رد الظالم السابقة يوم القومة، في حدود الله وبشرع الله.

لكن الفوضى وانفلات الغرائز خطر يهدد الحركة إن قاد الصف غير الأقوياء الأمناء.

قومة محكمة، محكومة، مملوكة، موجهة وجهة الحق لا وجهة الغضب والانتقام. هذا يريد جهادا أكبر سابقا ومواكبا ولاحقا: جهاد النفس وتربيتها.

وهنا تتم الدائرة التي تبتدئ بالتربية تهيئ التنظيم، ثم التنظيم يهيئ الزحف، ثم الزحف والقومة ينظران إلى التربية، يلتمسان منها أن تهذب الغرائز، وترفع القلوب إلى الله، والعقول إلى العلم بشرع الله، والجهود لتنصب في جهاد يرضاه الله.

استعرض أمامك ثورات البشر القريبة منا، واستعرض وجوه القيادات، تجد كلام القيادات وشعاراتها تعبيرا عن الغضب البحت الهائج، وتجد تنظيم لينين وتروتسكي وماو وهوكي أوعية لجمع هذا الهياج حتى ينفجر في وجه العدو، وتجد الثورات بعد استيلائها على الحكم ترفع إلى سدة السلطان الغرائز الدنيا على صورة الحوافز الهياجية: مكر تروتسكي، دهاء لينين، وحشية ستالين، ضرب ماو منافسيه بسذاجة الشباب، إلخ.

واستعرض بعد أن غثيت نفسك الطاهرة يا ولي الله من تلك النماذج الجاهلية الأسوة الحسنة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه، وفي محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه. استعرض الرجال الذين هاجروا ونصروا وجاهدوا. بالله، وفي الله، ولله.

إن وسائل العصر الفكرية العلمية، والتدبيرية والتنظيمية، والحركية، قد تغطي بصائر غيرنا عن مشاهدة نموذجنا الخالد محمد صلى الله عليه وسلم. ونحن نرجو الله عزت قدرته أن يستعملنا على سنن القائمين بالقسط من عباده. وهم الذين نزل عليهم من أول ما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً... إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً...وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً... وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.[1]

جهاد أكبر، قمع النفس، تقويمها، صبر، ذكر، تلاوة، قيام، هجر جميل يهيئ هجرة عازمة، تتلوها تعبئة، يتلوها جهاد في الله بأعلى ما يكون من الحوافز.

دامت التربية الجهاد الأكبر ثلاث عشرة سنة في مكة.

وصحب الجهاد الأكبر الجهاد الأصغر طيلة العشر الباقيات. فقد كانت الغزوات والسرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعدل واحدة كل شهرين ونيف. لا يرجعون من غزوة وسرية إلا ليستعدوا لمثلها ويتزودوا.

السير الطويل، الظمأ في صحراء الجزيرة، قلة الزاد والظهر، كيد الأعداء المحيط، حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهادته المربية ومثاله. ثم مصاف القتال، والقتل، والجرح، والقرح، ويوم لنا، ويوم علينا، والبلاء. كلها ظروف لجهاد لا ينقطع، جهاد مزدوج بعد جهاد التربية. تربية لا تنقطع.

والوحي ينزل من السماء بالوعد والوعيد، والنذارة والبشارة، والأمر والنهي. فكانت القلوب والعقول مشدودة إلى أعلى. وبتلك الشدة غلب المؤمنون المجاهدون معاني الأرض وغرائز الدون.

وقال الحبيب المصطفى القائد المربي صلى الله عليه وسلم مرجعه من إحدى الغزوات ليؤكد أن السيرة مستمرة: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» رواه البيهقي بسند ضعفوه. والمعنى صحيح.

(1) من أوائل سورة المزمل.

الجهاد تنظيما وزحفا

الله أكبر:

في تربيتنا وتنظيمنا وزحفنا نمسك عواطف المسلمين وأفكارهم من فروع أسباب الغضب على الجور، الأسباب الأرضية السياسية الاجتماعية الاقتصادية. ثم نربط النقمة الطبيعية على الظلم بالدين. فهي من الدين، الأمر بالمعروف من الدين، والنهي عن المنكر، ونصر المظلوم، والقتال من أجل المستضعفين.

ثم نصعد العواطف والأفكار من حالة الخمول الجاثم على الأمة هذه القرون إلى حالة اليقظة، إلى حالة الغضب، إلى حالة توجيه الغضب الطبيعي لينضبط بضوابط الغضب لله.

وعلى هوامش الأمة -وقد تكون الهوامش أول الأمر واسعة- لا بد من وجود مسلمين أشتات وألوان. في سورة التوبة ذكر للأعراب، وهو مفهوم قرآني أساسي لتصنيف المجتمع الإسلامي. ومن الأعراب منافقون، ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ومنهم من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بالمؤمنين الدوائر، ومنهم، ومنهم.

وكل مجتمع إسلامي قائم لا بد أن تكون في هوامشه أعرابية قاعدية على أصناف ما وصف الله عز وجل من صفات أعراب العهد النبوي، فالحكمة أن يرتب جند الله علاقاتهم قبل الحكم وبعده مع هذه المعطيات الاجتماعية، وأن يحسنوا تعبئة الجهود، وأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم، وأن يسعوا بعد تولي الحكم إلى إيقاف الأعرابية عند حدها، وتصفية الأمة من عناصر المفسدين في الأرض، بالعدل والرفق.

ينبغي للقومة عرامة وقوة، هي الدافعة من أسفل الغضب الشعبي. وينبغي لها قبل ذلك وأهم منه أن يكون الاتجاه سليما، وأن تبقى المقادة في الأيدي القوية

الأمينة لسبق محاولات الانحراف والتحريف وقمعها. لإسكات حداة الانتقام، ولرفع أذان «الله أكبر».

الجهاد تحت راية «الله أكبر»، الاجتماع عليها خلف جند الله، يلزم هذا الجند أن تكون قلوبهم منجمعة على الله ولي المؤمنين.

تتوزع الأهواء، والنعرات، وحب الرئاسة، والصراع على السلطة، وسائر مغريات الدنيا والغرور، وسائر نزعات البشر، عقول الناس العاديين ونفوسهم.

ومهما كانت مروءة الأفذاذ من بني الإنسان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، مروءة أبطال التاريخ والثوار، على الظلم، فإنها لا تبلغ السمو الذي نقرأه في صفحات تاريخنا الماضي والحاضر منذ جهاد الإخوان المسلمين، ورواد التجديد في إيران، وجهاد إخوتنا في أفغانستان وفي كل مكان.

إن كان تجديد الإسلام يعني شيئا فمعناه هنا أن نرفع من إيمان المجاهدين بالتربية إلى مقارنة النموذج النبوي، نموذج الأحبة، محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه.

هم كانوا يهتفون «الله أكبر» وكان الله أكبر في نفوسهم.

يعاتب الله عز وجل المجموع في قوله عز وجل من قائل: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾.[1]

عتاب للمجموع. تذكير بمقتضيات الجهاد، وواجب الموت في سبيل الله.

فلعل نفسا واحدة من تلك النفوس الشريفة ساورها لحظة حساب السهولة، ورجاء النصر القريب لو لقي المسلمون عير أبي سفيان بدل جيش قريش.

ولعل بتلك المساورة، في تلك اللحظة، جاءنا الخطاب الإلهي لكي لا ننسى أن شعار «الله أكبر» ينتظر البذل بلا حساب، ينتظر من المجاهد أن يموت في أي لحظة.

(1) سورة الأنفال، 7.

وفي كل مجموعة نفوس قد تضعف فتكون دون ما يعلن عنه الشعار. من هنا واجبنا أن نرفع الهمم حتى يكون الموت في سبيل الله هو غاية أمانينا حقا. حتى يتمنى كل منا أن يقتل في سبيل الله، ثم يبعث ثم يقتل، ثم يبعث ثم يقتل، كما تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

في مستوى التمثل بالأئمة نرفع همة كل منا ليموت في سبيل الله كما مات حمزة ومصعب والحسين رضي الله عنهم.

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرسل: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[2]

رسول الله يتهم نفسه بالخوف.

ينسب إلى نفسه المكرمة الفرار منهم.

ونحن الأمة المحمدية أمرنا أن نهجم على الموت، قال الله عز وجل لنا: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.[3]

المراحل بالنسبة لطالب الحق، السالك طريق الاستقامة، المقتحم العقبة إلى الله كما يلي:

1- انجماع على الله بصحبة الأخيار وذكر الله وعبادته.

2- إعداد القوة بالانضمام للجماعة المجاهدة.

3- ثم بذل الثمن المعلوم، المال والنفس، الموت في سبيل الله، الفرار إلى الله.

صناعة الموت:

إن توفر الإرادة السياسية، وتجسدها في كتلة منظمة، بقيادة مطاعة قوية، وإحكام نظام، ثم قناعة رجالها بالقضية التي من أجلها تشكلت، هي العوامل الأساسية لإحداث تغيير في المجتمعات.

(2) سورة الشعراء، 21.
(3) سورة الذاريات، 50.

وعلى مقدار ما عند الطليعة القيادية والقاعدة المعبأة من استعداد للتضحيات، وقدرة على سَوْق الجهود إلى قمة التوتر والفاعلية، يتوقف نجاح الحركات.

هذا كلام عن عموم التحركات البشرية، في نطاق التدافع الأرضي، ومواجهة العواطف والوسائل بعضها بعضا.

وتمتاز التحركات الإسلامية، ونموذجها جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهاد أصحابه معه ومن بعده، بارتفاع العامل المعنوي في الجهاد، وهو الهجوم على الموت، بناء على اليقين الإيماني أنها إحدى الحسنيين: الشهادة أو النصر.

وكان مما يعتد به أول شيء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معنوية المجاهدين. عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بعثوا إليه يطلبون مددا في إحدى المعارك أجاب: «إن أهم أمركم عندي الصلاة!»، فكان نصحه إياهم بالعناية بالصلاة هو نفس المدد، لأن إقبالهم على الصلاة يزيد إيمانهم، وإيمانهم يؤهلهم لنصر الله إياهم. ثم خالد يكتب إلى رستم: «جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»، إشارة إلى ما كان يتمتع به جند الله من معرفة كاملة، واستعداد نفسي وعملي للشهادة في سبيل الله، وهي أقصر طريق إلى الدرجات العليا، إلى الحياة الحقيقية.

واقرأ آيات الجهاد في القرآن، وكتاب الجهاد في أسفار الحديث، تجد أن المؤمنين مخاطبون بإلحاح أن يتجردوا من الحياة الدنيا نفسيا، ويوطدوا نياتهم على الموت في سبيل الله، لينالوا حياة الرضى عند الله الأبدية.

كان الإمام البنا رحمه الله يتحدث عن «صناعة الموت» إلى إخوانه، يستحث فيهم تلك الجذوة الجهادية التي تتحول إن تأججت في قلوب جند الله نورا يضيء لهم الطريق إلى العز في الدنيا والآخرة، وتتحول بذلك نارا على العدو.

إنها مسألة حياة أو موت. ما دام المسلمون يفضلون حياة الخنوع والمذلة، هذه الحياة الدنيا بكل معاني الدون، فهم كم ميؤوس من خيره. ولن يغير الله ما

بنا قبل أن نغير ما بأنفسنا، وأهم ما بأنفسنا من ويل الحرص على الحياة الدنيا وكراهية الموت.

قال الله تعالى يؤنب بني إسرائيل ويبكتهم ليعلمنا بضرب المثل أن نتجنب النماذج الهابطة: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ﴾.[1]

كانوا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أصحاب الجنة بعد الموت. فيعجزهم الله عز وجل بهذا التحدي الحاسم أن يتمنوا الموت لينتقلوا من هذه الدار الشاقة إلى الآخرة. لكنهم لا يؤمنون بالمعاد ولا بأنهم سيجزون خيرا بعد الموت، وهم الأخسرون أعمالا هنا.ويخبرنا الله سبحانه وتعالى أنهم لن يتمنوا الموت أبدا لعلمهم بسوء أعمالهم.

ثم يقول الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.[2]

انتبه إلى ورود كلمة حياة نكرة. وإلى كلمة الحرص. فهم حريصون على هذه الحياة الخسيسة الماكرة التي تميز اليهود عبر التاريخ، والواحد منهم حريص على حياة، أي حياة. وأفضل الدعاء عندهم لبعضهم أن يطول عمره.

هذا زجر بسرد المثال السيء لنا لكيلا نحرص على هذه الدنيا، لا سيما إذا كان الرضى بها والحفاظ عليها يعني الذل والبؤس للمسلم وأمته.

«صناعة الموت» إذاً ضرورة تربوية تنظيمية، حب الشهادة في سبيل الله، وجعل الموت في سبيل الله أعز ما يطلب في ثقافتنا، في تعليمنا، في تربيتنا، في إعلامنا، في الهواء الذي نتنفسه، والغذاء الذي نطعمه، هو الروح الذي ينتظر أن يسري في

(1) سورة البقرة، 94-95.
(2) سورة البقرة، 96.

الأمة لتنهض من كبوتها التاريخية، ولتستحق الحياة، ولتستعصي على الأعادي، ولتنتصر، ولتنال موعود الله بالخلافة في الأرض.

إن لم نرب نفوسنا على الجهاد والسخاء بالمال والنفس، وبذل المال والنفس، فلا حياة.

إن لم يكن كل فرد من جند الله مستعدا للموت، أهون ما يكون عليه ذلك، بل أحب ما يكون إليه، ما دام واثقا أنه في سبيل الله، فلا حياة للأمة.

لا يعني هذا أن ندفع بأموالنا وأنفسنا هكذا يسيرة على الأعداء. لا نستهين بأموالنا ومهجنا دون أن نصرفها حيث يكون الصرف أنفع للأمة. من إتقان صناعة الموت أن يعرف المؤمن لِمَ يموت لتصلح نيته، ومتى يموت ليكون موته لحظة لنصر قضية من قضايا أمته، وكيف يموت ليكون موته ربحا لنا وخسارة على عدونا، ومع من يموت ليندمج جهاده في جهاد جند الله، وليساهم موته في دفع عجلة الجهاد إلى الأمام.

أخس ما في نفوسنا المريضة هو كراهية الموت. بل هو المرض والوبال والكارثة. وقد شخص لنا المرض والعلاج رسول الله المصطفى معلمنا وحبيبنا وطبيبنا صلى الله عليه وسلم، روى أبو داود وابن عساكر بسند صحيح عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يوشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». فقال قائل: «أومن قلة نحن يومئذ؟» قال: «**بل أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم. وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». فقال قائل: «يا رسول الله**!** وما الوهن**!**» قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت!**».

هذا هو المرض الذي بنفوسنا، لا نرجو تغيير ما بنا حتى نغيره: الوهن. وما الحيلة لنزعه؟ ما العلاج؟ ما الوسيلة؟

هذه المئات الملايين أخذت تستيقظ والحمد لله. وفي إيران[1] رفض للغثائية ومعانيها وشفاء من مرض الوهن، بفضل محبة الحسين عليه السلام، وبفضل تقمص حال الحسين عليه السلام، وبفضل ذكرى الحسين واستشهاد الحسين، وبقائها حية في النفوس، ثم تذكيتها، وإثارتها، ورفع شعارها.

وهذا جهاد أبطالنا المجاهدين في أفغانستان[2] يذكرنا وفاؤهم بالعهد، وإقدامهم على الموت، ونصر الله إياهم بخرق العادة، بذلك العهد الأول.

فهل يتم لنا أمر في الأقطار الإسلامية كلها كما تم لنا في أفغانستان وإيران، (نرجو الله أن يحفظنا فيهما)، بدون الروح الجديدة المجددة، روح الشهادة في سبيل الله؟

كلا ثم كلا!

إذا أعدنا في نفس المؤمن والمؤمنة الحالة الصحية وهي حب الشهادة واحتقار الحياة الدنيا التي يحرص عليها غيرنا فأبشر بالنصر! وإلا فأبشر بطول سلامة يا مربع!

إذا ألفنا جند الله من كتائب تريد أن تموت في سبيل الله، وتعرف لِمَ تموت، ومتى وأين وكيف ومع من، فذاك زحف لن يُغلب بإذن الله. وإن نلفق أشتاتا من الناس، يحرص كل منهم على الإبقاء على نفسه بدل، أن يستبقوا إلى مغفرة الله ورضوانه، إلى الثغرة الأشد خطرا على الجبهة، إلى المهمة الأشق، إلى حيث تتصارع المنايا، فلن يكون جهادا. بل تكون مأساة مكررة لحشود عبد الناصر الغثائية، وتنظيمات الأحزاب زمن الوهن.

ألا بلغ من وراءك يا أخي، بلغي من ورائك يا أختي، أن الحياة الدنيا لعب ولهو، وأن الجد والغناء في الحياة الأخرى. بلغا أن الحياة الدنيا متاع الغرور وأن

(1) انظر هامش 1 من الصفحة 286.
(2) انظر هامش 1 من الصفحة 292.

حياة الشهيد عند ربه، وفرحه بلقائه، واستبشاره بما لقي حين يلتفت إلينا من ورائه يتمنى لنا اللحاق به، هي الحقائق الثابتة التي عليها مدار حياة الأمة. الإيمان به فيصل ما بين الحق الديني والباطل. والعمل على مقتضاها هو الفيصل ما بين الموت التاريخي للأمة والحياة الجديدة التي نرجوها لها.

أبواب الجهاد:

أسرد إن شاء الله هنا أحد عشر باباً من أبواب الجهاد، بعضها تربوي يهم المؤمن في نفسه وفي علاقته بالله وبأمته وبالناس جميعا، وبعضها يهم الجماعة الطليعية في تأهبها وزحفها، وبعضها يهم جند الله قبل الوصول إلى الحكم، وأثناء الزحف، وبعد تولي مقاليد السلطان.

ولا بد لنا من ولوج كل أبواب الجهاد، ما سردت هنا وما تفتحه الحركة، لنكون على مستوى مهمتنا. إن قصرنا في جهة، ولم نبلغ الغاية في المدى والاتساع والعمق في كلها، قصرت بنا الأيام، وبقينا كالأيتام في مأدبة اللئام.

لنشاهد المادة المعنوية والوسائلية لجند الله الأمناء الأقوياء كيف تتصرف جهادا فاعلا على الساحة. بل لنشاهد بفكرنا هنا سعة المهمات وطول النفس الذي نريده لكيلا ننتظر أن وقفة ساعة أو سقوط آلاف شهداء في المعركة يكفي لتحقيق النصر.

كل ما قلناه تحت عنوان «صناعة الموت» ما هو إلا تسطير تحت واجب «الجهاد الأصغر» لإبراز أهميته. يبقى الجهاد الأكبر جهاد النفس المفردة في ذاتها، وجهادها لتستقيم في عبوديتها لله، وجهادها لتتخلق، وتبذل، وتتعلم، وتعمل، وتجاهد، يبقى جهاد جند الله الطويل الشاق عبر عقبات التنظيم، والزحف، وتنفيذ المخطط، وإبطال الباطل وإحقاق الحق، وبناء الأمة.

يبقى الجهاد الأكبر، والجهاد الأصغر لحظته الحاسمة ومنتهى توتره. حديث «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**» رواه البيهقي وفي سنده ضعف. نورده جريا على قاعدة أئمة الحديث من أن يستشهد بالضعيف في فضائل الأعمال، ويؤيد معناه ما ورد في الحث على صبر النفس وكفها ونهيها وتزكيتها. وهذا كثير في القرآن والحديث.

1- جهاد النفس:

كتبنا فيما سبق ما شاء الله عن جهاد النفس. وطابع هذه الفصول، إن لاحظت، تربوي لا تحليلي. ذلك أن التربية الإسلامية، الدائرة حول محور جهاد النفس، وإقامتها في الاتجاه السليم صعدا في عقبة الإيمان، هي قوام الجهاد، وقاعدته، وأساسه.

ما تغنينا التجميعات الغثائية إن لم يكن لنا بإيمان جند الله، وتماسكهم، وصدقهم، قوة ذاتية، تولد الأعمال الجليلة، وتنبثق عن إرادتها صورة تاريخ جديد لأمتنا؟

لنتذكر أن الداء هو الوهن، وأن العلاج إرادة الشهادة في سبيل الله، وما يتفرع عنها من قدرة وإرادة لتنفيذ المهمات الجهادية.

وإن تتبعنا القوة الذاتية للجماعة والإرادة المغيرة نجدها تنبع من قلب الفرد العضو وفكره، وحركته، وسائر طاقاته. وإنما يحقق النظام، ووحدة القيادة، وضبط المسؤوليات تلك القوة الذاتية الكامنة في الأفراد، ويبرزها على شكل إنجازات عينية. فإن كان كل جندي وعضو في الجماعة ذا نفس خاملة، وفكر مظلم، وطاقات هزيلة فإن المجموع مهما نظمناه سيبقى كمًّا جديرا بالإهمال.

الواجهة الأولى في الجهاد هي واجهة التربية. نعني تربية الإيمان بمفهومه اقتحاما للعقبة وبكل شعبه. التربية أولا ووسطا وآخِرا، ولا آخَر، ودائما.

لا نفرغ من تقويم أنفسنا. ومتى ظننا أننا أتممنا تهذيبها فذلك نزغ الغرور، وغرة بالله، وطيش في ميزان الرجولة.

كيف والله عز وجل يأمر رسوله المصطفى الكامل بالاستقامة إذ يقول: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ﴾[1] وإشارة إلى هذا الأمر يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم: «**شيبتني هود والواقعة**»[2].

أرأيت الطغيان يهددنا كما يهدد الكابوس في أفق ظلمة نفوسنا!

تربية، استقامة، تواص بالحق والصبر، دائما لا نمل. والتقصير البشري لا سبيل لتلافيه إلا بإجماع الإرادات الصالحة على قبول هذا المبدأ:

إن كل مؤمن يبذل أقصى ما فيه من خير.

ثم يشاهد تقصيره، ويقبل النصح، ويتعاون، ويلين لأخوته، ويحب، ويتشاور، ويطيع.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[3]

نفوس بلغ منها التهذيب مبلغا جيدا تلك التي تقدر على نبذ أنانيتها، وتهاجر إلى الله ورسوله من قعودها، وتتألف قلبا وقالبا على موجبات التنظيم وواجباته.

أرأيت أن التربية مقدمة لازمة للجهاد!

وأنها شرط لازم لمحبة الله عبده!

وأنها بذلك تحقق الغاية الفردية والجماعية معا!

ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[4]

لا ننس أن التربية الإيمانية الإحسانية شيء آخر غير التدريب.

(1) سورة هود، 112.
(2) رواه الترمذي.
(3) سورة المائدة، 54.
(4) سورة المائدة، 54.

غير التدريب الفكري.

غير التدريب الحركي.

غير التعليم السطحي.

غير التنشيط الجماعي.

غير كل هذه الجزئيات، مما لا بد منه، ومما يتوسع فيه الناس حتى يصبح هو التربية في نظرهم.

الغاية أن يعرف العبد ربه، بأن يتقرب إليه حتى يحبه سبحانه، ويكرمه بما يكرم به أولياءه.

وكل القربات من أقوال، وأفعال، وأحوال، وأخلاق، في جوف هذه الغاية، وفي طريقها، ومن شروطها. بضابط الكتاب والسنة والاتباع.

وكل ما يسميه لسان الاصطلاح تربية دون أن يحقق هذه الغاية فليس التربية التي نقصدها.

لنعرف هذا، ولنعرف أن المسلمين والناس أجمعين متفاوتون استعدادا للسمو الإيماني وقابليات الكمال وهي «قدم الصدق» حسب التعبير القرآني. أي ما سبق في علم الله لكل فرد فرد من أسباب السعادة.

ثم لننتبه إلى أن مظنة كل خلل في أبواب الجهاد الأخرى هو الخلل في التربية. فمتى وقف بنا الحال فيما نتحرك ونروم، فلنعلم أن حالنا مع الله في تدن وفتور. ومتى عم فينا الفشل فلنعلم أننا اتكلنا على حيلتنا فوكلنا الله إلى أنفسنا. ومتى ظهر فينا التنافس على الرئاسات والمناصب، متى أصبحنا أعزة على بعضنا أذلة على خصومنا وأعدائنا قلبنا الآية، فلنعلم أن الله لا يحبنا.

وفي كل ذلك نجدد التوبة، ونصحح النيات، ونذكر الله كيلا ينسينا أنفسنا. فإننا إن نسيناها ولم نتعهدها بالتزكية، ونورها بالعبادات، ونروضها بالعمل الصالح، هلكنا أفرادا وتنظيما وأمة. ورجعنا إلى حالة الغثائية ومرض الوهن.

2- جهاد المال:

على نغمات أغاني الخلعاء والخليعات نحضر مهرجان الغثائية بقيادة السفهاء.

وعلى هتاف «الله أكبر»، حين يصبح الله غايتنا، والموت في سبيل الله أعز أمانينا، نستجمع دراهم المؤمنين في ساعة العسرة، وأموال المسلمين بعد الفتح إن شاء الله، لننفق في سبيل الله.

ما عندهم خبر أن الله يحب ويحب!

طائفة من المسلمين، وأشتات من المؤمنين، شغلهم الحساب والكم والتكاثر. تلك العاطفة الإيمانية، الشوق إلى الله، التي تحملك على أجنحة السبق إلى الله، والإسراع لمرضاته، وطرح الشح جملة، تعوزنا. إن الله عز وجل يرزق من يشاء بغير حساب، ويهيئ سبحانه من أراد أن يجزل لهم العطاء برفع همتهم عن الدنيا، فهم يبذلون مالهم وذاتهم في الله، بلا حساب.

من كان حب الله يسكن قلبه حقا فإن هذا الحب الشريف لا يتساكن مع الحب الخسيس.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.[1]

وانتبه إلى قوله عز من قائل: ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾. فإن فعل «اقترف» يستعمل غالبا في كسب الإثم. ذكرت الكلمة في القرآن خمس مرات: واحدة في اقتراف الحسنة وثلاث في السيئات، وهذه لاحقة بهن. إن كان حب المال وادخاره وكنزه واحتكاره يشغل عن حب الله، وكان المال يصرف في مصارف غير الجهاد في سبيل الله، فهو اقتراف وإثم. لذلك جاء في آخر ﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

(1) سورة التوبة، 24.

إن المال عصب كل تحرك بشري، والمال الطيب ينفق في سبيل الله، تقدمه الذمم الحية قربانا لله، هو عصب الجهاد. لذلك اقترنا في القرآن، ولذلك يسبق ذكر الجهاد بالمال ذكر الجهاد بالنفس. المال عصب الجهاد وشرطه. فالمؤمن يبرهن على صدق نيته في إنجاح القضية المقدسة ببذله ماله. فلا نعرف صدقه إلا من خلال بذله ماله وجهده. وما في القلوب يعلمه الله. ما نعلم، ولا سبيل لنا، أن هذا أو ذاك من المؤمنين يحب الله ورسوله أكثر من الأب والابن والأخ والزوج والعشيرة إلى سائر ما ذكرته الآية إلا بقرائن الأحوال. وأهمها البذل. أهمها ما يأتي من عطاء مال وجهد من جهة المؤمن.

إن مادة الجهاد -أي المصدر الذي منه تستمد قوتها -إرادة رجال مؤمنين، ثم وسائل لبلوغ غاية الرجال وأهدافهم. وأهم الوسائل وميسرها المال.

حتى الوقت الذي نحتاج أن نخصصه للجهاد، والمكان الذي تتم فيه أعمال الجهاد، وراحة بال المجاهد-وهي ضرورية- من الهموم المادية، ييسرها المال. المتفرغ كل وقته للعمل الجهادي بحاجة لمال يسد به نفقات عائلته. المراكز، والأجهزة، والموظفون، والكتب، والنشرات، والتنقل، والسلاح في حالة القومة المسلحة، كلها تحتاج لمال.

الخصلة الرابعة في تصنيفنا هي «البذل». مدلول الخصلة التربوي هو تطهير جند الله من عاهة الشح، وهو الخطوة الأولى في طريق الفلاح. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2]

أما مدلولها الجماعي التنظيمي فهو توفير المال اللازم لكل أنواع الجهاد.

ما بين التأملات الهوائية، والأحلام العذبة وبين اقتحام مجال الواقع، والتوغل فيه وتغييره، أن يوجد عاملان حاسمان:

(2) سورة الحشر، 9.

1- رجال منظمون أقوياء أمناء عازمون.

2- ثم وسائل مادية تجسد الإرادة، والقوة المعنوية، في مشروع يتحرك. روح وجسد.

والروح المحلقة في سماء التأملات لا مكان لها بين الحقائق الصلبة على الأرض إن لم تلبس درعا يقيها غوائل البيئة الأرضية، ولم تتسلح بالوسائل الأرضية.

جسم بلا روح كائن قد يتحرك تحركا اصطناعيا. قد يهيئ المال مجموعة من المأجورين في خدمة طاغوت أرضي. وقد يكون الطمع في المال والمنصب والمتاع محركا لمجموعات حزبية نجدها في طريقنا.

هذه الفئات من المأجورين، وصنائع الطاغوت، والتكتلات الطمعية، هل نستهين بما لديها من مال ووسائل، ونكتفي بأحلام اليقظة التي تقول: «إيماننا سلاحنا»؟

نعم القولة والشعار. لكن إيمانا بدون وسائل أحرى أن يبقى معنى لطيفا يصلح للتأمل لا لمعاناة صخور الواقع. أحرى أن يبقى أخرس حين يتكلم الناس، غائبا حين يحضرون، جاهلا حين يتعلمون، قاعدا حين يتنقلون ويتحركون، محايدا حين يؤلبون عليه الرأي العام ويجمعون الجموع، أعزل حين يعتقلون أفتك السلاح.

نعم! لنا إن شاء الله إيمان هو في ميزان المعنويات كل شيء إزاء تفاهاتهم الإديولوجية وبواعثهم الأرضية.

لكنا معشر المسلمين أمرنا أن نعد ما استطعنا من قوة. حتى تكون وسائلنا -ما أمكن- كفاء لوسائلهم. فإن لم تبلغ فلا أقل من إيجاد الضروري. وما بسهم مريش نستطيع قتال حامل الرشاش، ولا بالكلمة المحاصرة نستطيع مقاومة الإعلام المضاد.

يؤخذ الوافد على الجماعة أوائل عهده بنا بدفع قسط من ماله معلوم، مع ترقب النتائج التربوية لذلك، وهي ترفيع الشعور بالمساهمة في المجهود الجماعي، والتقدم بحاسة التملك وخوف الفقر نحو النضج الإيماني، نضج من يعلم، ثم يحس، ثم يتيقن ويعطي البرهان، أن المال مال الله، وأننا مستخلفون فيه، وأن المال الحسن هو المال الذي يقربنا إلى الله، وأن الدنيا مطية المؤمن إلى الآخرة. هذا مع الحرص الشرعي على الجد في التكسب، وتنمية المال الحلال، لتتوسع الأصول التي منها ننفق.

أما من الناحية التنظيمية فصندوق الجماعة العام، وصناديق الأسر والشعب، تتغذى بمساهمات الأعضاء وذاك حر ماله. ثم بالتبرعات وسهم «سبيل الله» -وهو الثمن- من الزكاة. وليحرص جند الله على الاستقلال التمويلي، وألا يأخذوا من أيد مشبوهة، وألا يسقطوا في فخ الاحتواء من هذه الجهة. فإن من يطعمك مولاك.

وبعد التحرير وقيام الدولة الإسلامية تجهز الدعوة مما قلنا، ثم من أموال الوقف.

3- جهاد التعليم:

لما انكمشت الدعوة إزاء توسع الدولة وأجهزتها اختفى شيئا فشيئا عند المسلمين روح التبليغ والتعليم. انكمشت الدعوة، وقل التطوع منذ القرون الأولى التي كان طلب العلم وبذله يعد فريضة لازمة. ولإمساك حكام العض والجبر على عنق الأمة لم يبق للدعاة عبر التاريخ إلا الانضواء تحت لواء الحاكم، والعيش على مائدته، أو الانزواء بعيدا مع توجس ما يأتي من شر من الطائفة المستكبرين.

كان أخشى ما يخشاه حكام الاستكبار -ولا يزالون خاصة بعد قومة الإمام الخميني- جماعة دعوة تعلم الأمة وتقوي صفوفها.

على هامش الحياة العامة عاش معلمو الناس الخير. وكان الأجدر -لو استقام الوضع- أن يكونوا هم نخاع الأمة، وتعطاهم الفرصة والوسائل لإخصاب الأمة

من قحط النفوس والعقول، وإثرائها من عوز الإيمان والرجولة، وتنويرها من ظلام الجهل والجاهلية.

إن طليعة الأمة -جند الله المجاهدون- هم معلمو الأمة غد النصر إن شاء الله. هم المبعوثون ليعلموا كما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما. هو بعث برسالة وهم ورثتها القائمون عليها، وبعثهم ميراث من ميراثه صلى الله عليه وسلم.

وواجبهم أن يُكونوا من بينهم -من ذوي الاستعداد- علماء ممتازين في العلم الإلهي علم الإيمان والشريعة. وأن يكونوا علماء تخلّق وسلوك وترويض. من الله عز وجل المواهب الخاصة، مواهب القلوب المهيأة أزلا للنور، ومواهب العقول المهيأة لتكون أوعية للعلم. لا يستطيع أحد أن يعيد قسمة ما فرغ الله تعالى من قسمته. لكن «جماعة المسلمين»، قطرية متعددة ثم عالمية متوحدة، تستطيع أن تتيح للقلوب تربية لتصلح للنور، وللعقول معاهد لتبلغ أقصى ما خلقت له. يجب عليها ذلك.

ثم قبل القومة وأثناءها وبعدها، من ورائنا هذه الأجيال المتلاحقة المباركة، مهمتنا أن نعلمها. أن نعلمها الإسلام والإيمان، والمحبة، والعمل الصالح، والأخوة.

يجب أن نصلح جندا منظما منبثا في المدن والقرى، في المساجد والمدارس، في البيوت والطرق، في المعامل والمستراحات. يعلم، يبلغ، يحبب الإسلام والإيمان.

والحمد لله الذي جعل لنا في هذا الزمان جماعة الدعوة والتبليغ ذات الانتشار العالمي، والفيض الإيماني، والسعي الذي لا يمل، والجهاد لإبلاغ الكلمة الطيبة والنبأ العظيم للإنسان الجاهل بدينه وهويته. هم مثال يحتذى في هذا الباب.

أصبحت شعوبنا المسلمة موطنا ومولدا كمّا غثائنا. والغثاء ما يحمله السيل من التبن البالي ويجرفه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى الإمام أحمد: «**إن الإيمان يخلق** (أي يبلى) **في القلب كما يخلق الثوب. فجددوا إيمانكم**».

إن فكر أبناء الدنيا من حكام الجبر في تعليم الشعب، فإنما يفكرون في «محو الأمية» وللعملية هدف اقتصادي، هو أن المتعلم ينتج أكثر مما ينتج الجاهل.

وهم لا يقدرون حتى على هذا القدر من التعليم، مع أن هدفه من أمس ما نحتاج إليه.

فليكن إذن «محو الأمية» بالمفهوم الاقتصادي واحدا من أهدافنا حين نتحدث عن جهاد التعليم.

إنما نميز بين التنوير الذي نريده لظلمتنا العامة القاتمة، الذي يحققه جهاد التعليم، وبين التنوير الاقتصادي الجزئي الذي عجز عنه ويعجز حكام الجبر.

«تعليم الناس الخير» مفهوم نبوي، و«تجديد الإيمان» من البلى أيضا.

فكل خير مادي ومعنوي، كل تحسين للحياة اليومية، والعلاقات الاجتماعية، والمستوى الثقافي، خير نرجوه ونسعى إليه، ونتجند لبلوغه.

وقبل ذلك وضمنه الخير الأساسي وهو تعليم الإيمان.

ما دامت أجهزة الدولة في يد غيرنا، وأبناؤنا وبناتنا في أيدي المتسلطين، يتحكمون في مصائرهم وعقولهم، فمهمتنا عويصة. ما دامت المساجد نطرد منها ليحتلها صنائعهم ومداحوهم، فمهمتنا عويصة.

ومتى أذن الله لنا أن نمسك الزمام تكون مهمتنا أعوص.

إعادة بناء الهيكل التعليمي على قواعد إسلامية.

تطهير الأجهزة، ومنابر الرأي، والمدارس، والجامعات، من صنائع الفكر الجاهلي ودعاة الإلحاد.

نصب رجال، وإعداد رجال، ليخوضوا معركة البناء والتطهير ويقودوها.

تحويل الرأي العام، وتبليغ كلمة الحق، وتوطيد المفاهيم الإسلامية، وتحقيق هذه المبادئ في برامج صالحة للتنفيذ وتنفذ بالفعل.

هذا عويص، وله إن شاء الله همم الصالحين.

ومن الأجيال المتكاثرة، المباركة إن شاء الله، المتزاحمة على الأرض، ومقاعد المدارس، وصحون الطعام، تبرز إن شاء الله هذه الهمم.

ما يكون في يد غيرنا خطرا داهما وعائقا مانعا- كتكاثر السكان - يكون لنا إن شاء الله وسدَّد وهدى، رافدا وعونا.

4- جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾.[1]

حقيقة التمكين في الأرض أن تكون الدولة والسلطان بيد رجال الدعوة الساهرين على الدين، القائمين بالقسط. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حالة التمكين تصرف متكامل شامل بيدي القرآن والسلطان، بالترغيب والترهيب، بالتطوع والطاعة.

لماذا نسعى لإقامة الدولة الإسلامية؟ أهي غاية أم وسيلة؟ من الناس من يكتب أن غاية الإسلام إقامة الدولة. فيجعل الدين كله وسيلة. والقرآن يقول غير ذلك.

الآية تحدد واجب المؤمنين يوم يورثهم الله الأرض ويستخلفهم فيها. معناه أن قيام دولة الإسلام وسيلة لإقامة الدين.

وفي انتظار ذلك اليوم، يوم تقوم دولة الإسلام لتقوم بواجبها وهو إقامة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعدادا له، نجد التعليم

(1) سورة الحج، 41.

النبوي في حديث: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» رواه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

في الآية الكريمة وردت كلمتا المعروف والمنكر معرفتين بلام العهد. فالمفروض أن المؤمنين الممكنين في الأرض يعرفون ما هو المعروف وما هو المنكر، فلا يبقى لهم إلا التنفيذ.

في الحديث الشريف كلمة منكر بدون أداة التعريف.

وبين الآية وهي تخاطب الجماعة، والحديث وهو يخاطب بكلمة «من» الأفراد أساسا، توزيع لواجب الأمر والنهي، وتمييز لنوع العمل المطلوب. فإن المعروف والمنكر المعرفين بأل في الآية يفيدان، زيادة على أنهما معهودان معلومان، العموم. الممكنون في الأرض يجب أن يقيموا الدين كل الدين، أن يأمروا بالمعروف كل المعروف، أن ينهوا عن المنكر كل المنكر.

والكلمة في الحديث وردت منكرة، فهي تبعض المنكر، وتشير إلى الحالات العينية.

فعلى مستوى الدعوة والسلطان حين يجتمعان واجب إعزاز كلمة الله وإعطاء الهيمنة التامة لشرعه.

وعلى مستوى الأفراد واجب متابعة الأمور عن كثب، يوما بيوم، وخطوة خطوة، في كل مكان، وعلى كل الأحوال، لتكون يقظة المسلمين العامة، ومراقبتهم الحاضرة، هي القوة التنفيذية في مجال التفصيل، تحت هيبة الدعوة وسلطان الدولة.

إن واجب جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختلف معناه يوم تقوم الدولة الإسلامية عن معناه العامي الذي ألفناه تحت الحكم الجبري، وأعطته قرون فساد الحكم في ضمير المسلمين ركودا من ركودها، وخمولا من خمولها،

وتقلصا إلى نشاط هامشي، متروكة فيه المبادرة لبعض ذوي الغيرة، في بعض المواقف، في بعض الأحيان.

إن معناه والدولة الإسلامية قائمة سهر أولي الأمر على الشؤون العامة، وإفساح المجال للمسلمين والمسلمات، بل تربيتهم ليساهموا في السهر العام بمشاركتهم اليقظة.

بعضنا، تحت وطأة الجبر، يحرف واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يصرف حدته بادعائه، وحمل شعاره، في تخريب الدعوة.

بعضنا ينسي الناس بتعاميه عن المنكر الأكبر، وهو شيطنة الحكام، واجبهم الأول، ويتجند ويجند معه أخِفَّاء من الناس ليهاجم المصلين، يبدع هذا، ويكفر ذاك، ويبطل صلاة الشيوخ العاكفين في محرابهم.

بعضنا ينشط إن سمحت له الأنظمة الشيطانية أن يكر على بعض الحانات، في بعض الأوقات، أو أن يكتب ليندد بالمناكر الجزئية التي تعج بها البلاد، ويرزح تحت ويلها العباد.

لا نبدد جهودنا في ملاحقة ظواهر المرض، يأكل طاقاتنا السخط، ويفتت عزائمنا في آهات التسلية النظر إلى تعدد المناكر، وفشوها، وفداحتها، وعدواها، وعجزنا عن تكميم الأفواه الفاجرة، وزجر الزناة والسكارى، وإغلاق الحانات والسنمات، وكسر التلفاز حامل العهارة ورائدها في القصور والدور والأكواخ حملا يسوي بين كل طبقات الأمة في حضيض الأخلاق وعفن المنكر.

لا تُفن عمرك في التأسف على الثمار السامة، بل اقطع شجرتها يَفْن معها السم.

لا يمكن أن ننتظر من الأفراد، ولا الجمعيات، أن تقوم بواجبها في الأمر والنهي، ولا أن يكون لذلك معنى، ما دام روح المنكر وجسده، وينبوعه، ولحمته وسداه بيننا، ألا وهو الحكم الفاجر الكافر.

إن أضعف الإيمان التغيير بالقلب. ويقوى الإيمان ويأتي التغيير الحقيقي إن نحن تعلمنا كيف نجمع سخط المسلمين على المناكر الجزئية لنصنع منه سخطا عاصفا يمحق دابر الفساد ويأتيه من قواعده.

وإن أقوى الإيمان بالمقابل هو تغيير المنكر باليد واللسان. ويضعف نتاج هذا الإيمان، بل يأتي بالنتائج العكسية، إن هو انصرف للاحتجاج، والتذمر، واللعن، وشتم الواقع وملاحقة الزجاجات تكسر، والمجرمين الصغار، والفجار العابثين، حتى يصبح ذلك متنفسا للضمير الإسلامي المعذب، وحتى يصبح آخر الأمر الفتك بعاهر في الشارع، واقتحام حانة، أهدافا في حد ذاتها.

عمَّ تتولد المناكر؟ أين عشها؟ كيف تفرخ؟ كيف تنمو؟ من حاميها ومخططها؟

اتبع الجذور تجد المنكر ينبت في أرض الجاهلية هناك، ويفرع في أرضنا بواسطة شتلات بشرية عقلها هناك، وقلبها وهواها وولاؤها. فلماذا تصرف الجهد أسى على ثمار الفروع؟

اجتث الشجرة من أصلها. أَغلق الباب الذي منه تهب رياح الكفر والفساد!

5- جهاد الكلمة والحجة:

إن صوت الإسلام يسمع اليوم في العالم أكثر من أي وقت مضى منذ انهيار «الخلافة» العثمانية المسلمة. فأي خطاب يوجهه جند الله للأمة وللناس قاطبة؟

فتحت القومة الإسلامية في إيران باب المجد للكلمة الإسلامية إذ بزت بشمولها وعمقها كل حركة في تاريخ الثورات، وأسكتت فصاحتها كل خطيب ثوري بصمود شعب بأكمله أمام الدبابات قبل التحرير، وأمام كيد الجاهلية ومؤامراتها، وأمام حرب «صدام» يد الجاهلية على الإسلام، وأمام الأعباء الجهادية على كل الواجهات لإصلاح ما كان أفسده الحكم الجبري، وإعادة بناء الهياكل التي تهدمت على رأس صنائع الجاهلية.

وجدد لنا جهاد أبطالنا في أفغانستان[1] ذكرا في العالمين، أتم الله لنا النصر المبين، له الحمد وبه نستعين.

الحرب الإعلامية على أشدها ضد الإسلام، تحاول أن تعمي الأخبار بالتزوير لتقطع جسم الأمة عن طليعة التحرير في أفغانستان وإيران[2].

حرب شديدة لإقناع المسلمين في العالم أن الخميني شيطان متعطش للدماء وأن علماء المسلمين همج سفاكون، وأن أسد الجهاد ضد الروس شرذمة متمردون.

وحرب يشنها الإعلام اليساري في بلادنا ليقنع النشء أن الإسلام رأسمالية وظلم طبقي ورجعية.

وحرب تكفير الشيعة ونبش رفات الماضي.

حرب إعلامية مدججة بسلاح الذكاء الشيطاني والمال والوسائل.

نقاومها بجهاد إثبات الحق وإقامة الحجة. ولا بد لنا من مال ووسائل.

خطابنا الإسلامي-أي طرحنا لقضايا الإنسان كما طرحها الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح- دون المستوى المطلوب بكثير.

يقول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[3]

فالعي في الخطاب، والعجز عن إثبات الحق في العقول، وعن تبليغه للأسماع، ناتج عن قصورنا.

ولطالما كمم العلماء عن الكلام، وسلسلوا في عجلة الحكام، ونبذوا في زاوية الإهمال طيلة هذه القرون. فاليوم والأنوار الكاشفة من كل مكان مسلطة على «الصحوة الإسلامية»، وعلى طليعتها بأفغانستان وإيران. اليوم ومكر الكلمة يواكب مؤامرات الإبادة لإخماد جذوة الإسلام، وإسكات صوته، ومسخ رسالته

(1) انظر هامش 1 من الصفحة 292.
(2) انظر هامش 1 من الصفحة 286.
(3) سورة الأنعام، 38.

في فهم الناس، اليوم ونحن أمام المواجهة، ماذا نريد؟ ما هو الإسلام؟ ما حلوله لمشاكل الإنسان؟

ما منهاج الإسلام في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتربية، والتعليم، والصناعة، والحضارة؟

منا معشر المتحدثين عن الإسلام، والمهتمين له، والعاملين عليه، من يتصور العلم اللازم، والمنهاج المطلوب، على شكل دراسات جامعية، موثقة، غزيرة المصادر، متفرعة المباحث، مستقية من مشارب التراث الإسلامي الضخم.

وكأنما مشكلنا مشكل كمٍّ وكتب.

منا من يتطرف فيدعو للاجتهاد المطلق ينسى أن ما أصَّله علماؤنا من فقه الفروع، وما استقرت عليه المذاهب الفقهية من مناهج، كسب خالد للأمة، لا حاجة بها أن تفني جهودها لتعيد الاستنباط الفقهي، ملغية علم من تقدم.

يقول المقلد: «ما أصح علم من تقدم!» و«ما ترك الأول للآخر؟».

ويقول المتعالم: «لا شيء إلا الكتاب والسنة!».

ينسى الأول أن الزمان غير الزمان، والناس غير الناس، فقه من تقدم في الميادين الفرعية نستصلحه. أما ترويض الواقع المنكر، وتغييره، ومعالجته حتى يستقيم على القواعد الشرعية، فهذه عملية ما كان لمن قبلنا بها خبر، ولا عندهم لها تصور.

وينسى الثاني أنه حين يقول: «لا شيء إلا الكتاب والسنة» أن قائلها مقحم في الحكم، فهو يقول ضمنيا: «لا شيء إلا الكتاب والسنة باجتهادي أنا، وفهمي أنا».

وهذه الأنا ماذا تريد؟ ماذا تعلم؟ ماذا تقدر؟

وهكذا يتجزأ طرحنا لقضايا الإنسان ويتشتت.

إننا بحاجة لنُفهم العالم الإسلام، بحاجة إلى لغة، إلى خطاب.

لأعدائنا حجة ثقيلة ضدنا حين يختصرون اتهامهم في جملة: «الإسلام رجعية!» حجتهم من قبيل المغالطة لكنها ثقيلة الوقع على الأسماع، والتأثير على العقول،

حين يربطون الإسلام -الرسالة- بواقع الحكم الجبري، وتردي المجتمعات المسلمة، وتخلف فكرها واقتصادها، وقوتها العسكرية والصناعية، وفشو الظلم الطبقي واستبداد المستكبرين.

ولا يجد المعجب المطلق، المقلد المطلق، لمن تقدم، من حجة تقارع حجتهم إلا بالإطناب في مدح الإسلام.

ولا يجد المتعالم حجة إلا بزيادة تشدد في الفروع، واعتداء بالقول، والتشهير على مسلم يصلي بالسدل، وعجوز تتمسح بالأضرحة.

بحاجة نحن لخطاب يبلغ الأسماع، ويخرق أسوار الحصار الإعلامي ضد الإسلام، ويقارع كتائب الغزو الفكري. والمنفذ التاريخي فتح والحمد لله بالصحوة الإسلامية، وهتافات النصر في إيران أن «الله أكبر». والحجة جهادنا المظفر إن شاء الله في أفغانستان.

لا أقصد بالطبع أن نصوغ إعلاما مضادا. رد فعل للهجمة. إعادة صدى لصوت الآخر مع تغيير نبراته.

أقصد علما وتعليما يصارع الواقع الحالي، ويخطط لمستقبل المسلمين.

أقصد نظرة اجتهادية إسلامية شاملة شمولية تبين للمثقف والعامل والفلاح، والرجل والمرأة، والصديق والعدو، كيف يصبح القرآن، وهو طلبة المسلمين المستضعفين، قانونا عمليا يوجه الحياة اليومية، ويقسم الأرزاق، وينظم الاقتصاد، ويصنع البلاد، ويسلح العباد، وينصر دين الله في الأرض.

أقصد علما وإعلاما وتطبيقا لإسلام العدل، لإسلام الكرامة، لإسلام الخبز اليومي وأسباب الكسب الشريف، والتحرر من التبعية، وهزم جيوش الاحتلال، وإعادة فلسطين، وأفغانستان وبلاد الإسلام.

وكل يخاطب على قدر عقله، في الأثر: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم. أتريدون أن يكفر الله ورسوله؟».

فالمخاطب بمقامات الإحسان والعرفان والتقرب من الله هم كافة المؤمنين. ولا يفهم هذا الخطاب ولا يستجيب له إلا من خصهم الله برحمته.

أما المخاطب بالعدل، بالكرامة، بالخبز، بالصحة، بالمدرسة، بالهم اليومي، فهم عامة بني الإنسان. والمسلمون أحوج بني الإنسان، وأضعف المستضعفين في الأرض على هذا العهد، نسأل الله أن يبدلنا بذلنا عزا، وبضعفنا قوة، وبحاجتنا وفقرنا غنى وسعة.

وبين الخطاب بالإحسان والعرفان، والخطاب بالعدل، مساحة خصبة، يتموج فيها الخطاب القرآني ليناجي الروح في أشواقها، والنفس في أغوارها، والعقل في تجريده، والجسم في حاجاته.

ولأننا لا نحسن أن نخاطب بمعاني القرآن جيلنا وزماننا يبقى القرآن آيات تتلى تعبدا، وتبقى السنة النبوية زينة ثقافية، وكنزا يليق به أن توصد عنه ميادين الواقع. وهذا ما يريده من مصلحتهم أن ينام المسلمون. أن يعودوا للرقاد. وهيهات!

خطاب الله تعالى في القرآن، وتعليم الله إيانا كيف نحاج ونخاطب يتراوح بين الترغيب والزجر، بين اللين والقوة.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.[1]

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ (موسى) فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.[2]

يجب أن يكون خطابنا بالقرآن قويا. فلا نسكت عن بعض ما لا تسيغه عقول الجاهلية المريضة.

لا نخاف في الله لومة لائم أن نقول كلمة الحق.

نجهر ولا نهمس.

(1) سورة مريم، 12.
(2) سورة الأعراف، 145.

ولموسى قال الله تعالى ولأخيه: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً﴾.(1)

لكن ما العمل إذا كان فراعنتنا منافقين!؟

إن التعامل مع الكافر الصريح كفرعون واضح سبيله. ولين الكلمة من رجل أو رجلين أعزلين هو الدين.

لكن الفراعنة المنافقين بم يخاطبون؟

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ (أي المنافقون) الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾.(2)

هذا هو المنهاج للجهاد السياسي، وسنرجع إليه إن شاء الله.

ما لهجة الخطاب لعامة المسلمين؟ لمن ندعوهم أن ينصروا الدعوة؟ لمن نعلمهم دينهم؟ لمن هم ضحية البوار والظلم؟

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾.(3)

كلمة عامة: السداد: وهو استقامة الكلمة، وبلوغها هدف البيان والتفهيم والتسديد إلى العمل.

إن الخطاب القرآني الموجه إلى الفطرة البشرية هو الخطاب الشامل، هو لغة الجهاد. إن أسلوبه الجامع المانع الإلهي المتموج المتلائي بين الإنذار والبشارة، بين الترغيب والترهيب، بين الاستنهاض والزجر، بين التحريض العاطفي والتنوير العقلي، لهو وحده القادر على تبليغ دعوة الإسلام والإيمان والجهاد إلى أعماق القلوب. وهو وحده الكفيل أن يجعل لخطابنا الهيبة والنور والفاعلية التي تحول الكلام عملا، والفكر إنجازا، والشريعة الإلهية قانونا يحكم في الأرض، يعلو ولا يعلى عليه.

(1) سورة طه، 44.

(2) سورة النساء، 63.

(3) سورة الأحزاب، 70.

ابتليت أمتنا بالفكر المترجم بالفكر الفلسفي الإديولوجي. فتقرأ وتسمع خطابا بألفاظ عربية، لكن بمعان تلعنها لغة القرآن.

لا حاجة بنا إلى حكاية لغة الإديولوجيات والفلسفة لكي يفهمنا ممسوخو الفكر.

لما جاء عتبة بن ربيعة، وكان أعلم قريش بالسحر والكهانة والشعر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاطبه خطابا بليغا يشتم الحبيب، ويهدده ويغريه للرجوع عن دعوته بالمال والرئاسة، لم يكن من المصطفى صلى الله عليه وسلم إلا أن أجابه بالقرآن.

توعد المشرك وقدم وجهة نظر قومه. فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فرغت؟».

كلمة واحدة تفصل بين الحق والباطل. كلمة هادئة لا يستفزها الكلام الساخر الشاتم.

ثم قرأ المصطفى صلى الله عليه وسلم صدرا من سورة «فصلت».

إننا إن نزلنا بخطابنا ومحاجتنا من مستواهما الرفيع القرآني، وجردناهما عن النذارة والبشارة، والتوجه المتعاقب إلى العاطفة والعقل معا، هبط إيماننا إلى مستوى المواجهة بين المعاني الأرضية تتقاتل.

وإن نحن قصرنا خطابنا وردنا على من نحاجه في حيز التحركات الدنيوية، ولم نذكر الآخرة، ولم نصور لخصمنا ولمن ندعوه الموت وما بعدها، والآخرة وحسابها، والموقف وأهواله، والجنة والنار، لا يكون خطابنا إسلاميا لأنه لا يكون بذلك قرآنيا.

اقرأ سورة فصلت التي خاصم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن خطاب أعداء الإسلام وخصومه خال من ذكر الله عز وجل، مادي بحث. خطابهم يدور حول الكتل البشرية، والتاريخ، وداء الطبقية، والصراع بين الدول، وأمراض الاقتصاد، والهيمنة المشتركة بين العملاقين (في وقتنا)

على الكرة الأرضية، وحالة الاستهلاك في هذا البلد وذاك، والسلاح، والحرب والسلم، والأحلاف. هذا إلى جانب الخطاب عن الثقافة، واللهو واللعب، والغانيات والعبث.

خطابنا لا بد أن يعطي لكل سؤال مادي تطرحه حالة العالم جوابا مستمدا من شرع الله وهدي نبيه. ولن يكون الجواب عن أسئلة أهل الأرض إسلاميا إلا إذا ربط بين الدنيا والآخرة، بين حاجات الجسم في رحلته، بين الولادة والموت وبين حاجات الإنسان (وما الإنسان إلا النفس الساكنة في الجسم، المرتحلة عنه بالموت) أن تزكو نفسه بالطاعات والعبادات، لتكون دار الخلود بالنسبة إليه دار نعيم لا دار شقاء.

يشيد أعداء الإسلام بشمولية فكرهم في زعمهم، يظنون أنهم بلغوا قمة الذكاء والوعي التاريخي والسياسي حين يطرحون مشكل الإنسان، وسير التاريخ، وعلاج أمراض المجتمعات البشرية بواسطة الصراع الطبقي، ومراقبة التطور التاريخي، وتطبيق الاشتراكية.

حقيقة الموت طويت في خطابهم. الإنسان الفرد ذاب في المجموع. في الصراع الطبقي لا وزن للفرد وهمومه، وشقائه وسعادته في الدنيا التي لا يؤمنون بغيرها فأحرى في الآخرة التي لا يرجونها.

شمولية الفكر الجدلي المزعومة ما هي إلا إدراك سطحي جدا ما دامت لا تتعرض للمصير الجماعي التاريخي إلا لتطوي وتذيب وتنسي مصير الإنسان بعد الموت. هذه الشمولية المزعومة يكفينا في فضحها تقويم نتائجها الأرضية من خلال ما يكشفه نزلاء جهنم الشيوعية من وجود «كولاك» وهو عبارة عن سجون الإبادة والتعذيب، ومن وجود «نومنكلاتورا» وهي عبارة عن طبقة الحكام المهيمنين على كل شيء.

يبقى لنا بعد افتضاح الإديولوجية بضآلة نتائجها، بل بوحشية نتائجها الفظيعة، أن نقدم -على مستوى الخطاب والجدال والتفهيم- الإسلام في إيجابيته. نتحدث

عن الإنسان في شموليته. عن مصير المجتمعات التاريخي، وعن مصير الإنسان الفرد المدعو إلى الله. مصيران مشتبكان متعانقان. ونربط مصير المجاهد بمدى سعيه لتحقيق مصير العزة لأمته. فإن الله تعالى إنما وعد الشهيد بالحياة الخالدة في النعيم لأنه يسعى بجهاده وبذل حياته في إحياء أمته.

شمولية الخطاب القرآني تدمغ الفكر الجدلي عندما نقدم تصورنا لمفهومي الاستكبار والاستضعاف، وعندما نعبئ جهودنا، أثناء الزحف وبعد قيام الدولة الإسلامية، لننصر المستضعفين في الأرض على المستكبرين.

المفهومان القرآنيان أوسع وأكرم وأكثر اهتماما بالإنسان ونشله من الظلم. ويزيدان بعد ذلك أنهما يعطيان البعد النفسي، بل السبب النفسي، للصراع بين المستكبرين والمستضعفين، كما يعطيان البعد الاجتماعي (الترف)، والبعد السياسي (الملأ)، ثم يعرض لنا القرآن المستكبرين جملة، ومن رضي من المستضعفين بالظلم، وخنع ولم يجاهد، وبقي على دين المستكبرين. يعرض لنا حجاجهم. أين؟ في النار.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾.[1]

تأكلنا الشيوعية إن لم نعلنها داوية، ولم نحققها كاملة، أن الإسلام دين العدل وحامي المستضعفين.

ويجرف إيماننا جرفا إن لم نجعله جهادا في سبيل الله قبل أن يكون جهادا في سبيل المستضعفين. أعني أن لا نفصل بين حق الله علينا أن نعبده ونكون خلفاءه في الأرض، وبين ما يفرضه علينا الاستخلاف من إنصاف المظلوم، ونصرة المستضعف، وبث الإيمان. وإننا لنقرأ فيما يكتبه بعضهم أن الصلاة وسائر

(1) سورة غافر، 47-48.

العبادات إنما هي تدريب للعبادة الكبرى وهي إقامة الدولة الإسلامية. هذا هو الإسلام السياسي الذي يسوي دين الله بالأرض.

تنبأت الإديولوجية الاشتراكية بسقوط الرأسمالية منذ أمد، ولا تزال تتنبأ. وفي خضم الأزمة الاقتصادية الحالية العامة تبدو حظوظ البقاء بالنسبة للمذهبين الجاهليين، ولحضارتهما الملغومة بالكفر العام، وبالسلاح النووي، وتنازع النفوذ في العالم، على حد سواء.

إن كانت الرأسمالية أعتى وأقدر على التطور مع الأحداث فإن الشيوعية أعنف وأشرس.

فما البديل الذي ينتظره الإنسان؟

الإسلام لا بد أن يبرز ويتولى القيادة. وعد الله، وكان وعد الله مفعولا.

لكن إن كان جهاد الحجة مؤكدا لدحض الإديولوجيات والفكر الجدلي فإن آكد منه التهيؤ لنزال الرأسمالية -وهي العدو الأول- في معاقلها. في الاقتصاد يهيمن عليه اليهود، في الإعلام، في الحرب، في تحرير الأرض، في ميدان المال -مالنا الذي يدفعه سفهاؤنا اليوم للتَّرابي العالمي-، في ميدان العلم والتكنولوجيا، في ميدان التنظيم والسياسة والإدارة والتصنيع.

لا بد من تعبئة شاملة، فإن إبطال الباطل وإحقاق الحق لا يكفي فيه جهاد الحجة، إنما يكون هذا قد أدى مقصوده إن كان حافزا للتحرك، والزحف، والنزال، والصمود حتى النصر، وبعده إلى يوم القيامة.

6- جهاد التعبئة والبناء:

في فترة من فترات «الصحوة الإسلامية»، في أوائلها، يكون الخطاب الإسلامي، والتحرك الإسلامي، تعبيرا عن الرفض والمعارضة للظلم الاستكباري والتعسف الجبري.

وفي يوم ما -كما حدث في إيران- يصل المؤمنون إلى سدة الحكم، ويحتاجون أن يكون الشعب بأجمعه إلى جانبهم، متجاوبا، منفذا، مستميتا، ليصد العادين، ويمنع النكسة، ويبني الخير.

فلنبدأ تعبئتنا قبل أن تدق ساعة انهيار الباطل لئلا تفاجئنا الأحداث.

إن مشاكل الأمة متشعبة، ومهمات البناء ثقيلة، ولا ينهض لها إلا الأمة كلها حين تستيقظ وتشارك، حين تحيى من موت الاستسلام، حين تمسك أمرها بيدها، وهم جند الله المقاتلون في سبيل الله والمستضعفين.

مشكلات سياسية: وجود أنظمة إن قوضت وقصمها الله لظلمها فسيبقى بعدها مخلفاتها من أحزاب متعددة أو حزب واحد، من طبقة مترفة مجرمة تحن إلى الماضي وتكيد لإرجاعه، من تكتلات يسارية ويمينية -من يسار الجاهلية ويمينها-، من تجمعات قبلية عشائرية، أو ثقافية سياسية، أو مصلحية، تناوئ الإسلام، وتكيد للقومة. وفي إيران أنصع مثال لكل هذا، وأرجى مثال حتى الآن لتعبئة الأمة وراء علمائها.

ثم مشكلات اجتماعية: تزايد عدد السكان، الهجرة من البوادي للحواضر، سوء توزيع الملكية الزراعية، فساد العلاقات بفساد القضاء والإدارة والذمم الفردية، فساد العادات والذهنيات، وسيطرة التنافس على الدنيا، والأنانية.

ثم مشكلات مرتبطة بالفساد السياسي والاجتماعي: اقتصاد نصب ليخدم مصلحة المترفين، ثروات حرام نشأت عن الابتزاز والرشوة واستغلال النفوذ والسرقة من الأموال العامة. نفوس ألفت الكسل، وعقول ركدت على الجهل، وتخدر حسها بفعل الإعلام. انتشار الزنا والخمر والميسر وسائر الموبقات.

مهمات إصلاح كل هذا بعد القومة مثل الجبال.

ومهمات تنظيم جند الله قبلها تحت ضغط هذا الواقع القاتم الثقيل المعادي لنا مثل الجبال.

بعد القومة نجد أنفسنا إن شاء الله أمام واجب تحرير الأمة من كابوس الاستكبار خارجيا كان أو داخليا. ونجد أنفسنا وجها لوجه مع واجب التنمية الاقتصادية، وإعادة توزيع الثروات، ومع التخطيط اللازم، وواجب التنفيذ لمخططات التعليم والتقويم، وإعداد الأطر، وتنسيق الجهود.

إن هذه المهمات الضخمة لا سبيل إلى إنجازها بمجرد تقنينات الدولة، وإملاء إرادة الحاكم على أمة مستسلمة لكيد أعداء الإسلام.

إن لم يشارك الشعب المستضعف والتائبون من كل الطبقات في البناء مشاركة صادقة مخلصة فعالة مهتمة فلا سبيل.

في كل ثغرة من ثغرات الجهاد ينبغي أن ينتصب أنصار الإسلام، منتظمين. في الأجهزة المركزية حيث يتخذ القرار العام، ثم في المواطن المحلية حيث تتخذ قرارات التنفيذ وحيث يتم البناء الفعلي.

«أنت على ثغرة من ثغور المسلمين، فلا يؤتين المسلمون من قبلك!».

هذا أثر يستحق أن يتخذ شعارا لجهاد التعبئة والبناء.

هذا الجند المنتشر في الثغور، المعبأ للعمل، المشمر لمواصلة الجهاد، لن يتكون بالتشريع بعد القومة، ولا بالخطب والتهييج، ولا بمطارق الشعارات في أجهزة الإعلام وعلى اللافتات.

هذا الجند يجب أن نسعى لبذر غرسه في الأرض من قبل. يجب أن نسقيه على قنوات التربية بماء الإيمان، حتى يشب ويستغلظ ويستوي.

يجب أن يبث جند الله نور الإيمان في القلوب، ونور العلم في الأذهان، وقوة الإرادة في العزائم، وشدة المراس وطول النفس في النفوس. يجب أن يدربوا المهارات، ويروضوا الجسوم، ويقووا العضلات، لحمل سلاح المقاومة، ومعول الهدم، وآلة الإنتاج والبناء.

التربية قبل الجهاد وأثناءه وبواسطته.

جند الله في الميدان عمال ورشة، وحرس قومة. ولا أضمن لنجاح القومة من انتصارها في معارك البناء. وإلا فكيد المغربين ينتصر إن واتاه فشلنا في التعبئة والبناء.

يختلف جهاد الإسلام وتعبئته عن تعبئة غيرنا و«نضالهم» بأننا ننوي بالجهاد والتعب في سبيل الله التقرب إلى الله. ننوي بالتجافي عن الدنيا واحتقار راحتها وبذل مالنا ونفسنا وجهودنا في سبيل الله أن يرحمنا الله عز وجل، فيمتعنا بنعيم الآخرة، ويعطينا بدل حياتنا هذه التي نعطيها حياة النعيم الأبدي. ننوي باجتهادنا في الأعمال الصالحة أن يكافئنا الله تعالى بالأجر العظيم الكريم الذي وعدنا.

ما تحركنا على الأرض كتحرك غيرنا. لذا كان جهاد المؤمنين الأولين عاصفة قضت على الاستكبار، ورحمة للخلق المستضعفين، وقوة مقاومة ومناعة وعز.

في غزوة الخندق هجم العدو بحشوده، وكان لا بد من تعبئة المسلمين جميعهم لحفر الخندق. شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطى المثال من نفسه. ونهض المسلمون كلهم خفافا لإنجاز هذه الخدمة الملحة المستعجلة. وسرت فيهم حماسة استعلت فأصبحت عزمة ماضية.

وصحب هذه الهبَّة شعور جديد بذاتية جهادية، ذاتية جماعة ملتحمة التحاما عضويا حول الرسول الله صلى الله عليه وسلم. ذاتية روحها البيعة له صلى الله عليه وسلم، ورائدها التشوف لجزاء الآخرة وخيرها.

اقرأ هذا الشعور والالتحام والتشوف في الحديث التالي: روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم، رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني التراب جلدة بطنه، وكان كثير الشعر». وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن الأنصار والمهاجرين كانوا يرتجزون وهم يحفرون الخندق وينقلون التراب على متونهم.

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجره**».

الرسول القائد ينقل التراب! لا إله إلا الله محمد رسول الله.

التعبئة الإسلامية لن تكون كذلك إن أمليت من أعلى، إن لم يستو جند الله قيادة وصفا مع الشعب في القسمة، قسمة الأرزاق وقسمة الأتعاب.

هؤلاء هم جند الله يحفرون وينقلون في نشاط. وكيف لا ومعهم الحبيب نموذج النشاط والاجتهاد!

هؤلاء هم يدرجون على الأرض في فرح وهمة، وقلوبهم نشوى بمعاني البيعة التي تربطهم بالسماء. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾.[1]

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسده الشريف يغطيه الغبار -والغبرة في سبيل الله من أوسمة الجهاد- وهو يربي وسط هذا الانشغال، ووسط هذه الزحمة والهول. يرفع العواطف والأفكار لتستهين بالدنيا وما فيها وتتعلق بالله عز وجل وبالآخرة.

فحين يقول غيرنا: «تعبئة من أجل التنمية والإنتاج»، نقول نحن: «تعبئة تنمية وإنتاج وتعليم وتحرير من أجل نيل رضى الله».

حين يتحدث غيرنا عن أهداف الخطة الاقتصادية، ويلتمس وسيلة لسَوق الفلاحين والعمال في مسيرة الإنتاج الاشتراكي الشيوعي المبنية على المكتبية و«الانضباط الثوري» الذي يستعبد العامل والفلاح، نهب نحن إن شاء الله استجابة لداعي الله تعالى الذي استعمرنا في الأرض، واستخلفنا فيها، ووعدنا بالجهاد للعمارة والخلافة جزاء الجنة ورضاه.

وعندما يستفحل وباء الرأسمالية ويطوق عنق العامل والفلاح والشعوب المستضعفة بطوق هيمنته ليمص الدماء، نقوم نحن إن شاء الله القومة الكبرى، ومن ضمنها القومة الاقتصادية.

(1) سورة الفتح، 10.

7- الجهاد السياسي:

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[2]

أمة منكم. أمة خاصة من الأمة العامة. جماعة ملتئمة متضامنة ملتحمة، كما تدل على ذلك كلمة «أمة».

إن المسلمين من لدن فساد الحكم وانتقاله من نبوة وخلافة راشدة إلى ملك عاض ثم جبري ألفوا على مر القرون الوضع الشاذ الذي يكون فيه الحكام المغتصبون كل شيء.

عاشت الأمة هذه القرون في «غياب مذهل» للأمة الخاصة، وهي «جماعة المسلمين» التي أمر الله أن تكون منا.

تألفت على مر تاريخنا جماعات تطالب بالحكم، منها ما كان عملها شرعيا سماه علماؤنا قومة (القائم من آل البيت)، ومنها ما كان عصبية وإرادة تسلط على الحكم لإبدال طاغوت بطاغوت سماه علماؤنا ثورة.

لكن جمهور الأمة وقاعدتها عاشت على ذهنية خاملة. على ذهنية أنها رعية ترعى دون حق لها في الاعتراض، وأن الحكم المنتصب شرعي مهما كانت جرائمه.

هذه الذهنية الآن لا تزال سائدة، وإن كانت الصحوة الإسلامية المباركة تزيل عن الأعين شيئا فشيئا هذه الأوهام المزمنة.

يعيرنا اليساريون والأمريكيون بأن الإسلام ما كان قط المحرك الشعوري والفكري لحركة تحرر فيما مضى من تاريخنا، ومن ثم فلن يكون محرك تحرر فيما يستقبل. ولعلهم يتجاهلون أو يجهلون أن حركات التحرر الوطني في البلاد الإسلامية إنما انتصرت لاتكاء قادة أحزاب التحرير على الشعور الديني. ومن

---

(2) سورة آل عمران، 104.

يستعرض حركات المسلمين منذ قومة السيد أحمد الشهيد في الهند في أواسط القرن الماضي (وكانت إسلامية صرفة)، إلى حرب التحرير الجزائرية (وكان الحافز على القتال إسلاميا في القاعدة)، يجد أن الشعور الإسلامي هو الروح الباقية في الأمة. وما يتراءى من غضب ثوري عند «النخبة» المغربة ممن تأثروا وتتلمذوا للفكر والقيم الجاهلية، يمينها ويسارها، ما هو إلا سحابة صيف عن قليل تنقشع.

وقد انجلت ضبابة الثورية اليسارية والحمد لله في إيران[1]، وضرب إخوتنا الشيعة أروع مثال لما يحدثه الغضب لله وللمستضعفين. وما غضبة المجاهدين في أفغانستان وحركتهم بالتي تجد لها مثالا في أي تاريخ[2].

بعض المسلمين، بل كثير منهم، يقولون: «مالنا وللسياسة!» وكان التصور الغربي للدين بأنه شأن خاص بين العبد وربه (رولجيون) قد استقر في هذه الرؤوس المسكينة حتى أصبح دينهم الشامل لكل شؤون الحياة والممات، والدنيا والآخرة، والسماء والأرض، والزمان والمكان والكون، غريبا عنهم.

يجب أن ينصب جهادنا السياسي قبل القومة على تعليم الأمة أن الله أمر أن تكون منا أمة (أي جماعة) خاصة منظمة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. وأن الانتماء لهذه الجماعة قربة عظيمة وشرف عند الله كبير. وأن هذه الأمة الخاصة واجبها الأول أن تنكر المنكر الأول وهو الحكم بغير ما أنزل الله. وأن تأمر بالمعروف الأكبر، وهو إقامة دين الله، وإرجاع الخلافة على منهاج النبوة.

يجب أن نعلم الأمة قبل القومة أن واجب المسلمين، واجب الأمة الخاصة بقيادة علماء الأمة المجاهدين، أن يعارضوا الحاكم. روى أبو يعلى في مسنده والطبراني بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ستكون أئمة من بعدي يقولون فلا يرد عليهم قولهم. يتقاحمون في النار كما تقاحم القردة**».

(1) انظر هامش 1 من الصفحة 286.
(2) انظر هامش 1 من الصفحة 292.

فالرد عليهم حق الأمة. فإن تجاوزوا القول المنكر إلى الفعل المنكر فالاعتراض عليهم واجب. فإن تجاوزوا اقتراف المنكرات هنا وهناك، والمرة بعد الأخرى، إلى استباحة محارم الله، وإلى الحكم المنهجي بغير ما أنزل الله، وإلى الكفر البواح، فطردهم واجب مقدس.

وبعد القومة لا بد أن تتألف الأمة الخاصة، أي «الجماعة»، من كتيبتين رئيسيتين، تؤديان مهمة التجديد والسعي للخلافة الراشدة:

1 – دعوة تتمثل في مؤسسات ورجال مهمتهم تربية الأمة ومراقبة التطبيق. ولها الهيمنة على مصير الأمور وعلى الرجال.

2– دولة تتمثل في مؤسسات ورجال وأجهزة وإدارات تسير الشؤون المادية والنظامية والاقتصادية. وهي تحت مراقبة وتوجيه الدعوة ورجالها.

وتجتمع مقاليد الدعوة والدولة معا في يد الإمام القطري قبل التحرير العام، والخليفة بعده، ينسق، ويأمر، وينهى، وينظر إلى الأسبقيات، وينصب، ويعزل، ويستشير، ويتخذ القرار.

نرجئ الحديث عن هذا إلى فصول أخرى إن شاء عن تصورنا للنظام الإسلامي في الحكم.

لكن نسبق هذه الكلمة لنشير إلى غياب الدعوة التي كانت تنطق بلسان آحاد الناس أمام الخليفة الراشد أبي بكر الصديق: «والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا!».

غابت الدعوة المعارضة الرادة الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر. وحل محلها مؤسسات الإسلام الرسمي ورجاله.

وهذه هي الصحوة وموقفها، يريد جند الله أن يستعيدوا السيادة لأيدي المؤمنين، فتعارضهم الأنظمة الفاسدة برجال الإسلام الرسمي ومؤسساته، وشعاراته، ومؤتمراته. إلى جانب مقاومتها إياهم بالتصفية الجسدية، والسجن، والتشريد، والإرهاب البوليسي، والاحتواء بالإغراء والتمييع، وتشجيع عوامل الفرقة.

فما هي الصيغة أو الصيغ التي ينبغي لجند الله أن يتبنوها للتقدم بحركتهم؟ ما هو الخط السياسي أو المسالك السياسية التي من شأنها أن تتقدم بنا إلى أن نصل إلى الحكم، وإلى أن نبني الخلافة على منهاج النبوة؟

كان سلفنا الصالح يسمون «سياسة شرعية» اجتهادهم في تنظيم الحكم. ويكون هذا الاجتهاد سياسة شرعية إن لم يصدم في نقطة من نقطه، أو رأي أو استنباط، مبادئ الشريعة، ولم يتجاوز حدودها، ولم يتقحم عليها.

فمن حقنا إذن وواجبنا أن نجتهد في معارج الزحف وأخطاره، لنسلك القافلة. ومن حقنا وواجبنا أن ننوع أساليبنا، ونراعي الظرف، والعصر، والمصر، ومن حقنا أن نتخذ الوسيلة الشرعية للهدف الشرعي دون أن نتبلد أمام حيل خصومنا وأعدائنا. نتصرف على أساس أنها حرب، وأن الحرب خدعة كما جاء في الحديث.

8- جهاد التنفيذ:

إنه لا كلام قبل أن يتكون الجسم المتواد المتراحم، المتضامن تضامنا عضويا، المنظم على المحبة في الله والشورى والطاعة. لا كلام! أعني لا تأثير في الواقع يرجى. والكلام قبل وجود رجال يعبر الكلام عن إرادتهم العازمة ونية جهادهم نوع من إنارة الطريق عن بعد عسى يجتمع إليها السالكون. وهي طريق الجهاد والموت في سبيل الله لنصر دين الله والانتصار للمستضعفين.

كان الشيخ حسن البنا رحمه الله يرى ثلاث مراحل للعمل. الإعلام، ثم الإعداد، ثم التنفيذ.

أقصد بالتنفيذ نهوض الجماعة القطرية لتعلن نفسها أو تسر وجودها، ثم لتزحف إلى الحكم، وتستولي عليه، وتعيد ترتيب البيت وتوجيه المسار، وتعرف المعروف وتأمر به بعد أن تنكر المنكر وتطيح به.

تبدو لنا ثلاثة خطوط سياسية، لا نحصر فيها إمكانات العمل التنفيذي، إنما نتخذها وجهات لتأملاتنا.

1- الدخول في تعددية الأحزاب، والترشيح للانتخابات، وما يقتضي هذا من علنية العمل، والمرونة الدائمة، وطول النفس.

إن خرق جدران الحصار، الإرهابي منه والقانوني، تحت أنظمة تعلن أنها ديمقراطية، وأن نظامها مبني على الحريات العامة، لا يتأتى لنا ونحن في فترة الإعداد إلا بالدخول في المعمعة التعددية والانتخابية.

هذا مذهب أستاذ الفكر الإسلامي الشيخ المودودي رحمه الله ووسع له في رحمته. وانظر في مؤلفاته أصول اجتهاده هذا.

ثم إن قبولنا المشاركة في «اللعبة الديمقراطية» من شأنه أن يكشف زيف الدعوى الديمقراطية. وهذا ما حدث في تونس لما قام إخواننا هناك بإعلان نيتهم الدخول في المعركة الانتخابية وطالبوا بحقهم في تكوين حزب.

كان رد الحكم الجبري أن كل التوانسة مسلمون، وأن السماح بتكوين حزب إسلامي يعني القدح في إسلامية الدولة. مغالطة! يقصد الحكام أن يشعلوا غيرة الشعب وكافة التنظيمات الحزبية ضد المؤمنين باتهام جند الله بالتزمت وتكفير من عداهم.

ومزية أخرى للدخول في الانتخاب، وولوج ذلك الباب، هي مزاحمة غيرنا على كسب الرأي العام، والاستفادة من التسهيلات الرسمية في التحرك. هي مزية التضييق على الإسلام الرسمي وإسلام الأحزاب السياسية التي أصبحت ترفع شعارات الإسلام أعلى فأعلى منذ تيقن العالم، وببرهان إيران وأفغانستان، أن القومة الإسلامية هي حقيقة المستقبل، وعربونها الصحوة الإسلامية الصاعدة.

تطرح هنا أسئلة ثلاث:

أ- هل تقبل الشريعة الإسلامية هذا؟

الجواب نقرأه في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قبل صلح الحديبية مع قريش بعد أن عقد معاهدة مع اليهود أوائل مقدمه إلى المدينة.

نقرأه في توجيه القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام إذ قال للعزيز: ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.(1)

فهذا رسول معصوم يتسلل إلى مواطن النفوذ ومنصة السلطة ليبلغ أمانته.

نورد هذا لبعض إخوتنا ممن ينسون في ظروف خاصة، وهم بعيدون عن الميدان ومقارع الحدثان، أن التسرب عبر أشواك الواقع، وأسلاك الحصار، وتموجات الباطل، لا يعني الاستسلام لكيد الاحتواء المنظم.

لا يعني الاستسلام للاحتواء إذا كانت الجماعة على بينة وبصيرة وبقيادة ربانية.

ومن يقرأ جهاد الشيخ الإمام حسن البنا في مراحله وبالتفصيل يكتشف نموذجا حيا لمكايدة الحكم والأحزاب ومراوغتها. فقد كان رحمه الله يظهر الميل ذات الحكم وذات الأحزاب والمعارضة بحسب الظرف والمرحلة. وبمرونته رحمه الله استطاع أن يقود السفينة زمانا.

نعم ظروفنا غير ظروفه. ولا يلزمنا ما فعلته الأمم من قبلنا. لكن الذكي الموفق من ينظر في سير الموفقين ومنهم البنا، رحم الله الجميع.

ب- السؤال الثاني هو: ما مصير الأحزاب المتعددة بعد القومة؟

أنسمح لكل ناعق أن يستمر في نعيقه؟ أم نصمت الغربان؟

إن العقلية النافذة والتدبير البعيد الغور يقتضيان منا أن نعمل على قول الله عز وجل: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾.(2)

إننا إن أوقفنا بعد القومة كل الأحزاب من غيرنا لا نربي بذلك الشعب، بل نعطي للخصوم فرصة ذهبية ليمكروا في الخفاء، ويترقبوا وقتا يبرزون فيه معارضة من تحت.

(1) سورة يوسف، 55.
(2) سورة الأنفال، 42.

الوسيلة لإطفاء الفتيل، وسحب المبادرة منهم، هي أن نفسح المجال لكل مخالف ونسمح له أن يقترح اقتراحاته حتى يفتضح. وأظن أن ماضي الأحزاب في بلادنا وحده كاف ليفضحها ويعيبها في عين الشعب عيبا لا تلافي له يوم يكتشف تحت مجهر القومة خستها وجرائمها.

نترك كل زاعم يفضح نفسه بنفسه، وسيكون كل شعار غير إسلامي بعد القومة شعارا تمجه الأسماع، وتنصرف عنه العقول والقلوب.

دعهم يموتوا موتتهم الطبيعية.

دع أوزارهم الماضية، وضيق أفقهم، تقاس باستقامتنا، وسعة صدرنا، فيحكم الشعب بنفسه بعد أن نزيل عنه غشاوة الكذب والتمويه والدعاية الرسمية والحزبية.

ج- السؤال الثالث: هل تتعدد الأحزاب الإسلامية قبل القومة وبعدها؟ هل يجوز ذلك شرعا؟

في بعض الأقطار المسلمون جماعات متعددة فعلا. بعضها يسعى للجمع، وبعضها قبل مبدأ تعدد الأحزاب السياسية.

في كتاب الله عز وجل وحدة حزب الله. وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المؤمنين المخاطبين بالقرآن. قال الله عز وجل: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[3] سماهما طائفتين وأمر بالإصلاح. وأمر بعد ذلك بقتال الطائفة الباغية، أي الخارجة عن الجماعة، حتى تفيء إلى أمر الله.

الحث على لزوم الجماعة من آكد وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورد كثير من الأحاديث في الباب صنفها علماؤنا وأئمتنا في ذكر الفتن.

أحاديث كثيرة عند البخاري والإمام أحمد وأبي داود وغيرهم يأمر فيها الحبيب بلزوم الجماعة، ويهدد الخارج عنها.

(3) سورة الحجرات، 9.

فتعدد الجماعات التعدد العدائي المفرق انشطار للأمة لا يقبله الشرع.

وقبول هذه التعددية العدائية التي تكيد فيها الجماعة الإسلامية الجماعة الإسلامية وتدس عليها وتنافسها بالبهتان والتزوير على أصوات الانتخاب، كما تفعل الأحزاب العلمانية، قبول لشر مبين وحكم بغير ما أنزل الله.

نعم كان التصنيف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل الجماعة كما يلي: مهاجرون -أنصار- أعراب.

فكانت «جماعة المسلمين» المسؤولة المنزل عليها القرآن بالأمر والنهي، وطلب التنفيذ، وتحميل المسؤولية، هم المهاجرون والأنصار. يسميهم القرآن باسم واحد حين ينوه بهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أما الأعراب فهم في حاشية الأمة وأطرافها مسؤول عنهم لا مسؤولون.

كذلك في مراحل التجديد وإعادة بناء الأمة لا بد أن يكون مطمح المؤمنين العاملين للإسلام المخاطبين بالقرآن تقريب الشقة بين الجماعات المتعددة حتى يستقر الأمر على صيغة تنظيمية يمكن في إطارها التعاون على البر والتقوى وإعطاء الولاية المفروضة شرعا بين المؤمنين حقها.

وقد يكون في هذه الصيغة النهائية تعددية تنظيمية يتنوع بينها الرأي، ويثمر الاجتهاد، وتكتسب المناصحة بين المؤمنين المستقلين في الاجتهاد والحركة شفافية وجدية ويقظة لا تتأتى مع وحدة التنظيم وغلظ الكتلة الواحدة.

على أن يفسح المجال بعد قيام الدولة الإسلامية لكل جماعة كي تساهم في جو من التنافس والمسارعة إلى الخير في الأمر العام، دونما إضرار بالأخوة الجامعة، ولا هتك للحرم المرعية، ولا إخلال بواجب الطاعة لأولي الأمر الذين أبرزتهم الشورى العامة.

هذا واجب شرعي يأثم من يحدث نفسه بغيره. ويستحق النبذ خارج جماعة المسلمين (ولو كانت هذه الجماعة على صيغة تعددية تنوعية) من دعا إلى عصبية أو ما يشبه عصبية.

لما قال الصحابي الجليل الحباب بن المنذر يوم السقيفة: منا (يعني الأنصار) أمير، ومنكم (يعني المهاجرين) أمير رفض طلبه. ولئن كانت ثم بقية من الشعور بالانتماء إلى القبيلة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترك فرصة ليشجب العصبية وينعتها بأقبح النعوت إلا فعل.

يكفي وصف الله العصبية والنعرة القومية بأنها جاهلية، قال عز من قائل: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾.[1]

إن كانت مراحل البناء تقتضي البدء بتأليف الجماعات الإسلامية القطرية تأليفا، إن اقتضت الحكمة أن تتخلله تعددية تنويعية، فلا ينبغي شرعا ولا سياسة أن تنغلق هذه الجماعات وتتحجر في كيانات متعادية بل يقتضيها جميعا واجب الولاية العامة أن تتعاون على البر والتقوى، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى جمع الكلمة، وعلى طرح الحزازات الشخصية، وعلى دعم الدولة الإسلامية، وشد أركانها، والنصيحة لها بعد قيامها، ليكون تعدد الرأي اجتهادا خالصا لله عز وجل تمسكه التقوى على التفلت إلى المنازعات العصبية المشتتة. فإنما هي أمة واحدة. من ابتغى لها القطيعة قطعه الله عز وجل.

ومن واجب التربية أن تبث هذا الشعور، شعور الانتماء للأمة الواحدة. من واجبها أن توقظ هذه الإرادة، إرادة توحيد الأمة من فرقتها. ينبغي لها أن

(1) سورة الفتح، 26.

تربط بين الولاء لله الواحد وبين الولاية للأمة الواحدة. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.[1]

وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.[2] وقال: ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾.[3]

القرآن لا يتحدث إلا عن وحدة الأمة. فهي واجب مقدس. لا يتحدث إلا عن الأمة الواحدة.

2- الخط السياسي الثاني الذي يبدو لنا في الساحة هو الخط الشديد، خط التميز والقوة، والتمرد، والرفض.

في بلاد المسلمين شباب متوثب يحيى إيمانه بعرامة وقوة. وينظر إلى الجاهلية من حوله فيبغضها أشد البغض. ويقرأ المودودي وقطبا رحمهما الله فيجد عندهما ذكرا للجاهلية وتحريضا ضدها. فيحسب الشباب أنهم وحدهم المسلمون، وأن الجاهلية تبدأ من الأم التي لا تصلي، والعم الذي يشرب، والأخت المتبرجة.

ويتصور الشباب العالم من حولهم بما فيه البيت والشارع، والمجتمع التقليدي، والحكام، كتلة ظلام يجب أن يفر منها، وعدوا لا انتظار لمنازلته.

اقرأ كتاب البهنساوي «الحكم وقضية تكفير المسلم» لتعرف كيف ولد فكر «التكفير والهجرة»، وكيف نظر الشباب إلى الأجيال الرائدة في الدعوة نظرة ريبة.

كل عرامة شابة تستهين بحكمة أولي الأحلام من الدعاة، لا سيما إن توسع عددها وكثر استفزاز الحكم الجبري لشعور المسلمين.

لا نرى للتنظيم العنيف المعتمد على الاغتيال السياسي مبررا ولا مستقبلا. إن هي إلا هزات هذا الكائن المترعرع في حضن تاريخ التجديد، يبحث عن متنفس،

(1) سورة الحجرات، 10.
(2) سورة الأنبياء، 92.
(3) سورة التوبة، 71.

وعن وسيلة تعبير عن حيويته. فلا ذنب للشباب إن لم يجدوا غير متنفس السخط الضاري، وغير التعبير بالعضلات.

3- الخط الثالث كما نراه هو في الواقع نضج الخط الأول وبلوغه الكمال. هو خط التنفيذ بالقوة بعد أن يتم الإعداد. ما يعيب حركات الشباب الغاضبة غير تعجلهم النتائج.

هذا الإمام الخميني قاد عملية التنفيذ في إبانها. فكانت قوة جند الله قد استكملت الإعداد، وكان لها من الحجم والتغلغل في الشعب ما ضمن لها، بعد توفيق الله تعالى، النصر.

منذ سنة 1906 ميلادية استطاع علماء المسلمين في إيران فرض دستور يحد من تسلط الملكية. كان وراءهم تاريخ مجيد من مقاومة العلماء للحكام. فكان الدستور تتويجا مرحليا لذلك التاريخ.

قبل العلماء تقييد الحكم اللاشرعي بالدستور لأنه خطوة.

وخطوة ثانية حين تحالف آية الله الكاشاني مع مصدق في القضية الوطنية قضية تحرير البلاد من احتكارات النفط الأجنبية.

فلما فشل مصدق وخر بناؤه أمام كيد أمريكا ومؤامراتها، تيقن الشعب بفئاته أن الإسلام وحده يملك العمق في الشعب الكفيل ببعث الثورة وتوجيهها، وتسليحها، وقيادتها للنصر.

وهكذا كان. وما عبقرية الإمام الخميني إلا العامل القيادي الذي حقق عطاء الطاقات الإيمانية، ورفعها إلى ذروة الفاعلية. والله عز وجل من وراء الكل محيط.

نرى أن مستقبل الإسلام رهين باستيعابنا لدرس إيران.

كان للعلماء هناك حرمة تقليدية، وكان لهم استقلال مالي، وكان لهم وجود فعلي كثيف في المساجد والحسينيات (وهي المساجد الصغيرة في الأحياء والقرى) وكان لهم أهم شيء حرمة وتعظيم في الشعب.

ثم إن توفيق الله لإخوتنا الشيعة أن ربطوا غضب الشعب بمثال حي هو مثال الإمام الحسين عليه السلام الذي غضب على حكم يزيد الفاسد، وعرفوا كيف يعرضون قضية الإسلام الآن على شاشة الحساسية الشيعية لمأساة كربلاء.

وكان من توفيق الله -خاصة بعد القومة- أن قبض العلماء على مسار الحركة من عروتها الوثيقة، ألا وهي انحيازهم إلى جانب المستضعفين. وهذا ما أمر الله به وما فعله رسوله صلى الله عليه وسلم.

ما أحوج الدعاة أن تكون لهم حرمة وتعظيم في عين الشعب! خاصة وعلماء القصور خدام الخونة أفسدوا علينا ديننا.

ما أحوج الدعاة للاستقلال المالي!

ما أحوجهم للنزول إلى الشعب ومخاطبته وكسبه!

ما أحوجهم إلى ربط الجهاد في سبيل الله بالجهاد في سبيل المستضعفين، قولا وسلوكا، وارتباطا أخويا صادقاً!

9- جهاد الكفر:

من كلام الإمام علي عليه السلام: «كاد الفقر أن يكون كفرا». ورواه في الحلية مرفوعا، وفي مسند أحمد بن منيع، بسند ضعيف.

وروى الإمام أحمد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد برئ من الله تعالى وبرئ الله تعالى منه. وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى**».

كاد الفقر أن يكون كفرا!

رسخ في أذهان عامة المسلمين، لطول ما أُسيء تعليمهم ولعب بعقولهم، أن على الرعية أن ترضى ببؤسها، ولا ترفع الرأس لترد على الحاكم. زاد هذه الذهنية رسوخا في أرض الخمول العام شراسة الظلمة المتعاقبين على الحكم إبان الملك

العاض ثم الجبري. وبلغ تبلد العامة حد الموت السياسي الذي نعرفه ونشكو منه: الدعوات الرسمية والمتدروشة إلى الزهادة والقناعة وغض البصر عما يبتزه منك الأقوياء.

إن كان الزهد والقناعة والسماحة فضائل فردية فإنها، إن حرفت على المستوى الاجتماعي السياسي الاقتصادي لتبرر نهب المستكبرين وظلمهم، رذائل يجب أن تحارب.

وينشأ جيل بيننا يفتح عينه على العالم، ويتلقى بالترحيب الإديولوجيات التحريرية في زعمها التي تصور له أن الإسلام رجعية.

يرحب بها لأنها تفضح أمامه واقع الظلم الطبقي في تاريخ الملك العاض والجبري، وتجد أمثلة قائمة اليوم متنوعة لتدعم دعواها.

ولا يملك الشباب المغربون أن يميزوا بين الإسلام الحق والواجهات التحريفية. يربطون الظلم الطبقي بالإسلام ربط المسبب بالسبب لأنهم لا يعلمون عن الإسلام الحق شيئا لصمت العلماء. ولا يعرفون مناط الفساد وهو التسلط العاض والجبري.

هكذا يتولد الكفر بالإسلام عن الفقر.

كاد الفقر أن يكون كفرا بالنسبة للفرد الذي يبيت في عرصة جائعا بين قوم شبعانين. ويقترب الفقر الناتج عن الظلم الطبقي من الكفر بالنسبة للمجتمع الذي تنخر فيه الطبقية حتى يكونا ضجيعين ونجيين وتوأمين.

إننا لا نقول بما فيه الكفاية للبائسين والمحرومين، ولا نبين ولا نركز، أن الإسلام عدل ومساواة. وأن الإسلام على لسان كل رسول وفي جهاده هو الانتصار للمستضعفين على المستكبرين.

وكأننا، والأمر بالنسبة إلينا بديهي، نظن أن المسلمين يفهمون فهمنا.

ولعل بعضنا لا يطرح على عقله بالوضوح الكافي خطورة الطبقية. ولعله لا يفهم لها معنى. ولعله يظنها اختراعا ماركسيا. ولعله لا يدرك أن الأرض تفسد لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض.

الدفع في الاتجاه الظالم هو التعدي والاستكبار وقهر المستضعفين. والدفع في اتجاه العدل هو الجهاد الذي يهدف لمقاومة الاستكبار -بكل معانيه وحقائقه- والإطاحة به.

الفقر والكفر توأمان متلازمان.

الرأسمالية العالمية تفقر بلاد المسلمين بنهب خيراتها، واستقطاب أموالها. تبيع السفهاء منا آلات اللهو، ووسائل المتعة، والمصانع التي يتطاول بها حكام الجبر من أجل الفخفخة.

وتفقر أنظمة الجبر أدمغتنا بإعلامها الملون المبهرج، الساري المتحكم في كل مجالات حياتنا. فإذا أدمغتنا المغزوة، المفقرة لا تستطيع الكشف عن أسباب نشوء طبقية يتجاورُ فيها البذخ الفاجر مع البؤس الأسود. الخمور المعتقة معروضة على السفهاء، والقمح الأمريكي يمن به شيطان الجاهلية علينا معشر المحاويج في بلاد المسلمين الخصبة التي لا تطعم سكانها.

لماذا لا تطعم سكانها؟

هناك فقر وهناك كفر. وابحث عن الكفر كلما رأيت فقرا. وانتظر الفقر كلما رأيت كفرا.

ويفقر الاستكبار الرأسمالي، بعد الأرض والجيوب والأدمغة، الرجولة والشهامة، وإرادة التحرر ونية الجهاد.

يميت هذه المعاني السامية حين يمسخ شخصيتنا، ويميع أخلاقنا، ويغرق أسواقنا البضائعية والفكرية بسلعه الاستهلاكية وقيمه البهائمية. تستكبر فينا طبقة حليفة للشيطان، ترفع شعارات الإسلام.

وتكفر بذلك الإسلام وبكل إسلام طبقة مستضعفة تئن تحت كابوس الظلم. تقارن بين بؤسها الفاضح وبين تبذير المبذرين.

هل احتجت أخي يوما إلى طبيب عمومي؟ هل زرت المستشفيات؟ هل رأيت كيف تسخر أجهزة الأمة لخدمة طبقة محظوظة؟

هل تعلمت في مدرسة رسمية؟ هل قارنت بين مستواها وزبائنها وبين زبائن ومتسويات المدارس الخاصة؟

هل فكرت في الأغلبية من الشعب التي لا تجد فرصة لتعرض أوبئتها على الطبيب. ولا أن ترسل أبناءها للمدرسة؟

هل عجت يوما على مدن القصدير، ومعاطن البؤس في المدن والقرى، لتعتبر ماذا يعني كون الفقر يكاد يكون كفرا؟ هل مررت أو أطللت على قصور المترفين، وهل سمعت ما يجري فيها وفي كازنوهات العالم حيث يقول الشيطان العربي للنادل والغانية: «زه!» ويعطيه مليون دولار؟

هل يقفز قلبك في صدرك استنكارا لهذا المنكر؟

هل تغضب لانتهاك محارم الله؟

أما العائل المحروم فإنه يغضب غضبة الانتقام!

هل تأملت مشكلة كساء الأطفال العشرة بالنسبة لمعيل عاطل؟ ومشكلة الخبز ومشكلة المرض؟

عندما يعرض بعضنا الإسلام في ملائكية متعففة نظيفة سماوية، يحسن اليساريون أن ينزلوا -ولو دعائيا- إلى حيث المسكين والمحروم والبائس. ينزلون إليه ليصفوا ما هو فيه من بلاء كنتيجة للإسلام الحاكم.

وينتهي الأمر بأن يكفر المستضعفون بالإسلام، ويلتفوا حول دعاة الكفر.

هنا في حمأة التعفن الاجتماعي الناشئ عن الاستكبار يجب أن يشمر جند الله عن ساق الجهاد ليعبئوا غضب الشعب في الاتجاه الصحيح. من هذا المستنقع

الحياتي، يجب أن ننشل المستضعفين. يجب أن نشرح لهم من أرداهم فيه، ولم، وكيف. يجب أن نعلمهم تاريخ الاستكبار كما ورد في القرآن، ونعلمهم حاضره كما نعيشه، ونعلمهم قادته وأذنابه ومؤامراته.

مع الشعب المستضعف نكون. وفي سبيل الله نقاتل، وفي سبيل المستضعفين.

نقولها قبل القومة ونحققها أثناءها، ونطرد الكفر مع الفقر بعدها بإنصاف المظلوم وغسل أقذار البؤس عن وجه الأمة. إن شاء الله العلي القدير.

إن بيوت الماركسيين عورة. بناء من ورق كل هذا الهراء حول المنجزات الاجتماعية في بلاد الاشتراكية. أصبحت عورة منذ تسرب من وراء الستار الحديدي شهادة رجال منهم، من عقلائهم ومن قدماء المحظوظين في نظامهم. وعلينا أن نحارب الكفر بترجمة كتب أمثال سولجنتيسين الذي فضح النظام الستاليني القائم على الإماتة والتعذيب. وكتاب أخير أخرجه فوسلونسكي، وكان من علية القوم، بعد هروبه من «جنة» ماركس عنوانه «نومنكلوترا». كاف وحده لدحض مزاعم الإديولوجية أنها تحرر الإنسان.

لن يبرئنا من وبال الاستكبار الرأسمالي استكبار جاهلي غيره. لا سيما إن كان استكبار النومنكلتورا. ويفهمني من قرأ الكتاب. أنصح الماركسيين بقراءته، فهو متعة فكرية ممتازة. لكن الإيديولوجية إن ماتت في أوربا ولفظت أنفاسها فلا يزال لها بقية أمل أن تبقى معششة في أذهان بعض مثقفينا المتخلفين فكريا. ولا نستهين بقدرتهم على التمويه على الشعب المستضعف.

معركة الحق ضد الباطل، بعد القومة، إنما يفصل فيها بنجاحنا إن شاء الله في طرد الفقر ومعه الكفر. كل كفر. كفر الرأسمالية التي تعتمد الابتزاز الرأسمالي، وكفر الإديولوجية التي تخفي وراء الشعارات فداحة «الكولاك»، وهو التعذيب والتمويت، وفداحة «النومنكلتورا» وهي الطبقية الجديدة، طبقية الحكام المستأثرين بالسلطان، والمال واللذة، والبلاد والعباد.

10- جهاد النموذج الناجح:

ألبانيا بلد إسلامي. كان. منذ أربعين سنة استولى عليه الشيوعيون. وداموا. واستماتوا. وبنوا نموذجا ناجحا على المستوى الاقتصادي الاجتماعي السياسي، بدليل بقائهم في الحكم واستمرار نظامهم.

كانت ألبانيا قبل الحرب العالمية الكبرى وطنا للمسلمين. وكان مجتمعا تقليديا يتعايش فيه المترفون والمستضعفون. أولئك على رؤوس هؤلاء.

وكشفت الحرب عن طاقات كانت مخفية. تسلح الفلاحون الفقراء لأنهم أقدر على حمل السلاح من المترفين المترهلين.

وتقدمت الصفوف قيادة ماركسية، كشفت عن أعين الفلاحين غطاء الخنوع والاستسلام القرونيين. وركبت الإديولوجية الماركسية متن العاطفة الوطنية التحررية وفجرت الحقد الطبقي.

وبعد الحرب ما يزال حكام ألبانيا يتحدون العالم كله، يتقلبون في أحلافهم بين يوغوسلافيا وروسيا والصين وفتنام.

مستقلون في فكرهم. مكتفون اقتصاديا وصناعيا. وهذا عجب، كيف يعيش ثلاثة ملايين في اقتصاد شبه مغلق. ولا يعرف التضخم المالي. ولا البطالة!

لا أغتر بنموذج ألبانيا. لكن أريد أن أضع الأصبع على سر بقاء نظام شيوعي على رأس شعب مسلم.

إنها مسألة تلازم الفقر والكفر.

ولا أغتر بحاضر ألبانيا ولا بمستقبلها. فالسجون ملأى. ما هو إلا جحيم آخر في جهنم الشيوعية. ألبانيا سجن نموذجي، المسلمون فيه أسرى وعبيد.

والعبرة في استخدامهم شبح الظلم الماضي وتوفيرهم الخبز للجائع.

يلح الإعلام هناك والمدرسة على المقارنة بين ما كان من ظلم قبل الشيوعية وما حققته الشيوعية.

ومع عامل الإرهاب الجهنمي ترتدع العواطف الدينية، ويرتفع شعار الخبز للجميع على شعار الحرية الدينية.

عجل الله تعالى بتحرير هذه الأمة الشقية في دنياها بحكامها من كل صنف! آمين!

الإنسان الشقي تحت الحضارة والقيم الجاهلية الدوابية ينتظر النور الذي يقشع غياهب نفسه، والعلم الذي يتجاوز ظواهر الكون إلى معرفة الحق، والعدل الذي ينصف محرومي العالم من ظالميهم، ونظام الحكم الذي يحقق توازن المجتمع البشري ورخاءه. ينتظر الإنسان حضارة أخوية بدل حضارة العنف والظلم والحرب، وترف المترفين الذي يلعنه بؤس البائسين.

وعالمنا المعاصر معرض للنماذج في الحكم والنظام الاقتصادي. الإنسان المتلهف إلى العدل والأخوة والسلام يراقب تجارب الأمم. كلما قامت ثورة هنا أو هناك تسمَّع الناس وتتبعوا، علَّ تجربة جديدة تميط عن الإنسان كلكل اليأس من دنياه التي تأكل فيه الذئاب الحملان.

وفشلت التجربة الرأسمالية الصناعية حيث أصبحت بيئتها التقنية الحديدية سجنا ذهبيا بثرائه، عفنا موبوءا بويلاته لمن هم داخل. وبأسا ونقمة على العالم المستضعف.

فشل النموذج الاشتراكي الشيوعي، وأدرك الإنسان الكيس –أستثني من الكياسة مثقفينا المتخلفين على أعتاب ماركس وحزبه– أن جهنم الشيوعية شر مكانا –إن أمكن– من جهنم الرأسمالية.

ويترقب الإنسان بزوغ شمس الإسلام متمثلة في نموذج حضاري ناجح، في مجتمع العدل والأخوة، في نظام حكم متوازن مستقر رحيم.

قلوب المسلمين تهفو جميعا وتحن. والجاهلية تخشى الإسلام كما يخشى المجرم فارس النجدة.

وتكيد الجاهلية كيدها الأكبر، وتعرقل، وتتآمر لتطفئ نور الله. ومع الجاهلية -في ركابها وذنبا لها- يعاني إخوتنا الناجحون إن شاء الله في إيران، ونعاني نحن غدا حمانا الله، خداع المنافقين ومبارزتهم لدولة الإسلام بالعداء.

ولئن بلغ هؤلاء -لاقدر الله- هدفهم في إفشال التجربة الإسلامية فسيكون طعم الفشل بعدها مرا في حلق المسلمين زمانا بعيدا.

نرجو الله تعالى أن يحقق لنا النصر -نصر إقامة نماذج صالحة فالحة- تباعا حتى يتم تحرير أرض الإسلام، وتقوم شمس الخلافة التي تجلو الأبصار.

ثلاث عقبات رئيسية تبدو لنا دون هدفنا:

1- العقبة الأولى نفسية ذهنية اجتماعية سياسية. وهي كون شعوبنا لما تصل إلى درجة تدرك معها أن مصيرها رهن برجوعها لدينها وحاكمية ربها. وأن العدل الذي تنشده، والكرامة التي تطلبها، لن تكون لها إلا تحت لواء الإسلام.

ذهنية رعوية نسيت تماما لطول ما أنسيت ودربت على الخنوع والصمت والاستسلام أن أمر المسلمين جعله الله شورى بين المسلمين، وجعله حكام العض والجبر كسروية وقيصرية ونابوليونية وستالينية.

في إيران بحمد الله وتوفيقه صعد الإدراك وتعمق وعم. ونرجو الله أن يوفقنا هنالك وهنا وفي بلاد الإسلام ليكون حكمنا شورى بيننا. وليبقى شورى على تعاقب الأجيال. نعوذ بالله من النكسة التي حدثت فيما مضى في بلاد المسلمين. هي أن الرجل الصالح المصلح الذي يقود قومة ويؤسس نظاما صالحا لا يلبث أن تتحول بعده ملكية وراثية. نعوذ بالله أن يموت أمل التجديد والخلافة على منهاج النبوة بنكسة تتويج الأبناء تحت هيبة الآباء. هذا ما اغتال كل ميلاد للحكم الصالح في بلادنا.

ولا علاج، بعد الاستعادة بالله ولي الصالحين، إلا أن نكسب الأمة منعة ضد الأهواء العاضة والجبرية. فإنما تغتر الأمة إن غرر بها. وإنما تأكل الديدان وتنخر في الجسوم الميتة.

نسعى قبل القومة وبعدها لإيقاظ الشعب وإشراكه في أمره حتى يحيى حياة الكرامة والمسؤولية، وحتى يصبح رفض التعسف والاستبداد والاستكبار ملكة لديه وحتى يصبح القيام الجماعي الصلب ضد كل انحراف عن الشورى في الحكم، والعدل في القسمة، والمسؤولية في التطبيق، حركة طبيعية عند كل رجل وامرأة.

ولترحيل الذهنية الرعوية البليدة، وتوطين عقلية وإرادة السلوك الشوري لا بد من تربية. وتدريب. وإشراك الشعب في تحمل المسؤوليات.

أساليب حكام الجبر تتراوح بين اليد الحديدية، والخداع باسم الديمقراطية، والتهريج والتهييج في مثل المؤتمرات الشعبية المجنون منظروها.

تربية. وتدريب. وتحميل. وزمن. وصبر.

إلى أن تتبخر الأهوية الفاسدة، ويذهب الزبد المتخمر المغطي على العقول والإرادات جفاء.

هذا الشرط هو أساس كل تغيير. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾.[1]

2- لكن عملية إصلاح العقول والنفوس ما تعطيها خلايا الفساد القاطنة بأرضنا فرصة.

خلايا في أعالي جسم الأمة من مترفي المال والجاه الأمريكيين، ومن مترفي الفكر فاسدي العقيدة من الماركسيين.

ولعلها تترصد بالتجربة الإسلامية -كما نشاهد الآن في إيران- مصاعب الطريق، وهفوات الخطوات الأولى، مناسبات لتشكك، وتسخر، وتتآمر، وتخرب.

لا نترك تجربتنا عرضة للمنافقين والخارجين عن الدين.

(1) سورة الرعد، 11.

نفضل أن تموت جراثيم الترف والإلحاد موتتها الطبيعية. أن ينكشف زيفها للخاص والعام حتى تنبذ بما هي نجاسة متبقية من ماضي دخول الجاهلية إلينا.

لكن إن تجند المنافقون ومكروا وحملوا السلاح، فحكم الله فيمن حاربه وحارب رسوله وحارب خلافته في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[2]

من هب ليخزي القومة الإسلامية فجزاؤه الخزي.

يعرض على غيرنا قبل القومة النزال -ولا يقبلون- في ساحة الحجاج والانتخاب.

ويعرض عليهم بعدها -ويقبلون كيدا- أن يستمروا في عرض بضاعتهم حتى يبين للأمة عوارها ويبدو كسادها.

من صالحنا أن نفعل. لكن إن أبدوا صفحة وجوههم، لا سيما إن حملوا السلاح فالنبتة الفاسدة لا صلاح للزرع إلا باجتثاثها.

في الإسلام سماحة لا نهاية لها. لكن ما دون إبداء العداء السافر للإسلام. روى المؤرخون أن الإمام عليا كرم الله وجهه لما خرج عليه الخوارج، وأنكروا إمامته وكفروه ومن معه، بعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يناظرهم. فرجع بعضهم وتصلب آخرون في حرابتهم. فأرسل إليهم عليه السلام يقول: «كونوا حيث شئتم وبيننا وبينكم ألا تسفكوا دما حراما. ولا تقطعوا سبيلا، ولا تظلموا أحدا. فإن فعلتم نبذت إليكم الحرب» (أي أعلنتها عليكم).

قال عبد الله بن شداد: «فوالله ما قاتلهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم الحرام»، وقال لهم الإمام علي رضي الله عنه مرة أخرى: «لا نبدأكم بقتال ما لم تحدثوا فسادا».

(2) سورة المائدة، 33.

إن ما تسميه الثورات «تطبيعا»، واللفظ مترجم يعني إسكات المعارضين بالتعذيب والتمويت ما هو اللفظ ولا المعنى عندنا. كما أن كلمة «ثورة» نفسها وإن استعملها بعضنا، لا تدل على معاني «القومة»، وما تهدي إليه القومة من التزام تام بالشرع، ومن تعفف كامل عن سفك الدماء.

لكن ما الحيلة إن تجاوز خصوم الإسلام وأعداؤه حدود المعارضة الناقدة بالحق لا بالكذب، وبدأوا بالفساد، وسفكوا الدم الحرام؟

3- العقبة الثالثة أمام إنجاح التجربة الإسلامية هي العقبة الاقتصادية.

نرث إن شاء الله تعالى اقتصاديات موجهة لقضاء مصالح الاستكبار العالمي والمحلي. نرث عادات استهلاكية جاهلية. نرث القسمة الضيزى المفروضة على المستضعفين. نرث الفقر وحليفه الكفر. نرث مدن القصدير. نرث البطالة. نرث خزانة الدولة الفارغة. نرث الخراب الاقتصادي.

هنا أعود لألبانيا الشيوعية لضرب المثل. هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تقترض من الخارج.

لأنها حدت من الاستهلاك والتبذير حدا صارما.

لا تعرف التضخم المالي.

لأنها سلكت مسلك الاقتصاد الموجه، وقلصت النفقات، وسدت الباب على المسارب المالية والتجارية التي يرد معها إليها التضخم.

موزاين اقتصادها بما فيه الميزان التجاري متعادلة مضبوطة.

لأنها صممت على الاكتفاء الذاتي. ولأنها لم تخف. وهي في حجم المنديل، أن تغلق أبوابها في وجه العالم.

تقشف، وتعبئة عامة، وتخويف دائم من العدو المحتمل، ورفع راية القومية الألبانية، والشرف الألباني، والنموذج الألباني، قومية وتقدمية على رغم أنف الإديولوجية.

مرة أخرى نضرب المثل ولا نغتر. نقرن الحق الذي نرجوه بالباطل القائم في بلاد المسلمين في ألبانيا لما عرف الشيوعيون هناك مقاومة الفرق الطبقي، وحاربوا الإسلام من خلال طردهم للفقر الطبقي.

نورد هذا المثال، ونمثل لأنفسنا بغيرنا من باب قوله عز وجل: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.[1]

فهم ناس قامت لهم دولة لما صمموا على التقلل والمساواة في التقلل، والعدل على الكفاية، والشجاعة في مقاطعة العالم كله.

لعل حجم دولنا الموروثة غدا إن شاء الله، ولعل احتلال الاستكبار لها، ولعل اشتباك مصالحها بمصالحه، وتداخل المعاملات المالية والتجارية لا يسمح بحل العقدة وشيكا وسريعا.

لعل اقتصادنا المريض يطلب علاجا طويلا.

لكن الشعب إن تجند كله، أعني الشعب المسلم المستضعف، وإن تحمل كله، وبذل كله (يقولون ضحى)، ونهض كله، وصمم وجاهد، فلن نعدم إن شاء الله مخرجا.

تعيش طبقة الحكام والمتعلمين والموظفين بيننا زمن الجبر على مستوى الاستهلاك الجاهلي. مدننا، ووسائل مواصلاتنا، وطعام المترفين، ولهوهم، وشرابهم، قائمة على التبذير المنهجي وسوء القسمة يتبع.

يوم نقرر أنه لا يضيرنا أن نكف عن استيراد السيارات الخاصة لنصنع دراجات ولو من الدرجة العاشرة في البداية، سنكون خطونا إلى الأمام خطوة.

يوم نقرر مقاطعة بضائع الترف المستوردة ونقدر على إنتاج بضائع الحاجة والكفاية والكرامة والقوة فيما بيننا، نكون حقيقين بنصر الله الذي يخص بنصره المتوكلين عليه سبحانه.

(1) سورة آل عمران، 140.

ويوم نقرر الاعتماد على إنتاجنا في الغذاء والكساء والبناء والدواء.

ويوم يخرج من مدارسنا شباب صلب الجسم، ثابت العزيمة، صادق الإيمان، مستنير الفكر، قادر على التعلم والعمل، نكون على وشك تطويع التكنولوجيا العصرية لنصنع القوة، لنبز ونعز.

ويوم نقرر غلق الأبواب على الغزو الاقتصادي الجاهلي في زماننا هذا زمن الحرب الاقتصادية الشاملة، والحماية الجمركية، والأزمة النقدية، والاحتكار المتعدد الجنسية، نكون قد خطونا خطوات لإدماج اقتصاد أقطارنا وإعداد الوحدة الإسلامية.

11- جهاد التوحيد:

يكون تتويج النجاح إن شاء الله بعد تخطي العقبات السياسية، والعراقيل التآمرية والعسكرية، والمصاعب الاقتصادية، يوم تنضج الأمة، وتتأهل بإيمانها وعملها الصالح للخلافة في الأرض، فتتوحد وتعود ذلك الجسد الواحد العضوي، المتضامن القوي، وجودا في العالم، عزيمة في مصارع التاريخ، قدرا من قدر الله.

يتوج جهاد جند الله يوم تخرج الأمة كلها من استعباد مترفيها لمستضعفيها، يوم نعود شهداء على الناس كافة، يستطيع من ندعوهم للإسلام أن يقارنوا فساد أنظمة الحكم الجاهلية بصلاح نظامنا، واستقرار شؤوننا بتهافت غيرنا، ونصاعة صراطنا واستقامته بقتامة سبل غيرنا واعوجاجها.

والطريق إلى توحيد الأمة عقبة لن نقتحمها بالأماني العذاب. ها نحن أولاء سجناء في خصوصيات الأقطار التي جزئت إليها دار الإسلام، في كل قطر دولة، وعلى كل دولة طاغوت.

وداخل السجن القطري يصادف جند الله ألوانا من العنت، فلا يجد متنفسا إلا خنقوه، ولا يبدأ مشروعا إلا حاولوا إحباطه، ولا يبرز رجال صادقون إلا عذبوا وشردوا وقتلوا تقتيلا.

القمع المدروس، المسلح بخبراء الجاهلية المزود باستخباراتها، لا يترك وجها من وجوه الحرب إلا أتاه، ليمنع اتصال جند الله بعضهم ببعض، وتعارفهم، وتوحدهم. تجد في القطر الواحد اتجاهات متعددة، ناتجة عن اختلاف اجتهاد المؤمنين، أو متخلفة من ماض مذهبي. وفي هذه العوامل الخلافية ينفخ أعداؤنا ليمنعوا تحابنا فتفاهمنا فتلاحمنا.

شتات في الأقطار تتوزع فيه الأمة أشلاء. وشتات في صفوف القطر الواحد بين المؤمنين.

فهل يمكن أن نتخطى الشتاتين في خطوة واحدة؟

هل يمكن أن نحقق وحدة الحركة الإسلامية عبر كل عوامل التشتيت دفعة واحدة؟

إن أعداءنا الداخليين من بني جلدتنا من المستكبرين علينا، والخارجيين من مستكبري العالم، ينسقون جهودهم لينصبوا نفس الفخاخ في نفس الوقت. المعلومات ضدنا بينهم شياع، والمال، والرأي، والخبرة، والدبلوماسية، والقمع المنظم.

وعلينا أن ننسق لنكون في مستوى المواجهة.

لكن محاولة تخطي القطرية تنظيميا يعرضنا لضربات العدو، بحيث يسهل عليه كشفنا ابتداء من أي حلقة تقع في يده.

ثم إن لنا في لم شتات الخلافات داخل القطر الواحد ما يزهدنا في إضافة خلافات جديدة ناتجة عن وجود حركات عالمية متعددة.

ثم إن واجهة الطاغوت الرخوة هي حاجته أن يتبجح أمام الشعب بحرية المواطنين، وأمام العالم بحرية الرأي وحقوق الإنسان. فمن هنا ندخل. وحرية المواطنين والرأي وحقوق الإنسان معطيات تربط المسلمين بتيار السياسة العالمية، فنجد فيها فجوة.

بعض طواغيتنا، بل كلهم، إنما يكذبون على الشعب وعلى الرأي العام العالمي بتلك الشعارات من حرية وديمقراطية وتعددية. منهم من ترك حتى تغطية الكذب،

وبارز الله والدين بالحزب الواحد المستبد السفاك. منهم من بلغ حضيض الفساد والظلم، ومنهم من يرتدي مسوح الإسلام ويراوغ مراوغة الثعالب. منهم حليف غرب الجاهلية ومنهم حليف شرقها. منهم من حان اجتثاثه ومنهم من يكاد.

هذا وضرورة المرونة في عملنا، واستحالة توحيده مع هذا التنوع في الظروف، ولأن قوة التحرير لا تكون كذلك إلا إن كانت ذاتية منبثقة من البيئة، شادة عليها أقدامها، يفرض علينا تنسيقا عبر الأقطار، لكن لا يسمح بعالمية التنظيم قبل تحرير كل الأقطار.

أقول التنظيم وأخصص، لأن الدعوة الإسلامية عالمية بطبعها، ولأن التربية الخاصة بجند الله المحررين تتقارب كثيرا وتغتني بكل فيض كما اغتنت وستغتني أكثر بحول الله بروحانية الشهادة في سبيل الله التي ضرب لها المثل الرائع ويضرب إخوتنا الشيعة وفقهم الله ونصرهم.

إن تنوع الفاعل والمفعول به، تنوع الظرف المكاني والزماني، وضرورة التخصيص في المسؤوليات، والتوقيت في اتخاذ المبادرات، والتفاعل من قريب مع الأحداث العالمية المنظورة من الواقع المحلي، لا تسمح كلها بوحدة القيادة التي لا تستطيع النظر إلا من مكان واحد، وبعقل واحد، تزدحم عليها المهمات، فكيف تضع سلم الأسبقيات، وكيف تعطي كل ملحة من الطوارئ حقها دون تضييع سواها؟

لا يستطيع أن يقود وينظم إلا من هم وسط المعترك، ولا يفعلون ذلك إلا باستقلال. وبالاستقلال الذي لا يضر معه تحركهم إخوانهم خارج القطر يمكن أن يهتدوا لموضع التنسيق، ويدبروا كيف يعينون ويستعينون.

وسائلنا شحيحة، وطريقنا شوك، فلا نزد من عراقيلها بالانغلاق في عموديات عالمية. وما تحرير القواعد القطرية انغلاق. إن هو إلا التطبيق العملي للأثر الذي يخاطب كل جندي من جند الله وكل كتيبة: «أنتم على ثغر من ثغور المسلمين، فلا يؤتين المسلمون من قبلكم».

وكلما تحرر قطر وأمسك بالزمام أهل الله المجاهدون، وجب على ذوي الكفاءات أن يهاجروا إليه بما فيه كفايته. ووجب على القطر المتحرر أن يرتب جانبا هاما من وسائله واهتماماته لينجد الكتائب القطرية الأخرى حتى تتحرر.

وفي مراحل التحرير يسعى كل قطر تحرر ليعانق سابقيه. وبالدمج الاقتصادي تبدأ المعانقة، ثم بالتفاهم وتوحيد موازين الفكر والاجتهاد، إلى أن يتم البناء الأخوي العضوي. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.(1) فلا إله إلا الله الكلمة الطيبة، الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها في قلوب المؤمنين إيمانا، وتؤتي أكلها بإذن ربها حاكمية وشورى، عدلا وانتصارا لله والمستضعفين، وحدة للأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

خطر كامن يتربص بنا بعد التحرير القطري. هو أن نتردى في قومية أو وطنية محلية تتردى برداء الإسلام. هناك خطر الانتماءات العرقية والتاريخية الإقليمية وما في ركابها من عوامل التقسيم والتقزيم. فإن نحن اضطررنا للجهاد من داخل السجن القطري فلا نقبل أن تتوزعنا بعد التحرير دواعي الهوية القزمة التي تمكننا من رئاسات قزمة.

إن حاضر العالم يشهد التكتلات البشرية الضخمة، والأمم الأوربية سائرة للتكتل، والجاهلية أمام مستقبلنا كتل. فلنرفع من شعور كل مسلم حتى يحس أنه ينتمي لخير أمة، أمة وطنها دار الإسلام ومجال رسالتها العالم.

لنكسب الأمة بالتربية مناعة ضد التردي القطري التقسيمي، كما نكسبها منعة ضد الحكم الاستبدادي، وضد الاستكبار، وضد التبذير والظلم.

إننا نعاني ونحن تحت حكم الجبر من السجن القطري وهو شاهد على الضآلة التاريخية التي نزلنا إليها، شاهد على هامشيتنا في مأدبة اللئام، الذين يأكلون خيرات بلادنا، ويقتلون كرامة أمتنا، ويحجبون عنا دين ربنا.

---

(1) سورة الأنبياء، 92.

وأفظع من سجن القطرية وأدهى طوق القومية. وإنما بدأ التشتت القطري الذي نعيش في شظاياه يوم استيقظت القومية، فهي أم التشتت. وأبوه الاستعمار والحكام المغربون كافلوه.

قام في تركيا العثمانية، وكانت «الخلافة» العثمانية موحدة دار الإسلام على كل حال، تلامذة الجاهلية فدعوا للقومية الطورانية ليخلصوا «الرجل المريض» (هكذا كانت أوربا تسمي المملكة العثمانية في هرمها).

ورد العرب تحية الشيطان والفرقة بمثلها، فهب النصارى العرب ينادون بالقومية العربية. ولا يزالون رواد هذا الدرب الجهنمي، وحداة مسيرته، وسدنة معابده الوثنية.

وقد تسلسل رد الفعل. فها نحن أولاء اليوم ما بين مسلمين غشيتهم العروبة، وترك ألفوا الطورانية حتى صاحت به الهبة الإسلامية، وأفغان نصر الله جهادهم، وهنود، وبربر، وصومال، وسودان، وأندونيسيون، وسائر الفتات. ويحاول نصارى حزب البعث وملاحدته أن يعمقوا الهوة بين المسلمين منذ أعلنوا الحرب على إيران الإسلام. يريدونها حربا بين عرب وعجم، وما هي إلا حرب بين كفر وإسلام.

إن توحد المسلمين تحت راية القومية ما هو إلا سيادة النصارى، والنموذج قائم حين الكتابة في العراق حيث يقود الحرب على الإسلام مؤسس «البعث العربي» وشركاؤه.

نرجو الله تعالى أن يدركنا نصره قبل أن تتحجر الهويات القطرية، وقبل أن يتمكن الطوق القومي من أعناقنا، لنكسر الأغلال، ونحطم السجون.

العالم يتطور، والمستقبل مخيف بالعنف المتراكم في دنيانا ودنيا الجاهلية.

المستقبل صارم كما تبدو علائم ذلك. والمسلمون، وهم في غثائية الخصوصيات الأنانية، وفي تشتت الدويلات الجبرية، وفي التبعية والهزال، قاسوا الويلات، وعجزوا عن الوقوف في وجه أحقر عدو: اليهود، قارن ذلك بجهاد

أفغانستان، وإيران، وقد أمده الإيمان بحياته، تر المستقبل يطرق الأبواب. مستقبل الإسلام الواحد العزيز بالله الواحد. لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، محمد رسول الله صادق الوعد الأمين.

لا يهولننا ما نراه من استفحال قوى الشر وتعاظم الاستكبار الجاهلي، فإن نصر الله قريب من المحسنين. وإن الله وعد في كتابه أن يستخلف المستضعفين إن هم آمنوا وعملوا الصالحات.

لا نغفل لحظة أنه تعالى وعز وجل هو محرك الكون، المهيمن عليه، رب كل شيء ومليكه.

لا ننس وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودة الخلافة على منهاج النبوة. ووعد الله ورسوله حق.

يكفي أن نغير ما بأنفسنا التغيير المطلوب ليغير الله ما بنا. ويتم ذلك يوم يكون كل مؤمن من جند الله مربى منظما معبأ، والشعب معنا، والله مولانا، يطلب كل مؤمن من الله إحدى الحسنيين، ويجود بماله ونفسه، جهادا في سبيل الله بلا تردد.

والله أكبر ولا إله إلا الله.

شعب الخصلة

الشعبة الثانية والسبعون: الحج والعمرة

قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ إلى أن قال عز من قائل: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾. إلى أن قال عز وجل من قائل: ﴿وَاذْكُرُواْ اللهَ فِي

أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.[1]

الرفث: الجماع والحديث عنه، الفسوق: الخروج عن حجر الشرع وضوابطه. الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة كما قال الراغب رحمه الله.

فالحج اختيار وتقوية وتدريب لقدرة المؤمن على ضبط شهواته وجوارحه، أشد ما يكون الجسم تحملا لمشقات التنقل، وأشد ما تكون النفس حرجا من الغربة والزحمة.

والعمرة كذلك، إلا أنها أقل وطئا.

إنها مدرسة الصبر. منهاج تربية، إخراج للمرء من عاداته وأنانيته وإلفه ورخاوته إلى التقيد بالشرع في الحركة والكلمة والخطرة، إلى التواضع والتخلق والتحمل.

الجسم في امتحان وشدة. فتضطرب النفس حين يضيق عليها في رفاهية مركبها. نقلة وانقلاب في العادات لتنقلع النفس عن أرض كسلها وعبثها وارتفاقها. وذكر الله هو الهدف والزاد.

خمس مرات يتكرر الأمر بذكر الله واستغفاره في هذا السياق من سورة البقرة. وينتهي بالتوجيه إلى التقوى ومراقبة الله الذي إليه نحشر.

إنه استنهاض للنفوس أن ترتفع عن صغائر الأمور وسفسافها إلى التجرد عن الماديات، بالتقلل منها، والصبر على دواعي الغضب ونوازع الشهوة.

ثم إن الحج تربية للروح الجماعية، لرابطة الأمة الواحدة.

الوقوف بعرفة، في بقعة واحدة، في يوم واحد، في اتجاه إيماني واحد.

جعل الله الحج فريضة ليشهد المسلمون -أي ليحضروا- منافع لهم. قال الله سبحانه وتعالى يخاطب إبراهيم عليه السلام: **﴿أَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً**

(1) سورة البقرة، الآيات: 197-203.

وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾.[2]

يذكر المفسرون أن المقصود بالمنافع منافع الدنيا والآخرة. وأي منفعة أعظم للمسلمين من جمع شملهم ليتأتى لكل منهم ذكر الله ومعرفته، ليتأتى للأمة أن تسمع رسالة ربها للعالم، وتكون بوحدتها من القوة بحيث يحترم صوتها ويقدر؟

يتخذ جند الله الحج، وهو الفريضة الركن، مناسبة لتنظيم رحلتهم. والرحلة والمناسك مناسبة لتحصيل منافع التعارف والصحبة، والتدريب على الصبر. ثم لنشر الدعوة، وإفشاء روح التجديد في الشعوب الإسلامية الممثلة في الموسم بمستضعفيها.

وكما يستعمل الإسلام الرسمي الجبري ممثليه في توطيد الدعاية للحكام الجبريين كذلك نبث نحن روح التجديد بوسائلنا.

إلى أن يأذن الله بتحرير الحرمين فيعود إلى الحج معناه الذي كان له في حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حجات خلفائه الراشدين.

الشعبة الثالثة والسبعون: الجهاد في سبيل الله

أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**» قال: «فقلت: بلى يا رسول الله؟» قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: «**رأس الأمر وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**».

وعند البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: **الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله**».

الصلاة بداية الأمر ورأسه، تصعد بالرباط بين العبد وربه من مجرد أداء مراسيم العبودية إلى بذل المال والحياة في سبيل الله.

---

(2) سورة الحج، 27-28.

الإيمان بالله أفضل الأعمال إن أدى إلى الجهاد والموت في سبيل الله. وإنها لعبادة أعظم العبادة. لذلك لا يقبل جهاد إلا بنية صالحة. بل لا يعد جهادا في سبيل الله ما كان غضبة دنيوية، أو نعرة قبلية، أو رياء وحمية. ولذلك كان الدعاء في الصف مستجابا. وكان الفرار من الزحف من الكبائر. وكان الرباط في سبيل الله من أعظم القربات. وكان السهر والحراسة في سبيل الله ضمانا من النار.

ولأنها عبادة جماعية تريد التآزر والتناصر شُرعت الإمارة والطاعة، والاشتراك في النفقة، وخلافة المجاهدين في أهليهم، وأمر المتعلمون لفنون الحرب من رماية وغيرها أن يدربوا إخوانهم.

أعلى ما علمنا الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم أن نطلب الشهادة في سبيل الله، ولا يعني هذا أن نستهدف لنكون الضحية، وأن ندفع نفوسنا رخيصة. معناه أن يبلغ إيماننا بموعود الله درجة تقطع ما بيننا وما بين الدنيا من حنين وقعود، لنقبل على الله والدار الآخرة، ونستعد للقاء الله في كل لحظة.

روى الشيخان والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء**: (معناه أنه لا يريد الرجوع إليها ولو أعطي كل ما فيها من مال ومتاع) **إلا الشهيد. فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**». في رواية: «**لما يرى من فضل الشهادة**».

الشعبة الرابعة والسبعون: التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الجهاد

ما يكون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تسلك طريق الشهادة اختراعا وابتداعا. إن الموت في الله، كالحياة في ظل شرع الله، أمر خطير. فلا نجاة إلا في اتباع المصطفى الرسول صلى الله عليه وسلم في الحرص على تصحيح النية

والاتجاه، وفي الاعتماد على الله تعالى قبل الاعتماد على العَدد والعُدد. ثم في تطبيق أحكام القتال والسلم لكيلا يكون قتالا جاهليا، ثم في استيحاء الرجولة والشهامة والشجاعة التي برزت في صفوف المهاجرين والأنصار، وفي شخص الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه الإمام علي كرم الله وجهه: «كنا إذا اشتد الكرب نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم».

ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعظ منبر وكفى، ولا أميراً في السلم وحده، ولا قعيدا بطينا. إنما كان المجاهد الكامل. قاد الصفوف، ولبس اللامة والمغفر، وظاهر بين درعين (أي لبس درعا فوق درع)، وحمل آلة الحرب، وقاتل، وجرح، وسقط في الحفرة، وكسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم. ودخلت حلقتا المغفر في وجنته الشريفة.

إنه صلى الله عليه وسلم المثل الكامل. فلكيلا نكون صورا ناقصة، لكي نكمل إيماننا، ليس أمامنا إلا طريق واحد: أن نتوج إيماننا بالجهاد، أن نبدأ بأعلى شعبه لا إله إلا الله، ثم نجمع فيض سائر الروافد الإيمانية البضعة والسبعين، إلى أن يكتمل نهر الإيمان، فتكون خير خاتمة له أن يصب في الشهادة في سبيل الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق**».

قال ابن المبارك: فنرى أن ذلك كان على عهد رسول الله صلى عليه وسلم. نرى نحن ويرحم الله أخانا الإمام ابن المبارك أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن القعود عنه اليوم كالقعود عنه في كل زمان خذلان للإسلام ونفاق.

وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من لقي الله تعالى بغير أثر من جهاد لقي الله وفي إيمانه ثلمة**».

وروى أبو داود عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من لم يغز ولم يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير أصابه الله بقارعة**».

الشعبة الخامسة والسبعون: الخلافة والإمارة

كما تتوج الكلمة الطيبة شعب الإيمان، وكما يتوج الجهاد خصال الخير ويمثل ذروة السنام، وكما يتوج الحج أركان الإسلام؛ كذلك تتوج الخلافة على منهاج النبوة إن شاء الله تعالى نهضة هذه الأمة المباركة في هذا القرن المبارك.

ماذا يعني قيام الخلافة بعد نحو أربعة عشر قرنا من الحكم العاض والجبري؟ يعني:

1- في ميدان الحكم الداخلي استبدال الشورى بالحكم المستبد، وفي ميدان السياسة الدولية بروز قوة مستقلة عن الجاهلية، مصيرها بيدها. تقرر ما ينفعها وينفع الناس. وتستطيع تنفيذ ما تقرر.

أن يكون أمرنا شورى بيننا، هذا يأمر به الله تعالى. لكن تأباه العادات التي فشت كالمخدر في مجتمعاتنا. تأباه فئات الظلمة والمستكبرين بيننا، لأن نظام الحكم الإسلامي يفطمها عما ألفت من الفساد في البلاد والعباد. تأباه الجاهلية ونظامها المسيطر على العالم، وتفرض بالدعم المادي والمعنوي، بالمال والسلاح والخبرة، دمى المسخ وطواغيت الجبر من بني جلدتنا.

أن يكون أمرنا شورى بيننا هذا هو الأصل لو بقينا على السلامة. لكن إسلامنا الموروث عقيدة وفهما وواقعا إسلام فتنة، يختلط فيه الحق بالباطل، فهو فهما وعقيدة وواقعا كما وصفه الحديث الشريف: «**خير وفيه دخن**». والدخن دخان. ونار الفتنة متأججة. ولا جماعة لنا منظمة تحمل أهلية تلقي الخطاب القرآني ومسؤولية الحكم بما أنزل الله.

أمرنا بلزوم الجماعة وطاعة أولي الأمر منا.

والحال اليوم أن لا جماعة، وأن أولي أمرنا ليسوا منا.

والحال أن أمرهم، وأمرنا بالتبعية، ليس في أيدينا، بل في أيدي قوى الجاهلية التي تتوزع العالم وتتحكم فيه.

إذا كانت الخلافة تاج التجديد، وهدف المنهاج النبوي، فمن يتوج؟ ومن يسلك؟ ومن يبلغ الهدف؟

هيئوا «جماعة المسلمين» القطرية ثم العالمية، وزودوها بالقوة الذاتية، والبصيرة والتنظيم، واسلكوا. وإلا فالخلافة أحلام لذيذة.

الجهاد الجهاد! للتخلص من قبضة غيرنا، والوقوف على أرجلنا من صرعتنا.

2- الخلافة تعني ممارسة حق إلهي. حق الأمة المستخلفة في الأرض. لتفعل ماذا؟ الخلافة وسيلة غايتها أن يعبد الله في الأرض.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾.[1]

عبادة الله وإخراج الإنسان من عبودية الناس إلى عبوديته. الزكاة بمعناها الواسع وبما تؤدي إليه وهو العدل. تعريف المعروف، والأمر به، وفرضه، وإنكار المنكر، والنهي عنه، ومنعه.

الخلافة الإسلامية أمل كل المسلمين. ويراها غيرنا من مستكبرينا ومستكبري العالم الخطر الأخطر. هي في عينهم وفي حقيقة الأمر خروج أغلبية سكان الأرض من الاستضعاف، لأن كتلة العالم الفقير المستعمر المتخلف لن تجد بديلا عن التقلب بين الولاء لشرق الجاهلية وغربها إلا في الخلافة الإسلامية.

(1) سورة الحج، 41.

يوم يتم التحرير، ويعلم العالم المستضعف أن نصرة المستضعفين ديننا وليس شعار سياسة.

وهذا يتصدى له ويمنعه الجاهليون. وعلى جند الله أن يعدوا القوة كما أمروا -لا سيما قوة الإيمان- ثم الله غالب على أمره.

معنى قيام الخلافة الإسلامية على الرقعة الوسطى من الأرض محيطة بها، ومعها مال ورجال ومواد أولية، حرمان الجاهلية من إقطاعاتها في العالم، أعني إقطاع هؤلاء وهؤلاء الاقتصادي والعسكري والسياسي.

معنى قيام الخلافة الإسلامية على رقعة الأرض الأهم، وهو حزامها، إبطال مخططات الهيمنة الجغرافية السياسية.

معناه إعطاء القوى المناهضة للحضارة الجاهلية في أمريكا وروسيا وخارجهما مركزا فيه تتجمع، وقيادة وراءها تسير، ونموذجا مشعا يزري بنجم الجاهلية الآفل.

وهذا لا يقبله الجاهليون بأي ثمن.

لكن الله وعد ووعده الحق. والله أكبر!

3- يعني قيام الخلافة الإسلامية واستقلالها بالقرار، وقدرتها على التنفيذ: التحرر الاقتصادي، ومن ثم العسكري والسياسي لثلثي سكان العالم، وهم المستضعفون.

وننظر إلى حالنا الآن وأمريكا تملك القمح، تملك السلاح والمال، فتتجلى لنا مظاهر عبوديتنا للجاهلية. تقول الجاهلية بلسان الحال والمقال والدبلوماسية، وبكل لغة: «إذا أردتم خبزا فكونوا لطيفين معنا».

وحكام الجبر لا يضيرهم «اللطف» مع الأعداء ولا يخشونه بل يستلذون الركوع لهم ما دامت كراسيهم لا تزعزعها المجاعات التي يعالجها القمح الجاهلي، ولا تزعزعها الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي يعالجها السلاح والخبرة الجاهليان.

بعد الاستعمار السافر، تسلك الجاهلية في العالم دروب الاستعمار الجديد، الاستعمار الاقتصادي الثقافي تحت أقنعة «الحوار بين الشمال والجنوب»، و«الاشتراكية العالمية المحررة للإنسان». وقيام الخلافة الإسلامية يعني خرق لعبة الاستعمار الجديد، وتحرير الشعوب من العبودية الاقتصادية والتبعية المذهبية، بدءا باستصلاح الأرض وعمارتها، بدءا بتوفير الغذاء وانتهاء بتطوير الأسلحة. الله أمر بهذا كما جاء حكاية عن نبي الله صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. قال الله يحكى خطاب صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾.[1]

لا نحسب الخلافة بناء سياسيا على سطح واقع سياسي واقتصادي واجتماعي وعلمي وعسكري وإداري وتنظيمي هزيل.

إنما الخلافة سبك هذه المجتمعات المسلمة سبكا جديدا في كل المجالات، وإعادة صياغتها على نموذج الكتاب والسنة. إنما هي مصارعة العدو الداخلي والخارجي. ولن يتركك العدو تزعجه من مواطن راحته وسلطانه، ولن يترك لك مهلة لتسبك وتصوغ كما تشاء.

وأكثر ما يستحث غضب العدو الداخلي والخارجي أن تمسه في مصالحه. الطبقية في الداخل وهي امتداد للاستكبار العالمي. استعمل كلمة «طبقية» حتى نألف كلمة «استكبار».

والانتقال من الملك الجبري إلى الخلافة إنما محكه العدل في القسمة. محكه إنصاف المستضعفين. محكه جمع المال العام بحق، وصرفه بحق. وأين هذا من الفساد العام للمتسلطين المستكبرين في الأرض؟ أين هذا من جشعهم؟ أين هذا من أموال المسلمين التي يبذرها جبابرتنا تبذيرا فظيعا يتعذب به ضمير كل حر، ويندى له جبين المروءة؟

روى ابن سعد عن سلمان أن عمر رضي الله عنه سأله: «أملك أنا أم خليفة؟» فقال سلمان: «إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما، أو أقل

(1) سورة هود، 61.

أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة؟». فاستعبر عمر (أي بكى).

درهم واحد ميزان. ما أدق! وموعظة وتخويف على درهم تبكي أمير المؤمنين. ما أرق!

أين التربية التي ترقق القلوب وتشحذ العزائم؟

أين التنظيم الذي يخول لكل مؤمن أن يدقق الحساب على الحاكم؟

إذا وجدا وتمثلا جسما له رأس وإرادة فافتح الباب للخلافة.

الشعبة السادسة والسبعون: المبايعة والطاعة

الملك تاج التسلط، والخلافة تاج الجهاد.

ذاك ينعقد بالإرهاب والظلم، وهذه تنعقد بالرضى والتشاور والعدل.

ذاك فلكه الذي يدور حوله هوى المتسلطين ونظام استكبارهم. وهذه فلكها لا إله إلا الله إيمانا به، وطاعة له، يشتق منها طاعة رسوله وأولي الأمر منا.

ذاك نفوذه يعتمد على تخويف نفوس المغلوب المراوغ، وهذه يعتمد نفوذها على ذمم صادقة عاهدت الله على الوفاء لمن وفى لله.

روى مسلم والحاكم بنحوه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**».

منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم والمسلمون يتعاورهم همان: هم الوفاء ببيعة وهمية لفساد شرطها لكن ملحة على الضمائر المؤمنة، وهم الشك في صحة تلك البيعة لما يرون من فساد الحكام.

ويستعمل ملوك العض والجبر مثل الوعيد هذا الحديث لمن لم يف ومات على غير بيعة ليوطدوا لملكهم قواعد دينية.

والأحاديث النبوية في الموضوع كثيرة، والمخرج منها إلى وضوح الفهم ضروري، ليفسخ المسلمون الأوهام، ويعقدوا عقد الإمارة القطرية، ثم عقد الخلافة بعد التحرير إن شاء الله تعالى.

الحديث التالي يضع المشكل تحت نور الحق الكشاف. روى الأئمة أحمد ومسلم والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه**».

الراية العمية. قال النووي: «هي بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان. والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضا، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهة. وكذا قاله الإمام أحمد والجمهور. قال إسحاق بن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصبية».

نور الحق ساطع في مسألة وجوب مناهضة كل خائن لم يف بعهده. وما ترسب في أذهان الأمة من تقديس البيعات ذات الالتزام من جهة واحدة هو من التعمية العمية. ذلك العقد العاض الذي بمقتضاه يفرض على المحكومين الصمت والرضى وعبادة الطاغوت ليتركوا للحاكم مجالا للخيانة، ما هو إلا تعمية وتضليل. وحتى من عاهد من ملوك العض والجبر بشيء فإنما يعاهد عهدا باللسان لا يلبث أن يخونه ويفجر ويكفر.

من فارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. لكن أين الجماعة؟ أهي قطيع الرعية الأخرس عن الحق؟

ومن قاتل تحت راية عمية أو نصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية. الحكم الوراثي راية عمية لأن ولاية العهد فيه إنما تمليها العصبية للنسب. التكتلات الحزبية كما يعرفها العصر التي تنصب منها حاكما رايات عمية، لأنها قائمة على عصبية

المصلحة أو الإديولوجية. الحزب الواحد المبني على غير التقوى وأخوة الإيمان وحاكمية الله وشورى أمر المسلمين راية عمية، بل هي أشد عماية لأنها الصيغة الأشد قتامة للعصبية الجاهلية.

مضت قرون كانت «الرعية» الساكتة المسكتة أثناءها في قبضة حكام العض والجبر، والانتقال من الحكم الجاهلي إلى حكم الإسلام والخلافة لا يتأتى إلا إن غير المسلمين ما بأنفسهم، وأمسكوا أمورهم بأيديهم، وساوروا الحكام ليحملوهم على الجادة.

أبو بكر رضي الله عنه يقول في أول خطبة له: «إن استقمت فأعينوني، وإن زغت فأقيموني، وإن أطعت الله فأطيعوني، وإن عصيت الله فاعصوني». رواه الطبراني.

وروى أبو هلال العسكري أن عمر بن الخطاب لما عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة استجابة لأهلها، قال لهم: «إني عزلت عنكم سعدا فأخبروني: إذا كان الإمام عليكم يمنعكم حقوقكم، ويسيء صحبتكم، ما تصنعون؟ قالوا: إن رأينا خيرا حمدنا الله، وإن رأينا شرا صبرنا. فقال عمر: لا! والله لا تكونوا شهداء في الأرض حتى تأخذوهم في الحق كأخذهم إياكم فيه، وتضربوهم على الحق كضربهم إياكم عليه، وإلا فلا».

أحاديث صحيحة وردت عن المصطفى الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم يوصي أمته بالصبر على الحكام ما لم يكن الكفر البواح.

وفي الأحاديث تنوع يتخذه علماء القصور أحبولة لتبرير الشر، وتبرير السكوت عنه، وتبرير التعايش معه.

هي وصايا عامة وتشريع لكل العصور. وعند النزول من هموم العلم إلى خصوص العمل، من سماء الزمان والمكان بغير حدود إلى العصر والمصر والتطبيق تسنح الفرصة لحاملي الرايات العمية كي يختاروا النصوص على هواهم، ويسكتوا عما يحرجهم منها.

ولأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أعلم بمناط أمره صلى الله عليه وسلم ونهيه، والخليفتان من بعده أبو بكر وعمر على الأخص. روى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه بسند صحيح عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

وسمعنا خطبة الصديق وحوار الفاروق مع قوم كانت ذهنية «الرعية» الساكتة يداعبهم خمولها.

قال عمر: «لا والله! لا تكونوا شهداء في الأرض حتى تأخذوهم في الحق».

شهداء في الأرض: حاضرون بيقظتكم واتباعكم أمركم الذي جعله الله بينكم شورى من قريب، حتى إذا اقتضى الحال أن تضربوهم.

ولأهمية ضرب الحاكم، والقيام في وجهه إن جار، شرع لنا أن نواجهه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحاكم وصححه، وتابعه الذهبي: «**سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**». قام. والقومة النموذجية قومة الإمام الحسين رضي الله عنه.

فلما فترت وماتت في الأمة روح الاهتمام بأمورها وتقلص فهمها لحقها في صورة مبايعة من جانب واحد، بدون قيد ولا شرط على الحاكم، كان هذا «الغياب المذهل» كما يقول أحد المجاهدين في عصرنا.

الشعبة السابعة والسبعون: الدعوة إلى الله عز وجل

قال الله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[1].

فتبليغ الرسالة للناس كافة هو الغاية التي من أجلها بعث الله رسله للخلق، وحملها وراثة. الدفاع عنها وتبليغها للأمة وللناس كافة غايةُ جند الله الموعودين بالاستخلاف في الأرض.

(1) سورة سبأ، 28.

في مراحل القومة يحمل الدعوة جند الله، ولا تنتهي مهمتهم الدعوية بقيام الدولة القطرية، إنما تبتدئ مرحلة أوسع.

جند الله هم الأمة في وسط الأمة المأمور في القرآن بتكوينها. وقد حدد الله عز وجل لها أهدافها حيث قال عز من قائل: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.[1]

هم «جماعة المسلمين». عليهم يدور واجب الأمر والنهي والجمع، جمع شمل الأمة، فقبل قيام الدولة الإسلامية وبعده، هم الورثة المسؤولون عن الرسالة النبوية وحفظها وتبليغها.

يستحقون هذه الوراثة ويمكن الله لهم في الأرض إن هم طابقوا، وطابقت أعمالهم، وطابق إيمانهم، الوصفَ الذي وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا البلاغ الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾.[2]

1- «الشهادة»: الحضور المسؤول. فجند الله لا نصيب لهم من كمال السنة الغراء إن لم يغشوا المجتمع كما غشيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يفرضوا وجودهم، ويتغلغلوا في الأمة بالصبر والمثابرة، والحركة النشيطة، والإلحاح، كما فعل. الأمة كم مهمل في تاريخ العالم لأن رجال الدعوة غابوا عن الساحة قرونا طويلة، إما في الدروشة أو الزهادة أو الحوقلة. وشهادة جند الله يجب أن تعم حتى يتمثلوا حضورا قويا مؤثرا في الواقع المحلي ثم العالمي. قال عمر لأهل الكوفة: «لا والله! لا تكونوا شهداء في الأرض حتى تأخذوهم في الحق...».

شهداء في الأرض. قوة سياسية في مراحل القومة، ثم قوة مهيمنة على الدولة.

---

(1) سورة آل عمران، 104-105.

(2) سورة الأحزاب، 46.

فيما حولنا من أنظمة نرى الحزب الحاكم تنبثق عنه الحكومة، وهو يوجهها. وفي بلاد الشيوعية يكون الحزب الواحد هو الحكومة والدولة وكل شيء.

فماذا يكون مقام الدعوة تحت الدولة الإسلامية؟

أتذوب لتبقى الدولة؟ أم كيف تؤدي واجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتوجيه السفينة وهي محتفظة بوحدتها واستقلالها عن الحكومة؟

الحكومة الإسلامية إلهية التشريع لكنها بشرية التطبيق. وكل حكومة بشرية تتعرض للأخطاء والزيغ. فلا بد أن تبقى الدعوة مهيمنة لتقوم وتصلح. لا بد أن تكون هي الحاضرة الشاهدة.

لا بد أن تكون للدعوة مجالسها ومؤسساتها ورجالها.

إلى جانبها مؤسسات وأجهزة ورجال الحكم.

يجب أن لا تغيب الدعوة بقيام الدولة.

يجب إعادة الأمور إلى نصابها ليسير الكائن على رجليه لا على رأسه. فقد كانت الدولة نظاما منبثقا عن الدعوة، فلما فسد الحكم أصبحت الدولة هي كل شيء، والدعوة ورجالها تابعا ثانويا لا إرادة له أو لا تكاد، ولا قدرة له على تغيير الواقع.

في الوضع الإسلامي تكون الدعوة هي التي تتخذ القرارات المصيرية والعامة.

وتكون الحكومة جهاز التنفيذ.

عندما يكون الجسم ضعيفا والآلة ضخمة ثقيلة، تعود الآلة على صاحبها فتجره إلى مصرعه.

ومهمات الدعوة ثقيلة وضخمة أثناء القومة، لكنها تزداد ثقلا أثناء بناء الدولة وتسيير شؤون الحكم.

فلا تستولي المهمات التنفيذية على الدعوة حتى يغيب عنها هدفها الأول، فإن استنفذت مشاكل الحكم طاقات الدعوة، وألزمتها أن تقبل الحلول الوسطى، فقد تودع منها.

2- «البشارة والنذارة»: الترغيب والترهيب. تعاون بين الدعوة وهي بشارة، ووجه باش، ودعوة إلى الخير، وأمر بالمعروف، وبين الدولة ولها الحق وعليها الواجب أن تقبض على المنكر من عنقه إن هو لم ينته بوازع القرآن.

رحم الله الإمام عثمان بن عفان ورضي الله عنه قال: «يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

قالها بعد أن رأى تردي التربية القرآنية، وظهور خلف (بسكون اللام) قلما يفهمون غير لغة السلطان.

كيف والأمة اليوم وصلت الحضيض في هذا المعنى؟

كيف والخوف من القهر البشري هو وازع عامة الناس، لا الخوف من الله تعالى؟

في مراحل القومة سلطان جبري يحارب الدعوة.

يد الشر تضرب اليد المبسوطة بالخير.

وبعد القومة، عند البناء وإقامة حكم الله في الأرض، نحتاج لتدرج في الانتقال من غلبة وازع السلطان إلى توازن بين عمل اليد اليمنى يد الدعوة واليد اليسرى التي يجب أن تبقى حديدية.

يد الرحمة والحكمة كيف تتعاونان؟

هذا سؤال من أهم ما سيطرح على المسلمين وهم في سدة الحكم إن شاء الله تعالى.

3- «الدعوة إلى الله بإذنه»: بالنسبة لرسل الله عليهم الصلاة والسلام هي بعثة ووحي. وبالنسبة للعلماء بالله جند الله هو الإلهام والتوفيق.

وقلما يتساءل الدعاة عن أسباب فشلهم خارجا عن دائرة الأسباب الحركية.

قلما ينظرون هل هم يرعون الله تعالى ليرعاهم، هل يطيعونه حق الطاعة ليوفقهم، هل طهروا قلوبهم وعقولهم بذكره والقيام على بابه بالدعاء والتضرع ليلهمهم؟

قولوا لي: أية تربية تلقيتم يا جند الله وأية عبودية حققتم لمولاكم، أقلْ لكم بلسان القرآن أي مصير هنا وهناك ينتظركم، وأية هداية.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

ما قال: مع الشاطرين.

وقال عز من قائل: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[2]

ما وعد بالنصر من يعتمد على حيلته وينسى أنها قضية الله لا قضيته. إنما وعد من يبذل كل الجهد في التدبير، وإعداد القوة، والإقدام على التنفيذ، ويدخل من باب التضرع إلى الله العزيز، يسأله المدد والقوة والنصر.

تنسينا أنفسنا الأمارة بالسوء أن التوفيق من الله عز وجل، وأن هدايته وإلهامه ونصره هي زادنا الأول والأخير.

في حق الأنبياء والرسل كل هذه المعاني وهب وقدم صدق سبقت لهم بالحسنى.

وفي حقنا اجتهاد وجهاد في ذات الله. وقدم الصدق والسابقة بالحسنى هي على كل حال الموئل والمعاد.

الإنابة إلى الله، وإسلام الأمر إليه، والتعويل عليه، مع إثبات الأسباب، وإعداد القوة، وأخذ الحذر والأسلحة والوسائل على مستوى العصر والمستقبل؛ تلك هي المعادلة التي تجمع لنا بين لب الأمر وهو الإيمان بالله، وبين الجسم وهو التنظيم والحركة.

الدولة بلا دعوة جسم بلا روح.

(1) سورة العنكبوت، 69.
(2) سورة الحج، 40.

التنظيم والحركة بلا تربية إيمانية تحزب سياسي ما هو من الإسلام في شيء.

قيادة تنطق بالإسلام والقلب فارغ من حب الله والتوكل عليه تقود القافلة للتيه.

التحليل السياسي والفقه الفكري دون ذكر الله، والخشوع الدائم بين يديه، هذيانٌ على مستوى هذيان العالم. الحركة دون معرفة النفس وأمراضها وعلاجها هوس.

ولا يقدر يغير المنكر من في قلبه منكر النفاق.

ولا يقدر يأمر بالمعروف من لا يعرف الله عز وجل.

تدعو إلى الله في زعمك وأنت لا تعرف الله؟!

لا تعرف الله وأنت تظن أن تشملك عنايته بالذين دعوا إليه بإذنه؟!

من ليس على بصيرة، من هو عامه في أوهامه، سادر في غفلاته، محجوب عن الله تعالى، كيف يزعم أنه يدعو إلى الله؟ كيف والله تعالى وصف دعاة الصدق والحق بالبصيرة حين خاطب حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾؟[1] وما البصيرة والحجاب؟ ألفاظ! ابك على نفسك!

اقرأ كتاب «الفتح الرباني» للشيخ عبد القادر الجيلاني لتفهم ما أقول. فقد نصح رحمه الله، وبالغ في النصح، وجهد في إيقاظ الهمم النائمة. اقرأه لعلك تفهم معنى الدعوة إلى الله بإذنه.

4- «السراج المنير»: بالنسبة لخليل الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم كمال لا يقدره الغافلون عن الله قدره.

وبالنسبة لجند الله هو نصيبك أيها المؤمن من ذلك النور الإيماني الإحساني الذي يودعه الله قلوب أصفيائه من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين.

(1) سورة يوسف، 108.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾.[2]

استيقظ واعلم أن المنهاج النبوي هو ذاك الصراط الذي تضع فيه قدميك على قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم. هو الصراط المستقيم الذي يلحقك بالذين أنعم الله عليهم، وقص عليك في كتابه نعمته عليهم، وتفضيله إياهم، ونصره دعوتهم. ثم حسَّن لك رفقتهم.

لا تحسب أن المنهاج النبوي الذي تحدثت لك عنه كل هذه الصفحات الطوال يكون منهاجا نبويا إن هو لم يجمعك على الله تعالى، ولم يستحثك للإقبال عليه عز وجل، ولم يوقظ همتك إليه.

لا تحسب أن مقاومة الظلم والكفر، وإقامة الدولة الإسلامية، تفيدك أنت شخصيا في الدار الآخرة وعند الله تعالى إن لم يكن حبه وطاعته وخدمة دعوته ونصرة قضيته هي فكرك ومعناك، هي غذاءك وشرابك، هي جسمك وروحك، هي حياتك وموتك. وما الأموات من انتقلوا للدار الآخرة. فتلك النقلة حق. وبعد ذلك الموت نشر وبعث وحساب وجنة ونار.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[3]

إنما الميت ميت القلب، لا يرجى له حياة هنا ولا هناك نعوذ بالله. قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.[4] عمى البصيرة نعوذ بالله. وما أدراك ما حياة القلب، وما البصيرة، إن لم تذكر ربك! «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله، مثل الحي والميت**» حديث رواه البخاري ومسلم بنحوه.

(2) سورة النساء، 69.

(3) سورة الزمر، 22.

(4) سورة الإسراء، 72.

إنما الميت الغافل عن الله المعرض عن ذكره، المنكر أن الله وحده يعز ويذل، يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

إنما الميت من فاته حظه من الله.

إنما الميت من يأتيه حينه عند حضور ملك الموت، فينظر إلى حياته يجدها بلقعا من الخير، ما عرف لما خلق، وما سعى ليتقرب إلى الله بالفرض والنفل، ولو صلى وصام وقال: إني مسلم.

ابك على نفسك وابحث عن داع إلى الله على بصيرة يأخذك بيدك، يسلكك، يدلك على الله ويعلمك كيف تحبس نفسك على مكارهها، كيف تقتحم العقبة إلى الله تعالى، كيف تصل إليه، كيف تعرفه. قال الله تعالى يحكي وصية لقمان لابنه: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.[1]

إنما الميت من قرأ القرآن وما أفاق من الغفلات. من عبر حياته الدنيا ولم يقف لحظة ليسأل عن الخالق. من قرأ في الكتاب والسنة الدلالة التامة على الله ولم يسمع ولم يتفكر ولم يعقل، ولم يرد وجه الله، ولم يصبر مع الذين يريدون وجهه، ولم يشتق لربه، ولم يحب لقاءه.

فاته أن يتوب فيتاب عليه.

فاته أن يستغفر فيغفر له.

فاته أن يسأل فيعطى. وأفضل ما تسأل فضل الله، ثم رضى الله، ثم وجه الله. فاته أن يكون مع المحسنين.

مع.

ولا تنس أن المعية مع الذين أنعم الله عليهم، معية هنا وهناك، هي معنى الصحبة. وقد جعلنا الصحبة شطر الخصلة الأولى والجماعة شطرها الآخر.

---

(1) سورة لقمان، 15.

فاعرف لم تتحرك الجماعات وأين تتجه، وتأكد أن تحافظ أينما كنت لتكون الوجهة الله، والموعد الله، ولتبقى الوجهة الله، والموعد الله.

لا إله إلا الله محمد رسول الله.

خاتمــة

أدعوك اللهم بما أمرتنا من جوامع الدعاء:

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ. آمين.﴾

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.﴾

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا. رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ. وَاعْفُ عَنَّا. وَاغْفِرْ لَنَا. وَارْحَمْنَا. أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.﴾ آمين.

****

وأدعوك اللهم بما دعاك به محمد عبدك ونبيك ورسولك صلى الله عليه وسلم وبارك وعلى آله وأزواجه وصحبه وذريته الطيبين الطاهرين:

اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك. اللهم فأعطنا منها ما يرضيك عنا.[1]

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم والقسوة، والغفلة والعيلة، والذلة والمسكنة. وأعوذ بك من الفقر والكفر، والفسوق

(1) صحيح رواه ابن عساكر عن أبي هريرة.

والشقاق والنفاق، والسمعة والرياء. وأعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون والجذام، والبرص وسيء الأسقام.[1]

اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم. ومن فتنة القبر وعذاب القبر. ومن فتنة النار وعذاب النار. ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من شر فتنة الفقر. وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال. اللهم اغسل عني خطاياي بالماء والثلج والبرد. ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب.[2]

اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر وفتنة الدجال. اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها. أنت وليها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع. ومن قلب لا يخشع. ومن نفس لا تشبع. ومن دعوة لا يستجاب لها.[3]

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك. وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك.[4]

****

اللهم وأدعوك بلسان الاستغفار من ذنبي والإقرار. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي لا يغفر الذنوب إلا أنت.

وأدعوك سيدي بلسان اللجأ إليك والفرار. والحاجة إليك والاضطرار.

وأدعوك مولاي بلسان الشكر على ما هديت وأوليت، ووهبت وأسديت. لك الحمد والثناء الحسن. لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك.

(1) صحيح رواه الحاكم والبيهقي في الدعاء عن أنس.
(2) رواه الشيخان وأصحاب السنن إلا أبا داود.
(3) رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي.
(4) رواه مسلم وأصحاب السنن.

اللهم ناديت عبادك أن يقتحموا العقبة إليك، وأن يجعلوا كل معولهم عليك. وناديتنا أن نكون من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة. وأمرتنا أن نكون مع الصادقين. فارزقنا صحبة ومعية الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا. ارزقنا صحبة المحبة والاتباع لرسولك محمد صلى الله عليه وسلم، وصحبة الرفقة والخلة لورثته. فقد أخبرنا أن المرء على دين خليله وأمرنا أن ننظر ونبحث عمن نخالل. اجعلنا اللهم معهم في الدنيا جهادا، وفي الجنة والنظر إلى وجهك الكريم معادا.

اللهم ردنا إليك، وأوقفنا بين يديك وقفة الأحباب. وافتح لنا الباب.

ألهمنا ذكرك وشكرك. طهر قلوبنا من الشرك والغل والشك. نورنا بنور معرفتك.

ارزقنا الصدق والإخلاص، صدق الذمة والهمة والهجرة إليك.

خذنا من نفوسنا وشحها حتى نبذل أموالنا ومهجنا في سبيلك.

علمنا من لدنك علما، ومن علينا بلذيذ مناجاتك.

استعملنا فيما يرضيك ويعز هذه الأمة.

ألق علينا محبة منك. وجللنا بهيبة أوليائك بين خلقك، وذلة المؤمنين على المؤمنين في صف جندك.

حل بيننا وبين معاصيك. وثبتنا في مواطن الجهاد.

اقصد بنا السبيل إليك وافتح لنا مولانا.

ارزقنا الشهادة في سبيلك.

اللهم أحينا بك حياة طيبة، واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك. واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك. وأمتنا في ساحة الجهاد على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط.

رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

رب ارحم أمة محمد عبدك ونبيك صلى الله عليه وسلم، الطف بها.اغفر لها انصرها. ارزقها. أعزها. استخلفها.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

ويرحم الله من وجد في مقالتي خطأ فأقامه، أو زلة فسترها، أو سهوا فذكر به، أو تكرارا مقصودا فصبر عليه.

ورحم الله عبدا وأمة دعا لي بخير دعوة أجد بركتها بعد الموت حين لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ويجدها لما يدعو الملك بالمثل لمن دعا بالغيب لأخيه.

اللهم ارزقنا سلامة قلوبنا لتصلح لك.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله ليلة الجمعة 13 صفر 1402.

فهرس الكتاب

الفصل الأول
اقتحام العقبة إلى الله

الفصل الثاني
تجديد الدين والإيمان

الفصل الثالث
التربية

الفصل الرابع
التنظيم

الفصل الخامس

الخصال العشر وشعب الإيمان

الخصلة الأولى

الصحبة والجماعة

الخصلة الثانية

الذكر

الخصلة الثالثة

الصدق

الخصلة الرابعة

البذل

الخصلة الخامسة

العلم

الخصلة السادسة

العمل

الخصلة السابعة

السمت الحسن

الخصلة الثامنة

التؤدة

الخصلة التاسعة

الاقتصاد

الخصلة العاشرة
الجهاد